

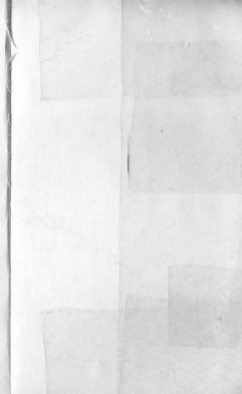
# مخائيل يولغانوف المعلم ومرغريتا

## رواية

ترجمة : يوسف حلاق  
مراجعة : عبد الله جبه



دار، رادوت،  
موسكو



مكتبة جامعة القاهرة  
القاهرة - مصر

Михаил Булгаков  
МАСТЕР И МАРГАРИТА  
ROMAN  
*На арабском языке*

© حقوق الترجمة والنشر محفوظة لدار «رادونا» ١٩٩٠  
طبع في الاتحاد السوفيتي

Б 4702010201—518  
031/017—90 057—90

ISBN 5-05-003873-1

## ميخائيل بولفاكوف وروايته

تصدر رواية ميخائيل بولفاكوف (١٨٩١-١٩٤٠) «المعلم ومرمريتا» ، إحدى الروائع الأدبية للقرن العشرين ، باللغة العربية في عام الذكرى المئوية لمولد الكاتب .

ومصير التراث الأدبي لميخائيل بولفاكوف موضوع تاريخي لفاجعة نادرة المثال . انه المصير المحزن لفن رفيع ، كان يبحث عن الاعتراف العادل به .

هذه فترة وجيزة لم يكن بولفاكوف معروفاً في وطنه وقريباً الى النفوس سوى لدى طائفة صغيرة من الباحثين الادبيين المختصين ، والمتضلعين بمسرح الثلاثينيات الذين بقي في ذاكرتهم نجاح اخراج «ايام آل توربين» في مسرح موسكو الفني ، وعدد من القراء المتوقنين للمعرفة .

أما الآن فلا يمازى احد في ان بولفاكوف يعتبر من شيوخ الادب السوفييتي ، وانقراض في الاحكام الصادرة بشأنه ثمرات مختلفة تماماً عن السابق ، وفي التعاطف الشعوري المطاير لدى القراء ازاء خبرته الادبية الخصوصية جداً .

وهذا كله يعكس التغيرات الكبيرة في الوعي الجمالي للشعب ، المتأنية - وهذا مفهوم - عن التطورات الاجتماعية الهامة التي جرت في الاتحاد السوفييتي في الأعوام الأخيرة .

وقد اثرت هذه التغيرات باجل صورة في مصير رواية بولفاكوف «المعلم ومرمريتا» .

وكتب المؤلف روايته مع ثقته باستجابة قسرها في ايام

حياته . والآن بعد ان شهدت الرواية النور عقب اكثر من ربع قرن على كتابتها اصبحت معروفة لدى جميع القراء في العالم . وتعتبرها العقول المبدعة البارزة احدى ذرى ظواهر الأدب الروائي في القرن العشرين . فوضعها جنكيز اينماتوف الى جانب «الدون الهادى» لسولوخوف ، مبيناً ان التفاوت فيما بينهما هو في درجة نيسرها لاوسع جماهير القراء . ومشيراً الى توجه ادب بولفاكوف نحو الصفاة الى حد ما .

هذا كله صحيح . كما ان القول الأخير صائب أيضاً . لكن لا يجوز . طبعاً . اعتبار رواية «المعلم ومرغريتا» رواية للنخبة من القراء . ولا جدال في ان من الممكن تفهم جميع تفاصيلها بدقة بشرط توفر الأعداد الثقافية العام والاطلاع على الاحداث التاريخية . لكن الظاهرة الغلة لاستيعاب الرواية تكمن في انها تحظى بالاقبال لدى القراء اليافعين أيضاً . والغلب الظن ان السبب يعزى الى اسلوب الرواية المميز للحكايات والأعمال الخيالية . والقريب حتى من وعي الاطفال الذي تعوزه القدرة . كما هو معروف . على ادراك اشياء كثيرة . بيد ان يعيسوره تقبل امور كثيرة في أي عمل ادبي غير اعتيادي .

وغالباً ما يعود الفكر النقدي لغرض تفسير «الغاز» «المعلم ومرغريتا» الى تشبيهها بابداع جوجول . وهذا شيء طبيعي . لان بولفاكوف كان يعتبر مؤلف «النفوس الميتة» استاذة .

الا ان التقساد غالباً مما يفرطون . لدى دراسة ابداع بولفاكوف . في ذكر اسلافه الأخرين . وهم في الأدب الروسي - دوستويفسكي وسالتيكوف-شيدرين وانفريه بيلي وماياكوفسكي (ككاتب مسرحي) . وفي الأدب الاجنبي - يرد في الطليعة هوفمان . الكاتب الرومانسي الألماني . الذي اعاد خلق العالم بصفته ما يشبه اللاواقع . كما تذكر أسماء اخرى . ولا ريب في ان هذا الكشف سيؤاد .

لكن . لعل ما هو اهم ان «المعلم ومرغريتا» - آخر كتب بولفاكوف . ويعتبر أحياناً بصفته وصيته الابداعية - تؤخذ بجلاء . أكثر فاكتر بالارتباط مع الاعمال السابقة للكاتب . وهذه الارتباطات استيعابية ومباشرة . ويدل الكثير منها على ان الكاتب واصل في عمله المجازي الساخر المترع بالمبالغة تطوير مواضع

اعماله السابقة ، الواقعية تماماً في أسلوبها (رواية «الحرس الأبيض» و«الرواية المسرحية» - ولم يكملها الكاتب - والمسرحيتان «الهروب» و«أيام آل تورين» ، والأعمال البعدة للمسرح والقصص) .

كانت المحاولات الأدبية الأولى لبولغاكوف ترتبط من جانب باهتماماته المهنية في شبابه ، ومن جانب آخر - بالأحداث التاريخية في تلك الفترة .

ولد ميخائيل افاناسيفيتش بولغاكوف في عام ١٨٩١ بمدينة كييف في عائلة عالم ديني ، ومؤرخ جسد لنظريات الأديان ، واستاذ مساعد في الأكاديمية الدينية بكييف . أما له فكانت معلمة ، وابنة اهنسي (أول الكهنة) في الكاتدرائية . وبعد عامين من وفاة الأب اضحى ميخائيل بولغاكوف ، وكان قد بلغ سن الثامنة عشرة ، طالباً في كلية الطب بجامعة كييف .

وفي عام ١٩١٦ بدأ العمل ، وكان قد حصل على شهادة الطب بدرجة امتياز ، في المستشفيات العسكرية على الجبهة الأوكرانية ، ثم عمل طبيباً باحد الضبية محافظة سمولينسك . وقد انغمر في العمل بشكران ذات . وسنعرّف هذا من كتابه «مذكرات طبيب شاب» وروايته «المورفين» وقصصه .

عاد بولغاكوف الى كييف بعد ثورة أكتوبر ، وعانى بسبب الأحداث الدامية في المدينة ، الناجمة عن افعال سلطات الاحتلال والحرس الأبيض ورجال بيتليورا (من التوميين الأوكرانيين) ، وحين اقيمت السلطة السوفييتية \* في عام ١٩١٩ في كييف (أبان الربيع والصيف) ، واصل بولغاكوف ممارسة مهنته كطبيب . وفي الوقت ذاته بدأ بالكتابة - قبل كل شيء ، طبعاً ، عن عمله الذي رسخ في وعيه الى الأبد بصفته من أعمال الرحمة العظيمة . و«مذكرات طبيب شاب» ليست يوميات وحتى ليست ملاحظات بشكل تحقيقات صحفية ، لكنها تصف بسنات قصة القصيرة ، بيد ان عنصر السيرة الذاتية واضح فيها بجل ، كما هي الحال في أعماله الرئيسية ، المتأخرة .

\* لقد افترق الاجانب والحرس الأبيض من اوكرانيا نهائياً في مطلع عام ١٩٢٠ .

لكن فيما كانت الممارسة الطبية قريبة الى روح بولغاكوف ، فان الكوارث الاجتماعية لتلك الاعوام ، والاشهر المأساوية في كييف التي كانت تتناقلها الايدي ، غسدت مصدراً انجلياً وموضوعياً القوي لاعمال البحث الفني لدى الكاتب الشاب . طبعاً ، ان اكتشافاته الكبيرة لم تتعلق دفعة واحدة .

فلقد بدأ بولغاكوف ككاتب مسرحي قبل ان ينتج «مذكرات طبيب شاب» و«المغامرات العجيبة لدكتور» . وقدمت مسرحياته على خشبة المسرح . ففي عامي ١٩٢٠ و ١٩٢١ صلق اعالي مدينة فلاديفلانس (اورجونيكيديزه حالياً) لدى مشاهدة عرض «الاخوان توربين» . كما كتب مسرحيات كوميدية عرض بعضها على خشبة المسرح أيضاً .

والقلب الظن ان المؤلف لم يكن راضياً عنهما جميعاً : فلقد اتلف بعد ثلاثة اعوام مخطوطة المسرحية الالفة الذكر . ووجب ان يجد الانعكاس الفني ما شاهده الكاتب في اعوام الثورة . وكانت النهضة التاريخية قوية ، وعاشت في اعماق بولغاكوف ووعدت بنتائج ابداعية كبيرة .

وفي فترة اعوام ١٩٢٢-١٩٢٤ ألف الكاتب بعد الانتقال الى موسكو نهائياً رواية «الحرس الأبيض» ، اول عمل روائي كبير له .

وحدث هذا في الوقت حين كان الفن السوفييتي الفني يسعى بنشاط غير اعتيادي الى استكناه مغزى العصر الثوري ، وادراك مضائر الشعب والانتاجتسيا . وظهرت الى الوجود الكتب الممتازة لالكسي تولستوي وسيرافيموفيتش وبابيل ، وانطلقت فكسرة «الدون الهادي» لشولوخوف . وكانت رواية بولغاكوف تتجاوب مع روح اعمال البحث الفني الرئيسية لتلك الفترة .

فما الذي كان يقربه الى الذين يعدون بحق رواد الفن الاشتراكي ؟ باديء ذي بدء ، ان رواية «الحرس الأبيض» لم تترك اية شكوك بصدد المسير اللاحق للعالم القديم : فلا عودة له ، والامر الاساسي ، ان انهياره يمثل خيراً بالنسبة الى روسيا من الناحية الوطنية التاريخية .

وبدا هذا الانهيار لبولغاكوف ، طبعاً ، ليس كحدث تاريخي منفرد له حدوده الوطنية . لقد اكسبه طابعاً كونياً وبشرية عاماً .

ومن هنا تأتي مراجعة الكاتب لتصوص الكتاب المقدس ، وفي  
طلبيتها سفر الرؤيا (رؤيا يوحنا اللاهوتي) ، ومنه اخذ إحدى  
العبارات التي تنصده الرواية «ودين الاموات مما هو مكتوب في  
الاسفار بحسب اعمالهم . . .» . ولا يجوز القول ان بولغاكوف  
كان متضامناً كلياً مع البلاشفة ، الا ان «الحرس الأبيض» تشكل  
محاكمة روائية لعاضي روسيا .

اذن كانت تينق في ابداع الكاتب قبل وقت طويل من كتابة  
«المعلم ومرغريتا» مواضيع الكتاب المقدس ، التي هدتها الوحيد  
تشديد الوظيفة التعميمة لشخصه .

والجدير بالذكر ان البحث كان يجري منذ فترة العمل في  
تأليف «الحرس الأبيض» عن السخرية والعناصر الخيالية الضرورية  
من أجل بلوغ الهدف الفني المختار . ففي عام ١٩٢٤ كتب  
بولغاكوف «تسيد الشيطان» - وهي رواية ساخرة عن  
البيروقراطية ، ويتجلى فيها بحالة جنينية الأسلوب الساخر لرواية  
«المعلم ومرغريتا» . وفي اواسط العشرينيات كتب الروائتين  
التصيريتين الخياليتين-الساخرتين «البيوض القاتلة» و«قلب  
كلب» ، اللتين اعيد اصدارهما مؤخراً (صدرت «قلب كلب» لأول  
مرة في الاتحاد السوفييتي عام ١٩٨٧) ، واخرجت في المسرح  
وترجمت الى كثير من اللغات الأجنبية .

وفي النصف الثاني من العشرينيات صار ميخائيل بولغاكوف  
يعمل بطالة ابداعية كبيرة . ودراما «ايام آل توربين» ، التي  
كرر فيها الكاتب - الوفي الى العتصر المؤثر الرئيسي لروايته  
الأولى - بعض احداثها ، لكنه مضى ابعد في تكريس التلويق  
الاخلاقي للقوى الثورية ، قد جلبت الشهرة الى بولغاكوف .  
واستولت على ستانيسلافسكي كبير المخرجين فكرة تجسيدها  
على خشبة المسرح . لكن النقاد المسطحين والمبتدلين من الرابطة  
الروسية للكتاب البروليتاريين ، إحدى التكتلات الرئيسية في  
احوام العشرينيات ، لم يتقبلوا المسرحية التي كانت ترغم الناس  
على البكاء والضحك في آن واحد (وكان هذا رد فعل ستانيسلافسكي  
أيضاً) .

كما استقبلت بعداء أكبر مسرحيته التالية «الهروب» التي  
حظر تقديمها حتى على ستانيسلافسكي نفسه ، مما اصاب المخرج



العظيم بنكر مرير ، فتطبقت السحب فوق بولفاكوف . ومع هذا عمل بحساس اكبر وبشكران ذات في تأليف كتابه «الرئيسي» - رواية «المعلم ومرغريتا» .

وكرس بولفاكوف الى هذا العمل جميع الايام الاخيرة من حياته (توفي في عام ١٩٤٠ بعد مرض تقبيل ووطن هو تصلب الكليتين) .

لقد تعدد في الثلاثينيات نهائياً موضوعه الروائي الرئيسي : الصراع بين الخير والشر . وكما هي الحال سابقاً كان الكاتب ينجذب الى مختلف الأنواع الفنية فكتب مسرحية عن مولير ورواية عنه من اجل سلسلة كتب «سير مشاهير الرجال» ، والرواية القصيرة ذات عنصر السيرة الذاتية «كتابات على اطراف الاكام» ، والأعداد المسرحي لرواية «النفوس الميتة» لجوبول ، لكن الشيء الرئيسي طبعاً هو كتابة الرواية .

وعمل تخوم العشرينيات والثلاثينيات شعر بولفاكوف بشكل واضح بمأساوية وضعه ككاتب ، ففي اعقاب مسرحية «الهروب» رفض المسئولون عن سياسة الريتوار مسرحياته الواحدة تلو الاخرى .

وبعد رسالة ياتمة وجهها الكاتب الى الحكومة \* حصل على وظيفة دائمية في المسرح الفني . وشيئاً فشيئاً تم من جديد نشر واخراج بعض مسرحياته (كان ستالين يبدي اهتماماً «خريباً» بعرض مسرحية «أيسام آل توريين» في مسرح موسكو الفني ، وشاهده عدة مرات) .

مع ذلك لسم يعتبر بولفاكوف «من الاهل» في الاوساط الادبية والمسرحية ، وحتى ستالينلايسكي لم يكن يفهم دائماً

---

\* كتب ميخائيل بولفاكوف الى ستالين عدة مرات . وقد رجا في رسالته المؤرخة في ٢ سبتمبر عام ١٩٢٦ السماح له بالسفر مع زوجته الى خارج البلاد . وكتب بولفاكوف رسالة الثانية والى حكومة الاتحاد السوفييتي في مارس عام ١٩٢٠ في لحظة عصيبة جداً ، حين فقد اي أمل في النشر وكذلك في الحصول على اي عمل مرموق . وفي هذه المرة تلقى الجواب - وهو العكاملة الهانفية الشهيرة مع ستالين في ١٨ ابريل عام ١٩٢٠ . وبعد المصادفة مع ستالين اضطر الكاتب قراره النهائي بالعمل في ارض وطنه ، وبالتالي عن مغريات الهجرة .

خصوصية أسلوبه الساخر . وليس عجباً ان «الرواية المسرحية» التي لم يكتبها . والتي يتحدث فيها بأسلوب طريف تكثر فيه السخرية بالكفاحة عن مشوات العمل البهيجة والمؤلمة في مسرح موسكو الفني . كتبت في المخطوطة بعنوان آخر هو - «مذكرات مرحوم» .

لكن لسم يعد بمقدور شيء ايقاف الكاتب عن انجاز كتابه الرئيسي . ولئن احسرت بولفاكوف في عام ١٩٢٠ جميع صفحات مخطوطة الرواية تقريباً . فانه صار لاحقاً يستعيد في ذاكرته كل ما اتلفته يداه . ولم يكرر مثل هذه المحاولة المأساوية ابداً . لقد اغنى بولفاكوف الادب السوفييتي بكتابه رواية «المعلم ومرغريتا» بنوع أدبي فذّ جديد . لم تعط نظرية الأدب تعريفاً له حتى الآن . فان «المعلم ومرغريتا» هي عرض تاريخي ساخر لحياة المدينة في العشرينيات والثلاثينيات التي كانت متبصرة لبصيرة الكاتب الروائية الواسعة . وقد يبدو مثل هذا التوصيف بمثابة مفارقة : فمن السهل التشكيك بإمكانية الجمع بين الهجاء الساخر . بتحيزه الذاتي . وبين العرض التاريخي بموضوعيته الانزاعية . لكن الأدب الكلاسيكي الروسي قدم قبل بولفاكوف بزمن طويل امثلة لهذه التوليفة المتناقضة ظاهرياً : على سبيل المثال ان الرواية الغدّة لسالتيكوف-شيبيرين «قصة مدينة» المتميزة بالاحتدام المجازي للاحداث والشخصيات قد اعادت خلق العالم الشامل للحياة الروسية في القرن الماضي . حيث كانت تسود السلطة المطلقة لافراد معدودين وخضوع الآلاف .

لكن «المعلم ومرغريتا» ليست مجرد تكرار لتقاليد الادب الهجائي الساخر الكلاسيكي . اذ تكمن فريدة العمل كنوع أدبي في الجمع الجسور في سبيكة واحدة بين السخرية والطرح المهيب والملحمي لاسطورة عريقة في القدم . وما تقصده هو ما يسمى بالوصول القديمة للرواية . الوصول عن بيلاطس البنطي حاكم اليهودية الروماني والفيلسوف الجواب يشوع الفانصري (هكذا يسمى بولفاكوف يسوع المسيح) . التي تقطع ثلاث مرات سرد الاحداث المصرية . وترجع احداث هذه الفصول الى القرن الاول للميلاد . ويمكن ان نحسب بيسر وراء اورشليم ملامح اورشليم التاريخية - مركز اقليم اليهودية في عصر الامبراطور الروماني

تيريوس . وكان يتولى السلطة العليا ايامذاك والى الامبراطور =  
الحاكم الذي تولى ادارة اليهودية بصفتها جزءا من محافظة سورية  
الرومانية . وبيلاطس البنطي شخصية تاريخية . واعتمادا على  
بعض المصادر الحاكم الخامس . وعلى مصادر اخرى الحاكم  
السادس لليهودية . ووفقا للتقاليد المسيحية فقد جرت في فترة  
حكمه اهم الاحداث الواردة في الانجيل - اي ظهور المسيح .  
الانسان الرب . منقذ العالم يسوع واعدامه الرهيب بالصلب .  
وقد يبدو لكثير من القراء ان الحديث عن يوم من ايام الحاكم  
الروماني اكثر الصفحات تأثيرا في رواية «المعلم ومرغريتا» .  
لكن ينبغي الا يؤخذ هنا الحديث كاقصاصة محشورة فيها . إذ  
يمكن سر الوحدة البنيوية للرواية باجمعا في الخطوط التي تربط  
ما بين العاشر البعيد واليوم الحاضر . وفي عدم انصافهما  
وتواصلهما في المقاييس الأساسية الرئيسية للوجود .  
وفي جوهر الامر تكمن في التضاد بين الخير والشر الوحدة  
الرئيسية للاحداث التي تبسود غير مترابطة وغير متشابهة  
لصور الرواية «القديمة» والحديثة .

ولدى متابعة النزال بين بيلاطس البنطي و يسوع نجد في  
دائرة القضايا التي تشغل فكر المؤلف في مشاهد الرواية التي  
تجري بيوسكو - اي عن الانسان . وعن الصراع الخير  
والشر فيه . وعن عجز ارادة الانسان وجبروتها .

وتظهر شخصية بيلاطس الصراع الداخلي لشخصية الفرد  
ولهذا فهي دراماتيكية على طريقتها . اذلا تعوزه التأملات والمشاعر  
الانسانية والشغقة . فهو لا يود هلاك يسوع بلا معنى . اما  
الفيلسوف الجواب باحاديته غير المألوفة عن كون الانسان طيب  
القلب . فهو يروق له لامر ما . وبيلاطس مستعد لاتخاذ من  
تزمت ابناء جلده ولاخطائه عنده في قيصرية ستراتونوفا . وتأتي  
لحظات يتراعى فيها ان الحاكم الروماني لن يتترف الفعل الوحشية  
بحق الرجل العنيد الاعزل . لكن يتصادم في اعناق الحاكم امران  
غير متكافئين هما : الارادة الشخصية وحكم الظروف . وقد تطلب  
يسوع على الأخير روحيا . بينما لم يتسن ذلك لبيلاطس . فهو  
بصفته انسانا - لا يستحسن الحكم بالاعدام . لكنه بصفته  
حاكما - يصادق عليه : لان الخوف من القيصر فوق قدرته .

والحق ان يشوع نفسه يصدر الحكم على نفسه حين يكشف امام بيلاطس طوباويته الجسورة بقوله : ستحل نهاية حكم الامبراطور . وسلطة القيصر .

ذلكم هو الموضوع الازلي للادب العالمي وذلكم هو جوهر الواقعية الروائية اي : من هو الانسان ؟ وهل يتحمل الانسان المسؤولية عن افعاله ؟ وهل يوسع اكثر الظروف تسوة ان تشكل تبريراً لاقتراف افعال لااخلاقية ؟ ويجيب بولفاكوف على هذا بشخصية بيلاطس لديه وبصيرته وبغذاباته الروحية قائلاً : نعم ، انه يتحمل المسؤولية . فهو مسئول امام ضميره ، ولا يمكن ان يفقد اي شيء تبريراً له . ان كان قد اختار الشر .

ان قصة بيلاطس البنطي ويشوع ذات صلة مزدوجة مع تقلبات الاحداث الرئيسية للرواية . انها تشكل محتوى الرواية التي يكتبها المعلم (فان مصير مخطوطته المحترقة والمعاد كتابتها بالذات قد ولدت عبارة فولاند التي غدت مثلاً يضرب به وهي : «المخطوطات لا تحترق» . وثانياً ان هذه القصة الرهيبة يبدو وكأنها تختتم في النص الرئيسي للرواية . وقد يتراعى للقارئ اية خاتمة اخرى يمكن ان توجد غيرها : فان يشوع قد صلب . لكن المؤلف اراد القول : ان انتصار الشر على الخير لا يمكن ان يفقد النتيجة النهائية للمجابهة الاجتماعية-الاخلاقية . فهذا حسب رأي بولفاكوف امر لا تقبله طبيعة الانسان ، كما لا يجب ان يسمح به مجمل سير الحضارة .

والمؤلف هل يتبين من ان المسهدات لمثل هذا الاعتقاد قد تجسدت في افعال . . . الحاكم الرومانسي نفسه . فهو بالذات ، والذي حكم بالموت على الجواب النعيس ، قد امر بان يقتل سراً يهودا الذي خان يشوع . ويتبين ان البعد الانساني يكمن في البعد الشيطاني وينزل القصاص - ولو بجيستن - بمن اقترف الخيانة . لكن هذا يمثل جزءاً صغيراً فقط من القصاص . ومن اجل ان بولفاكوف لا يجد في ذلك الكفاية .

وعندئذ يظهر في «المعلم ومرافقته» فولاند ، الذي تفسر شخصيته بصبارات مأخوذة من «فاوست» لغوته ، وادرجت في صدر الرواية : «انا جزء من تلك القوة التي تريد دائماً الشر فلا تفعل دائماً الا الخير» .

ويمثل هذا استعارة للتناقض البشري الذي يجب لعله ، حسب رأي بولفاكوف لو تكمن في هذا إحدى الأفكار الرئيسية للكاتب في الرواية) ان يكرس التفاؤل التاريخي للمجتمع .

وإذا بمنزلة الشرّ الشيطاني يصيرون من صناعي الخير ، ومتفلي العدالة ، بغية التكفير نهائياً عن جريرتهم حيال الجوايين الازليين والنسك الروحانيين الذين يعضون الى المحرفة دوماً في سبيل افكارهم . فينسلخ فولاند من حومة الشر المعتادة ويبدو كما لو انه يتلقى بالمقابل سيف العقاب العادل من قوى الخير . ويقع تحت طائل الضربات الماحقة لفولاند كل ما هو دنيء في البهجة الموسكوفية للموظفين واصناف المثقلين والدعساء العاديين الذين يصورهم الروائي تصويراً كارينكائيرياً هزلياً . ويشخص العالم هنا كما لو كان مقلوباً رأساً على عقب : اذ يفدو من المستحيل تقريباً القول ، اين تصدح انشودة الشيطان الحقيقية - في الوسط القريب من الادباء والفنانين ام في طفرات الشيطان الموجود في كل مكان وحاشيته من الابالسة . ويتلقى ما يستحقونه من جزاء النصوص النهابون والعاطلون والمرتسئون والكذابين والبيروقراطيون واصحاب الوشائيات . . . وهل كان برليوز سيلقى نصيره ذلك بدون سبب . ان احتسالى هذا بعيد . . . فهذا الترتار المغرور بنفسه ، المشرف على الفن ، والمغرور لمصائر الناس ، لا يبعث مشاعر طيبة كثيراً .

ومع هذا لساذا اعطى المؤلف الى فولاند بالذات الحق في ازالة عقوبة الاعدام ام اعلان العلو ؟ وما هذا - هل هو تكفير عن الشر ، كما قلنا آنفاً ؟ اغلب الظن ، انه كذلك . لكن يتعين عندئذ اعتبار فكرة المؤلف طوباوية . انها السانية بلا ريب ، لكنها طوباوية .

ولربما يبدو بولفاكوف هنا باكبر قدر بصفته من اتباع جورجول ودوستويفسكي . وطبعاً تبدو جلية للعيان الاسداء من حيث الصور الاديبية والمواضيع والاسلوب مع الكاتبين الكلاسيكيين . فمثلاً ، الا يذكرنا الحوار المأساوي بين بيلاطس ويشوع بحديث المفتش العظيم والمسيح في «الاخوة كارامازوف» لدوستويفسكي ؟

لكن لعل اهم تطابق بين بولفاكوف وسابقه يتجلى فيما

جرت العادة على تسميته بالمنهج الايجابي للكاتب . فهنا بالذات  
لكمن قوة بولغاكوف وضعفه ، شأنه شأن معلميه ، اللذين تضمن  
منهاجها فكرة السبل الاخلاقية لتحويل الشر الى غير باعتهاره  
اليلسم الثماني من مصائب البشر الاساسية .

بالمناسبة ان صاحب «المعلم ومرغريتا» غالباً ما يصحح  
مواضيع اعمال معلميه العظيمين . فان يشوع ليس بالمسيح  
المطبخ لدى دوستويفسكي ، والذي يقبل القنص صامتاً وبهذا  
يبارك الاخير لحكمه الدكتاتوري للبشر . نعم ، ان يشوع  
بولغاكوف اعزل وضعيف في الحياة الدنيوية ، وفي مصيره  
الشخصي . لكنه شجاع وصلب ، وعظيم حقاً في تبشيره بالخير ،  
وهو لا يقبل بالحل الوسط مع سلطة روما ، وتقوم في احلامه  
«سلكة الحق والعدل» .

كما يواصل بولغاكوف تقاليد الكتاب الكلاسيكيين العظام في  
امر آخر هو نزح السمة الجمالية للعالم الجاري تصويره ، والذي  
يعتبر شيئاً مبدئياً بالنسبة للكاتب . فهذا يفسر اسلوب الرواية  
كله ، وبضمن ذلك ، كل شيطنة وبهلالة ولا واقعية سلوكات  
كوردوفوف وازازيللو وييفيموت وفاريوخا ونيكانور ايفانوفيتش  
وموظفي مسرح «الفاريتيه» ورابطة ادها موسكو (الماسوليت) ،  
وجميع الذين يشكلون جو المهرج والهرج الخيالي والسيركي في  
الرواية .

«الجمال سينفذ العالم» - ان هذه الصيغة الرفيعة  
لدوستويفسكي قد ابدى شكوكه فيها قائلاً نفسه . كما لم  
يشق بها ليف تولستوي ، ناهيك عن ساتتيكوف وشيدرين .

واخذ بولغاكوف الكاتب الساخر ينظر الاعتبار هذه الخبرة  
بالذات ان تطلبت مهمته الروائية ان يقدم نزح السمة الجمالية  
ما يكاد يمثل اهم عنصر في العملية الروائية . وهو لم «يرحم»  
حتى مرغريتا ، الملاك الحارس للمعلم .

ولربما تتراعى في هذه الشخصية (والكثير من سماتها استوحى  
من شخصية بيلينا سيرفييفنا ، زوجة الكاتب ، ورفيقتة المخلصة  
في عمله السامى والصعب) ، باجل صورة جسارة بولغاكوف  
الابداعية وتحديه الجري لتواين علم الجبال الراسخة .

وترد على لسان مرغريتا ، من ناحية ، اكثر الالفاظ شاعرية

عن الانسان المبدع ، ومن خلوده ، ومن «البيت الازلي» الرابع ،  
الذي سيغدو مكرمة تمنح اليه ، ومن ناحية اخرى ، نجد انها  
عبيبة المعلم بالذات تطير فوق بولفارات وسقوف موسكو  
«سغالها الحادة» في اذن بيغيبوت وتشمه بلطفة بلدينة ، وترجو  
فولاند ان يحول مدرسة شتون المنزل ناتاشا الى ساحرة ، وتنتقم  
من الناقد الادبي النافذ لاتونسكي ، وتصب دلو ماء في ادراج  
مكتبه . ومن العسير ان نجد في الادب العالمي مثل هذا الخلط  
في الاساليب .

فمن اين جاء ؟ انه في نهاية المطاف ناجم عن تجاوز المأساة  
مع الهزل ، وما هو رفيع مع المضحك ، والذي اظهره تاريخ  
البشرية في جميع مراحل تطورها . وحين ربط بولفاكوف الازمان  
جمع بين صفات واشكال الوجود التي يستغني بعضها البعض ،  
كما يبدو ، بالقصى قدر . فان الحماس الغم ، والنبيرات الرقيقة  
والقهقهة المتوحشة المشويصة بالصرير ، والصفير اللصوصي  
والتملق الدواويني المقترن بالخضوع المميز للخدم ، وعبادة  
الخلود وارضاء حاجات اللحظة الراهنة (وكما يقول سالتيكوف-  
شيدرين «ارضاء حاجات البطن» ) ، والوسوسة الناجمة عن الجهل  
والتبصر الحكيم ، وجمال العالم مع زبانه ودعائه ، وانسجام  
الموسيقى والفوضى - ان هذا جميعاً قد عرض في الرواية امام  
القارئ ويطلب منه الاصغاء اليه ، دونما حاجة الى تأكيد خاص  
ما ، لان هذا كله كان دائماً وابتداءً مقترناً ببعضه البعض على هذه  
الشاكلة .

ان رواية بولفاكوف التي لم تلتك رموزها جميعاً واضحة في  
امر واحد على اقل تقدير وهو انها تتحدث عن ايمان الكاتب  
بانتصار المبدأ الابداعي ، وباحتمية انتصار الخير على الشر في  
النهاية . ولربما ان ايمان الكاتب هذا في انتصار الخير يجعله  
يرجح ما يشبه العتاب الى بطله الرئيسي - المعلم ، يضمن  
الكثير من الامور الشخصية والمعاناة الذاتية . ويشير الاعجاب فيه  
الاخلاص العظيم للابداع ، والوفاء للمعتقدات ، واحتقار البهرجة  
والغرور ، وايمانه العميق بان الفكرة الانسانية الجريئة والخيرة  
لن تسوت ابداً .

لكن لم اكرمه الكاتب بالطمأنينة فقط ، ولماذا لم يستحق المعلم التور ؟ ربما لان المعلم لم يصعد في نهاية المطاف لصانب وارزاء ، الحياة ، واستسلم بعد سبيل المقالات الحاقدة والافتراية بصدد روايته ، واستسلم لشعور الخوف ، وصار ينظر من عملة ؟ ربما . لكن تبدو شخصية الشاعر «الذي يستعيد بصيرته» ايفان بيزدومني ، الانسان ذو الضمير «المخدوش» ، بمثابة غفران الى المعلم .

ويختتم الفصل الاخير قبيل «الغائبة» ، بالعبارة التالية : «احدهم اطلق سراح المعلم كما اطلق هو نفسه (المعلم) سراح البطل الذي خلقه ، قبل قليل ، وهذا البطل غار في الهاوية ، غاب دون رجعة ابن الملك المنجم حاكم اليهودية الخامس الطالبم بيلاطس البنطي الذي غفر له ليلة الاحد» .

دعنا نكرر الاقوال عن الطوباوية : من المستبعد التصديق في امكان التكفير عن الشر ذاتياً ، وفي امكان الخلاص بالغفران الشامل . لكننا لن نصدر حكماً صارماً على ايمان مؤلف الرواية هذا : فما هو يحتاج الوعي الفردي للكاتب ايماناً فقط ، وليس يتقدور الجميع معرفة (والاصعب من ذلك - القول) اية قوى واقعية قادرة على سحق امثال بيلاطس . وليساورنا شعور الامتنان بلا حدود الى الفنان البارز المعلم ، الذي مجتد الروح الابداعية وتبنت المثل العليا للعدالة الاخلاقية .

**البروليسود بيوتر نيكولايف ،  
العضو المراسل لأكاديمية  
العلوم السوفيتية ترجمة :  
عبد الله جبه**



# الجزء الاول

... ومن انت الآن ؟

- انا من تلك القوة التي تريد

والما للشر فلا تفعل والما الى الخير

لونه ، وفلاوسته

## الفصل الاول

### لا تتحدثوا ابداً الى اغراب !

في اصيل يوم من ايام الربيع لم يعرف لعره منيل ظهر في  
بتريرشبي برودي في موسكو ذات مرة مواطنان . كان احدهما ،  
وهو الذي يرتدي بدلة صيفية رمادية اللون ، فصير القامة مكنتز  
الجسم اصلع يحمل بيده قبعة اللانقصة على شكل فطيرة وعلى  
وجهه المحلوق بعناية استقرت نظارة في اطار قرني اسود ذات  
مقاس خارق . اما الثاني ، وهو شاب عريض الكتفين اشعث  
الشعر ضارب الى الحمرة على راسه كيبه ذات مربعات . مائلة على  
قذاله . فكان يرتدي قميص كاريسوي وبنطالاً ابيض مكرمشاً  
ويشعل خلفاً اسود .

لم يكن المواطن الاول سوي ميخائيل الكسندروفيتش برليوز  
رئيس مجلس ادارة واحد من اكبر تجميعات موسكو الادبية  
المعروفة اختصاراً باسم هاسوليت ، ورئيس تحرير مجلة ادبية  
سميكة . اما رفيقه الشاب فهو الشاعر ايفان ليغولايفتش بوليريف  
الذي كان يكتب تحت اسم مستعار هو بيزدومني .

كان اول ما فعله الكاتبان حين بلغا ظلال شجرات اليزفون  
التي بدأت الخضرة تكسوها ان اندلعا الى كشك صيغ بالوان  
مختلفة كتب عليه " بيرة ومياه معدنية " .

ويرتاب علينا هنا ان نشير ايضاً الى وجه الغرابه الاول  
في هذا المساء الفطيع من اياميات ايار ، اذ لم يكن هناك احد  
ليس قرب الكشك وحسب ، بل في كل الممرات الموازي لشارع  
مالايا برونايا . ففي هذه الساعة التي اخفت الشمس فيها تهوي

في غلالة من الضباب الجاف وراء ساندوفوي كوتسو بعد ان  
ظلت النهار كله تكوي موسكو بلهيب اشعتها ولم يعد ، على ما  
يبدو ، يتدور العراء ان يتنفس ، لم يات احد ليستلقي ، بشجيرات  
الزيفون ، ولم يجلس احد الى مقعد في الحديقة ، وخلا المر  
خلواً تاماً من العابرين .

- اعطيني نارزان \* - قال برليوز يطلب ماء معدنياً من

المرأة الجالسة في الكشك .

- ليس عندنا نارزان ، - اجابته المرأة وقد لاح على وجهها

استياء لم يدرك سببه .

- وهل عندك بيرة ؟ - قال بيزدومني بصوت ايسح

مستغماً .

- سيأتون بالبيرة عند المساء .

- وماذا عندك اذن ؟ - سأل برليوز .

- شراب المشمش ، لكنه دافئ .

- حسناً ، هاتيه ، هاتيه ، هاتيه . . .

نلت شراب المشمش ولقوة صفراء والقرعة فسرت في الهواء

رائحة كرائحة دكان حلاقة . وما ان اتى الاديبان على شرابهما حتى

اخذا يحزقان ، قدتما ما عليهما وجلسا على مقعد : وجهها الى

بركة الماء ، وظهرها الى شارع مالايا برونايا .

وهنا حدثت المفاجأة الغريبة الثانية ، وكانت تتعلق هذه

المررة ببرليوز وحده . فقد توقف عن الحزن فجأة ، ودق قلبه

دقة وهو الى مكان ما لحظة ، ثم عاد الى مكانه وقد انفرت فيه

إبرة كليلة . واستولى على برليوز الى ذلك خوف غير مفهوم لكنه

من القوة بحيث ود ان يعدو حالاً من بئريرشسي برودي هاربا لا

يلوي على شيء . تلتفت برليوز حوله بكآبة دون ان يدرك مع

هذا ما الذي اخافه . كان وجهه منتفخ اللون . اخذ متديلاً ومسح

به جبينه وقال في نفسه : ما هذا الذي حدث لي ؟ انه لم يحدث

لي من قبل ابداً . . . قلبي بدأ يوجعني . . . انه الاعمياء . ان

\* هو نوع من المياه المعدنية صادرة في شمال القفقاس .

لي كما يبدو ان اترك كل شيء وارمى به الى الشيطان واذهب  
الى كيسلوفودسك \* . . . .

وهنا تكثف الهواء القانظ امامه . ومن هذا الهواء تشكل  
سيده شفاف ذو منظر جدا غريب : تعلو رأسه الصغير سمارة  
شوار وعليه جاكيتة صغيرة ضيقة ذات مربعات . . . كان بطول  
ساجن \*\* . لكنه كان ضيق الكتفين ولحيقا بشكل لا يصدق .  
وكان وجهه . وارجو ان تلاحظوا ذلك . يتم عن السخرية .  
ازداد امتناع وجه برليوز الذي سارت حياته على نحو لم  
يعتد معه ظواهرها الغريبة . وجعلت عيناه . وقال في نفسه وهو  
في حالة من الهلوسة والاضطراب : « هذا ليس ممكن .  
مستحيل ! . . »

ولكن هذا هو الذي حدث مع الاسف : كان السيد الطويل .  
الذي يمكن رؤية الاشياء من خلاله . يتمايل امام برليوز ذات  
اليمين وذات الشمال دون ان تمس قدماء الأرض .

وتملك برليوز رعب جعله يغمض عينيه . وحين فتحهما رأى  
ان كل شيء انتهى وان السراب امام عينيه قد اضمحل والسيد  
في الجاكيتة ذات المربعات اختفى وان الأبرة الكليلة السحبت في  
الوقت نفسه من قلبه .

- تفو . يا للشيطان ! - هتف رئيس التحرير . - هل  
تعلم . يا أيفان . اني كدت اصاب من برهة بتوبة بسبب هذا  
الحر ! بل اصابني ما يشبه الهلوسة . - اردف برليوز محاولا  
اصطناع ضحكة . لكن القلق كان ما زال يغمى عينيه والرمشة  
تسري في يديه .

لكنه عاد الى هدونه شيئا شيئا وروح وجهه يستبدل :  
- اي . لأن . . . - قالها في شيء من الهمة والنشاط  
واستأنف الحديث الذي انقطع خلال تناولهما شراب المشمش .  
كان الحديث . كما عرّف فيما بعد . يتعلق بيسوع المسيح .  
والتضية هنا هي ان رئيس التحرير كان قد طلب من الشاعر

\* منتج في القفاس مشهور بميامه المعدنية . المترجم .  
\*\* الساجن مقياس روسي قديم الطول يساوي مترين والثلاثة  
عشر سنتمرا . المترجم .

قصيدة طويلة مناوئة للدين من اجل العدد القادم من المجلة .  
ولقد كتب ايفان نيقولايفتش هذه القصيدة . وكتبها في فترة  
وجيزة جداً . لكنها لم ترضِ رئيس التحرير في قليل أو كثير مع  
الأسف . لقد رسم بيزدومني الشخص الرئيسي في قصيدته . أي  
يسوع . بالوان جدّ قاتسة . ومع هذا كان عليه . في رأي  
رئيس التحرير . ان يعيد كتابتها من جديد . وهاهو ذا رئيس  
التحرير يلقي الآن على الشاعر ما يشبه محاضرة عن يسوع ليبين  
له الخطأ الأساسي الذي وقع فيه . ويصعب علينا القول على  
وجه الضبط ما الذي جعل ايفان نيقولايفتش يلق هذا الموقف  
الصعب : اهي قوة موهبته التصويرية أم جهله الكامل بالموضوع  
الذي يتبها للكتابة فيه . لكن يسوع كما صوره ظهر وكأنه  
شخص حي تماماً . وان لم يكن جذاباً . أما برليوز فكان يريد  
ان يبرهن للشاعر ان الشيء الرئيسي في الموضوع ليس كيف  
كان يسوع - شيئاً أم جيداً . بل ان يسوع هذا ك شخصية لم  
يوجد اطلاقاً على الأرض . وان كل ما يروى عنه ان هو الا محض  
اختلاق . ان هو الا اسطورة من تلك الاساطير المعروفة  
والمتناولة .

ويجدر التنويه بان رئيس التحرير كان انساناً واسع  
الاطلاع . وبانه كان يستشهد في حديثه ببراعة فائقة بالمؤرخين  
القدامى كليلون الاسكندري المشهور . ويوسف فلافيوس صاحب  
الثقافة الرفيعة اللذين لم يذكرهما كلمة واحدة اهدأ عن وجود  
يسوع . وأشار ميخائيل الكسندروفنتش في معرض حديثه . وهو  
صاحب المعرفة العميقة والمتعددة الجوانب لعلاً . الى ان ذلك  
القطع في الكتاب الخامس عشر والفصل الرابع والأربعين من  
سوليساته تاسيت المشهورة التي يرد فيه حديث عن صلب  
يسوع ليس سوى تزوير دس في وقت لاحق .

كان الشاعر . الذي كان كل ما يسمعه من رئيس التحرير  
جديداً عليه . يصفى باهتمام الى ميخائيل الكسندروفنتش محملاً  
فيه بعينيه الخضراوين الأريبتين لا يشغله عنه شافل سوى العزق  
يشابه بين حين وآخر فيلعن شراب الشمس حساً ويعود الى  
اصفائه .

وقال برليوز :

- عموماً ، ليس هناك ديانة من ديانات الشرق لم تلد فيها  
عذراء ، إلهاً ، والمسيحيون كغيرهم تماماً ابتدعوا يسوعهم  
الذي لم يوجد أبداً على هذه الأرض في حقيقة الأمر ، وهم في  
ذلك لم يأتوا بجديد . فلا بد من التركيز على هذا بالذات . . .  
كان صوت برليوز العالي يتردد في المسر الخالي ، ويبدو ما  
كان ميخائيل الكسنودوفتش يتوغل في تلك الجاهل التي لا  
يستطيع التوغل فيها ، دون خوف من أن تلعوى قلبته ، إلا إنسان  
متقف جداً ، كان الشاعر يتعرف على المزيد من الأشياء الشائقة  
والغريبة عن أوزيرس المصري إله الخير وابن السماء والأرض ،  
ومن الإله الفينيقي تموز ، ومن مردوك وحتى عن إله أقل شهرة  
هو الإله الرهيب فيتسليوبسل الذي كسان الاتسييتكيون في  
المكسيك يجعلونه أكبر الأجلال .

وفي اللحظة التي كان ميخائيل الكسنودوفتش يروي فيها  
إلى الشاعر كيف كان الاتسييتكيون يصنعون تماثال فيتسليوبسل  
من العجين - في هذه اللحظة بالذات ظهر في المسر أول شخص .  
فيما بعد ، ولتقلها بصراحة - عندما فات الأوان - قدمت  
هياكل مختلفة افاداتها التي تتضمن أوصافاً لهذا الشخص .  
ومقارنة هذه الافادات لا يمكن إلا أن تدعو إلى العجب . فقد جاء  
في الافادة الأولى مثلاً ، أن هذا الشخص كان قصير القامة ذا  
أسنان ذهبية يعرج على رجله اليمنى . وجاء في الافادة الثانية أنه  
كان هائل القامة ، تيجان أسنانه من البلاتين ويعرج على رجله  
اليسرى . أما الافادة الثالثة فتعلن بإيجاز أنه لم تكن لدى هذا  
الإنسان علامات فارقة .

ويجدر بنا الاعتراف أن أيّاً من هذه الافادات لا يصلح  
لشيء .

تقول قبل كل شيء ، إن هذا الشخص لم يكن يعرج على أي  
من رجله ، وأنه لم يكن قصير القامة ولا هائلاً بل ، بكل  
بساطة ، طويلاً . أما أسنانه فتصفها الأيسر كان ملبساً  
بالبلاتين ووصلها الأيمن بالذهب . كان يرتدي بدلة رمادية بُنية  
ويتحمل حذاء اجنبيساً من نفس اللون ويميل تبعته الرمادية على  
أذنه بفتوة ويتأبط عصاً ذات مقبض أسود على شكل رأس كلب .  
كان منظره يوحي بأنه في الأربعين أو تجاوزها قليلاً ذو قسم

ملتحق . وذاتن مخلوقة بعناية . أسمر اللون . عينه البيضى  
سوداء . واليسرى لأمر ما خضراء . حاجباه أسودان إنما أحدهما  
أعلى من الآخر . وباختصار كان أجنبياً .

نظر الأجنبي شزواً الى وليس التحرير والشاعر حين مر  
بتراب المقعد الذي كانا يجلسان عليه وتوقف وجلس فجاءه على  
المقعد المجاور على بعد خطواتين من الصديقين .  
- «المانى» . - قال برليوز في سره .

- «الكليزي» . - قال بيزدومنى في سره - عجيب . انه لا  
يشعر بالحر وهو في هذه القفازات» .

تأمل الأجنبي البيوت العالية المحيطة بالبركة على شكل  
مربع . وكان واضحاً انه يرى هذا المكان لأول مرة . وان هذا  
المكان يثير اهتمامه .

ثم ثبت نظره على الطيقات العليسا التي كان زجاجها يعكس  
على نحو يعنى الأضواء الشمس المائلة والغاربة الى الأبد عن  
ميخائيل الكسنفروفتشى . ثم حول بصره الى الأسفل حيث بدأ  
لون الزجاج يفتحم مع حلول المساء . وابتسم ابتسامة ساخرة  
مترفة . وزر عينيه . ووضع يديه على مبيض العصا وأستند  
ذقته الى يديه .

وكان برليوز يتابع حديثه :

- لقد وصفت يا ايفان بشكل رائع وساخر ميلاد يسوع  
ابن الله . على سبيل المثال . لكن المسألة يا ايفان انه ولدت  
قبل يسوع مجموعة كاملة من أبناء الله كايثس الفريجي مثلاً .  
ومختصر الكلام ان أياً من هؤلاء لم يولد ولم يوجد بمن فيهم  
يسوع . وكان من الضروري . بدلاً من ميلاد المسيح ومجيء  
المجوس مثلاً . ان تصف الشائعات المخيفه حول هذا  
الميلاد . . . والا تبين من قصتك انه ولد فعلاً . . .

هنا حاول بيزدومنى ان يوقف هذا الحزق الذي تفص عليه  
مزاجه . فحبس أنفاسه مما جعله يحزق بصوت أعلى وألم أكبر .  
وفي هذه اللحظة قطع برليوز حديثه إذ ان الأجنبي نهض فجاءه  
وتوجه الى الكاثيين .

نظر اليه هذان نظرة دهشة وحيرة .  
- اهلواى من فضلكما . - فقال بلكنة أجنبية دون ان

يشوه الكلمات مع هذا . - ان كنت سمحت لنفسى دون معرفة  
سابقة . . . لكن موضوع حديثكم العلى اثار اهتمامى  
بعيث . . .

وهنا رفع طاقيته باحترام ، فلم يكن امام الصديقتين الا ان  
ينهضا وينهضيا مسلمين .

«لا ، الأراجح انه فرنسى . . .» - قال برليوز في سره .  
«بولوني ؟» - قال بيزدومنى في سره .

من الضروري ان نضيف ان الأجنبى اثار من الكلمات الأولى  
التي نطق بها شعوراً من الاستغزاز في نفس الشاعر ، اما برليوز  
فكان الحرب الى الاعجاب به ، لا ليس الاعجاب بالضبط بل . . .  
كيف الحول هذا . . . ربما من الأنسب القول ان هذا الأجنبى  
اثار اهتمامه .

- هل تسمحان لى بالجلوس ؟ - قال لهما في أدب ، فما  
كان من الصديقتين الا ان ابتعدا أحدهما عن الآخر كأنما علوياً  
ليفسحا له مكاناً بينهما ، جلس الأجنبى بينهما برشاقة والخرط  
في الحديث فوراً .

- ان لم يخفى سمعى تفضلت وقلت ان يسوع لم يوجد  
اليس كذلك ؟ - سأل الأجنبى برليوز وهو يرفع اليه عينيه  
اليسرى الخضراء .

- لا ، لم تخطئ السمع ، - اجاب برليوز بتأدب ، - هذا  
ما قلته بالضبط .

- آه ، ما امتع ما تقول ! - هتف الأجنبى .

- «وما دخله في الامر ؟» - قال بيزدومنى في نفسه وقطب  
جيبته .

- وانت موافق على ما يقوله محدثك ؟ - قال الغريب  
مستغبراً وهو يستدير نحو اليمين باتجاه بيزدومنى .

- مائة بالمائة بتسامها وكما لها ! - اجاب بيزدومنى الذي  
كان يحب التعبير عن افكاره بطريقة مزوقة مؤكداً .

- يدع ! - هتف محدثها الطفيلي ، والسبب ما تلفت حوله  
كاللصوص ثم أردف وهو يخطف صوته الجبير : - افرا لى  
لجاجتى ، لكنى فهمت من بين اشياء اخرى انكما لا تؤمنسان  
بالله ، اليس كذلك ؟ - وهنأ اصطنح عينين مدهورتين

وإردف : - انسى اني لن اقول هذا لأحد .

- نعم ، نحن لا نؤمن بالله . - أجاهه برليوز وهو يتنسم ابتسامة طفيفة من الذعر التي بان في عيني السائح الأجنبي . -  
انما يمكننا الكلام في هذا الموضوع بحرية تامة .  
استلقى الأجنبي على ظهر المقعد وسأل وهو يكاد يزحف من شدة الضول :

- اتما ، اتما ملحدان ؟

- نعم ، نحن ملحدان ، - أجاهه برليوز وهو يتنسم ، أما بيزدومني ففكر في استيلاء : «لقد علقت بنا هذه الاوزة الاجنبية» .

- آه ، بالبرومة ! - صرخ الأجنبي العجيب وأدار رأسه يلتفت تارة الى برليوز وتارة الى بيزدومني .  
فقال برليوز بأدب دبلوماسي :

- في بلدنا الألبان لا يدعش أحداً ، فان الغلبة للناس عندما كنت منذ أمد بعيد وعن وعي عن تصديق هذه الخرافات حول الله .

وهنا ينز من الأجنبي تصرف غريب جداً : فقد هب واقفا وشد على يد رئيس التحرير المبهوت وهو يقول :

- اسبح لي ان اشكرك من صميم قلبي !

- علام شكرك ؟ - قال بيزدومني يستفسر وهو يغمز بعينه .

- على هذه المعلومات القيمة التي اراها في غاية الأهمية بالنسبة لي كسائح ، - أجاهه هذا الرجل الغريب الأطوار القادم اليهم من وراء الحدود وهو يرفع أصبعه في حركة ذات معنى .  
والظاهر ان هذه المعلومات القيمة احدثت بالفعل أثراً عظيماً في نفس السائح ، لأنه أخذ يردد نظره بين البيوت بدمر ، كأنه يخشى ان يرى في كل نافذة فيها ملحداً .

«لا ، انه ليس انجليزياً . . .» - قال برليوز في سره . وقال بيزدومني : «اين تعلم الكلام بالروسية على هذا النحو ، هذا هو المهم» . وعبس من جديد .

وإردف الضيف الأجنبي بعد تفكير مشوب بالقلق :

- لكن اسمعا لي بسؤال : ماذا تفعل بتلك البراهين عن



وجود الله وعددها خمسة على وجه الضبط كما هو معروف للجميع .

- صيحات ! - اجابه برليوز في اسف ، - ان اياً من هذه البراهين لا يساوي شيئاً ، ولقد اودعتها البشرية الارضية منذ امد بعيد . ولا بد انك توافقني على انه ، على مستوى العقل ، لا يمكن ان يقوم أي برهان على وجود الله .  
وهتف الاجنبي :

- يرافو ، يرافو ! انك تكرر حرفياً فكرة الشيخ القلق عما نويل في هذه المسألة . لكن الشيء الغريب انه توضح هذه البراهين الخمسة كلها تقويضاً كاملاً ، واقام برهانه الخاص ، السادس كالما ليسخر من نفسه .

واجابه وليس التحرير المثقف معترضاً وهو يتسم ابتساماً ذكاه :

- برهان كنت غير متنع هو الآخر . وليس عبثاً ما قاله شيلر من ان افكار كنت في هذه المسألة لا يمكن ان ترضي الا العبيد . اما شتراوس فكان ، بكل بساطة ، يسخر من هذا البرهان .

كان برليوز يتكلم ، ويفكر في الوقت نفسه قائلاً في سره :  
« لكن من تراء يكون مع هذا ؟ ولماذا يتكلمم الروسية بهذه الطلاقة » .

والم يطلق ايفان حبراً فانلجر يقول على نحو لم يتوقعه احد :  
- ولماذا لا ياخذون كنت هذا ويلتقون به في سولوفكي \*  
نحو ثلاث سنوات على براهيته هذه !

- ايفان ! - همس برليوز في ارتباك .  
لكن اقتراح ايفان التواء كنت في سولوفكي لم يدعش الاجنبي ، بل ، على العكس ، اتار حماسته . فهتف ، ولمعت عينه اليسرى الخضراء المصوبة الى برليوز :

- بالضبط ، بالضبط ! انه المكان الذي يليق به ! ولقد قلت له اذاك على الطور : « الامر امرك ، يا بروفييسور ، لكتك

\* جور في البحر الأبيض كانت مكانا للنفي - المترجم .

أنت بئس، غير متمسك ! قد يكون ما أنت به شيئاً ذكياً ،  
لكنه مستغلق على الفهم ، وسيستخرون منك» .  
خلق برليوز واخذ يفكر : «هل الطور . . . قال لكنت . . .  
بماذا يعرف ؟» .

- لكن الالتساء به في سولوفكي غير ممكن . - استطراد  
الأجنبي موجهاً كلامه الى الشاعر وغير عابئاً بدهشة برليوز . -  
غير ممكن لسبب بسيط وهو أنه موجود من مائة عام وأكثر في  
مكان أبعد من سولوفكي كثيراً ويستحيل أخراجه من هناك بأي  
شكل كان ، اؤكد لك !

- واسفاء ا - رد الشاعر المشاكس .

- وانا آسف ايضاً لذلك ، - قال الرجل المجهول مؤكداً  
وعينه تلمع ثم أردف : - لكن السؤال الذي يؤرقني هو التالي :  
اذا كان الله غير موجود فإني اسأل : من ذا الذي يحكم الحياة  
الانسانية وبشكل عام النظام القائم على الأرض ؟

- الانسان ذاته هو الذي يحكمها ، - باذر بيزدومني الى  
الاجابة بصراحة عن هذا السؤال الذي يجب الاعتراف انه لم يكن  
واضحاً جداً بالنسبة اليه .

ورد المجهول برفقة :

- العفو ، لكن كي يستطيع الانسان أن يحكم ، يجب ان  
تكون لديه بشكل او بآخر خطة دقيقة لفترة مغلولة الى حد ما .  
فاسمعا لي بتوجيه هذا السؤال : كيف يستطيع الانسان ان يحكم  
اذا كان عاجزاً ليس فقط عن وضع خطة ، أي خطة ، لفترة وجيزة  
تافهة ، ولتقل لآلف سنة قادمة ، بل عن ضمان هذه هو ؟  
وبالفعل ، - وهنا استدار المجهول نحو برليوز ، - تصور  
أنتك ، على سبيل المثال ، أخذت تحكم وتصرف بالآخرين  
وبنفسك ، وأنت أخذت على وجه العموم ، تستطيع ذلك  
وتجاه . . . كخ . . . يتبين ان عندك وربما شيئاً في الرنة . . .  
- هنا اطلق ضحكة في تلهلذ كأنها بعث ذكر السورم الخيبي في  
الرنة الرضا في نفسه ، - أجل ، ورم خيبي ، - قال مردداً هذه  
العبارة المجلجلة وهو يزر عينيه كالقط ، - اذاك ينتهي حكمتك ،  
فلا يعود بهتك مصير سوى مصيرك ذاته ، وياخذ أهلك الأتريون  
بالكتب عليك ، أما أنت ، وقد أحسست بان الأمر ليس على

ما يرام ، فتندفع تتردد على الأطباء أولاً لسم على المشعوذين ولربما ذهبت إلى البصارات ، مع أنك تدرك أن هذا كله دون جدوى . وتأتي النهاية المأساوية : هامو ذا الذي كان إلى فترة وجيزة يحسب أنه يحكم شيئاً ما ويسيره ، يرفد الآن فجأة دون حراك في صندوق خشبي ، وإذا يدرك المحيطون به أن لا تلح في هذا الرائد أمامهم ، يلتقون به في المحرقة . وقد يحدث ما هو أسوأ : يتهايم أحدهم للذهاب إلى كيسلوفودسك ، - وهنا ضيق الأجنبي عينيه باتجاه برليوز ، - أنه أمر نافع كما يبدو ، إلا أنه لا يستطيع تحقيق حتى هذا الأمر النافع ، لأن قدمه تزل به فجأة لسبب لا يدريه ليقع تحت عجلات حافلة كهربائية ! فهل لتقول بعد هذا أنه هو الذي حكم نفسه على هذا النحو ؟ اليس من الأسلم القول أن شخصاً آخر هو الذي حكمه ؟ - وهنا اطلق المجهول ضحكة غريبة .

احس برليوز ، وهو يستمع إلى هذا الحديث المزيج عن التورم والحافلة باهتمام عظيم ، أن بعض الأفكار المقلقة أخذت تزرق باله : «انه ليس أجنبياً ! - قال في نفسه ، - انه ليس أجنبياً ! . . - انه شخص غريب ، غريب جداً ، ولكن من تراه يكون ؟»

- أنك تريد أن تدخن كما أرى ، - التفت الرجل المجهول إلى بيزدومشي فجأة ، - أي السجائر تريد ؟  
- وهل لديك أنواع منها ؟ - سأله الشاعر الذي تفتت سجائره بشهيم .

- أيها تفضل ؟ - كرر المجهول سؤاله .  
- ولتكن «ناشا ماركا» ، مثلاً ، - أجابه الشاعر بعقد .  
أخرج الغريب من جيبه فوراً علبة سجائر وقدمها إلى بيزدومشي :

- «ناشا ماركا» .

لم يبهت رئيس التحرير والشاعر لوجود سجائر «ناشا ماركا» بالذات في العلبة قدر ما بهتا للعلبة ذاتها . فقد كانت من اللهب الخالص هائلة الحجم لسح عل فطانتها حين فتحه مثلت من الماس ذو بريق أزرق وأبيض .

هنا فكر الأديبان على تحويرين مختلفين : «لا ، انه أجنبي» -

قال برليوز في نفسه ، وقال بيزدومني : «ياخذ الشيطان ، من ثراء يكون ؟» .

أخذ الشاعر وصاحب العلية يدخنان في حين امتنع برليوز الذي لم يكن يدخن عن تناول سيجارة ، فقد قرر في نفسه : «يجب أن أود عليه هكذا : أجل ، اللسان فانر ، لا أحد يماري في ذلك . لكن القضية ان . . .» .

ولم يكن ينطق هذه الكلمات في نفسه حتى قال الأجنبي : - أجل ، اللسان فانر ، لكن هذه ليست سوى نصف مصيبة ، والأسوأ منها أنه يموت أحياناً ميتة فجائية وهنا سر الأمر ! فهو ، على أي حال ، لا يستطيع أن يقول ما الذي سيفعله مساء اليوم .

«ياله من طرح سخيف للمسألة . . .» - فكر برليوز في سره وأردف يقول معترضاً :

- لا ! انك تبالغ هنا ، فانا أعرف على نحو دقيق إلى حد ما ما سافعله مساء ، وبطبيعة الحال ، إذا لم تسقط على رأسي في شارع يرونايا قرميذة . . .

لكن الرجل السجول قاطعه بصوت وزين :

- لم يحدث أبداً أن سقطت قرميذة على رأس أحد هكذا فجأة ، دون سبب . وأريد هنا أن أؤكد لك خاصة أن مثل هذا الخطر لا يهددك على الإطلاق ، فأنت ستמות لسبب آخر .

- لعلك تعرف نوع الميتة التي سامرتها بالضببط ؟ - قال برليوز مستفسراً بسخرية واضحة تماماً وهو يشعر أنه يشخرط في حديث سخيف بالفعل . - علا قلت لي ؟

- بكل سرور ، - أجابه الرجل الغريب ، وأخذ يقيسه بعينه كأنما يستعد لخطاة بدلة له ، ونغم بين أسنانه شيئاً من هذا القبيل : «واحد ، اثنان . . . عطلود في البيت الثاني . . .» .

غاب القمر . . . ستة - مصيبة . . . مساء - سبعة . . .» - ثم أعلن بصوت عالٍ ومفتبط : - سيقطع رأسك !

حملق بيزدومني في هذا الغريب القليل الحياء في حله ووحشية ، أما برليوز فسأله وهو يصطنع ابتسامة ساخرة :

- من الذي سيقطع رأسي ؟ هل هم الأعداء ؟ المتدخلون ؟ - لا . - أجابه محدثه ، - بل امرأة روسية ، كوسومولية .

— هم . . . — جججهم برليوز الذي أخذت مزحسة  
هذا الغريب تثيره . — لكن ، العفو ، هذا أمر قليل الاحتمال .  
وأجابه الأجنبي :

— وأنا بدوري أطلب منك العفو ، لكن هذا ما سيكون .  
آه ، بدوي أن أسألك عما تنوي أن تفعله مساء اليوم ، إذا لم  
يكن في الأمر سر .

— لا يوجد أي سر . الآن سأخرج على بيتي في سادرفايا ،  
وفي الساعة العاشرة من هذا المساء سيعقد اجتماع في ماسوليت  
وسيون برناستي .

— لا ، لا يمكن أن يكون هذا مطلقاً . — اعترض الأجنبي  
جازماً .

— لماذا ؟

— لأن . . . — أجاب الأجنبي ، وتطلع بعينين مزدورتين  
إلى السماء حيث كانت الطيور السود تتشاقق بصمت وقد  
استشعرت برودة المساء . — لأن أنوشكا اشترت زيت عباد  
الشمس ، ولم تشتريه وحسب بل أرالته ، وعلى هذا لن يعتقد  
الاجتماع .

وهنا ، كما هو مفهوم تماماً ، خيم الصمت على الجالسين تحت  
شجرات الزيزفون .

— تنفوا . — أردف برليوز بعد فترة وهو يتطلع إلى هذا  
الأجنبي الذي يتلقى بهذه السخافات . — ما شأن زيت عباد  
الشمس هنا . . . وأي أنوشكا هذه ؟

وقال أيفان فجأة وكأنه لرب ، فيما يبدو ، إعلان الحرب على  
معدائهما المتطفل :

— اليكم ما شأنه ، ألم يصدق ، يا حضرة المواطن ، أن  
كنت في مصحة للأمراض النفسية ؟

— أيفان ا . . . — هتف ميخائيل الكسندروفقتش بصوت  
خفيض .

لم يبدو على الأجنبي أي ضيق ، بل على العكس أطلق ضحكة  
تفيض بالبهجة والغبطة ، هتف ، وهو يضحك ، إنما دون أن يحول  
عينه غير الضاحكة عن الضامر :

— بل ، كنت ، كنت ، وأكثر من مرة . وأي مكان لم أكن

فيه ! وان أسف على شيء فعل أنه لم تتج لي هناك فرصة سزال  
البروفيسور عن الشهير وفريشيا . فبلا سألته عنها يا ايفان  
نيقولايفتش !

- ومن أين عرفت اسمي ؟

- عفوك ، يا ايفان نيقولايفتش ، ومن لا يعرفك ، - وهنا  
أخرج الأجنبي عدد الأسم من صحيفة «ليثيراتورنايا غازيتا» من  
جيبه . فقرأ ايفان نيقولايفتش صورته على صفحتها الأولى وتحتها  
تصديده . لكن هذه التصديده التي كانت عنوان مجده وشهرته ،  
والتي ملأت قلبه غبطة بالأسم ، لم تبعث في قلبه أي شعور  
بالمغبطة الآن . فقال وتجهم وجهه :

- استطيع العذر ، الا تستطيع ان تنتظرنا دقيقة ؟ أريد  
ان أقول كلمتين لرفيقي .

- أو ، بكل سرور ، - عطف الغريب ، - المكان رائع هنا  
تحت أشجار الزيزفون ، وأنا ، هل أي حال ، لست على عجلة من  
أمري .

- اسمع ما أقوله لك يا ميشا ، - همس الشاعر وهو  
يسحب برليوز جانبا ، - انه ليس سائحا اجنبيا بل جاسوس .  
انه مهاجر روسي تسلسل اليانا . اطلب منه وثائقه والا هرب . . .  
- هل نظن ذلك ؟ - همس برليوز هو الآخر وقد ساوره  
القلق . بينما ردد في سره : «لكن ايفان هل حق ، هل حق !» .  
- صدقني ، - وشوش ايفان برليوز في أذنيه بصوت  
جسر ، - انه يتظاهر بالغبيا ، لكي يحصل على معلومات . ألم تسمع  
كيف يتكلم الروسية ، - أردف ايفان وهو يتطلع الى الغريب  
بطرف عينه كي لا يطر هذا ، - هيا بنا نوقفه والا هرب . . .  
وأمسك الشاعر بيد برليوز وجذبه نحو الملعد .

لم يكن الغريب يجلس ، بل يقف الى جانب الملعد وهو  
يمسك بيده كتيباً ذا غلاف رمادي داكن وظرفاً سميكاً من ورق  
ستيل وبطاقة زيارة .

- اعدواني لأنني في غرفة النقاش نسيت أن أقدم نفسي .  
هذه بطاقتي وجواز سفري ودعوة للقدوم الى موسكو للتناور .  
- قال الغريب برزانة وهو يلقى على الأديبين نظرة تالفة .  
ارتبك الأديبان . «يا للشيطان ، لقد سمع كل شيء !» -

قال برليوز في سره ، وبحركة مهدبة أفهم الغريب أن لا ضرورة  
لابراز وثاقته . لكن الشاعر استطاع ، فيما كان الغريب يمد  
يده بالوثائق الى برليوز ، أن يقرأ كلمة بروفيسور والحرف  
الأول من كتيبه «ف» مكتوباً مرتين مطبوعين على بطاقة الزيارة  
بأحرف لاتينية .

- لسرفنا ، - غمغم رئيس التحرير خلال ذلك بارتباك ،  
بينما ألقى الأجنبي الوثائق في يديه .  
وهكذا عادت الأمور بينهم الى مجاريها فجلسوا على المقعد  
ثانية .

- التلقيت الدعوة للحضور اليـنا بصفة مستشار  
يا بروفيسور ؟ - سأله برليوز .

- نعم ، بهذه الصفة .  
- العاني ، اليس كذلك ؟ - سأله بيزدومني مستظراً .  
- أنا ؟ . . . - أعاد البروفيسور السؤال واستغرق في  
التفكير فجاءه ثم أردف : - نعم ، العاني ان شئت . . .  
- انك تتكلم الروسية بشكل رائع ، لاحظ بيزدومني .  
- أو ، عموماً أنا عليم باللغات ، وأعرف عدداً كبيراً جداً  
منها .

- وما هو اختصاصك ؟ - قال برليوز مستظراً .  
- أنا اختصاصي بالسحر الشيطاني .

«غريبة ا . . .» - قال ميخائيل الكسندروفتش في سره وهو  
يحيى بشيء يندق صدغه ، لكنه أردف يسأله بصوت متلعثم :  
- و . . . و . . . أنت هل دعيت بسبب اختصاصك هذا ؟  
- نعم ، بسببه . - قال البروفيسور مؤكداً وأردف يوضح  
الأمر : - لقد عثر في المكتبة الوطنية عندكم على المخطوطات  
الأصلية للاختصاصي في السحر الشيطاني هربرت المريلاكسكي  
من القرن العاشر . والمطلوب مني أن أحققها ، إلا اني الاختصاصي  
الوحيد في العالم في هذا المجال .

- آ - آ ! أنت مؤرخ الآن ؟ - سأله برليوز بشعور من  
الارتياح والاحترام .

- نعم ، مؤرخ ، - أجابته العالم مؤكداً وأردف قائلاً بلا

مناسبة : - اليوم مساء ستحدث قصة مثيرة في بتريشسي  
برودي !

وتولت رئيس التحرير والشاعر من جديد دعشة عظيمة ،  
لكن البروليفيسور أوما اليهما وهمس يقول لهما وقد مالا نحوه :  
- ليكن في علمكما ان يسوع و'جد' .

- بطبيعة الحال ، يابروفيسور ، - اجابه برليوز وهو  
يصطنع ابتسامة ، - نحن نحترم معارفك الواسعة ، انما لنا وجهة  
نظر اخرى في هذه المسألة .

- لا داعي لأي وجهات نظر ا - اجاب البروليفيسور  
الغريب ، - لقد و'جد' ، ولا شيء اكثر من ذلك .

- انما لا بد من برهان ، . . . - اخذ برليوز في  
الاعتراض .

- لا حاجة الى أية براهين ، - اجابه البروليفيسور واردف  
يقول بصوت خافت وقد اختفت لكنته لسبب لم يدرياه : - الأمر  
في غاية البساطة : في برودة بيضاء . . .

## الفصل الثاني

### بيلاطس البنطي

في برودة بيضاء ذات بطانة حمراء بلون الدم ، وفي مشية  
فرسان صائتة ، خرج الى رواق الأعمدة المستوف الذي يصل  
بين جناحي قصر هيروودس العظيم ، في الصباح الباكر من يوم  
الرابع عشر من نيسان ، حاكم اليهودية بيلاطس البنطي .  
أشد ما كان الحاكم يكرهه على وجه هذه الأرض هو رائحة  
عطر الورد ، وكان كل شيء ينير، الآن ان امامه يوماً سيئاً ،  
ذلك ان هذه الرائحة بدأت تطارد من النجر . كان يبدو له ان  
أشجار السرو والنخيل في الحديقة هي التي تنفث هذه الرائحة ،  
وان هذه الرائحة اللعينة تختلط برائحة الجلد والعرس . ومن  
اليوت الصغيرة وراء النصر ، حيث نزلت الكتيبة الأولى من الفرقة  
الثانية عشرة المعروفة بالصاعقة التي واكبت الحاكم الى



اورشليم ، كان يغمز الرواق دخان ينسل اليه عبر الباحة العليا للمديقة ، وكانت تخالط هذا الدخان المر ، الذي ينسج ان الطباخين في الوحدات اخذوا يعدون الغداء ، رائحة عطر الورد الدعوية تلك . ايها الالهة ، ايها الالهة ، علام لعاقبينني ؟  
«نعم . هذا واضح لا شك فيه ! انه حسو ، هو نفسه ذلك المرض اللطيف الذي لا شفاء منه - الشقيقة . لقد عادت من جديد . لا علاج لها ولا هرب منها . سأحاول الا احرك رأسي» .  
جلس الحاكم على اريكة أعدت له على أرض الرواق المزينة بالسيفساء قرب الفسقية . جلس دون ان يلتفت الى احد ومد يده جانبا .

وفي هذه اليد وضع امين السر قصاصة مسنن ورق الرق باحترام . مر الحاكم مروراً سريعاً بطرف عينه عليها دون ان يستطيع مقابلة تكشيرة الألم الذي ألم به . واعاد ورقة الرق الى امين سره وقال له بجهد :

- المتهم الذي من الجليل ؟ هل حولت قضيةه الى حاكم الولاية ؟

- نعم ، ايها الحاكم .

- وماذا كان رأيه ؟

- رفض اعطاء رأي في القضية ، ورفع حكم الموت الذي اصدره المجمع الكبير اليك للمصادقة عليه . - قال امين السر يشرح الأمر .

- احضروا المتهم . - قال الحاكم بصوت خفيض ووجهته تفتلج .

وللحال دخل اثنان من الجنود الى الشرفة ، ذات الاعمدة ، يتنادان من باحة المديقة شخصاً في السابعة والعشرين من عمره تقريبا ، ووقفا به امام اريكة الحاكم . كان هذا الشخص يرتدي ثوباً يونانياً \* أزرق رتاً مزرقاً ، مغطوب الرأس بعصابة بيضاء ذات سبير حول جبينه ، يدها موثقتان خلف ظهره ، وتحت عينه

\* ثوب يلقى على الصدر الايمن وينمطس على الكتف اليسرى .  
المترجم .

اليسرى كدعة كبيرة وفي زاوية فيه سحجة تختر دوما . كان المتهم  
يرنو الى الحاكم بفضول مشوب بالقلق .

صمت الحاكم قليلا . ثم سأل بصوت خفيض بالارامية :  
- انت اذن من كان يعرض الشعب على هدم هيكل

اورشليم ؟

كان الحاكم يجلس اذك جامدا كالحجر . لم تتحرك فيه حين  
نطقه هذه الكلمات سوى شفطيه . ولم يكن على جوده هذا الا  
لانه كان يخاف تحريك راسه الذي كان يؤلمه ألما عظيما .

التفت الرجل الموثق اليدين الى الامام قليلا وشرح يقول :  
- صدقتي ايها الانسان الطيب . . .

لكن الحاكم قاطعه على الفور دون ان يتحرك فيه عضو ودون  
ان يرفع صوته :

- انا الذي تدعوه انسانا طيبا ؟ انك لمطفي . الجميع في

اورشليم يتهايمون فيما بينهم اني وحش ضار . وهذا صحيح  
تماما . - وادق باللهجة الرتيبة نفسها : - "إلي" بقائد المائة  
قاتل الجرذان .

بدا للجميع ان الدنيا اظلمت على الشرفة عندما مثل مارك  
قائد المائة الخاصة الملقب «قاتل الجرذان» امام الحاكم .

كان قاتل الجرذان طويل القامة . اطول كثيرا من اي جندي  
آخر من جنود الفرقة . وعريض المنكبين بحيث يجب بحجمه  
الشمس التي لما تعل الا قليلا حجابا تاما .

وتوجه الحاكم اليه باللاتينية :

- هذا المجرم يدعوني طيبا . اخرج من هنا دقيقة وانهم

كيف يكلمني . انا اياك وتضويبه .

شجع الجميع مارك قاتل الجرذان الذي اوما للمعتقل بيده ان

يتبعه بابصارهم ما عدا الحاكم الذي ظل على جوده .

والواقع ان الجميع كانوا يتابعون قاتل الجرذان بابصارهم

حيثما ظهر لطوله . اما الذين كانوا يرونه للمرة الاولى فلوجهه

المشوه أيضا : ذلك ان انفه هشم ذات مرة بضربة من هراوة

جرمانية .

اصطكت جزمة مارك الثقيلة على الفسيفسا . وتبعه الرجل

الموثق بخطوات خرس . ودان على الرواق صمت كامل لا يجرجه

سوى الحمام يسبح في باحة الحديقة الموازية للشرفة ، والماء  
يعني أغنية غامضة لطيفة عن الفسقية .

وود الحاكم لو ينهض ويضع صدغه تحت التيار المتجسس  
من الفسقية ويتجدد في هذا الوضع . لكنه كان يعرف أن هذا  
أيضاً لن يفيد في شيء .

استل قائل الجردان . بعد أن افتاد المعتقل من الرواق الى  
الحديقة . سوطاً من يدي الجندي الواقف عند قاعدة تمثال  
برونزي . ولوح به في رفق في الهواء . وهو يسه على كتلي  
المعتقل . كانت حركة قائد المائة خفيفة لا مبالية . لكن الرجل  
الموتق سقط على الأرض فوراً كأنما قطعت قدماء وقد انقطعت  
أنفاسه وشحب لون وجهه وتيلطت عيناه . لكن مارك رفعه يسير  
في الهواء بيده اليسرى وحدها كأنه كيس فارغ وأوقله على قدميه  
وقال له بصوت أخن وهو ينطق الكلمات الأرامية بلكنة :

- عليك ان تدعو الحاكم الروماني الوالي وليس أي شيء  
آخر . عليك ان تقف يخشوع . هل فهمتني أم اخربك ؟  
ترنح المعتقل لكنه تمالك نفسه فعاد اليه لونه والتقط أنفاسه  
وأجاب بصوت أجش :

- لقد فهمتك . لا تضربني .

وبعد دقيقة عاد ال وقفته السابقة أمام الحاكم .

وتردد صوت باحث . عليل :

- اسمك ؟

- اسمي ؟ - رد المعتقل على عجل معبراً بكيانه كله حسن

استعداده لاعطاء اجوبة واضحة وعدم اثاره المزيد من السخط .

- اسمي انا اعرفه . - قال الحاكم بصوت خفيض . - لا

تتظاهر بأنك أغنى مما انت فعلاً . اسمك ؟

- يشوع . - أسرع المعتقل يجيب .

- هل لك لقب تعرف به ؟

- الغا نوصري .

- واين ولدت ؟

- في مدينة هامالا . - أجاب المعتقل وهو يشير بحركة من

رأسه الى انه توجد هناك ، في مكان ما بعيد عن بيننسه في

الشمال مدينة اسمها هامالا .

- ومن هنا والدالك ؟

- لا اعرف بدقة ، - اجاب المعتقل بحيوية ، - اني لا اذكر والذي ، كان يقال لي ان والدي سوري . . .

- اين محل اقامتك الدائمة ؟

- ليس لي محل اقامة دائمة ، - اجاب المعتقل في حياء ، - اني انتقل من مدينة الى اخرى .

- ما قلته يسكن التعبير عنه باختصار ، بكلمة واحدة - مشرد ، - قال الحاكم واردف يساله : - هل لك القارب ؟

- ليس لي احد ، انا وحيد في هذا العالم .

- هل تعرف القراءة والكتابة ؟

- نعم .

- هل تعرف لغة لغير الارامية ؟

- نعم ، اليونانية .

ارتفع الجفن المتورم قليلاً واستقرت عين الحاكم المغطاة بسحابة من الألم على المعتقل ، بينما ظلت عينه الاخرى مغطاة .

وقال بيلاطس باليونانية :

- انت اذن الذي كان يتنبأ لهدم الهيكل وكان يدعو الشعب الى ذلك ؟

وهنا دبت الحياة في المعتقل من جديد ، ولم تعد عيانه تشبان بالذعر ، واجابه باليونانية :

- اني ايها الانسان الطيب . . . - وهنا لاح الرعب في عيني المعتقل لكونه كاد يزل في الكلام ، - اني ايها الوالي لم اسع يوماً في حياتي الى هدم الهيكل ، ولم احرض احداً على هذا العمل الاخرق .

لاحت الدعشة على وجه امين السر الذي كان منكياً على متضفة واطلة يسجل شهادته ، فرفع رأسه لكنه عاد فوراً يحثية فوق ورقة الرق .

وعاد الحاكم يتلوى بالصوت الرتيب لنفسه :

- يند الى هذه المدينة في العيد اناس مختلفون ، فيهم السحرة والمنجسون والعرايون والقنلة ، وفيهم احياناً الافاكون .

انت ، مثلا ، افك ، كذاب . لقد سجل هناك بوضوح انك كنت  
تعرض على هدم الهيكل . وهذا ما يشهد به الناس .

- هؤلاء الناس الطيبون ، - قال المعتقل وأردف هل سجل  
أيها الوالي ، - تم تابع : - هؤلاء لم يتعلموا شيئاً وشوشوا  
كل ما قلته ويوجه عام بدأت أخشى ان تستمر هذه اليليلة وقتاً  
طويلاً جداً . وذلك كله لانه لا يسجل ما أقول بأمانة .

وران الصمت . والآن ، كانت العينان المرطبتان ترمقان  
المعتقل بنظرات ثقيلة .

- اكرر ما قلته لك ، وللمرة الأخيرة : كف عن التظاهر  
بالجنون أيها الوغد . - قال بيلاطس بصوت رخو ورتيب . -  
ما سجل هناك قليل لكنه كافى لشنك .

- لا ، لا أيها الوالي ، - قال المعتقل وهو يستجمع كل  
قواه رغبة في النجاة ، - هناك شخص يتبعني معه رق من جلد  
الناعز يسجل عليه دون القطاع . وذات مرة اختلست نظرة الى  
هذا الرق فتسلكني الرعب . يقيناً ، ليس فيما سجله هناك شيء  
ما قلته . فأخذت أتوسل اليه : احرق رقبك هذا بحق الله !  
لكنه انتزع الرق من يدي وهرب .

- ومن يكون هذا الشخص ؟ - سأل بيلاطس باشمزاز  
ومد يده الى صدره .

- انه متى اللاوي ، - اجاب المعتقل بوضوح الأمر بطيب  
خاطر ، - كان يجتمع اثاره ، وقد التقيت به لأول مرة في طريق  
في فيلاديبيا ، هناك حيث يبرز بستان التين في هيئة زاوية ،  
وخضت في حديث معه . عاملني في هادي الأمر بعداء بل انه  
أهانني ، يعني اعتقد انه يهينني بعبثه أيادي بالكلب ، - هنا  
لاحت ابتسامة ساخرة على وجه المعتقل ، - فانا شخصياً لا أرى  
أي عيب في هذا الحيوان حتى ان غضب من هذه الكلمة . . .

توقف أمين السر عن التسجيل وألقى جلسة على الحاكم هذه  
المرة لا على المعتقل نظرة دهشة .

- . . . الا انه بدأ يلين بعد ان استمع الي ، - قال يشوع  
متابعاً حديثه . - وأخيراً رمى أمواله على الطريق وقال انه ذاهب  
بتجول معي . . .

رسم بيلاطس بوجنة واحدة فقط ابتسامة ساخرة وتمتسم وهو يكتر استنائه الصفر ويستدير بكامل جده الى امين سره :  
- اي ، اورشليم ! اي شيء لا تسمعه فيها . هل سمعت :

جامع الاتاوة يرمي النقود على قارعة الطريق !  
لم يذر امين السر ماذا يجيب سيده ، فرأى من الواجب ان يكرر ابتسامته .

- ان النقود صاوت بقبضة عليه ، - قال يشوع بشرح تصرفات متى اللاوي الغربية واردف : - ومن تلك اللحظة صار رفيق طريفي . . .

القرى الحاكم ، وهو لا يزال مكثرا ، نظرة على المعتقل تم على الشمس التي لا زالت ترتفع باطراد فوق تماثيل الجيصاد المنتصبة في ميدان السباق الممتد عن يمينه بعيدا في الأسفل ، وفجأة خطر له ، وهو لا يزال يعالي مسنن كآبة شديدة ، ان ايسر الأمور ان يطرد هذا اللص الغريب من الشرفة بعد ان ينطق كلمة واحدة فقط «اشنقوه !» ، وان يطرد حرسه أيضا ، ويضفي من الرواق الى داخل القصر فيأمر بتعظيم غرفته ويرتسي على متكته ويطلب ماء باردا ، وينادي بصوت حزين كلبه بنغسا ويشكو له امر الشفيلة . وفجأة سمعت في رأس الحاكم البريطاني فكرة مغرية - فكرة تناول السم .

نظر الى المعتقل بعينين غاملتين ولزم الصمت حيناً وهو يحاول جاهداً ان يتذكر سبب وقوف هذا المعتقل بوجهه المشوه بالضربات بين يديه في هذا التيظ الأورشليمي الصباحي الذي لا يرمم ، وما هي الاستفلة التي عليه ان يطرحها عليه ايضاً ، هذه الاستفلة التي لا تعنى أحداً ولا تهمة .

- متى اللاوي ؟ - سأل العريض بصوت إسبح وانغض عينيه .

- اجل ، متى اللاوي ، - ثنأى اليه صوت غالر يزيد في عذابه .

- ومع هذا ألم تكلم الشعب في السوق عن الهيكل ؟  
بدا لبيلاطس ان صوت محدثه يخرقه في صدقه وانه يسبب له ألماً لا يوصف . وكان هذا الصوت يقول له :

- قلت ، ايها الوالي ، ان هيكل الايمان القديم سيسقط  
وسيلوم هيكل الحقيقة الجديد . وما قلت هذا الا ليصبح الأمر  
أكثر وضوحاً للناس واقرب الى افهامهم .

- ولماذا انزت البلبلة والاضطراب في نفوس الناس في  
السوق ، ايها المتشرد ، بكلامك عن الحقيقة التي لا تدركها ؟  
ما هي الحقيقة ؟

وهنا قال الحاكم في سره : «ايها الآلهة ! اني اسأله  
عن أشياء لا لزوم لها في المحكمة . . . عظمي لم يعد  
يسعطني . . .» ، ومرة أخرى ترامت أمام عينيه الكاس وفيها  
سائل قائم . «السم ، اليّ بالسم !» .  
وعاد يسمع الصوت يقول له :

- تتمثل الحقيقة قبل كل شيء ، في ان راسك يؤلمك ،  
وهذا الألم من القوة بحيث أخذت من جيتك تفكر في الصوت .  
وانت لست عاجزاً عن الكلام معي وحسب ، بل انه يصعب عليك  
حتى مجرد النظر اليّ . فانا الآن جلدك ولحمياً عني ، وهذا ما  
يحزنني . بل انك لا تستطيع التفكير في أي شيء ، وجلّ هناك  
أن يحضر كليك - المخلوق الوحيد الذي تشعر ببعض التعلق  
نحوه على ما يبدو . لكن آلامك ستزول بعد حين ويفارقك وجع  
راسك .

خلق أمين السر في المعتقل ولم يكمل كتابة كلامه .  
رفع بيلاطس اليّ المعتقل عيينين تليضان بالعلاب فرأى ان  
الشمس قد ارتفعت في كبد السماء فوق ميدان سباق الخيل وان  
شعاعها انسلت اليّ الرواق وأخذ يمتد اليّ لعل يشوع البالي .  
وان يشوع يحاول تجنب الشمس .

وفجأة عب بيلاطس واقفاً عن أريكته وضغط بيديه على  
رأسه ، وقد لاح الرعب على وجهه الحليق الضارب اليّ الصفرة .  
لكنه ما لبث ان كبت بهجده لرايدي فائق وعاد ينهالـك على  
مقدم .

كان المعتقل في أثناء ذلك يتابع كلامه ، لكن أمين السر لم  
يعد يسجل أي شيء ، مما يقول ، بل مد رقبته كالأوزة وكل همه  
الا يلفت أي كلمة من كلمات يشوع .

- هاقد انتهى كل شيء ، - قال المعتقل وهو ينظر اليّ

بيلاطس بعين العطف . - وأنا في غاية السرور لذلك . وبودي ،  
أيها الوالي . لو اتضحك بمغادرة القصر لبعض الوقت والتزء  
على الإقدام في أي مكان من الضاحية وليكن في البساتين التي  
على جبل الزيتون . ستهب عاصفة مطرية . - هنا استدار  
المعتقل وذرّ عينيه وهو يتطلع إلى الشمس . - ولكن ليس  
الآن . بل فيما بعد . قبيل المساء . هذه التزءة . فيما أرى .  
ستعود عليك بتفح عظيم . وبودي لو أرافقك فيها . فقد راودتني  
بعض الأفكار الجديدة التي قد تبدو لك ممتعة . حسب رأيي .  
والتي أود تبادل الرأي فيها معك . لأ سيما أنك تبدو لسي  
السانا على قدر كبير من الذكاء .

غمضت صفرة البوت وجه أمين السر وسقط الملف من يده  
على الأرض .

- مصيبتك أيها الوالي . - تابع الرجل الموثق الذي لم  
يعد أحد يوقفه من الكلام . - أنك متعلق على نفسك أكثر  
مما ينبغي . وفقدت الإيمان بالناس نهائياً . ولا بد أن تواقظني  
على أنه لا يجوز أن تقف كل تعلقك على كلب . حياتك تافهة  
أيها الوالي . - وهنا سمح الموثق لنفسه بابتسامة .

لم يعد يشغل فكر أمين السرّ الآن سوى أمر واحد :  
أيصدق أذنيه أم لا . ولم يكن أمامه إلا أن يصدق . اذالك حاول  
أن يتصور ما هو بالضبط الشكل الغريب الذي سيستخدمه قضب  
الحاكم السريع الاتعمال بعد سماعه هذه الوقاعة المتقطعة  
النظير . لكن أمين السرّ هجز . رغم معرفته الوثيقة بالحاكم .  
عن تصور هذا الشكل .

عند ذلك سمح صيوت الحاكم الأجنس المحبط يتسول  
باللاتينية :

- حلوا وثاقه .

فق أحد الجنود المرافقين الأرض برمحه وناوله جندبياً  
آخر . ثم دنا من المعتقل ونزع الحبل من يديه . أما أمين السر  
فرفع الملف عن الأرض وقرر ألا يسجل شيئاً والا يدعش لشيء  
إلى حين .

- قل لي . - سأله بيلاطس بصوت خافت باليونانية .

- هل أنت طبيب عظيم ؟



- لا . لست طبيياً . أيها الوالي . - اجاب المعتقل وهو يفرح بمتعة وسخ يده الأحمر المدعوك والمنتفخ .
- اخترم بيلاطس المعتقل بعينين عابستين . صارتين ولقد زال منهما زوفالهما وتطائر منهما شرهما المهود .
- لم اسالك بعد . - قال بيلاطس . - الا تصرف اللاتينية يا ترى ؟
- بلى . امرها .
- عاد الى وجنتي بيلاطس الضاربتين الى الصخرة لولهما فسأله باللاتينية :
- كيف عرفت اني كنت انوي مناداة كلسي ؟
- هذا امر في غاية البساطة . - اجابه المعتقل باللاتينية .
- بسطت يدك في الهواء (وهنا كثر المعتقل حركة بيلاطس) كأنما كنت تريد ان تطيطب . وشفتاك . . .
- أجل . - قال بيلاطس .
- وسمنا حيناً . ثم سأله بيلاطس باليونانية :
- اذن انت طبيب ؟
- لا . لا . - اجاب المعتقل سريعاً . - صدقني . لست طبيياً .
- حسن . اذا كنت تريد ان تحتفظ بهذا سرا فليكن . اذا ليس له علاقة مباشرة بموضوعنا . انت تؤكد انك لم تدع الى هدم . . . او حرق الهيكل او تتويضه بأي طريقة كانت ؟
- اكرر القول . أيها الوالي . اني لم ادع احداً للقيام بأعمال كهذه . اتراني معتوهاً أيها الوالي ؟
- لا . لا . انت لا تشبه معتوهاً . - اجاب الحاكم بصوت خفيض وابتسم ابتسامة غريبة مرعبة . - انقسم اذن انه لم يحدث شيء من هذا .
- بماذا تريد ان انقسم لك . - سأل معلول اليدين باندفاع . . .
- وليكن بحياتك . - اجاب الحاكم - فهذا هو الوقت المناسب لتقسم بها فهي معلقة بشجرة . وعليك ان تصرف هذا .

- اتعتقد حقاً ، ايها الوالي انك علقتها ؟ اذا كنت تعلم ذلك فانت على خطأ عيين .
- بروتجف بيلاطس وقال له من بين أسنانه :
- باستطاعتي قطع هذه الشعرة .
- وفي هذا أيضاً أنت مخطيء . - رد عليه المعتقل وهو يشرق بابتسامة ، ويستتر وجهه من نور الشمس بيده . - الا ترى ايها الوالي انه لا يستطيع قطع الشعرة الا الذي علقها ؟
- نعم ، نعم . - اجاب بيلاطس وهو يتسهم . - لا أشك الآن في ان العاطلين الكسالى في اورشليم تعيقوك خطوة خطوة . لكني لا ادري من هلق لسانك في حلقك . انما الذي علقه علقه جيداً . وبالمناسبة قل لي - اصحيح انك اتيت اورشليم من باب سوز راكباً على حمار تواريخك الدعناء التي كانت تطلق الهتافات لك كما لو انك نبي ؟ - وهنا اختار الحاكم السي الحلف .
- السي المعتقل على الحاكم نظرة ذهول وقال :
- لا املك حتى حمار ايها الوالي . لقد دخلت اورشليم من باب سوز حقاً ، ولكن على قدمي لا يرافقتي الا مثنى اللاري ولا يهتف لي احد . لأنه لم يكن احد في اورشليم يعرفني آنذاك .
- واردف الحاكم بيلاطس يسأله دون ان يحول نظره عنه :
- الا تعرف اشخاصاً باسم ديمساس ، وهيستاس ورافان ؟
- لا اعرف هؤلاء الاشخاص الطيبين . - اجاب المعتقل .
- حقاً ؟ - حقاً .
- والان قل لي : لماذا تستعمل طول الوقت هذه العبارة «الناس الطيبون» . انراك تدعو كل الناس طيبين ؟
- نعم كلهم . فليس هناك اشراز على هذه الأرض .
- لأول مرة اسمع بهذا . - قال بيلاطس وهو يتسهم ابتسامة ساخرة . - ربما لا اعرف الحياة الا قليلاً . - ثم انفتحت الي امين سره وقال له : «يامكانك الا تواصل التسجيل» مع ان امين سره لم يكن يسجل شيئاً . ثم استأنف موجهساً كلامه الي المعتقل : - لعلك قرأت هذا في احد الكتب اليونانية ؟
- لا . بل توصلت اليه بعقلي .

- وانت تبشر به ؟

- أجل .

- اليك قائد المائة مارك هل سبيل العتال ، لقد لقب قاتل

الجرذان ، فهل هو انسان طيب ؟

- نعم ، - اجاب المعتقل ، - غير انه انسان سيء الحظ

في الحقيقة . لقد اصبح انساناً قاسي القلب جلفاً بعد ان شوّعه  
الناس الطيبون . بودي لو اعرف من شوّعه .

- استطيع ان اخبرك بطيب خاطر ، - رد بيلاطس ، -

لقد شهدت ذلك بنفسي . لقد اتلص عليه الناس الطيبون كما

الكلاب على دب ، واخذ الجرمانيون ينهسونه في رقبته ويديه

ورجليه . كانت كتيبة المشاة قد طوّقت تماماً ، ولو لم تقتحم

كتيبة الخيالة جناح العدو ، وكنت انا الذي يلوذها ، لما اتيج

لك ، ايها الفيلسوف ، ان تتحدث الي قاتل الجرذان . ولقد

كان هذا في المعركة التي جرت قرب اديستافيزو ، في وادي

العداري .

- عبدا لو استطيع التحدث اليه قليلاً ، - قال المعتقل

فجأة كمن يحلم ، - فانا على يقين انه سينغير تغيراً كبيراً .

- اعتقد ان قائد الفرقة لن يسر كثيراً اذا فكرت في

التحدث الي اي من ضباطه او جنوده . وعلى اي حال فان هذا

لن يحدث لحسن حظنا وحظك ، وسأكون انا اول من يهتم بذلك .

في اثناء ذلك اندفعت الي الرواق ستونو ودارت دورة تحت

السقف الملعب ، ثم حطت وهي تكاد تلمس بجناحها وجه تمثال

لعاسي في المحراب وتوارت خلف تاج احد الأعمدة - ربما

راودتها فكرة بناء عش لها هناك .

وفي اثناء طيران السنووة كانت قد تشكلت في راس الحاكم

الذي عاد اليه اشراقه وصفائه الصيغة التالية : لقد درس

الوالي قضية الفيلسوف المتشرد يشوع الملعب بالغا توخري

ولم ير فيها اي ركسن مسن اركان الجريمة .

وبالذات لم يسر اي علاقة بين أعمال يشوع

والاضطرابات التي قامت في اورشليم من فترة . لقد

تبين له ان هذا الفيلسوف المتشرد مريض نفسياً ، وبالتالي

فهو لا يصادق على حكم الموت الصادر عن المجلس الأصغر .

ولكن نظراً لأن اقوال القا توصري الجنوبية ، الخيالية قد تؤدي الى اضطرابات في اورشليم ، يقرر الحاكم ايعاد يشوع من اورشليم وسجنه في قيصرية ستراتونافا على البحر الأبيض المتوسط ، أى على وجه الضبط هناك حيث جعل إقامة الحاكم ، ولم يبق له سوى املاء ما قرر على امين سره .

صفتت السنونو بجناحيها فوق رأس الوالى مباشرة ، ومرفت بانحاء جام الفسقية وانطلقت خارجاً ، ورفع الحاكم عينيه الى المعتقل فابصر عمود غبار يشب قربه .

- هذا كل ما يتعلق به ؟ - سأل بيلاطس امين سره .  
- لا ، مع الأسف ، - اجابه امين السر على غير توقع ،  
وقدم الى بيلاطس قطعة اخرى من الرق .

- وماذا هناك ايضاً ؟ - تسائل بيلاطس وطلب حاجبيه ،  
وما ان قرأها حتى ازداد لون وجهه تغيراً : فهو السدم القائم تدفق الى رقبته ووجهه أم ان شيئاً ما آخر حدث له ،  
لكن جلده فقد صفرته ودكن ، بينما بدت هيئات وكانهمما غاروا .

ومرة اخرى كان الدم الذي تدفق الى صدغيه واخذ يدقهما دقا هو السبب على الأرجح ، الا ان شيئاً ما لم يبصره . وهكذا فقد بدا له ان رأس المعتقل سبج الى مكان ما لم يتبينه وحل محله رأس آخر ، وعلى هذا الرأس الأصلع كان اكليل ذهبي قليل الأسنان ، وعلى الجبين قرحة مدورة مطلية بالزهرم تتساكل الجلد ، وكان فيه اذود ، فانراً ، شفطة السفلى متدليسة ، نزوية . بدا لبيلاطس ان اعمدة الشرفة الوردية واسطح اورشليم البعيدة ، هناك وراء الحديقة ، قد اختفت ، وان كل شيء حوله فرق في خضرة حدائق كابريا الكثيفة ، وشعر انه حدث شيء ما غريب لسعه . كالما عزفت ابراق في مكان ما بعيد عزفاً خافتاً متوعداً ، وسمع بوضوح تام صوتاً آخر يسط بحجرة كلمياته : «قانون التدح في الذات الملكية . . .»

ومرفت في ذهنه الأفكار تصاروا مفككة ، غريبة : «هلكت !» ثم «هلكتنا ! . .» وكانت احداهما ، وهي في غاية السخف ، تتعلق بخلود ما لا بد آت (ومع سنّ) ، لكن هذا الخلود بعث فيه لأمر ما كآبة لا تحتمل .

استجمع بيلاطس كل قواء ، وطرد هذه الرؤيا ، وعساو  
بصره الى الشرفة ، فرأى امامه عيني المعتقل من جديد .

- اسمع ، ايها القا نوصري ، - قال الحاكم ، وهو ينظر  
الى يشوع نظرة غريبة : كان وجه الحاكم غاضباً ، لكن القلق  
كان يساور عينيه ، - هل قلت شيئاً في وقت من الأوقات في  
حق قيصر العظيم ؟ اجبني اهل قلت . . . أم . . . لم تقل ؟

- مط بيلاطس كلمة "لم" اكثر مما يفترض في محكمة ، وضمن  
نظرته الى يشوع فكرةً بدا أنه كان يريد الايجاد له بها .

- قول الحقيقة يسير وعذب ، - اجابه المعتقل .

- لا يعني أن اعرف ان كنت تطيب نفسك بقول الحقيقة  
او لا تطيب ، - اجابه بيلاطس بصوت مخنوق ، غاضب ، -  
انما لا بد لك من قول الحقيقة وستقولها ، لكن رز لدى قولها  
كل كلمة من كلماتك ان كنت لا تريد لنفسك ميتة محتصة  
وحسب ، بل شنيعة ايضاً .

لا احد يدري ما الذي حدث لحاكم اليهودية ، لكنه سمح  
لنفسه ان يرفع يده كاتماً ليتلقى اشعة الشمس ويبعث من  
ورائها كما من وراء ترس نظرة موحية :

- اجبني اذن ، هل تعرف شخصاً من قيريافا اسمه يهوذا ،  
وماذا قلت له عن قيصر بالضببط ، هذا ان قلت له شيئاً ؟

- حدث هذا على النحو التالي ، - اخذ المعتقل يروي  
القصة باقبال ، - مساء أمس الأول تعرفت قرب الهيكل على  
شاب قال ان اسمه يهوذا وانه من مدينة قيريافا . وقد دعاني  
الى بيته في القسم السفلي من المدينة وقراني . . .

- وهل هو انسان طيب ؟ - ساله بيلاطس وقد لعت  
نار جهنمية في عينيه .

- طيب ومحب للمعرفة جداً ، - اجاب المعتقل مؤكداً ،  
- وقد ابدى اهتماماً عظيماً جداً بافكارى واستقبلني بترحاب  
بالغ . . .

- واشعل القناديل . . . - قال بيلاطس بين اسنانه  
مجارياً المعتقل بينما كانت عيناه تبرقان .

- اجل ، - تابع يشوع وقد اخذته الدهشة قليلاً لسعة

اطلاخ الحاكم . - لقد طلب الي اهداء رأيي في سلطة الدولة .  
لقد كانت هذه المسألة تشير بالغ اهتمامه .

- وماذا قلت له ؟ - سأله بيلاطس . - ام انك ستجيبني  
انك نسيت ما قلته ؟ - كان في لهجة بيلاطس وهو يتسول  
جملته الاخيرة هذه ما يوحي بأنه فقد أي أمل .

- قلت له فيما قلت ان أي سلطة هي التي يمارس على  
الانسان ، وانه سيأتي يوم لن تكون فيه سلطة لبيصر أو أي  
سلطة أخرى . اذك ينتقل الانسان الى ملكوت العاقبة والعدل  
حيث ننعلم الحاجة الى أي سلطة .

- وماذا أيضاً ؟  
- لا شيء . - قال المعتقل . - عندها اقتحم اشخاص  
البيت فاوثقوني وقادوني الى السجن .

كان امين السر يرسم بسرعة على الرق ما يسمع محاولاً الا  
تفوته كلمة .

وارتفع صوت بيلاطس الواهن والمريض يقول :  
- لم توجد على الأرض ، ولا توجد ، ولن توجد ابداً  
بالنسبة الى بني البشر سلطة اعظم واروع من سلطة الامبراطور  
تيبيريوس !

ولسبب ما كان الحاكم ينظر الى امين سره وحرسه نظرة  
حقده .

- وانت ايها المجرم المجنون ليس لك ان تتكلم في هذا  
الامر ! - وهنا صرخ بيلاطس : - اغلوا الشرفة من الحرس !  
- تم استدراك امين سره واردف : اتركني وحدي مع  
المجرم ، فالتضحية هنا تمس الدولة .

رفع الحرس وماعهم وخرجوا من الشرفة الى الحديقة يدقون  
الأرض بنعالهم دقات رتيبة . وتبعهم امين السر .

وران صبت على الشرفة بعض الوقت لم يقطعه الا سقسقة  
الماء في المسلية . رأى بيلاطس سحن الماء فوق الماسسورة  
يشعلح وتتكسر حوافه وتتساقط خيوطاً خيوطاً .

كان المعتقل اول من تكلم :  
- أرى انه حلت مصيبة بسبب حديثي مع هذا الشاب

الذي من قيرينا . ولدي شعور داخلي . ايها الوالي . بان  
مكروها سيصيبه . والي لارني له كل الرثاء .

- اظن . - اجابه الحاكم وهو يطلق ضحكة قريية . -  
انه يوجد على هذه الأرض من هو احق برتالك من يهوذا  
القيرياني . ومن مصيره سيكون أسوأ كثيراً من مصير يهوذا .  
ولكن قل لي . هل هذا السفاح مارك تاتسل الجردان الذي يقوم  
بمجازره عن قناعة وبيرودة دم . وهل هؤلاء الناس الذين  
اوسعوك ضرباً على عظامك كما ارى . - هنا اشار الحاكم الى  
وجه يشوع المشوه . - وهل هذان اللصان ديسماس وهيمتاس  
اللذان قتلنا مع شركائهما اربعة من الجنود . واخيراً هل هذا  
الغانن القذر يهوذا اناس طيبون كلهم ؟

- اجل . - اجابه المعتقل .

- وهل سيأتي ملكوت الحقيقة ؟

- سيأتي ايها الوالي . - اجابه يشوع بلهجة لا تسدح  
مجالاً للشك .

- لن يأتي ابدأ ! - صرخ بيلاطس فجأة بصوت مرعب  
جعل يشوع يترنح . مثل هذه الصرخة اطلقها بيلاطس في فرساته  
من سنوات بعيدة في وادي العذارى : «قطعوهم ! قطعوهم !  
العصاة قاتل الجردان وقع في ايديهم !» . ثم رفع صوته الذي  
ارهنه اصدار الأوامر ليسمع كلماته من في الحديفة : مجرم !  
مجرم ! مجرم !

ثم خفض صوته وسأل :

- يا يشوع الغا نوصري . هل تؤمن باية آلهة ؟

- الله واحد . - اجابه يشوع . - وانا اؤمن به .

- ابتهل اليه اذن ! ابتهل بحرارة وقوة ! وهل اي حال .  
- هنا ومن صوت بيلاطس والخلطس . - هذا لن يلبذك . - ثم  
أردف يسأله بصوت حزين لسبب ما وهو لا يفهم ما الذي  
يتنايه : - هل لك زوجة ؟

- لا . انا وحيد .

- يا للمدينة البغيضة ! - غمغم الحاكم فجأة دونما سبب  
ظاهر . ومن كفيه كمن أصابته قشعريرة وفرك يديه كأنه

بعضهما واردف : - حقا ، كان من الأفضل لو أنهم قتلوك قبل  
لقاتك يهوذا التيريماني .

- جيدا لو اطلقت سراحي ايها الوالي ، - قال يشوع  
يرجوه نجاة وقد ترددت في صوته تبسة فلق ، - فانا ارى  
انهم يتوون قتلني .

تسبح وجه بيلاطس ، لكنه قال ليشوع وقد صوب اليه  
عينين احمر بياطهما من الدم المحتقن في عروقه :

- هل تعتقد ايها التعس ان بإمكان حاكم روماني اطلاق  
سراح شخص قال ما قلته ؟ ايتهما الالهة ! ايتهما الالهة ! ام  
تخسب اني على استعداد للحلول مكانك ؟ اني لا اشاطرك  
افكارك . واصغ الي جيدا : اذا تفوهت من هذه الدقيقة بكلمة  
او حدثت احدا ، فحذار مني ! واكرر : حذار .

- ايها الوالي . . .

- اغرس ! - صرخ بيلاطس وراح يلاحق المسنونو التي  
عادت ترنرف في الشرفة بنظرة حائرة . - الي ! - دوى صوته  
من جديد .

وعندما عاد امين السر والحرس الي اماكنهم أعلن بيلاطس  
انه يصادق على حكم الموت الذي أصدره المجلس الأصفر في  
اجتماعه بحق يشوع الغانوصري . فسجل امين السر ما قاله  
بيلاطس .

بعد دقيقة كان مارك قاتل الجردان يمثل امام بيلاطس  
الذي امره بتسليم المجرم الي رئيس جهاز الامسن السري  
وتبليطه ضرورة عزل يشوع الغانوصري عن المحكومين الآخرين ،  
والايحاز الي افراد الجهاز بعدم التحدث الي يشوع في اي امر  
كان ، وعدم الاجابة على اي سؤال من اسئلته تحت طائلة  
العقوبة الصوى .

وبإيحاء من مارك طوق الحرس يشوع وقادوه الي خارج الشرفة .  
ثم مثل امام الحاكم شخص وسيم معشوق القامة ذو لحية  
شعراء تلمع على صدره رؤوس أسود ، وعمل قبة خوذته  
ريش نسور ، وعمل حياطة سيفه أنواط ذهبية ، ينتعل حذاء  
بفعل ذي ثلاث طبقات مشدوداً الي ركبته باشرطة ، ويلتقي على  
كتفه الأيسر بردة ارجوانية . ولم يكن هذا الشخص سوى رئيس



الفرقة . فضاله الحاكم عن مكان تواجد كتيبة السيبستيانيين الآن ، فأبلغه ان السيبستيانيين يطولون الآن الساحة التي أمام ميدان الخيل حيث سيعلن عن الشعب الحكم الصادر بحق المجرمين .

اذك امر الحاكم رئيس الفرقة بفرز مائتين من الكتيبة الرومانية . احداها بامر قاتل الجرذان وبمهمتها مرافقة المجرمين والعربات التي تكل أدوات التنفيذ والجلادين لدى توجيهها الى الجبل الاقارع . ثم ضرب طوق على ثمته . اما المائة التالية فعليها التوجه حالا الى الجبل الاقارع والبدء في تطويره فوراً . ولهذا الغاية . اي لتأمين الحماية على الجبل الاقارع . طلب الحاكم من قائد الفرقة لرسال لوج اسناد من الخيالة هو الاي السوري . عندما غادر رئيس الفرقة الشرفة . امر الحاكم أمين سره بدعوة رئيس المجمع الكبير واثنين من اعضاءه ورئيس حرس هيكل اورشليم الى قصره . ثم اضاف انه يطلب ترتيب الأمور بحيث يستطيع التحدث على الافراد مع رئيس المجمع قبل اجتماعه هؤلاء جميعاً .

تم تنفيذ اوامر الحاكم بسرعة ودقة . ولما تكد الشمس التي كانت تكوي هذه الأيام اورشليم بضراوة فائقة تبلسح السمات . حتى كان الحاكم والقائم بأعمال رئيس المجمع الكبير كاهن يهودية الأعظم يوسف قيافا يلتقيان على باحة الحديقة العليا قرب أسدين أبيضين من المرمر يحرسان الدرج . كان الهدوء يخيم على الحديقة . لكن الحاكم سمع بأذنه المرحلة . وهو يخرج من الرواق الى الباحة العليا للحديقة باشجار نخيلها المنتصبة على جذوعها الهائلة التي تشبه قوائم الليل . حيث انبسطت أمام ناظره مدينة اورشليم البغيضة الى قلبه كلها بجزورها المعلقة وقلاعها - والأهم من هذا - بتلك الكتلة المرمرية ذات الحراشف الذهبية كحراشف الحرذون التي تقوم مقام السطح والتي اسمها هيكل اورشليم . سمع الحاكم في مكان ما بعيد في الأسفل حيث يفصل جدار حجري المدرجات الدنيا من حديقة القصر عن ساحة المدينة ههمة خفيفة لعلس أحياناً فيما لا تدري ان كانت انبثاً أو صراخاً واهناً رقيقاً . أدرك الحاكم انه اجتمع هناك في الساحة حشد هائل من

سكان اورشليم الذين اثارتهم الاضطرابات الأخيرة . وان هذا الحشد ينتظر بفارغ الصبر اعلان الحكم . وان باعة الماء يتنادون على مالههم .

استهل الحاكم كلامه بدعوة الكاهن الاعظم الى الترفية للاعتناء بها من هذا القبط الذي لا يرحم . لكن قيافا اعتذر بأدب موضحاً انه لا يستطيع ذلك . اذك وضع بيلاطس فلسوته على رأسه الذي اخذ الصلع يذب فيه وبدأ الحديث ، وكان حديثه باليونانية .

قال بيلاطس انه درس قضية يشوع الغا نوصري وصادق على حكم الموت .

وعلى هذا . هناك ثلاثة من اللصوص حكم عليهم بالاعدام الذي يجب ان يتخذ اليوم وهم ديساس وهيستاس وفرافان بالإضافة الى يشوع الغا نوصري هذا . الأولان اللذان حاولا تعريض الشعب على عصيان القيصر قبضت عليهما السلطة الرومانية بعد قتال . ولذا فهما من اختصاص الحاكم وبالتالي لن تبحث أمرهما هنا . أما الآخران ، فرافان والغا نوصري . فقد التفت اليهم عليهما السلطة المحلية وحاكمهما المجمع الكبير . وقد نص القانون كما جرى العرف على وجوب اطلاق سراح احدهما تكريماً لعيد النصح العظيم الذي يعل اليوم .

وعلى هذا يرغب الحاكم في معرفة اي المجرمين ينوي المجمع الكبير اطلاق سراحه : فرافان أم الغا نوصري . خفض قيافا رأسه دليل فهمه السؤال واجاب :

- يطلب المجمع الكبير اطلاق سراح فرافان .

كان الحاكم يعرف جيداً ان هذا بالضبط سيكون جواب الكاهن الاعظم . لكن مهمته كانت تقوم على اظهار ان مثل هذا الجواب يشير دهشته .

ولقد فعل بيلاطس هذا بهارة كبيرة . فقد رفع حاجبيه فوق وجهه المتعطرس . وتبث في عيني الكاهن الاعظم عينين تملؤها الدهشة . وقال بصوت ناعم :

- اعترف بان هذا الجواب اذهلني . واخشى ان يكون هناك سوء فهم .

ثم راج بيلاطس بشرح موقفه بقوله ان السلطة الرومانية

لا تحاول على الإطلاق التطاول على حقوق السلطة الدينية المحلية ، وهذا أمر يعرفه الكاهن الأعظم حق المعرفة ، إلا ان في هذه الحالة بالذات ثمة خطأ واضحاً كل الوضوح ، والسلطة الرومانية سميت ، بطبيعة الحال ، بتقويم هذا الخطأ .

وبالفعل فإن جرائم فرافان والفا نوصري لا يمكن ان تقارن من حيث خطورتها اطلاقاً ، فإذا كان الثاني ، وهو انسان معنوه دون شك ، مذنباً لتفوهه بكلام سخيف احدث بلبلة في سكان اورشليم وبعض المناطق الأخرى ، إلا ان جرائم الاول اخطس بكثير ، فبالإضافة الى أنه سمح لنفسه بدعوة الشعب صراحة الى العصيان ، قام بقتل الحارس الذي حاول الفاء القبض عليه ، وعلى هذا فرافان اشد خطورة من الفا نوصري بكثير .

وبناء على ما تقدم يطلب الحاكم من الكاهن الأعظم إعادة النظر في قراره واطلاق سراح أقسى المجرمين خطورة وهو الفا نوصري دون شك ، اليس كذلك ؟

سأوب قيافا الى عيتي بيلاطس نظرة مباشرة ، وقال له بصوت خافت لكنه حازم ان الجميع الكبير درس القضية بامعان وانه يعلم الحاكم للمرة الثانية بنية الجميع اطلاق سراح فرافان .

- ماذا تقول ؟ حتى بعد التماسي ؟ التماس الرجل الذي تنطق السلطة الرومانية في شخصه ؟ اعد على سمعي للمسرة الثالثة ما قلتها ايها الكاهن الأعظم .

- وللمرة الثالثة نعلمك باننا سنطلق سراح فرافان ، - اجاب قيافا بصوت خافت .

قضى الأمر ، ولم يعد هناك ما يتعدان فيه ، الفا نوصري يرحل الى الأبد ، وليس هناك من يداوي آلام الحاكم الرهيبة لا دواء لها إلا الموت ، انما لم تكن هذه الفكرة هي التي صنعت بيلاطس الآن ، فقد كانت تلك الكتابة غير المفهومة التي تولته على الشرفة هي التي تخترق الآن كيانه كله ، حاول على الفور تفسيرها ، وكان لتفسيره غريباً : بدا له بشكل غامض انه لم يقل للفا نوصري كل ما كان يريد قوله ، ولعله لم يسمع من الفا نوصري كل ما قاله .

طرد بيلاطس هذه الفكرة فاختفت في لحظة كما ظهرت .

اختلفت لكن الكتابة ظلت تملكه لا يعرف لها تفسيراً ، ذلك ان  
الفكرة الأخرى القصيرة التي لمعت في ذهنه كالبرق وانطلقت  
فوراً فكرة «الخلود . . . جاء الخلود . . .» لم تستطع هسي  
ايضاً تفسيرها . «خلوداً من» جاء ؟ لم يدرك الحاكم ذلك ،  
لكن فكرة هذا الخلود المفلح جعلته يتشعر من البرد وهو واقف  
تحت أشعة الشمس الحارقة .

- حسناً ، - قال بيلاطس ، - فليكن ما تريد .  
ونلتت مجيلاً بصره فيما حوله فدعش للتغيير الذي حصل :  
اختلفت الشجيرة المتقلبة بالورود ، واختلفت شجرات السرو التي  
تطوق الباحة العليا للحديقة وشجرة الرمان والتشمال الأبيض  
الغارق في الخضرة ، وحتى الخضرة ذاتها اختلفت ، واخذت تروج  
مكاتها أجمة أرجوانية تهتز فيها الاعشاب المائية وتتحرك الى  
مكان مجهول وبيلاطس نفسه يتحرك معها . كان الآن أشد اتواج  
العنق يجره وهو يخنقه ويحرقه - حلق المعز .  
وتتم :

- اكاد اختلف ، اكاد اختلف .

ويبدء الباردة المبللة بالعرف قطع البكلة التي حل بالسهة  
البردة فسقطت على العصى .

- الجو خائق اليوم ، لا بد وان تهب عاصفة رعديّة ، -  
قال قيافا دون ان يرفع عينيه عن وجه الحاكم المحمر ، وهو  
يشبها بكل الآلام القادمة : «ما اضطلع شهر نيسان هذا العام» .  
- لا ، ليس بسبب الجو الخائق ما شعرت به ، بل لصا  
دار بيتنا يا قيافا ، - وأردف وهو يضيق عينيه ويبتسم : -  
احرص على نفسك أيها الكاهن الأعظم !

لمعت عينا الكاهن الأعظم القاتمتان ، لكنه اسطنح الدهشة  
ليس أسوا مما اسطنعها الحاكم من قبل .

- ما الذي أسمعه ، أيها الحاكم ؟ - أجابه قيافا بالنسبة  
وهدهو ، - هل تهددني بمد الحكم الذي صدر وصدقته بنفسك ؟  
هل هذا معقول ؟ لقد اعتدنا ان ينتللي الحاكم الروماني كلماته  
قبل ان يتلو أي شيء ، أخشى ان يكون أحد سمعنا أيها  
الوالي !

تطلع بيلاطس الى الكاهن الاعظم بعينين ميثتين وكثر عن اسناته ثم رسم ابتسامة على وجهه :

- ماذا تقول ايها الكاهن الاعظم ؟ من الذي يستطيع ان يسمعنا هذه الساعة هنا ؟ اتراني اخيبه هذا المجنون الغر المتسكج الذي سيعدم اليوم ؟ اتحسبني ولداً ياقيافا ؟ اني اعرف ما اقوله واين اقله . الحديفة محاصرة والقصر محاصر بحيث لا تستطيع خازة النفاذ من اي شق ا وليس الفارة وحدها هي التي لا تستطيع النفاذ . بل حتى ذلك . . . ما اسه ؟ ذلك الذي من مدينة قيريانا . بالمناسبة هل تعرف هذا الشخص . ايها الكاهن الاعظم ؟ اجل . . . لو استطاع هذا الشخص النفاذ الى هنا لندم ندماً مرأ . صدقني . واعلم . ايها الكاهن الاعظم . انك لن ترى بعد اليوم راحة او طمانينة . لا انت ولا شعبك . وأشار بيلاطس الى مكان ما في البعيد عن بعينه حيث الهيكسل يتوهج بتور الشمس فوق مرتفع . - وانا . بيلاطس البنطي الفارسي ذو الرمح الذهبي . اقول لك هذا :

- اعرف . اعرف ا - اجابه قيافا ذو اللحية السوداء بجرأة وبرقت عيناه . ثم رفع يديه الى السماء واردف : - يعرف شعب يهودية أنك تبغضه أشد البغض وأنتك ستسبب له الأما كثيرة . لكنك لن تستطيع اهلاكه ! الله سيحييه ا ويصير العظيم سيسمع ندائنا ويحمينا من بيلاطس الفاتك ا

- لا ا - صرخ بيلاطس . ومع كل كلمة كان يقولها كانت نفسه لزداد راحة وطمأنينة اذ لم يعد هناك ما يدعو الى التظاهر والى تخير الفاظه . - لقد شكوتني الى قيصر اكثر مما ينبغي . وقد حانت ساعتني الآن . ياقيافا ! سابت برسول الآن ليس الى عامل القيصر في انطاكية . وليس الى روما . بل الى الامبراطور نفسه في كايريا يعلمه انكم في اورشليم تنتسرون على مجرمين عريقين ومعروفين وثمومهم من الموت . اذاك لن اسقي اورشليم من ماء بركة سليمان كما كنت اريد لكسم ولخيركم ا لا . لن اسقيها ماء ! تذكر كيف اضطرتت بسببكم الى تزع الثروس التي تحمل العلامة الامبراطورية عن الجدران . وكيف اضطرتت الى تحريك القوات . بل اضطرتت الى المجيء هنا بتفسي لارى ما يجري ! تذكر كلامي ايها الكاهن الاعظم . ستري اكثر من كتيبة

في اورشليم ا نعم . ستعق ابواب اورشليم لفرقة فولميناتوس  
ياكلها وفرسان العرب . اذالك ستسمع تحيياً وبكاء مرأا  
وستذكر فراقان الذي اقتلته من الموت . وتندم على أنك دفعت  
الى الموت بفيلسوف يبشر بالسلام .

فكشيت وجه الكاهن الاعظم بقم حمر وتلاوات عيناء . لكنك  
اسطع اهنامة كسفت عن استانه كما فعل الحاكم من قبل  
واجاب :

- وهل تصدق انت نفسك ايها الحاكم ما تقوله الان ؟ لا .  
لا تصدقه الا . ليس سلاماً ما حمله اليك في اورشليم مغوي  
الشعب هذا . وانت نفسك . ايها الفارس . لتدرك هذا تمام  
الادراك . انك لم ترد اطلاق سراحه الا ليزرع البليطة والشقاق  
في الشعب . وينتهك حرمة دينه ويسلط سيف روما على رفايه !  
لكني اتول لك . انا كاهن يهودية الاعظم . اني لن ادع احداً  
يدنس ايماننا وسادائع عن شعبي ما دام في عرق يثبط اهل  
تسعني يا بيلاطس ؟ - وهنا رفع قيافا يده فيما يشبه الوعيد  
واردف : - اسمع كلامي . ايها الحاكم !

وصحت قيافا . فبدا للحاكم كأنه يسمع من جديد هدير  
البحر تندرج امواجه حتى اسوار حديقة هيرودس الكبير . وكان  
هذا الهدير يتصاعد من الاسفل حتى يبلغ رجلي الحاكم ووجهه .  
وسمع بيلاطس خلف ظهره فيما وراء جناحي القصر اشارات انذار  
تطلقها الابواق . ومئات الأرجل تتحرك في تناقل . وصليل جديد .  
فاندرك على الفور ان فوج المشاة الروماني يتحرك . بنساء على  
اوامره . في طريقه الى العرض الذي سيقام قبل تنفيذ حكم الاعدام  
والذي كثيراً ما اوقع الرعب في قلوب المتمردين واللصوص .  
- هل تسعني يا بيلاطس ؟ - كرر الكاهن الاعظم القول  
بصوت خفيض . - هل يمكنك حقاً ان تقول ان هذا كله . -  
وهنا رفع الكاهن الاعظم يديه فسقطت قلنسوته الماكثة عن  
راسه . - من صنع هذا اللص المسكين فراقان ؟

مسح الحاكم بظاهر راسه جبينه المبلل . البارد واحرق الى  
الأرض ثم رفع يهينين ضالحت حدقتاهما الى السماء . فلذا الكرة  
المتوهجة صارت فوق راسه تقريباً . بينما انكمش ظل قيافا تماماً  
قرب ذيل الأسد . وقال بصوت خافت لا يقابل :

— يكاد النهار ينتصف ونحن مأخوذان بالحديث ، بينما علينا متابعة ما بدأناه .

وبعبارات اعتذار بالغة التاديب دعا بيلاطس رئيس الكهنة الى الجلوس على ملعد في ظل شجرة المنوليا والانتظار بينما يفرغ من استدعاء الأشخاص الآخرين الضروريين لعقد اجتماع أخير قصير ، ومن اعطاء امر آخر يتعلق بتنفيذ الحكم .  
انحس قيافا في ادب واضعاً يده على قلبه وبقي في الحديقة ، بينما عاد بيلاطس الى الشرفة . وهناك امر أمين سره ، الذي كان في انتظاره . بدعوة رئيس الفرقة وقاضي الكتيبة وكذلك اثنين من اعضاء المجمع الكبير ورئيس حرس الهيكل الذين كانوا ينتظرون الاستدعاء في الاستراحة المستديرة ذات الفسقية التي في المدرج التالي الاسفل للحديقة . واراد ان سيخرج اليهم عما قليل وتوجه الى داخل القصر .

وفيما كان أمين السر يعد لعقد الاجتماع ، كان الحاكم يختلي في غرفة قليلة تحجب عنها نور الشمس ستائر صفيقة بشخص تغطي نصف وجهه فلتسوة على الرغم من ان اشعة الشمس في هذه الغرفة لا يمكنها ان تضايقه . كان هذا اللقاء قصيراً للغاية . قال له فيه الحاكم بضجع كلمات بصوت خافت غادر الشخص بعدها القصر بينما عاد بيلاطس الى الحديقة عبر الرواق .

وهناك أكد في حضور كل الذين رغب في حضورهم وبصوت مهيب وجاف تصديقه على حكم الموت الصادر بحق يشوع النابا تومري واستطلع رسمياً آراء اعضاء المجمع الكبير في المجرم الذي يرون ابقاءه على قيد الحياة ، واذا أتاه الجواب ان فراغان قال الحاكم :

— حسن جداً ، — ثم امر أمين سره بتدوين ذلك في المحضر ، وشد يده على البكفة التي راعها أمين سره من على الرمل وأعلن بصوت مهيب : — هيا !

وعلى الأثر تحرك الحاضرون وأخذوا يهبطون المدرج المرمرى العريض بين جدارين من الورد العابقة بعطر مندر ، حتى سورد القصر ، فالهبابة المؤدية الى ساحة كبيرة مرصوفة بهلاط أملس تبدو في آخرها منصة ميدان اورشليم للسباق وتمانيه .  
ما ان خرجت هذه الجماعة من الحديقة الى الساحة وارتقت

المنصة الحجرية النسيحة المطلة عليها ، والتي يبلاطس حولها نظرة من بين جلونه نصف المقبضة حتى تبين له الموقف الذي هو فيه . كانت المسافة التي قطعها للتو ، أي المسافة الممتدة من سور القصر حتى المنصة ، خالية ، أما الميدان أمامه فلم ير منه ببلاطس شيئاً - كانت الجماهير قد التهمت . ولولا ثلاثة صفوف من الجنود السيستيايين عن يسار ببلاطس وثلاثة صفوف من الجنود الآشوريين عن يمينه لغمرت الجماهير المنصة ذاتها وتلك المساحة العالية .

وهكذا ارتقى ببلاطس المنصة وهو يضغط بقبضته اليمنى اليكيلة العديمة النقع ويزر عينيه ، ولم يكن ببلاطس يزر عينيه لأن الشمس كانت تعرفهما ، لا ، بل لأنه لم يكن يريد ، لسبب لا يدركه ، رؤية عصبة المجرمين الذين كان يعرف تماماً أنهم يحضرون اثره الى المنصة .

ما إن لاحظت البردة البيضاء ذات البطانة الأرجوانية على الكتلة الحجرية العائنة فوق هذا البحر البشري حتى صكت سمع ببلاطس الذي لم يكن يرى شيئاً موجة صوتية «عا-ا-ا-ا-ا» . بدأت بدأت من مكان ما بعيد قرب ميدان الخيل خافتة ، ضعيفة ثم اشتدت فصارت كالرعد ، ثم عادت الى الهبوط بعد ان استمرت تواتي . «لقد راووني» - قال الحاكم في سره . لكن الموجة الصوتية عادت الى الاستعداد فجأة ، ولما تبلغ أدنى مستوياتها ، لتطفي على الموجة الأولى ، وكما يعلو الزبد موج البحر ، علا الموجة الصوتية الثانية صفير وانات نسائية متفرقة لكنها واضحة في هذا الرعد . «لقد سألوهم الى المنصة . . .» قال ببلاطس في نفسه . - وما هذه الانات الا لأنه دعست بعض النسوة عندما اندفع الحشد الى الأمام» .

تربث بعض الوقت لأدراكه انه ليس بمقدور أي قوة اجبار الجماهير على الصمت الا بعد ان تفرغ كل ما بجيش في داخلها فصمتت من تلقاء نفسها .

وما إن حانت هذه اللحظة حتى رفع الحاكم يده اليمنى الى العلاء فتلاشى آخر صوت .

اذ ذلك ملا ببلاطس صدره بقدر حسا استطاع من الهسواء الساخن وصرخ فانداح صوته المتقطع فوق آلاف الرؤوس :



- باسم الامبراطور قيصر ا

وعلى الفور صكت سبعة عمدة مرآت متخافات حديدية متقطعة -  
كان الجنود في الكتائب يهتفون بأصوات مخيفة وقد أخذوا يقدفون  
الحراب والسيارات في الهواء :

- عاش قيصر ا

رفع بيلاطس رأسه ودفنه في قرص الشمس مباشرة فالتفت  
تحت جفنيه ناران خضراوان والتهب دماغه وترددت فوق الجماهير  
كلمات آرامية مبسوطة :

- هناك أربعة مجرمين اعتقلوا في اورشليم لقيامهم بجرائم  
قتل وتحريض على العصيان وانتهاك للقانون واساءة للمعتقدات  
وحكم عليهم بالموت المشين - بالصلب على الخشبة ! وهذا الحكم  
سيبذل الآن على الجبل الاقصر ! واسماء المجرمين هي ديمستاس  
وهيستاس وفرافان والفا نوصري . وهامم اولاد امامكم .

واشار بيلاطس بيده الى اليمين لا لانه يرى المجرمين ، بل  
لانه يعرف انهم هناك ، حيث يجب ان يكونوا .  
ودت الجماهير بهمة طويلة لا تدري اهي همة دهشة  
ام ازلياح . واردف بيلاطس بعد ان خبت الهمة :

- لكن لن يقدم منهم الا ثلاثة . ذلك ان الامبراطور قيصر  
سيد الكرم والشهامة ، بناء على القوانين والاعراف ، واكراما لمبدأ  
الفضح ، سيعيد الى المجرم الرابع الذي يختاره المجلس الاصفر ،  
وتوافق عليه السلطة الرومانية ، حياته الحرة .

كان بيلاطس يصرخ بهذه الكلمات ويصفي في الوقت نفسه  
الى الصمت العظيم يحل محل الهمة . لم تعد اي نامة او حس  
لتنهاى الى سمعه ، بل كانت لحظة بدا فيها لبيلاطس ان كل  
شيء حوله تلاثى . ماتت المدينة البفيضة الى قلب بيلاطس  
وبقي هو وحده منتصباً تلذعه اشعة الشمس العمودية وهو  
يشخص الى السماء . توقف قليلاً ثم راح يصرخ :

- اسم الذي سيطلق الآن سراحه امام اعينكم . . .

وتوقف مرة اخرى مستكاً عن ذكر الاسم ليتيقن مما اذا كان  
قد قال كل شيء ، لانه كان يعلم ان المدينة الميتة ستبعت  
بعد نطقه اسم صاحب الحظ السعيد ولن يكون بالامكان سماع  
اي كلمة بعد ذلك .

«هل هذا كل شيء؟» - همس بيلاطس بصوت غير مسجوع  
في سره - « نعم ، كل شيء . الاسم ! » .  
وعتف مطلقاً حرف الرأه فوق المدينة الصامتة ككصف الرعد :  
- لرافان !

بدأ له ان الشمس وثت وانثقت فوق رأسه وصبت على  
اذنيه ناراً . وفي هذه النار اصطبغ الهدير بالنحيب بالزريق  
بالانين بالكهفة بالصغير .

استدار بيلاطس وعاد ادراجه الى درجات السلم وهو لا  
يتطلع الا الى الربعات الحجرية المختلفة الالوان تحت قدميه كي  
لا تزلوا . كان يعرف ان قطع النفود البرونزية والنمر تتطاير الآن  
على المنصة خلف ظهره كالبرد ، وان الناس في هذا الجهود  
العاري يتدافعون ويتسلق الواحد منهم ككفي الآخر ليروا بأعينهم  
العجزة : انسان في قبضة الموت يتخلص من هذه القبضة ا  
وليروا جنود الفرقة ينزعون الحبل معدنين له دون قصد العا  
حارفاً في يديه المخلعتين عندالتحقيق ، وكيف كان يتسم مع  
هذا ابتسامة يلهاء ، مجنونة وهو يقطب جبينه ويتأوه .

كان يعرف ان الحرس في هذا الوقت يقودون الثلاثة الآخرين  
مكبلي الايدي الى الدرجات الجانبية ليضوا بهم في الطريق  
المؤدية الى ضاحية المدينة الغربية حيث الجبيل الاثري . ولم  
يفتح بيلاطس عينيه الا بعد ان صار خلف المنصة لعلمه انه  
اصبح الآن في مأمن . اذ لم يعد باستطاعته رؤية المحكومين من  
مكانه هذا .

كانت اصوات المتادين العادة والواضحة الآن تختلط بانين  
الجماعير التي بدأت خواطرها تهذا وهي تردد بعضها بالارامية  
وبعضها باليونانية كل ما قاله بيلاطس على المنصة . وبالإضافة  
الى ذلك تنامي الى سمعه وقع منتطح وسريع لعواثر خيول  
تقترب . واصوات يوق قصيرة وفرحة يتجاوب معها صليبر أطفال  
تاقب من سطوح بيوت الشوارع المؤدي من المسوق الى ميدان  
الليل . وصيحات « احترس ! » .

ولم يتوقف الحاكم وقائه الفرقة وامين السر والحرس الا حين  
لوح لهم الجندي الواقف وحيداً في الرقصة الخالية من الميدان  
بالشارة التي يحملها بيده .

كان فوج الخيالة ينطلق بغيب متسارع الى الساحة ليقتطعا عرضاً الى الزقاق المحاذي للسور الحجري الذي تتسلقه دوالي الكرمة متحاشياً الكتل البشرية وسالكاً اقصر الطرق الى الجبيل الاقصر .

عندما حاذى قائد الفوج المنطلق على جواده بيلاطس ، وكان سورياً ، صغيراً كطلل وشدهيد السعرة كغلامي ، اطلق صرخة حادة واستل سيفه من غمده ، جعل جواده الأدهم الحرون المنصب عرفاً وشب على قائمته . السيد قائد الالاي سيفه ، وعاجله بلسعة سوط على لحره كبحث جياحه ، وانطلق به في الزقاق عدواً . وانطلق في اثره الفرسان ، ثلاثة في كل صف ، في سحابة من الغبار ورؤوس حراهم الخيزرانية الخفيفة تهتز . وهرقوا بمحاذاة الحاكم وقد بدت تحت عمامهم البيضاء وجوههم بأسمانها اللامعة المكثرة يهرح اشد سعرة .

اندفع الفوج الى الزقاق مثيراً وراه سحابة غبار جاوزت السماء . وكان آخر من عبر الى جانب الحاكم جندي على ظهره بوق يتوهج تحت اشعة الشمس .

تابع الحاكم سيره وهو يغطي وجهه بيده من الغبار ، ويتطلب حاجبيه في امتعاض ، حاشاً الخطر الى باب حديقة القصر يتبعه قائد الفرقة وأمين السر والحرس .

كانت الساعة تقارب العاشرة صباحاً .

### الفصل الثالث

### البرهان السابع

اجل ، كانت الساعة تقارب العاشرة صباحاً ، ايها الموقر ايفان نيقولايفتش ، - قال البروفيسور .

مسح الشاهر وجهه بيده كمن يصحو من نومه ، فرأى السماء قد اطبق على بتريشيني برودي .

كان الماء في البركة قد اسود ، ومن الزروق الخفيف المتزلق على صلحته كانت تسمع ضربات مجداف وضحكات امرأة . وظهر

اناس على القواعد في الممرات . المسا ظهوراً . في هذه الجرة  
ايضاً . على جوانب المربع الثلاثة الأخرى كلها ما عدا الجانب  
الذي كان يجلس فيه أصحابنا .

بدأت السماء فوق موسكو وقد كبد لوتها . وكان القمر في  
قبتها يهدأ ايضاً لما يشرب بصفرة الذهب . صار الجالسون  
تحت اشجار الزيزفون يتنفسون بيسر أكبر وصارت اصواتهم  
تردد على نحو ارق - برقة النساء .

«كيف لم لاحظ انه لفتق في هذه الأثناء قصة كاملة ؟ . . -  
فكر بيژدومني . - فهاهو ذا النساء حلن ! أم لعل الرجل لسم  
يرور شيئاً من هذا . بل انسا الذي غفلت ورايت هذا كله في  
الحلم » .

انما علينا ان نفترض ان البروفيسور هو الذي روى عليهما  
ما روى . والا كان علينا ان نسلم بان برليوز ايضاً رأى في  
الحلم مثل الذي رآه بيژدومني . ذلك ان برليوز قال للبروفيسور  
وهو يتفرس في وجهه :

- فصتتك مشوقة جداً . يا بروفيسور . على الرغم من انها  
لا تتطابق اطلاقاً وقصص الاناجيل .

- علواً . - اجاب البروفيسور وهو يبتسم ابتسامة خفيفة  
متنازلة . - قد يخفى لغيرك هذا القول . اما انت فالمفروض  
ان تعرف ان شيئاً مما جاء في الاناجيل لم يحدث ابداً . فاذا ما  
اخذنا بالاعتماد على الاناجيل مصدراً تاريخياً . . . - وهنا رسم  
ابتسامة خفيفة اخرى . اما برليوز فشمع بالاحباط . لان هذا  
بالضبط ما كان يقوله بالحرف الواحد لبيژدومني وهما في  
طريقهما من شارع بروتايا الى بتريرشبي برودي .

ولاحظ برليوز :

- هذا صحيح . لكني اخشى الا يستطيع احد ايضاً اثبات  
صحة ما رويته .

- لا ايامكاته اثبات ذلك ا - اجابه البروفيسور بلكتسة  
العجبية اول الامر . وانما بنقطة بالغة . وفجأة أشار اليهما اشارته  
غامضة ان اقتربا .  
واقتربا منه . كل من جانب . فقال لهما وقد اختلفت لكتته .  
والشيطان وحده يعلم لم كانت تخفى حيناً وتظهر حيناً آخر :

الفضية ان . . . . - وهنا تلفت البروفيسور حوله في  
ذعر وقال همساً . - القضية التي شخصياً حضرت هذا كله .  
كنت على الشرفة عند بيلاطس البنطي . وفي الحقيقة ساعة تحدثت  
إلى قيافا . وعلى المنصة وان خلية . متذكراً كما يقال . السا  
أرجوكم ! لا تتلوهوا أمام أحد بكلمة مما قلته . بل حافظوا  
عليه في سرية تامة . . . تس !

وان الصمت . وسأل برليوز وقد تهدج صوته وشحب لونه :

- الت . . . منذ متى انت في موسكو ؟

- في هذه الدقيقة فقط وصلت إلى موسكو . - اجاب  
البروفيسور في ارتباك . وهنا قطف فطن الصديقان إلى التمعن في  
عينيه كما ينبغي فتبيننا ان عينه اليسرى الخضراء بلهاء تماماً .  
أما عينه اليمنى فقارفة . سوداء وميتة .

«بالفعل توضح كل شيء» - قال برليوز في سره وقد  
التابه الارتباك . - اما انه انى الينا الماني مجنون أو انه فقد  
عقله هنا في بتربرشبي . يالها من قصة !»

اجل . لقد توضح كل شيء فعلاً : التطور البالغ الغرابة  
عند الفيلسوف المرحوم كنت . وهذا الكلام الأخرق عن زيمست  
عباد الشمس واتوشكا وتنبؤاته عن الرأس الذي سيلقطع وما إلى  
ذلك - كان البروفيسور مجنوناً .

وعلى الفور فطن برليوز إلى ما يجب ان يفعله . فقد التفت  
ظهوره إلى مستند المتعد الخلفي ولغمز بيزدومني من وراء ظهر  
البروفيسور ان لا يعارضه لكن الشاعر الذي اخذ الدهول منه  
كل ما أخذ لم يفهم هذه الايماءات .

- نعم . نعم . نعم . - أردف برليوز في الخفاء . - على  
أي حال هذا كله ممكن ! بل انسه ممكن جداً بيلاطس البنطي  
هذا . والشرفة وما إلى ذلك . . . وانت على وصلت بمفردك  
أر مع عقيلتك ؟

- وحدي . وحدي . أنا دائماً وحدي . - اجابه البروفيسور  
بمرارة .

- واين المراضك يا بروفيسور ؟ - سألته برليوز مستحيلاً .  
- في «الميتروبول» ؟ أين نزلت ؟

- انا ؟ لم انزل في أي مكان . - اجاب الالماني المبحور .

وهو يجبل عينه الخضراء في أرجاء بتريريشين برودي في كآبة  
ووحشية .

- كيف ؟ ولكن . . . أين ستسكن إذن ؟

- في شقتك . - أجاهه المجنون دون تكلف فجاء وغمز

بعينه .

- بكل . . . بكل مرور . - فغمم برليوز . - لكنتك حقا .

إن تشعر بالراحة في بيتي . . . بينما في «الميتروبول» غرف

رائحة . . . انه فندق من الدرجة الأولى .

- والشيطان أيضاً غير موجود ؟ - توجه المريض فجاء

بالسؤال الى ايفان نيقولايفتش بلهجة مرحة .

- والشيطان أيضاً . . .

- لا تعارضة . - همس برليوز بصوت كانه خارج من

شفتيه فقط وهو يتهاوت على نفسه خلف ظهر البروفيسور

ويكشر .

- لا وجود لأي شيطان ! - صرخ ايفان نيقولايفتش يقول

غير ما يجب أن يقول وقد ضاق ذرعاً بهذا الهراء . - ما هذا

البلاء ! هل كلفت عن هذه الهفوسة !

وهنا اطلق المجنون قهقهة طيرت المصفور من الزيزفونة

التي فوق رأس الجالسين .

- اوه هذا شيء متعج بال تأكيد . - اردف البروفيسور

وهو لا يزال يهتز من القهقهة . - ما هذا الذي يجري عندهم .

ما إن تسأل عن شيء حتى يقال لك غير موجود ! - وفجأة كف

عن القهقهة إذ انتابته بعدها . وهذا ملهوم جداً في حالته المرضية .

حالة قصوى مناقضة . فقد تارت آثارته وصرخ بصوت صارم : -

إذن أنت تصر على إنه غير موجود ؟

- هدى من روعك ، هدى من روعك يا بروفيسور . -

غمم برليوز خشية آثاره المريض النفسي . - اجلس دقيقة هنا

مع الرفيق بيزدومني ريشما اتصل بالهاتف الذي على ناصية

الشوارع . ثم لصحبك الى حيث ترينسد . فانت لا تعرف

المدينة . . .

يجب الاعتراف ان خطة برليوز كانت محكمة : كان يجب

عليه ان يهرع الى الغرب كسك هاتف ويبلغ مكتب الأجانب ان

مستشاراً أجنبياً يجلس الآن في بتريزيسين برودي في حالة غير طبيعية بناتاً ، وانه من الواجب اتخاذ إجراءات كيلا تحدث قصة مزعجة .

- اتصل بالهاتف ؟ كما تريد ، الفصل . - قال المريض بصوت حزين موافقاً ، وفجأة طلب اليه بحماسة قائلاً : - لكنني اتوسل اليك ، ونحن نفترق ، ان تؤمن على الأهل بأن الشيطان موجود ! اني لا اطلب منك أكثر من هذا ! وليكن في علمك انه يوجد على وجوده برهان سابق وهو اسبق الراهبين وسيظهر لك على الفور .

- حسناً ، حسناً ، - قال برليوز بود زائف ثم غمز الشاعر الحائر الذي لم تطب له فكرة حراسة هذا الالهائي المجنون وانطلق الى المخرج من حديقة بتريزيسين برودي عند التقاء شارع برونايا وزقاق ايرمولينسكي .  
وكاننا تعافى البروفيسور للحال واشرق وجهه فصاح في اثر برليوز :

- ميخائيل الكستدروفقتس !

ارتعد برليوز والتفت لكنه طمان نفسه بان البروفيسور لا يد ان يعرف اسمه واسم ابيه من بعض الصحف أيضاً . وأردف البروفيسور يصيح وقد كور كفيه على شكل بوق :

- هل تريد قامر بارسال برفية الى عمك في كييف فوراً ؟  
ومرة أخرى ارتعدت فرانس برليوز . فمن اين لهذا المجنون ان يعرف بوجود عمه في كييف ؟ هذا الأمر لم تذكره اي صحيفة بالتاكيد . ايه ، أصلاً يكون بيزدومني على حق ! واذا كانت وثائقه مزورة ؟ أه ، ياله من شخص غريب ! الهاتف ، الهاتف ! يجب الاتصال بالهاتف فوراً ! ولا بد ان يكتشفوا حقيقة أمره بسرعة !

واذ لم يعد يسمع شيئاً واصل انطلاقه .

وهنا عند المخرج المؤدي الى برونايا نهض عن المقعد للقائه رئيس التحرير نفس الشخص الذي تشكل امامه اذ ذلك في ضوء الشمس من القيث الطمحن . لكنه لم يكن الآن من الهواء ، بل عادياً - من لحم ودم . واستطاع برليوز في نور الشمس تبين ضاربيه كريض العجاج وعينيه الصغيرتين الساخرتين نصف

السلتين وينطاله ذي المرحبات المشدود بحيث ظهر تحته جوربان  
ابيضان متسخان .

كان ميخائيل الكسنندروف تشي ينكس على عقبه ، لكنه هزى  
نفسه بالقول انها مطابقة لا معنى لها ، وان لا وقت الآن ليشغل  
فكره بها .

- هل تبحث عن الباب الدوار ايها المواطن ؟ - سألته  
الشخص ذو الرسوم العربية بصوت صاوح مطروح ، - ال هنا  
من فضلك ! سر امامك واسأ تخرج الى حيث يجب أن تخرج !  
هل لك بربع ليتر . . . الى مرتل سابق . . . يسترد به  
عاقبته . . . لقاء ارشاده ا - أردف الشخص وهو ينحني  
وينزع سداوته عن رأسه بغقة .

لم يعر بريوز العرقل السائل المتصنع اهتماماً بل عدا الى  
الباب الدوار وامسك به فأداره وكاد يخطو فوق السكة الحديدية  
حين توائب الى عينه ضوء ابيض واحمر : كانت كلمتان تتوهجان  
في عملية زجاجية «احمر الترام» .

والحال اندفع هذا الترام منعطفاً على خطه الجديد من  
ايرموليفسكي الى برونايا . وما ان انعطف ومضى على خطه حتى  
توهج من داخله بالكهرباء فجأة وهوى وازداد الدفاعه .

وعلى الرغم من وقوف بريوز العنور في مكان آمن ، قرر  
العودة الى وراء الحاجز . وضع يده على الباب الدوار وتراجع  
خطوة . لكن يده زلقت وأفلتت ، وانسابت احدى رجله على  
البلاطة المتحدرة حتى تتصل بالخط الحديدي ، وكأنها تنزلق  
على جليد ، بينما انقلبت رجله الأخرى الى الأمل . واندفع  
بريوز باتجاه السكة الحديدية .

حاول بريوز التثبيت بأي شيء ، لكنه سقط على ظهره  
وارتطمت قفاه ارتطاماً خفيفاً بالبلاط . ولمكس في هذه الأثناء  
من أن يرى في قبة السماء ، ولكن لم يعد يدرى الى يمينه أم  
يساره ، البدر يلوح ذهبياً . استطاع بريوز أن ينقلب على جنبه  
وان يشد في اللحظة نفسها رجله الى بطنه بحركة عنيفة . وتبين  
وهو ينقلب وجه سائلة الترام المبيض تماماً من الرعب يتدفق  
نحوه بقوة لا تقاوم ، وعلى رأسها عصاية قانية الحسرة . لسم  
تند عن بريوز صرخة ، لكن الشارع حوله ضج كله بأصوات



تسائية يانصة . وشهدت السائقة المكبح الكهربائي بفتحة فكبت  
العائلة بمقدمتها على الأرض والرتجت لحظة بعنف لتطير زجاج  
النوافذ محدثاً قصفاً ودويماً شديداً . وهنا صرخ شخص ما في  
دماغ برليوز في رأس : «حقاً ؟ . . » . ومرة أخرى هي الأخيرة  
لاح القمر لكسبه كان الآن متصلاً كسراً كسراً والطبق  
الظلام .

وغطت العائلة برليوز ، فإذا بشيء قائم مدور يتطير الى  
البلاطات المتحدرة قرب الحاجز المشبك لمسر بتريوشيني ، ثم  
ياخذ بالتدحرج عليها والقفز على بلاطات شارع برونايا .  
لم يكن هذا الشيء سوى رأس برليوز المقطوع .

## الفصل الرابع

### المطاردة

خبت صيحات النساء الهستيرية وصعدت صفارات الشرطة  
وتقلت سيارتنا صفة العصاين : الأولى جثة برليوز المقطوعة  
الرأس ورأسه المقطوع الى معرض الجثث والثانية السائقة الحسنة  
التي أصابها شظايا الزجاج المتناثر بجروح . وأزال الكناسون  
في مراييلهم البيض شظايا الزجاج وطعموا برك الدم بالرمل ،  
أما إيفان تيغولايتش فقد تسمر على المقعد الذي سقط عليه  
دون أن يبلغ الباب الدوار .

حاول النهوض عدة مرات ، لكن قدميه لم تطاوعاه - فقد  
أصاب بيژدومني ما يشبه الشلل .

ما إن سمع الشارع أول صرخة حتى اندفع عدواً الى الباب  
الدوار ورأى رأس برليوز يتدحرج على الرصيف . لقد جن جنونه  
ما سمع ورأى ، حتى أنه وقد هوى على المقعد أخذ يعض يده  
حتى سال منها الدم . لقد نسي أمر الالغائي المعجون بطبيعة  
الحال . ولم يحاول إلا أمراً واحداً أن يفهم كيف يمكن لهذا أن  
يحدث - قبل دقيقة كان يتحدث الى برليوز والآن رأسه . . .

كان الناس يتراكمون في السر قرب الشاعر في اضطراب  
متصايحين بكلمات لم يح منها ايذان نيغولايفتش شيئاً .  
وفجأة التفت امرأتان عرضاً قرب بيژدومني تصرخت احدهما ،  
وهي ذات انف دقيق ورأس مكشوف ، تقول للأخرى فوق اذن  
الشاعر تماماً :

- آوشكا ، آوشكاتا التي من شارع سادوفايا ! انها  
لعللتها ! اشترت من البقالية ليترأ من زيت عباد الشمس ، ثم  
هناك عند الباب الدوار سقطت منها القثينة ! لقد لطعت كل  
ثوبوتها . . . كم سبت وكم شتمت ! والأخر ، هذا المسكين ،  
زلقت قدمه وراح على السكة . . .

من كل ما صرخت به المرأة لم يعلق بدماغ ايفسان  
نيغولايفتش المخلل الا كلمة واحدة : «آوشكا» . . .

- آوشكا . . . آوشكا ؟ - ثمم الشاعر وهو يتطلع حوله  
في قلل ، - علواً ، علواً . . .

بكلمة «آوشكا» كانت ترتبط كلمات «زيت عباد الشمس»  
ثم ، والسبب لا يعرفه ، كلمتها «بيلاطس البنطي» . استبعد  
الشاعر بيلاطس ، وأخذ يعقد السلسلة حلقة حلقة بدءاً من كلمة  
«آوشكا» . وقد اعتقدت له حلقاتها بسرعة فائقة وأدبت في الحال  
الى البروفيسور المجنون .

علواً ! لكنه هو نفسه الذي قال ان الاجتماع لن يعلد ،  
لان آوشكا اراقت الزيت . وهامو ذا لن ينعقد ! واكثر من  
هذا : قال بصراحة ان امرأة مستقطع رأس برليوز ١٩ نعم ، نعم ،  
نعم ! لقد كان سابق الترام امرأة ؟ ! هذا كله ما عساه  
يكون ؟

لسم يبق في رأس الشاعر ذرة شك في ان هذا المستشار  
الغامض كان يعرف على وجه الدقة ومسبقاً بصورة ما هذه البيعة  
الضنيعة التي ماتها برليوز . وهنا اختزلت دماغ الشاعر فكرتان .  
الأولى : «انه ليس مجنوناً على الاطلاق ! والتفكير في هذا  
سخالة !» والثانية : «الا يكون هو الذي رتب هذا كله ١٩» .

ولكن ، علواً ، كيف كان هذا ؟

- اي . . . لا ! هذا ما ستعرفه ا

ويجهد كبير تعامل ايذان نيغولايفتش على نفسه ، فهب ناهضاً

من مقعدته واندفع عائداً اندراجسه الى حيث كان يتحدث الى  
البروفيسور . ولحسن حظه تبين له ان البروفيسور لم يبرح  
مكانه .

لقد اضيئت المصابيح في شارع برونايا ، اما بتربرشيبي  
يرودي قائلوها البدر الذهبي ، وفي ضوء البدر الغامض دائماً  
يدا لايفسان نيولوايفتشس وكان البروفيسور يمسك تحت ابطه  
سيف لا عصا .

كان المرتل الدجال المتقاعد يجلس في المكان نفسه الذي  
كان ايفان نيولوايفتشس نفسه يجلس فيه من برهة . لكن المرتل  
كان قد وضع الآن نظارة انفية غير لازمة له اطلاقاً ، كما نهياً  
لايفان نيولوايفتشس بجلاء . فقد كانت احدى عينيهما بزجاجة متشققة  
والأخرى بدون زجاجة اطلاقاً . وفي هذه الصورة بدا السيد ذو  
الرسوم الرهيبة أشد كراهية ممساكاً حين دل برليوز على  
الطريق المؤدية الى السكة الحديدية .

وبقلب دبت فيه البرودة دنا ايفان من البروفيسور وتفرس  
في وجهه قتيلاً ان ليس على هذا الوجه . ولم تكن عليه أبداً  
علامات الجنون .

وسأله بصوت مخنوق :

- اعترف ، من تكون ؟

قلب الأجنبي جبينه ، وتطلع الى الشاعر كأنما يراء لأول  
مرة وأجاب بجلاء :

- لا تفهم . . . روسي كلام . . .

- انه لا يفهم ! - تدخل المرتل في الحديث من مقعدته  
مع ان أحداً لم يطلب اليه توضيح ما قاله الأجنبي .

- لا تتظاهر بالسكينة ! - قال ايفان متوعداً . وشعر ان  
البرد يتسلل الى فم معدته . - قبل فترة وجيزة كنت تتكلم  
الروسية بطلاقة متناهية . انت لست ألمانيا ولا بروفيسوراً !  
انت فانتسل وجاسوس ! أورانك ! أورانك ! - صرخ ايفسان  
بغيظ .

عرج البروفيسور الغامض ينلور فمه الأوج أصلاً وهن  
كتفيه .

وتدخل المرتل المقررف ثانية :

- ايها المواطن ، لماذا تزعج السائح على هذا الشكل ؟  
ستحاسب حساباً قصيراً على هذا ! - اما البروفيسور اليريب  
فقد اصطنع وجهاً يفيض بالترفع واستنار وعض مبتعداً .  
شعر ايغان انه يفقد صوابه . فتوجه الى المرتل يقول له  
ونفسه يكاد يتقطع :

- ايه ، ايها المواطن ، ساعدني في الامساك بالمجرم ا  
من واجبك ان تفعل هذا .

ديت في المرتل حيوية فائقة فهب واقفاً وصرخ :

- من المجرم ؟ اين هو ؟ المجرم الاجنبي ؟ - هنا ثلاث  
عينا المرتل بيريح اليهجه . - هذا ؟ اذا كان مجرماً فأول ما  
يجب فعله ان نتادي : والا فر منا . عينا تصرخ معاً . بصوت  
واحد ! - وهنا نفر المرتل شدته .

امتثل ايغان العائر للمرتل الهازل وصرخ : «التجته» . لكن  
المرتل خدعه فلم يصرخ .

لم تات صرخة ايغان اليهيمية المبحوحة بالنتائج المرجوة . بل  
ان صيبتين كانتا تمران هناك بطلتا ، وسمع كلمة «سگران» .  
- انت شريكه اذن ؟ - صرخ ايغان وقد تملكه الغضب . -  
ما هذا . هل تسخر مني ؟ دعني ا

اندفع ايغان الى اليمين فاذا بالمرتل يندفع معه الى اليمين ا  
فاندفع الى اليسار فاذا بالساقط يندفع الى اليسار .

- هل تعثر عند قدمي عمداً ؟ - صرخ ايغان كالوحش -  
سأسلمك انت نفسك الى الشرطة !

وحاول ايغان امساك هذا الساقط من كفه لكنه اخطأ  
فاختل المرتل كان الأرض اتسقت عنه وابتلعتة . ثابره ايغان  
والتر نظرة الى البعيد فرأى المجهول اليهيمى . كان عند المخرج  
المزدي الى زقاق بتريرشيمي . ولم يكن وحده . فقد تمكن المرتل  
الاكثر من مريب اللحاق به خلال ذلك . ولم يكن هذا كسبل  
شيء . بل انضم اليهما قط ضخم كالخنزير . اسود كالغراب  
او السلام . ذو شاربين هائلين كسوارب الفرسان . لا يدري  
أحد من أين وكيف ظهر الى جانبهما . كان الثلاثة يمشون باتجاه  
زقاق بتريرشيمي الا ان الهر كان يمشي على قانتية الخلفيتين .

وحت ايغان الخطو اثر هزلا، الأستوار لكنه سرعان ما اقتنع  
بانه سيكون من الصعوبة بمكان اللحاق بهم .

وفي لحظة عين عيسر الثلاثي الزقاق ومسار في شارع  
سبيريدونوفكا . وهما حاول ايغان حت الخطى ، لم تكن المسافة  
بينه وبينهم تنقلص مقدار شعرة . وما ان تاب الشاهر الى نفسه  
حتى وجد نفسه عند بوابة نيكييتسكي . وهنا ساء وضعه اذ بعد  
زقاق سبيريدونوفكا الهادي كان الشارع هنا يعج بالناس .  
اصطدم ايغان بأحد المارة فأطره هذا سبباً من الشتمان . زد على  
ذلك ان العصابة قررت هنا اللجوء الى أسلوب العصايات  
المفضل - الى الطرق .

فقر المرتل على الماشي الى الجاص المنطلق الى مساحة أرويات  
بخلة عظيمة وتوارى عن الأنظار . واذا رأى ايغان انه أخضع  
أحد الملاحظين ركز اهتمامه على القط قرأى هذا القط الغريب  
يدنو من سلم عربة الترام «ا» ذات المحرك الواقفة في موقفها  
ويدفع يوقاحة امرأة أخذت تزحف من ذعرها . ويتشبث  
بالدوايزين ، بل يحاول دس فكته في يد الجايبة عبر النافذة  
المتوحة بسبب الجر الخاطئ .

صعق تصرف القط ايغان بحيث جمد في مكانه أمام البقالية  
في زاوية الشارع . لكنه صنع أكثر من تصرف الجايبة . فما  
ان رأت هذه القط ينسل الى الترام حتى أخذت تزحف بغيظ  
اعتز له جسمها كله :

- ركوب التلط متنوع ! متنوع الركوب برفقة القطط !  
بس ! انزل والا دعوت الشرطة !

وللحقيقة نقول ان ما اذهل الجايبة والركاب لم يكن جوهر  
الموضوع : فان ينسل قط الى ترام ليس سوى نصف مصيبة .  
أما ان يتأهب للدفع !

ولقد تبين ان القط ليس قادراً على الدفع وحسب . بل  
انه حيوان منضبط أيضاً . فلدى أول زعقة من الجايبة أوقف  
تقدمه وقفز من السلم وجلس على الموقف وهو يسبح شاربيبه  
بالفكة . لكن ما ان شدت الجايبة الحيل وتحرك الترام حتى  
تصرف القط كما يتصرف أي شخص يطرد من ترام لا بد له  
من ركوبه . فقد انتظر حتى مرت أمامه العربات الثلاث كلها

تقلز على القوس الخلفي لآخرها ، وتشبث بقائمه بأنبوب هناك  
بارز من جدار العربة ومضى موفراً هكذا الفكة على نفسه .  
ولانشغال ايفان بهذا القط اللعين كاد يضيع أخطر الثلاثة -  
البروفيسور . لكن هذا ، لحسن الحظ ، لم يتمكن من التواري .  
تقد لمح ايفان قبعته الرمادية المستديرة في الزحام في أول شارع  
بولشايا نيكيتسكايا أو هرلسن . وفي وضحة عيسن صار ايفان  
هناك . لكن التوفيق لم يحالفه . حث الشاعر الخطي ، بل انه  
أخذ يعدو صامعاً المارة ، لكنه لم يزد من البروفيسور قريباً  
حتى ولو استنمتر واحد .

وبعث ايفان رغم شدة اضطرابه للسرعة الخارقة التي  
تمت بها المطاردة . فلم تكه تضي عشرون ثانية حتى كان  
يقطع شارع نيكيتسكايا الى ساحة أربأت التي بهرت عينيه  
بالمباني . ومضت بضع ثوان أخرى فإذا هو في زقاق عالم ذي  
أرضة ملتوية عثرت قدم ايفان نيقولايفتش عليها فهوى على  
الأرض ورض ركبته . ومن ثم وجد نفسه من جديد في شارع  
عريض مضاء - شارع كروبوتكينسكايا ، ثم في زقاق ، ثم في  
أوستوجينكا فزقاق آخر كثيب ، بضع ، مضاء بأتوار خائفة .  
هنا بالسيط أضاع ايفان نيقولايفتش نهائياً من كان في مسيس  
الحاجة اليه ، اختلى البروفيسور .

اختلط العابل بالنابل في رأس ايفان نيقولايفتش . المساء  
لفترة قصيرة ، ذاك انه تصور أن البروفيسور لا بد ان يكون  
بالتاكيد في البناية رقم ١٣ ، وفي الضفة ٤٧ حتماً .

مرق ايفسان نيقولايفتش من المدخل الخارجي وطار الى  
الطابق التالي . وجد الشقة المطلوبة على الفور وأخذ يقرع جرس  
الباب بالعاج . ولم يطل انتظاره فقد فتحت له فتاة صغيرة في  
الغامسة من عمرها تقريباً ، ومضت فوراً دون أن تسأل الطارق  
شيئاً .

في مدخل الشقة الضخم الجهل عمالاً نظيفاً ، والمضاء بنور  
خافت من مصباح كربوني صغير جداً تحت سقف عالٍ اسود من  
الوسخ . كانت تتدل على الجدار دراجة دون اطارات ، ويقوم في  
جانبه صندوق هائل مصفح بالحديد ، وعلى رف فوق المشجب  
قبعة شتوية تتدل اذناها الطويلتان الى أسفل . وخلف أحد

الأبواب كان يدوي صوت رجالي غاضب من الشذاج باييات من  
الشعر .

لم يشعر ايلسان نيولايفتش بأي ارتباك في هذا الوضع  
الجديد غير المألوف ، بل اندلع على وجهه في العمر وهو يقول  
لنفسه : « لقد اختبأ في الحمام طبعاً ! » . كان العمر مطلقاً ، إلا  
أن ايلسان نيولايفتش رأى ، وهو يخطئ بين الجدران ، شيئاً  
خفيفاً من الضوء تحسنت أحد الأبواب ، فتلمس متبجسه وجذبه  
يرقق . سقط الخطاف فوجد ايلسان نفسه في الحمام كما توسع  
بالشبط ، وحسب ان الحظ حاله .

إلا ان الحظ لم يعالقه كما كان ينبغي ! فخرج وجه ايلسان  
دفء مشبع بالرطوبة ، وعلى نور جمرات الفحم في السخنة  
استطاع ان يثبث طسوتا كبيرة معلقة على الجدار ومغطى مطلقاً  
كله ببقع سود مخيفة بفعل الميناء المتآكل والمتساقط . وفي  
هذا المغطس كانت تقف امرأة عارية يغطيها الصابون وتحصل  
ليفة في يدها . زرمت المرأة حينئذ في نظرة كليلة الى ايلسان  
المتسلل ، لكنهما أخطات لتمييزه في هذه الاضاءة البشعة على  
الأرجح . فقالت بصوت خافت مرح :

- كيروشكا ! لا تحاول اهل جنتك ؟ . فيدور ايلانيتش  
عائد للحال . هيا من هنا في الحال ! - ولوح بالليفة صوب  
ايلسان .

كان الإشكال واضحاً ، وسببه ايلسان ليولايفتش بطبيعة  
الحال . لكنه لم يشأ ان يعترف بخطئه ، بل هتف في لهجة  
عتاب : « يا للعاهرة ! » والسبب لم يدركه وجد نفسه في المطبخ .  
لم يكن في المطبخ احد ، اللهم الا نحو عشرة وابورات كالأ  
مطفاة تلعب صامتة في نصف الظلمة على الموقد . والا ضوء القمر  
ينسلل شحياً من النافذة المطيرة التي لم تسمح من سنوات  
لينير زاوية تتدلى فيها ايقونة منسوبة يملؤها الغبار ونسيج  
العنكبوت ويبرز وراء قفصها الزجاجي طرفا شمعتين من شمعات  
الأعراس . وايقونة اخرى اصغر من الورق معلقة تحتها .

لا أحد يدوي ما الذي دار برأس ايلسان . لكنه ، قبل ان  
ينطلق الى المدخل الخلفي . أخذ إحدى الشمعتين وكذلك الايقونة  
الورقية ، وفادر بهما الشقة الغربية وهو يججم بكلمات غير

مطلوبة مع شعور بالحيرة مما رآه وعاناه في الحمام ورغبة لا ارادية في كشف سر كيروشكا الواقع هذا . وما اذا لم يكن هو صاحب القبة المطيئة ذات الأذنين .

وفي الزقاق الكتيب الغالي تلفت الشاعر حوله يبحث عن الهارب . لكنه لم يعثر له على أي أثر . اذك قال ايفان في نفسه جازماً :

- انه على نهر الموسكوفاً طبعاً ا هيا ا

كان يجب ان يسأل ايفان نيقولايفتش لماذا يفترض وجود البروليسور على نهر الموسكوفاً بالذات وليس في أي مكان آخر . لكن المصيبة انه لم يكن هناك من يساله . فقد كان الزقاق المطيئ خالياً من الناس تماماً .

وبعد فترة جد وجيزة كان بالامكان رؤية ايفان نيقولايفتش على درجات رصيف نهر الموسكوفاً الغرائبية .

خلع ايفان ثيابه وعهد بهسا الى رجل ملتج لطيف المظهر يدخن لفاقة قرب القميص طويل ابيض مزرق وحذاء بال حل رباطه . لوح بيديه كي يتبرد قليلاً ثم فلف نفسه في الماء . احس بانتفاسه تنحبس في صدره لشفة برودة الماء . بل زاودته لحظة فكرة انه لن يستطيع الطفو على سطح الماء . لكنه طفا مع ذلك واخذ يعوم وهو يلهث وينخر . وقد تكورت عينساء من الرعب . في ماء اسود تفوح منه رائحة النفط بين التمرجات المتكسرة لصاييح الضفة .

وعندما عاد ايفان المبلل يجعل على درجات الملعب الى حيث يقف لباسه بحراسة الملتحي . تبين له انها كلاهها . اللباس والملتحي نفسه . اختطفا ولم يبق في المكان الذي ترك فيه كومة ثيابه سوى السروال الداخلي المخطط والقميص المزرق والشمعة والأيقونة الصغيرة وعلبة النشاب . وبقيط العاجز لوح ايفان بقبضته لشخص ما في الجعيد متوعداً وارتمى ما ترك له .

وهنا اخذت فكرتان توارثانه : الأولى اختفاء بطاقة عضويته في العاسوليت التي لم يكن يلتحق عنها ابداً . والثانية ان كان بإمكانه ان يسير في موسكو على هذه الصورة دون عائق . فهو في السروال الداخلي فقط . . . ولكن ما شأن الناس به . المهم الا يحدث أي تعنت لا يمرر له أو تاخير .



قطع ايغان أزرار السروال الداخلي عند الكاحل لعله بذلك يشبه بنظراً صيفياً ، وتناول الايقونة والسبعة وعلية الكتاب وانطلق وهو يقول لنفسه :

- الى غريبويديوف ! انه هناك دون شك .

كانت المدينة قد أخذت تعيش حياتها المسائية . وكانت الشاحنات تنطلق في سحابات من الغبار متصللة بسلاسلها وعمل ظهرها يستلقي على الأكياس رجال يبطلون مشرانية الى أهل . كانت كل النوافذ مشرعة ، وفي كل نافذة من هذه النوافذ كان يشع نور تحت غطاء برتقالي ، ومن كل النوافذ ، ومن كل الأبواب ، ومن كل الاطناف ، من الأسطح والعلالي ، من الأقبية والأفتية كان ينطلق هدير الجولونيز من أوبرا "بلفيشي اونيفين" مبحوحاً .

وكان المخاوف ايغان تيقولوا يفتش ما يبررها تماماً : فقد أخذ المارة يلتفتون اليه ويشيحون برؤوسهم . وعمل هذا فقد قرر هجر الشوارع الكبيرة ، والتسلل في الأزقة الضيقة حيث الناس أقل لجاجة ، وحيث احتمالات معاكسة الناس لانسان حاقب ومضايقتهم له بأسئلة عن السروال الداخلي الذي لم يرفق في اصرار أن يشبه البنطال أهل .

وكما قرر ايغان فعل - توغل في الشبكة الغامضة من أزقة أريبات ، وأخذ يتسلل بحالاته الجدران وهو ينظر حوله بدمر ويتلفت كل دقيقة ، ويختبئ أحياناً في المداخل متحاشياً مفترقات الطرق التي تقوم عليها أضواء المرور والأبواب الأنيقة لدور السفارات .

وعمل طول طريقه الصعب هذا لسم يدر لماذا كانت هذه الأوركسترا ، التي تملأ كل مكان والتي يراقعها صوت غليظ ثقيل يغشي حبه ثنائياتنا ، تعذب هذا العذاب الذي لا يوصف .

## الفصل الخامس

### ... وحدث في غريبويديوف

كان البيت العتيق العاجي اللون يقع بطابقيه الاتنين على البروفار المعلق في عمق حديقة ذابلة يفصلها عن رحيف

اليولفار حاجز من الحديد المشمسك المنقوش . وكانت الباحة الصغيرة أمام البيت مطروشة بالاسفلت . وكانت هذه الباحة تتحول في الشتاء الى كتيب تلجى تعلوه مجرفة . وفي الصيف الى مطعم صيفي رائع تعلوه مظلة من القماش القطني .

وكان هذا البيت يدعى «بيت غريبويدوف» على أساس ان عمه الكاتب الكسندر سرغيفيتش غريبويدوف كانت تملكه في زمن ما ، حسب ما يقال . لكن هل ملكت حقاً هذا البيت أم لا . ذلك أمر لا نعرفه بالضبط . بل يذكر أيضاً انه لم تكن لغريبويدوف أبداً على ما يبدو أي عمه صاحبة بيت . . . الا انهم هكذا سموا البيت . زد على ذلك ان أحد كتابي موسكو كان يدعي ان الكاتب المشهور قرا لعنته تلك مقاطع من مسرحيته «الضياء بسبب العقل» وهي مستلقة على الصوفا في القاعة المستديرة ذات الأعمدة التي في الطابق الثاني على وجه الضبط . وعلى أي حال . الشيطان أعلم - لعنه قرا لها بالفعل . لكن ليس هذا هو المهم !

المهم ان الماسوليت الذي كان يقوم على رأسه المسكين ميخائيل الكسندروفيتش برليوز قسمل حضوره الى بتريوشين يرودي هو الذي يملك هذا البيت في الوقت الراهن . وعلى غرار أعضاء الماسوليت لم يكن أحد يدعو البيت «بيت غريبويدوف» . بل كان الجميع يتولون ببساطة «غريبويدوف» : «البارحة أضيفت ساعتين عند غريبويدوف أمس . . .» - «وماذا كانت النتيجة؟» - «ظفرت ببطاقة الى يالطا لمدة شهر» - «يرافو!» . أو : «اذهب الى برليوز . انه يستقبل المسوم في غريبويدوف من الرابعة حتى الخامسة . . . وهكذا دواليك . استقر الماسوليت في غريبويدوف على نحو لا أبداع منه ولا أربح . كان الداخل الى غريبويدوف يتعرف من غير قصد اول ما يتعرف على اعلانات الحلقات الرياضية المختلفة . وعلى صور أعضاء الماسوليت الجماعية والفردية المعلقة على جدران المدرج المؤدي الى الطابق الثاني .

وعلى باب الغرفة الأولى في هذا الطابق العلوي كانت تبرز كتابة بخط كبير «مجموعة سيد السمك والاصطياف» والى جانبها مباشرة صورة شبوط عالق بصنارة .

وعلى باب الغرفة رقم ٢ كتب كلام غير مفهوم تماماً : «رحلة  
إبداعية ليوم واحد ، المراجعة عند م . ف . ب . بودلوجنايا» .  
وكان الباب التالي يحمل كتابة موجزة ، لكنها غير مفهومة على  
الاطلاق : «بيريليفتو» . ثم تأخذ عينا من يزور غريبويدوف  
عابرا ترفلان من الكتابات المبرقشة على أبواب العمة المصنوعة  
من خشب الجوز : «تسجيل الدور للحصول على ورق عند  
بركليفيكينا» ، «الصندوق» ، «الحسابات الشخصية لأصحاب  
السكنشات» .

وإذا ما تيسر للمرء شق الصف الطويل جداً الذي يبدأ  
تحت ، من لفافة البوابين ، استطاع أن يرى كتابة على باب  
يتزاحم الناس عنده كل ثانية «قضايا الشقق» .  
وبعد «قضايا الشقق» كانت تنبسط أمام عيني الزائر يالطة  
لحظة رسمت عليها صخرة يبدو غسل لمتها فارس يضع عباءة  
ويحمل بتدقيقه على كتفه . ولحمته ليلياً أشجار نخيل وشرفة ،  
وعلى الشرفة يجلس شاب كتملى ذؤابة من شعره ويحمل قلماً  
بيده ويحتمل إلى العلاء بعينين جسوريتين للغاية . ثم كتابة :  
«إجازات تفرغ كامل للإبداع من اسبوعين (للقصة) وحتى عام  
واحد (للرواية والثلاثية)» ، يالطا ، سوروليمو ، بودوفوي ،  
تسيغيدزوي ، ماخنجوري ، لينينغراد (القصر الشتوي) . وعند  
هذا الباب أيضاً كان يقف طابور لكنه ليس ضخماً - نحو مائة  
وخمسين شخصاً .

تلى ذلك ، وبالتساوق مسبح منحرجات بيت غريبويدوف  
العشوائية - مرتفعات ومنحدراته - «إدارة الجاسوليت» ،  
«الصناديق رقم ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥» ، «هيئة التحرير» ، «رئيس  
الجاسوليت» ، «ساعة البليزر» ، ثم القسم فرعية مختلفة وأخيراً  
تلك القاعة أياها ذات الأعمدة حيث كانت العمة تستمتع بمياه  
ابن أخيها العبري .

وكان كل زائر يجد نفسه في غريبويدوف يدرك على الفور ،  
هذا أن لم يكن على غيباء مطبق ، مقدار ما يتمتع به هؤلاء  
المحظوظون أعضاء الجاسوليت من رغد وطيب عيش . ويبدأ  
الحسد الأسود ينخر قلبه للتو . وللتو أيضاً كان يرفع إلى  
السماء عتاباً مرأ على أنها لم تنعم عليه منسند ولادته بوهبة

أدبية ، إذ بدونها ، وهذا طبيعي ، من العيث أن يعلم بامتلاك  
بطالة ضنوية الهاموليت البنية ذات الكنار اللحمي المريض التي  
تفوح منها رائحة جلد ثمين - تلك البطافة التي تعرفها موسكو  
كلها .

من ذا الذي بإمكانه قول كلمة دفاع عن الحسد ؟ انه عاطفة  
من نوع ودي ، لكن علينا ، مع هذا ، ان نتلهم وضع الزائر ،  
فما رآه في الطابق الثاني من بيت العمه لم يكن كل شيء ، بل  
ابعد من ان يكون كل شيء . فالطابق السفلي من بيت العمه  
كان مشغولاً كله بمطعم وأي مطعم ! اعثير ، والحق يقال ،  
احسن مطعم في موسكو ، وما ذلك لأن المطعم كان يمتد قاعتين  
كبيرتين ذاتي سقفين مديبين مزخرفين بجياد ليلكية ذات اعراف  
اشورية ، أو لانه كان على كل طاولة مصباح مغطى بشال ، أو  
لانه لم يكن باستطاعة كل من عب ودب دخوله وحسب ، بل لانه  
كان بتوجيه أطبافه بهذا أي مطعم في موسكو ، ولأن هذه الاطباق  
كانت تقدم بانتسب الأسعار ، أسعار لا تنقل كاهل زبائنه .  
وعلى هذا ليس في هذا الحديث ، مثلاً ، والذي سمعه ذات  
مرة كاتب هذه السطور الصادقة كل الصفق قرب الحاجز الحديدي  
الشبيك من حربيوييدوف ما يشير الاستغراب :

- أين تتعشى اليوم يا أمفروسي ؟  
- ما هذا السؤال ، يا عزيزي فوكا ، هنا طبعاً ! لقد أسرنا  
في اليوم ارتشيبالد ارتشيبالدوتش اننا سيقدم طبق من سمك  
الصنندر «أ تويريل» ا شيء رائع !  
- تعرف كيف تعيش ، يا أمفروسي ! - اجاب فوكا الهزيل  
الهبل المنظر ، المغطى الرقيقة بالعمل الكبير ، أمفروسي  
الشاعر المعلق القامة ذا الشفتين الورديتين والشعر الذهبي  
والخدين المنتفخين متنهماً .

- ليست هذه شطارة خاصة ، - رد أمفروسي متعزباً ، -  
بل رغبة طبيعية في العيش عيشة انسانية . تريد ان تقول انه  
يمكن ان نجد سمك الصنندر في «الكوليزي» ايضاً . لكن ليست  
طبق سمك الصنندر هناك ثلاثة عشر روبلاً وخمسة عشر كوبيكاً ،  
بينما هي عندنا هنا خمسة روبلات وخمسون كوبيكاً ! زد على  
ذلك ان سمك الصنندر في «الكوليزي» يأت من ثلاثة أيام ، وزد

على هذا وذلك أنك لا تستطيع أن تضمن ألا يرمى أول شباب  
ينسل من زقاق تيارالتي عنقوداً من العنب في سحنتك . لا ،  
أنا قطعاً ضد «الكوليزي» ، - كان صوت أمفروسي المتناق في  
الأكل والشراب يدوي في البولفار كلسه . - لا تحاول اقتنامي  
يا فوكا .

- اني لا أحاول اقتناعك يا أمفروسي . - أجابه فوكا  
بصوت كالصاصاء . - بإمكانني أن اتعش في البيت .  
- كما تشاء . أجاب أمفروسي بنفس صوته العاوي . -  
اتصور زوجتك وهي تحاول وضع طبق من سمك الصنندر  
«أنتوريل» في طنجرة في المطبخ العمومي ! هي - هي - هي ! . .  
أورلوار فوكا ، - واسرع وهو يدلنن إلى الشرفة تحت المظلة  
الواقية .

أو - أو - أو . . . نعم كان هذا كله وأكثر ! . . وما  
أشد ما يذكر القدامى من سكان موسكو غريبوييدوف الشهير !  
فما طبق سمك الصنندر المصلوق هذا ! أنه ليس سوى تفاعلة  
أيها العزيز أمفروسي ! والحفش ، الحفش الصغير في العنسة  
الفضية ، الحفش قطعاً مفضلة بحضرة برفاب السرطان النهري  
والكافيار الطازج ؟ والبيض «كوكوت» بعصيدة الفطر في فناجين ؟  
ولحم الشعور الم يعجبك ؟ الشعور بالكماة ؟ والسلماني على  
الطريقة الجنوبية ؟ وكل هذا بعشرة روبلات وخمسين كوبيكا !  
والجواز والخدمة المهدبة ! وصحن حساء «البريتالير» المذهب  
على سباط ناصع على الشرفة في ظل دولي الكرمة المتشابكة في  
شهر تموز حينما تكون اسرتك كلها في الفيلا وانت في المدينة  
بسبب شؤون أدبية عاجلة ؟ هل تذكر يا أمفروسي ؟ ما أسخط  
هذا السؤال ! فانا أرى من سفتيك أنك تذكر . فما اطباق سمك  
الصنندر واللور ! والشنقب والبكاشين ودجاجة الغاية ودجاجة  
الأرض في أوانيسا والسمانى ! ومساء التارزان يقرر في  
الحلق ؟ ! لكن كلاك ، يا فارلي ، أخذت تشرد ! فيها معنى . . .  
في منتصف الحادية عشرة من مساء ذلك اليوم الذي قتل  
فيه برليوز في بتربرشيبي يرودي . لم تكن تضيء في الطابق  
العلوي إلا غرفة واحدة . وفي هذه الغرفة التقى اثنا عشر أدبياً

للإجتماع الموعود . كانوا ينتظرون قدوم ميخائيل الكسلندوفتش ، وكان الانتظار بدأ يرهقهم .

كانوا يجلسون على الكراسي وعلى الطاولات ، بل حتى على وفي النافذتين في مكتب ادارة لياسوليت ، وكانوا يعانون معاناة حقيقية من الجو الخانق . فلم تكن أي نسيمة منعشة تنفذ الى الغرفة من النافذتين المشرعتين ، بل كانت موسكو تنفث الكيف الذي اختزنته في اسفلتها طول النهار ، وكان واضحاً ان الليل لن يخفف من حدة هذا الجو الخانق . وكانت رائحة البصل تهب عليهم من قبو بيت العمه حيث يعمل مطبخ المطعم . كانوا جميعهم يريدون ان يبللوا ريقهم ، وكانوا كلهم متوترى الانصاب ، ساهطين .

سحب بيسكودنيكوف ، وهو كاتب قصص قصيرة رائجة هادى ، لائق المجلس وذو عيشتين يقظتين لكنهما في الوقت نفسه لا تستقران على شيء ، ساعتته . كان العقرب يزحف نحو الحادية عشرة . لقر بيسكودنيكوف على ميناء الساعة بأصبعه وأراء جاره الشاعر دفورياتسكي الذي كان يجلس على الطاولة ويترجم قصيدته في حذائهما الأصفر ذى النعل المطاطي من ملته .

- ومع هذا . . . - ججم دفورياتسكي .

- لا بد ان الرجل تأخر في كلاًهما ، - ودأت بصوت غليظ نستانسيا لوكيشينا ليبريميتوفسكا ، وهي يتيمة أب من تجار موسكو أصبحت ليما بعد كاتبة تؤلف قصصاً عن المارك البحرية تحت اسم مستعار «الملاح جورج» .

- العفوا . - تدخل كاتب الاسكيتشات الشعبية زاهر يفوف بجراء في الحديث . - وأنا ايضاً بودني لو اشرب قدحاً مسن الشاي على الشرفة بدلاً من ان اجلس هنا وانسلق . الاجتماع في العاشرة اليس كذلك ؟

- الجو لطيف الآن في كلاًهما . - قالت «الملاح جورج» ، التي كانت تعرف تماماً ان قرية بيريلينغو حيث الفيلات العائدة لياسوليت تقع على ضفة نهر كلاًهما موضع وجع بالنسيمة للجميع ، كالما لتزيد من برم الحاضرين . - لا بد ان الحماسيين تغرد الآن هناك . وأنا شخصياً اقبل على العمل على نحو افضل في الضاحية ولاسيما في الربيع .

- للمام الثالث على التوالي وأنا أسعد الاشتراك المطلوب  
كما استطع إرسال زوجتي المصابة بضمخ الغدة الدرقية الى  
هذه الجنة ، ومع هذا لم تلح حتى الآن بارقة أمل بين الأمواج ،  
- قال الكاتب القصصي ايرونيم بويرينغين بسخرية ومرارة ،  
- هذا يتوقف على صاحب الحظ . . . - هدير صوت  
الثائد اياهكوف من رف الناظفة .

تلاأت عينا «الملاح جورج» الصغيرتان بالغبطة ، وقالت وهي  
تحاول تلطيف صوتها الغليظ :

- لا داعي للحمص أيها الرفاق ، ليس هناك سوى اثنتين  
وعشرين فيلا ، والآن يجري بناء سبع قلط ، بينما نحن ثلاثة  
آلاف في الماسوليت .

- ثلاثة آلاف ومائة واحد عشر ، - تدخل احداهم من  
الزاوية مصحفاً .

- أرايت ا - تابعت «الملاح» - مسا العمل إذن ؟ من

الطبيعي ان يحصل على الميلاز اكثرنا موهبة . . .

- الجترالات ا - زج كاتب السيناريو غلوخاريوف نفسه في  
خضم المضاحنة زجاً .

تظاهر بيسكودنيكوف بالتناؤب وغادر الغرفة .

- وحده في خمس غرف في بيريلينغو ، - قال في انصره  
غلوخاريوف .

- ولافروفيتش وحده في ست غرف ، - صرخ دينيسكين ،

- وغرفة الطعام عنده من خشب البلوط ا .

- اي ، ليس هذا موضوعنا الآن ، - هدير اياهكوف ، -  
بل ان الثانية عشرة انتصفت .

وتعال اللخط والصخب فيما بدا نوعاً من التمرد والعصيان .

وأخذوا يهتفون الى بيريلينغو البيغيتة ، فلم يتعوا على فيلا

المطلوبة ، بل على فيلا للافروفيتش ، قيل لهم انه خرج الى خبطة

النهر فتعكر مزاجهم تماماً ، ثم هتفوا هكذا - كيفما اتفق الى

جمعية الأدب على الرقم الاضافي ٦٣٠ ، فلم يمشروا هناك على

أحد بطبيعة الحال .

- كان يوسع ان يهتف ا - صرخ دينيسكين وغلوخاريوف  
وكلمات .

آه ، عيناً كانوا يصرخون : إذ لم يكن يوسع ميخائيل الكسندروفتش ان يهتف الى أي مكان كان . فبعيداً ، بعيداً عن غريبويدوف ، وفي قاعة ضخمة تثيرها مصابيح بلوة ألف شمعة كان يتمدد على ثلاث مناضد من الزنك ما كان الى وقت قريب ميخائيل الكسندروفتش .

كانت على المنضدة الأولى جثة برليوز العارية التي تخر الدم عليها ويده المشددة وقلعه الصدري الممزق ، وعلى الثانية رأسه بأسنانه الأمامية المحطمة وعينيه المفتوحتين المتعكرتين اللتين لم يخطبهما الضوء الجارح ، وعلى الثالثة كومة من الخرق الخشنة .

وكان يقف الى جانب المقطوع الرأس مثل الطب الشرعي وهو بروفسور في الباثولوجيا التشريحية ، ومساعدته المشرح ، وممثلو التحقيق ، ونائب ميخائيل الكسندروفتش برليوز في رئاسة الجاسوليت الأدب جيلديبين الذي استمعني بالهاتف من قرب زوجته المريضة .

كانت قد وصلت سيارة الى بيت جيلديبين فحملته مع مثلي التحقيق (وكانت الساعة تقارب منتصف الليل) الى شقة القتل أولاً حيث تم ختم أوراقه ، ثم الى معرض الجثث .

وكان الواقفون الآن الى جانب رفات المرحوم يتشاورون فيما الأفضل فعله : هل يخطون الرأس المقطوع الى الرقبة أو يعرضون جثمانه في قاعة غريبويدوف بعد ان يخلطوا القتل حتى ذقنه تغطية محكمة بغطاء أسود ؟

أجل ، لم يكن يوسع ميخائيل الكسندروفتش ان يهتف الى أي مكان . وبعيناً كان دينيسكين ، وغلوخاريوف وكذات مسج يسكودنيكوف يتصايحون ويسخطون . ففي منتصف الليل تماماً غادر الأدياء الاثنا عشر الطابق العلوي ولزوا الى المطعم . وهنا عادوا فذكروا من جديد ميخائيل الكسندروفتش بالسوء في سرهم ، إذ كانت كل الطاومات التي على الشرفة مشغولة بطبيعة الحال ، مما اضطرهم الى الجلوس للعشاء في هاتين القاعتين الجيلتين حقاً انا الغائقتين .

وفي الثانية عشرة تماماً نصف في القاعة الأولى شيء ما وصوح وتناثر وتفاخر ، وللحال تعالي على ايقاعه صوت رجالي حاد يصرخ



باندفاع : «عليلوييا !» . كان هذا الجاز المشهور التابع لبيت  
لريموييدوف . بدأ كان الوجوه المتصببة بالعرق اشرفت ،  
والجبياد المرسومة على السقف دبت فيها الحياة ، ونور المصابيح  
ازداد وهجاً ، ونجاة كانما اغلقت كلا القاهتين ثم الشرفة مسن  
عقالها فاخذت ترقص .

رقص غلوخلوفوف مع الشاعرة لمارا بولوميسينس ، ورقص  
كفانت ، ورقص الرواني جوكولوف مع مثلة سينماية في فستان  
اصفر . ورقص درافونسكي وتشيردكتشي ، ودينيسكين الضئيل  
مع العملاقة «الملاح جورج» ، ورقصت المهندسة المعمارية الحسنة  
سيميكيناغال وقد تشبث بها مجهول في بنطال كثاني ابيض .  
رقص اعضاء الماسوليت وضيولهم ، موسكوفيين وغير موسكوفيين ،  
الكلاب ايوهان من كرواشتات ، وشخص من روستوف يظهر  
انه ملرج اسمه فيتيا كوفتيك ، على خده قوبة ليلية كبيرة .  
رقص ابرو منطلي جمعية الشعر في ماسوليت اي باليانوف  
وبوغوخولسكي وسلادكي ، وشييتشكين واديلغينا بوزديك ،  
وشبان مجهولو العمل بشعرهم الممرح على طريقة «يوكس»  
واكتافهم المبطنة بالنطن ، ورقص كهل متقدم في السن علفت  
في لحيته ريشة من البصل الأخضر وكانت تراقصه عانس كهلة في  
فستان قصير مكرمش من الحرير البرتقالي امتص عافيتها  
فقر الدم .

وكان التدل المتصببون عرقاً يحملون كؤوس البيرة المتحركة  
فوق رؤوسهم ويصرخون بأصوات مبحوحة تشي بالحد : «عقوا ،  
ايها المواطن !» . وفي مكان ما كان صوت أحدهم يصدر تعليماته  
بالبوق : «كباب واحد ! قدحان من الفودكا ! حساء بولوني  
باللحم !» ولم يعد الصوت العاد يفتسي . بل صار يعوي :  
«عليلوييا !» . وكانت فرقة الاراني التي كانت الغسالات يدفعتها  
الى المطبخ على مستوى مائل تطلق على فرقة الصنوج الذهبية  
في الجاز . وبكلمة كان الجحيم .

وفي منتصف الليل كانت في الجحيم رؤيا . فقد خرج ال  
الشرفة رجل وسيم يرتدي فراكا ، ذو عينين سوداوين ولحية  
تعاكي الخنجر ، واجال في أرجاء مملكته نظرة جليلة . يقول  
الصوفيون انه في وقت من الاوقات لم يكن هذا الرجل الوسيم

يرتدي فراكا ، بل كان يتنطق بسير هريظ من الجلد تتدل منه مقابض مسدسات ، وكان شعره الذي بلون جناح الغراب مشدوداً يستبدل من الحرير الأحمر ، وكانت سفينة بصارتين تضر البحر الكاريسي تحت امرته وهي تحمل علماً أسود رسم عليه رأس آدم .

لكن لا ، لا ! كذب الصوفيون الغاؤون ، فليس على هذه الأرض شيء اسمه البحر الكاريسي ، ولا يضر عبابه أي فراصة يسورين ولا تطاردهم فيه أي سفن حربية ، ولا ينتشر فوق موجة أي دخان متدافع . لا شيء هناك ، ولم يوجد شيء ، أما هنا فهناك شجرة الزيزفون الداوية ، وهناك الحاجز الحديدي المشبك ويحده البولفار . . . كلها موجودة . . . والجليد الذي يلوب في الأناء ، وتلكما العينان الشبيهتان بعيني التور والمحتفتان بالدم هناك وراء الطاولة المجاورة . . . شيء مرعب ، مرعب . . . ايها الآلهة ، ايها الآلهة ، الي بالسب ، بالسب ! . . . وفجأة رقت وراء الطاولة كلمة : «برليوز ! » . وفجأة غار صوت الجاز وسكن كأنما أحدهم لكاه بلبضته . «ماذا ، ماذا ، ماذا ، ماذا ؟ ! ! » . - «برليوز ! ! ! » . وأخذوا يتجون من مفاهيمهم وهم يتصايحون . . .

أجل . طفت موجة من الحزن لدى سماعهم بهذا الخبر العرعب عن ميخائيل الكسنفروفتش . أحدهم صار يصرخ ويصرخ أنه من الضروري للحال ولقبل ان يغادر أي كان مكانه أن يكتبوا برفية جماعية ويرسلوها على الفور .

لكننا نتساءل : أي برفية هذه وإلى أين ؟ ولماذا نرسلها ؟ وبالفعل ، إلى أين ؟ وما حاجة من قفاه المفرطح يُضغط الآن بين يدي المشرح المطاطيتين ، ومن رقبته يخرها الآن البروفيسور باير معقوفة ، إلى برفية ، أي برفية ؟ لقد قتل ، وليست هناك حاجة إلى أي برفية . انتهى كل شيء ، فتعالوا لا تنزل على مصلحة البرق .

أجل ، قتل ، قتل . . . لكننا نحن لا زلنا أحياء !  
أجل . طفت موجة من الحزن ، وطلت تطفئ وتطفئ نسيم أخذت تتحسر . كان أحدهم قد عاد إلى طاولته ، وتناول قليلاً من الفودكا واكل - جلسة أول الأمر تم على المكشوف . وبالفعل

هل تترك المصراع الدجاج تضيق منا ؟ وكيف لنا ان نمد يد العون  
الى ميخائيل الكسنديروفيتش ؟ هل بأن نبيت على الطوى ؟ لكننا  
احياء . احياء لا زلنا !

وبالطبع القل البيانو بالبطناح وثلقو اعضاء فرقة الجاز .  
بينما هرع بعض الصحفيين الى صحتهم ليكتبوا مقالات التابين في  
برليوز . وسرعان ما عرف ان جيلديبين وصل من معرض الجشت .  
واخذ مكانه في مكتب المرحوم في الطابق العلوي . وللحال سرت  
في الحاضرين صهبة بأنه سيحل محل برليوز . استدعى جيلديبين  
الى مكتبه من المطعم اعضاء الادارة الاثني عشر كلهم . وباشروا  
على الفور . وفي مكتب برليوز اياه . لمناقشة الامور العاجلة .  
وكانت هذه الامور تتعلق بترتيب قاعة فريوييدوف ذات الاعمدة  
وبنقل الجثمان من المسرحية الى هذه القاعة . وبكيفية انصاح  
المجال امام الجمهور لالقاء نظرة الوداع الأخيرة عليه . وباشياء  
اخرى تتصل بهذا الحدث الاليم .

وعاد المطعم يعيش حياته الليلية المألوفة . وكان بالامكان  
ان يعيشها حتى موعد الافلاق أي حتى الرابعة صباحاً لو لم يحدث  
شيء خارق تماماً ذهل له رواد المطعم أشد مما ذهلوا لنسباً  
مصرح برليوز .

كان الحوزية الساهرون عند بوابة بيت فريوييدوف أول  
من استشعر الفلق والاضطراب . وقد سمع أحدهم ينهض من  
مقعده ويصرخ :

- اي انظروا !

وعلى الأتسر ، وأني تطلعت ، كنت لرى شعلة متقدة عند  
الحايز الحديدي المشبك . وأخذت الشعلة تدنو من الشرقة .  
وأخذ الجالسون الى طاولاتهم ينهضون ويمعنون النظر فيها .  
فأبصروا شيئاً أبيض يخطر الى المطعم مع الشعلة . ولما بلغ  
التعريشة تجرد الجميع وراء طاولاتهم جاخطي العيون وقطع سمك  
الحفش عالقة في شوكتهم . أحسا البواب الخارج آنذاك من باب  
مشجب المطعم ليندخن . فداس سيجارته بقدمه وتحفز لملائسة  
الشبح بغرض واحد . هو سد الطريق عليه الى المطعم . لكنه  
لسبب ما لم يفعل . بل توقف وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة  
بقلها .

جاء الضجيج فجأة في التعريشة ودخل الشرفة دون عائق . وهنا ادرك الجميع أن ما راوه لم يكن شبحاً على الإطلاق بل الشاعر الذائع الصيت ايفان نيقولايفتش بيزدومشي . كان حالي القدمين ، في قميص ممسوق ضارب الى البياض شبكت على صدره بدبوس انكليزي ايقونة ورقيقة صغيرة مع صورة مطوسة لتدريس مجهول ، وسروال تحتاني ابيض مخطط ، وهو يحمل بيده شمعة عرس مشتعلة . كان عند ايفان نيقولايفتش ممرقاً حديثاً ، كان يصعب قياس عمق الفتحة الذي ساد الشرفة . لما شوهدت البيرة في يد أحد النادل تنسكب من كأس مائنة على الأرض .

رفع الشاعر الشمعة فوق رأسه وقال بصوت عال :

- مرحباً أيها الأصدقاء !

ثم التي نظرت تحت اقرب طاولة اليه وعتف في كآبة :

- لا ، ليس هنا !

وسمع صوتان . قال الصوت الغليظ دون رحمة :

- الأمر واضح . هديان وعاشي !

أما الصوت الثاني ، النسائي ، المدعور فقال :

- كيف تركته الشرطة يسير في الشوارع على هذا الشكل ؟

سمع ايفان نيقولايفتش ما قاله الصوت الثاني فرد قائلاً :

- حاولوا القضاء القبض علي مرتين في سكاتيرني وهنا في

برونايا ، لكنني تسلفت السياج وتخلصت منهم ، وهامو ذا

تخدي ممزق كما ترون ! - وهنا رفع ايفان نيقولايفتش الشمعة

وعتف قائلاً : - أيها الاخوة في الأدب ! (كان صوته المبحوح

قد اشتد واصبح أكثر حدة) . اسمعوني جميعاً ! لقد ظهر ا

اصكوه على الفور ، والأسبب لنا خصائب لا توصف !

وانطلقت الأصوات من كل جانب :

- ماذا ؟ ماذا ؟ ماذا قال ؟ من الذي ظهر ؟

- المستشار ! - أجاب ايفان ، - وهذا المستشار هو

الذي قتل لنتو ميشا \* برليوز في بتريرشيفي برودي .

مستشار

\* ميشا : تفسير ميخائيل . المترجم .

وعندئذ تدافع الناس من القاعة الداخلية الى الشرفة  
وتزاحوا حول شحلة ايفان .

وسمع فوق اذن ايفان نيقولا يفتش صوت هادي وعزوب :  
- العلو . العلو . قل بالتحديد : كيف قتل ؟ ومن الذي  
قتله ؟

- مستشار اجنبي . بروفيسور وجاسوس ! - رد عليه  
ايفان وهو يثقل حوله .

وسمع ايفان حساً في اذنه :  
- وما كنيته ؟

- هنا المشكلة ! - هتف ايفان في كآبة . - لو كنت  
اعرف كنيته ا فانا لم اتبين كنيته على بطاقة الزيارة . . . لا  
اذكر منها الا الحرف الاول ف . كنيته تبدأ بحرف ف ا مسا  
عساها تكون ؟ - اردف ايفان يتساءل وقد وضع يده على  
جيبه . ثم غمغم فجأة : - ف . في . في . في انا . . .  
فو . . . فاشتر ؟ فالنتر ؟ فايتر ؟ فيفتير ؟ فينتير ؟ - كان  
شعر ايفان يهتز فوق راسه من شدة التوتر .  
- فولف ؟ - صاحت امرأة بصوت حزين .

غضب ايفان وصرخ وهو يبحث بعينيه عن تلك المرأة :

- غبية ! وما دخل فولف هنا ا فولف ليس له اي علاقة  
بالموضوع ا فو . . . فو . . . لا ا لا استطيع بأي شكل ان  
الذكر ا اذن اليكم ما يجب ان نعله ايها المواطنين : تلفوا  
للشرطة عن الفور كي ترسل خمس دواجات نارية مع رشاشاتها  
ليبحثوا عن البروفيسور . ثم لا تنسوا ان تقولوا لهم ان معه  
الثنين آخرين : شخص طويل القامة في لباس ذي رسوم  
مربعة . . . ونظارة اقلية لها عدسة مشققة . . . وقط اسود .  
سمين . وانا في هذه الاثناء سأفتش غريبوييدوف . . . اني  
اشعر انه هنا !

وتولى ايفان هيجان فدفغ من حوله واخذ يلوح بالشمعة مرفقاً  
الشمع على نفسه ويتطلع تحت الطاولات . وهنا سبغت كلمة :  
«الدكتور» . وما لبث ان ظهر وجه باش لحيم . حليق ومكتنز .  
عليه نظارة قرنية امام ايفان .

- هدي روعك . يارفيق بيزدومني ! - قال له هذا الوجه

بصوت يوبيلي . - لقد هزك موت فيغالييل الكسندر وقتئذ . . .  
لا بل ببساطة : ميشا برليوز الذي نحبه جميعاً . وهذا أمر نحبه  
جميعنا جيداً . انت بحاجة الى الهدوء . . . وسيتفردك بعض الرفاق  
الى السرير . وهناك تغفو قليلاً وترتاح . . .  
- انت . - قاطعه ايفان مكشراً . - الا تدرك انه يجب  
التبسط على البروفيسور بدلاً من هذا الهراء ؟ يالك من غبي !  
- المعذرة . ياروفيق بيزدومني . - اجابه الوجه . وهو  
يحمر ويتراجع . نادماً . فيما يبدو . عل انه حشر نفسه في هذه  
الظنية .

- لا . قد اعلم ايا كان . لكن ليس انت . - قال ايفان  
ليقولايفتش بحقد بارد .

وتشجع وجه ايفان . فنقل الشمعة بسرعة من يده اليمنى  
الى اليسرى ولوح يملء بمشاه وصلح الوجه المتعاطف معه عل  
اذنه .

وهنا فطنوا الى وجوب الانقضاء عل ايفان . وانقضوا عليه  
فعللاً . انطلقات الشمعة . وانزلت نظارته عن وجهه فداستها  
الارجيل عل الفور . ندى عن ايفان زعيق قتالي مخيف سُمع للذة  
الجميع . حتى في البولغار . وراح يدافع عن نفسه . لتصفت  
الاوراني التي وقعت عل الأرض وزعقت النساء وولولن .

وفيما كان الندل يشدون وثاق ايفان بالمناشف . كان الحوار  
التالي يدور في غرفة المشجب بين قبطان السفينة ذات الصاريتين  
والبواب .

- هل رايت انه في السروال التحتاني ؟ - سأل القرصان  
ببرود .

- لكن كيف لي ان امنعه من الدخول . ياروتشيبالد  
اروتشيبالد وقتئذ . وهو عضو الجاسوليت ؟ - اجابه البواب وقد  
تملكه الخوف .

- هل رايت انه في السروال التحتاني ؟ - كرر القرصان  
سؤاله .

- المعذرة . ياروتشيبالد اروتشيبالد وقتئذ . - اجابه البواب  
وقد احمر وجهه . - لكن ماذا كان بيدي ان افعل ؟ انا ادرك  
ان هناك سيدات عل الشرفة . . .

متوة في مستشفى المجانين ا - رد ايفان وقد اخذ منه الغضب كل ماخذ .

هنا انعم روخين النظر في وجه ايفان فشعر بالبرد يسري في اوصاله : يقيناً ، لم يكن في عينيه اي عبارة من عبارات الجنون . فقد عادنا الى سابق عهدهما من الصفاء بعد الكبر الذي كان يفتشاهما في غريبيويدوف .

«ياالهي ا . - قال روخين في سره في ذهنه ، - احقاً انه سوي ؟ ونحن ماذا فعلنا ! لماذا جرؤنا الى هنا ؟ انه سوي ، سوي . انما وجهه مخدش . . . »

قال له الطبيب بصوت هادئ وهو يقتعد كرسيه ابيض ذا قامة لناعية :

- انك لست في مستشفى مجانين ، بل في مستوصف ، ولن يعجزك احد اذا لم يكن هناك داع .

نظر اليه ايفان نيقولايفتش نظرة ارتياح ، لكنه غمض مع ذلك :

- شكراً لك ياالهي ! وجد أخيراً انسان سوي بين هؤلاء البلهاء ، واولهم ساشكا الطبي العديم الموهبة ا -  
- ومن ساشكا العديم الموهبة هذا ؟ - قال الطبيب مستسراً .

- هاهو ذا ، روخين ، - اجاب ايفان وهو يشير باصبعه الوسخة باتجاه روخين .

تفجر روخين من السخط وفكر في مرارة :  
«وهذا بدلاً من ان يشكرني لاني تعاطفت معه واشفقت عليه ا انسان ذئبي ، فعلاً !» .

- انه ميتال الكولاك بتفسيته ، - قال ايفان نيقولايفتش الذي خطر له ، هل ما يبدو ، ان يفضح روخين ، - وهو الى ذلك كولاك يحاول جاهداً التستر بستار الجروليتاري . انظروا الى سمته الكئيبة هذه وقارنوها بايائه الرنانة التي لظها بمناسبة الأول من ايار ا \* خسي - خسي - خسي . . . «فرلسي ا» و«اخلفي ا» . . . ثم انظروا الى داخله جيداً - الى ما يفكر . . .

\* المفسود ميد الأول من ايار ، المترجم .

الرعاشي . . . - قال روخين لسبب ما هسأ كمن يلطي بسر  
وهو يلتفت الى ايفان ليقولاً يقتض في خوف .  
- هل شرب كثيراً ؟ - سأل الدكتور من بين استنانه .  
- لا ، شرب لكن ليس بالقدر . . .  
- هل صاد أو امسك صراصير أو جرداناً أو كلاباً سانية ؟  
- لا . - أجاب روخين وهو يرتعد . - لقد رأيت البارحة  
واليوم صباحاً وكان بصحة تامة . . .  
- ولماذا لا يلبس سوى سروال تحتاني ؟ هل أخذتموه من  
سريره ؟

- لقد أتى الى المطعم على هذا الشكل بادكتور . . .  
- ٢ . ٢ . - قال الدكتور بارتياح عظيم . - ولماذا هذه  
الخدوش ؟ هل تعارك مع أحد ؟  
- سقطت عن السياج ، ثم لكم أحدهم في المطعم . . . ثم  
آخر . . .

- أيوا ، أيوا ، أيوا ، - قال الدكتور ، ثم التفت الى  
ايفان وأدوف : - مرحباً !  
- أهلاً أيها الانسان الضار ! - أجابه ايفان بصوت عال  
ومخاضب .

ارتبك روخين حياء حتى انه لم يجسر على وقع عينيه الى  
الدكتور المهنذب . لكن هذا لم يشعر بأي استياء ، بل خلّص  
نظارته بحركة سريعة مألوفة وشمر طرف سترته وألقى نظارته  
في جيب بنطاله الخلفي وسأل ايفان :

- كم همرك ؟  
- الأصبوا عني جميعكم الى الشيطان ! - صرخ ايفان بلفظ  
وأدار وجهه .

- لماذا غضبت ؟ هل قلت لك شيئاً غير مستحب ؟  
- عمري ثلاث وعشرون سنة ، - قال ايفان وهو في حالة من  
الهيياج ، - وسأرفع شكوى عليك جميعاً ، وعليك بشوع خاص  
يا ولد ! - كان يخص روخين بكلماته الأخيرة هذه .  
- وعلام تريد أن تشكونا ؟  
- على أنكم أخذتموني ، أنا الانسان المسلميم ، وزججتم بي



وستفرون الفواعل من المشقة ! - والفجر ايفان نيقولايفتش في ضحكة لا تثنى بخير .

كان روخين يتنفس بصعوبة وقد احمر وجهه ، ولم يكن يفكر الا في شيء واحد - في انه ادفا الحس على صدره ، وانه تعاطف مع شخص تبين بالتجربة انه عدو حقود ، والاهم عجزه عن فعل أي شيء : فهل من المعقول ان يتشائم مع مريض نفسي ؟ ! - ولماذا اتوا بك انت بالذات الى هنا ؟ - سألته الطبيب بعد ان استمع باهتمام الى اتهامات بيزدومني .

- لياخذهم الشيطان ، هؤلاء البلهاء ! امسكوني واوتقوني بخرق ثم حملوني في ساحة ! - اسمح لي بسؤال : لماذا اتيت الى المطعم في ملابسك الداخلية وحدنا ؟

- لا غرابة في الامر ، - اجاب ايفان ، - ذهبت اسبح في نهر الموسكوفنا وهناك سرقسوا ملايسي وابقسوا لي على هذه السقطة ! ولكن ايعقل ان اسير في موسكو هاروا ؟ لذلك ارتديت ما تركوه لي واسرعت الى غريبيويدوف ، الى المطعم . نظر الطبيب الى روخين متسائلا فغمغم هذا متجها : - هذا اسم المطعم .

- آ ، - قال الطبيب ، - لماذا اسرعت الى هناك ؟ هل كنت على موعد عمل ؟ - كنت ابحث عن المستشار للقبض عليه ، - اجابه ايفان نيقولايفتش وتلفت حوله بقلق .

- أي مستشار ؟ - برليوز . . . هل تعرفه ؟ - سأل ايفان بلهجة ذات معنى ، - ذلك . . . الموسيقار ؟ - شعر ايفان بخيبة أمل .

- ما شأن الموسيقار بالموضوع ؟ اي نعم ، اي لا . . . الموسيقار له نفس كنية ميشا برليوز ! لم تكن لدى روخين رغبة في أي كلام ، ومع هذا اضطر لتوضيح الامر .

- اليوم مساء دعيس سكرتير الحاسوبيت برليوز تحت عجلات الترام في بتريرشني .

- لا تعرف بما لا تعرف ا - توجهه ايفان الى روغين لي  
سخط - انا الذي كان حاضراً ، لا أنت ا هو الذي كتب عمداً  
امر سقوطه تحت عجلات الترام ا

- هل دفعه ؟

- ما شأن «الطلع» هنا ؟ - صاح ايفان مفيطاً من البلادة  
العامية . - امثاله لا يحتاجون الى «طلع» احد ا باستطاعتهم ان  
يتوموا بأعمال والعيال باللكه ا كان يعرف مسبقاً ان برليوز  
سيسقط تحت عجلات الترام ا

- وهل رأى هذا المستشار احد لغيرك ؟

- هنا المشكلة انا وبرليوز وحدنا اللذان رأينا .

- حسن . وما هي الاجراءات التي اتخذتها لالقاء القبض على  
هذا القاتل ؟ - وهنا استدار الطبيب وارما بعينه الى امرأة في  
سترة بيضاء كانت تجلس الى طاولة جانبية . سحبت المرأة ورقة  
واخذت تملأ المواضيع الغالية بين اعمدتها .

- اليكها . اخذت شعبة من المطيخ . . .

- عذراً ؟ - سأله الطبيب وهو يشير الى الشعبة المكسورة  
المنقوية مع الايقونة على الطاولة امام المرأة .

- نعم ، هي نفسها . ثم . . .

- ولماذا الايقونة هي الأخرى ؟

- الأي . . . الايقونة . . . - وهنا لعمر وجه ايفان . -

الايقونة تخيف اكثر من اي شيء آخر . - وهنا عاد وارمسا  
باصبعه في اتجاه روغين . - لكن القضية انه . المستشار . انه  
ولنقلها بصراحة . . . انه مشارك . . . يشارك ارواحاً  
شريرة . . . وبدونها يستحيل القبض عليه .

ولسبب ما وقف المرعوبون وقلمة استمداد ولم يعودوا  
يحولون اعينهم عن ايفان .

وأردف ايفان يقول :

- نعم . . . مشارك ا انها حقيقة لا تدحض . لقد تحدث  
شخصياً الى بيلاطس البنطي . لا داعي لأن تنظر اليه هكذا ا  
انني اخول الحقيقة ا لقد رأى كل شيء . - الشرفة واشجار النخيل .  
باختصار . كان عند بيلاطس البنطي . وانا اضعن صحة هذا  
القول .

- نعم . . . نعم . . .
- وهكذا علقت الأيفون في صدري وأسرعت . . .
- وهنا دقت الساعة فجاءت دقتين .
- أوه ! - صاح ايغان وهب عن الديوان ، - انها الثانية  
وأنا اضيق الوقت معكم ! عفواً ، أين الهاتف ؟
- دعوه ، - أمر الطبيب المرضين .
- تمسك ايغان بساعة الهاتف ، بينما أخذت المرأة تستفسر  
من روخين بصوت خافت :
- هل هو متزوج ؟
- لا ، اعزب ، - أجاب روخين في ذعر .
- عضو نقابة ؟
- أجل .
- الشرطة ؟ - صرخ ايغان في الساعة ، - الشرطة ؟ ايها  
الرفيق المناوب ، منرّ على الفور ان يرسلوا خمسة من واكبي  
الدراجات النارية مع رشاشاتهم للقبض على مستشار اجنبي .
- ماذا ؟ مروا علي وأنا اذهب معكم بنفسي . . . معكم على الخط  
الشاعر بيزدومني من مستشفى المجانين . . . ما هو عنوانكم ؟
- سال بيزدومني الطبيب حسماً وهو ينظي الساعة براحته ،  
تم عاد يصرخ في الساعة من جديد : - هل سمعني ؟ الو . . .
- فضيحة ! - زعم ايغان فجاءت وقلد بالساعة عرض الحائط . ثم  
استدار الى الطبيب ومد له يده وقال بصوت جاف «الى اللقاء»  
وهمّ بالخروج .
- العفو ، الى اين تريد الذهاب الآن ؟ - قال له الطبيب  
وهو يتفرّس في عينيه ، - الوقت متأخر وأنت في ملابسك  
الداخلية . . . انك لست هل ما يرام . . . ابق هنا !
- دعوني ، - قال ايغان للمرضين الذين تراصوا عند  
الباب ، - هل تدعوني ام لا ؟ - صرخ الشاعر بصوت مرعب ،  
ارتعدت فرانس روخين ، أما المرأة فقد ضغلت زراً في  
المنضدة فظهرت على سطحها غلبة صغيرة لامعة وأنبولة ملحومة .
- هكذا اذن ؟ - قال ايغان وهو يلقي حوله نظرات  
حيوان متوحش وقع في فخ ، - حسناً ! الوداع . . . وقلد  
بنفسه من خلال ستارة النافذة ورأسه الى الأمام ، دوت ضربة ،

لكن الزجاج المقاوم للصدمات خلف الستارة تحل الضربة ، وما هي الا لحظة حتى كان ايفان يتخبط بين ايدي المرعشين . كان ينخر ويحاول عضهم ويزعق :

- اي زجاج عندكم ا . . . دعوني ، دعوني ، اقول لكم ا لعنت المحلقة في يدي الطيب . وبحركة واحدة كانت المرأة قد شقت كم القيص البالي وقبضت على يد ايفان بقوة غير انسانية . فاحت والحمة الاثير فغارت قوى ايفان بين ايدي الاستخاس الأربعة . وانتهز الطيب البارح هذه اللحظة ففرز الأبرة في يد ايفان . سنده الأربعة ايفان نوالي ثم مدوه على الديوان .

- ياقطاع الطرق ! - صرخ ايفان ووثب من الديوان لكنهم اعدوه اليها . وما ان اخلوا سبيله حتى حاول النهوض ثانية ، لكنه ما لبث ان تهاوى على الديوان من تلقاء نفسه . صمت ايفان وهو يتلفت ملتقياً على من حوله نظرات وحشية . ثم تناب فجأة . ثم ابتسم ابتسامة تشي بالحدق والضعيفة .

- عيستوني مع هذا . . - قال ايفان ، وتناوب مرة أخرى ثم تمدد فجأة ووضع رأسه على المخدة وقبضته تحت خده كالإطفال ثم لعطم بصوت ناعم ، ودون حقد : - اي ، حسناً ، حسناً جداً . . . انتم انفسكم ستمدسون جزء هذا كله . لقد حذرت ، والياقي عليكم . . . كما تريدون ! اكثر ما يهمني الآن هو بيلاطس البنطي . . . بيلاطس . . . - وهنا انفض عينيه . - حمام ، الغرفة المفردة رقم ١١٧ مع حراسية . - قال الطيب يصدر تعليماته وهو يضع نظارته . وهنا ارتعد روخين مرة أخرى : فقد افتح باب ابيض دون أن يسمع له صوت ، وظهر وراءه سر مضاء بصايبح ليلية زرق ، ودخل من السر سرير يتحرك على عجلات مطاطية صغيرة نقلوا اليه ايفان الذي غشبه سكبنة . ثم عاد السرير الى السر وانطلق الباب .

وسأل روخين المتصعق همساً :

- إذن هو مريض فعلاً ، يادكتور ؟
- بالطبع ، - اجاب الطيب .
- وما الذي حدث له ؟ - سأل روخين يوجل .
- تطلع الطيب المتعجب الى روخين واجابه بفتور :

- تهبج حركي وكلامي . . . تفسيرات وكلام مصدورها  
الهديان . . . الحالة معقدة كما يبدو . . . نصصام على الأرجح .  
اضف الى ذلك الادمان على الشراب . . .

لم يفهم روخين من كلمات الدكتور شيئاً سوى أن احوال  
ايطان نيولولايفتش سيئة كما يبدو ، فتشهد ، وسأل :

- وما معنى أنه لا يتحدث الا عن يدعو المستشار ؟

- لقد رأى على الأرجح شخصاً من خياله المختل ، او لعله

كان يهلوس . . .

وبعد عدة دقائق كانت الشاحنة تعود بروخين الى موسكو .

كان ضوء النهار قد بدأ يبهزغ فبدأ نور المصابيح التي لها  
تطفا في الطريق نافلاً وبشعاً ، وكان السائق حائفاً من ليله الذي  
ضاع ، فكان يسوق سيارته بأقصى ما يمكن مندفعاً بها في  
المنعطفات .

هاهي ذي الغابة تهوي خلفه ، والشهر يغيب في مكان ما الى  
جانبه ، واشياء أخرى مختلفة كل الاختلاف تندفع باتجاه الشاحنة :  
اسوار مع اكشاك حراسة واكوام حلب ، واعصدة شاهقة وصوار  
وعمل الصواري نظمت بكرات ، واكوام حصى ، وأرض شرطت  
بالاخاديد ، - وباختصار كان المرء يشعر أن هاهي  
ذي موسكو ، هنا قريبة وراء هذا المنعطف ، وسترني عليك  
وتحضتك .

كانت الشاحنة تهز روخين هزاً عنيفاً وتلقذه الى الأعلى ،  
والقطعة التي جلس عليها تحاول المرة بعد المرة ان تغور تحته ،  
ومناشف المطعم التي اتكأها الشرطي وبنطلي ، اللذان عادا قبله  
بالترولييافس ، في الشاحنة كانت تتطاير في صندوقها ، ولقد خطر  
له ان يجمعها لكنه لسبب ما قال في نفسه مفيظاً فيما يشبهه  
الفحيح : «ياخذها الشيطان ! لماذا أتسلل كالأحمق فعلاً ؟ . . .»  
ثم قدفها بدمه وحوك بصره عليها .

كان روخين في حالة تفسية بشعة ، ولقد أخذ يتضح له ان  
زيارته لبيت الكرب هذا ترك فيه اثرأ شديد الوطأة ، لكنه حاول  
ادراك ما يمزق نفسه بالضبط ، هل هو المرء بمصابيحه الزرق  
الذي علق بذاكرته ؟ هل هي فكرة أن لا مصيبة على وجه الأرض  
اسوا من فقدان العقل ؟ نعم ، نعم بالطبع ، وهذا أيضاً ، لكن

هذا امر معروف . . . لا ، هناك شيء اخر . . . فما هو ؟  
الاعانة . هذا هو الشيء الآخر . أجل . أجل . الكلمات المهيئة  
التي قلده بها بيزدومني في وجهه . والمصيبة ليست في انها  
مهيئة . بل في انها كلمات حق .

لم يعد الشاعر ينظر فيما حوله . بل حلق في أرض الصندوق  
الوسخ الذي كان يهتز تحته وأخذ يغمغم ويدهم ويفرغ نفسه .  
- نعم . أشعاره . . . همراء اثنان وثلاثون عاماً ! وبالقول  
ماذا بعد ذلك ! - بعد ذلك سيكتب بضع قصائد في العام . - حتى  
الشيخوخة ؟ - نعم . حتى الشيخوخة . - وما الذي ستحمل اليه  
هذه القصائد ؟ الشهرة والمجد ؟ « ما هذا الهراء ! على الأقل لا  
تدع نفسك . الشهرة والمجد لن يكونا أبداً من نصيب من يكتب  
شعراً سيئاً . ولماذا يكون سيئاً ؟ لقد قال الحقيقة . نعم الحقيقة !  
- قال روخين موجهاً الكلام الى نفسه دون رحمة أو شفقة . -  
اني لا أؤمن بشيء مما اكتب ا . . »

وادركت الشاعر لوية خوار عصبي فتمايل ولم تعد الارض  
تهتز تحته . ثم وقع روخين رأسه لراى انه بلغ موسكو من وقت  
بعيد . بل ان الفجر انبج فوق موسكو وان السحاب مشوب بلون  
الذهب . وان الشاحنة تقف وراء طاوور من السيارات عند  
المنطق المؤدي الى اليولفار . وان شخصاً معدنياً ينتصب على  
قاعدته على ملربة منه وقد حنى رأسه . وانه ينظر الى اليولفار  
نظرة لامبالاة .

وتفجرت في رأس الشاعر المتوهك الصحة افكار غريبة .  
« ماكم مثال المحظوظ الحقيقي . . . » - وهنا هب روخين وانقلب  
على قاعدته في صندوق الشاحنة ورفع يده مهدداً لسبب ما عسى  
الشخص المديسدي الذي لم يكن يتعرض لأحد . - أيما كانت  
الخطوة التي خطاها في حياته . وأيما كانت الحوادث التي مرت به .  
فان كل شيء كان يخدمه . وكل شيء كان يزيد من مجده ! لكن  
ماذا فعل ؟ لا يستطيع ان اتهم . . . هل هناك معنى خاص في  
هاتين الكلمتين : « العاصفة كالديجور . . . » ؟ لا اتهم ا . . .  
لقد حالفه الحظ . حالفه الحظ وكفى ! - أوقف روخين فجأة يده

\* من قصيدة الشاعر الروسي الكبير الكسندر بوشكين (1799-1837)

مستشجاً ، وأحس ان الشاحنة تحركت تحته ، - اطلق ، اطلق عليه النار هذا العاوس الأبيض فهشم له فخذة وضمن لسد الخلود . . . .

وتحرك الطايور . وبعد دقيقتين لا أكثر كان الشاهر يسدل شرفة غريبيويدوف وقد بدت عليه علامات المرض التام بل حتى الشبخوخة . كانت الشرفة خالية إلا من مجبوعة نهي ما بين أيديها من مشروب في إحدى الزوايا وفي وسطها يسمى عريف حلات يعرفه تباداً يضع طائفة ويحمل بيده كأساً من «الأبراء» .

استليل ارتشيبالد ارتشيبالدوفتشس روخين المثقل بالمناسف بترحاب كبير وأراحه على القور من هذه الفرق الملعونة . ولو لم يكن روخين محطاً مساعاناً في المستشفى وفي الشاحنة ، لاستمتع ، على وجه التاكيد ، برواية ما جرى في المستشفى ، ولأغنى روايته وزوقها بتفاصيل من خياله . إنما الآن لم تكن به أي رغبة في ذلك . زد على ذلك ان روخين الآن ، بعد العذاب الذي عاناه في الشاحنة ، وعلى ضعف ملاحظته ، التي لأول مرة نظرة حادة متلصقة على وجه القرصان وأدرك ان هذا بالرغم من طرحه الأسئلة عن بيزدومني ، بل بالرغم من اطلاقه بين الليئة والليئة صيحات مثل «أي ياياي» ، انسان لا مهالراً اطلاقاً بصير بيزدومني من حقيقة الأمر ولا يشعر بشرة اشفاق عليه . «مرحى له ! وحسناً يفعل !» - فكر روخين في سره في غيظ وقبح مدعى ، ثم قطع حديثه عن الفصصام وقال :

- هل لي بكأس من الفودكا يا ارتشيبالد ارتشيبالدوفتشس . . .

اصطنع القرصان وجهاً متفهماً متعاطفاً وهمس :

- فاهم . . . . حالاً . . . - ولوح بيده للنادل .

وبعد ربع ساعة كان الشاهر يجلس وحده تماماً ، وقد اتحنى فوق طبق السمك يحب القدح تلو القدح وهو على ادراك وبتيقن بأنه فات الأوان لأن يصلح شيئاً في حياته ، وبأن الشيء الوحيد الممكن هو النسيان .

لقد اتفق ليله في حين كان الآخرون باكلسون ويشريون ويلهون . ولقد أدرك الآن ان ليس بمقدوره ان يعيده . كان يكفيه ان يرفع رأسه فوق المصباح باتجاه السماء ليذكر ان الليل ضاع دون رجعة . راح النادل ينزعون السط عن الطاولة

على عجل . والقبط التي تسمى قرب الشرق ذوات مظهر صباحي  
واخذ النهار يتساقط على الشاعر متدفقا ، جارفا .

## الفصل السابع

### الشقة المشؤومة

لو قيل لستيوبا ليخوديف صبيحة اليوم التالي :  
«ستيوبا ، سيطلقون عليك النار أو تنهض للحال !» . لأجاب  
ستيوبا بصوت قاتر يكاد لا يسمع : «اطلقوا على النار ،  
افعلوا بي ما تشاؤون ، لكنني لن النهض» .

وليت الأمر أمر النهوض وحسب . فقد بدا له أنه لا  
يستطيع فتح عينيه ، لأنه ما إن يفعل حتى يلمسح البرق  
وينطير رأسه شظايا على الفور . كان ناقوس ثقيل يدوي في  
هذا الرأس ، وكانت تقع بشية ذات حواش نارية خطر تسميح  
بين كرتي عينيه وجولوه المغضة . وبالإضافة إلى هذا كله كان  
يشعر بالغثيان ، وإن هذا الغثيان ، كما بدا له ، مرتبط  
بأصوات حاك لجرج .

حاول ستيوبا أن يتذكر شيئا ما ، لكنه لم يذكر إلا شيئا  
واحدا - البارحة ، فيما يبدو ، وفي مكان لا يعرفه كان يقف  
حائلا لورطة بيده ويحاول تقبيل سيده ما ، وأنه بعدها الس  
ذلك بأن يوافقها إلى بيتها في اليوم التالي عند الظهر تماما .  
وإن هذه السيدة كانت تمنع قائلة : «لا ، لا ، لن أكون في  
البيت !» . بينما كان ستيوبا يصر بعناد : «ومع هذا سأأتي !» .  
لكنه لم يكن يعرف شيئا من هي هذه السيدة ، ولا ما  
هو الوقت الآن ، ولا ما هو اليوم ، ولا ما هو الشهر ،  
والأسوأ من هذا كله لم يكن يوسعه أن يعرف مكان وجوده .  
حاول أن يبدأ من النقطة الأخيرة بالذات ، وفتح جفني عينيه  
اليسرى الملصقين ، فلاح له في نصف العتمة المخيطة ضوء  
باهت ينعكس من مكان ما . وأدرك ستيوبا أخيرا أنها المرأة  
القائمة وأنه مستلق على ظهره في سريريه ، أي في سرير زوجته



الصانع سابقاً ، وفي غرفة النوم . وهنا احس بما يشبه ضربة قوية على رأسه فالتحس عينيه واخذ يئن .

ولنوضح الأمر : عندما صحا مدير مسرح «فاربيتية» ستيوبا ليخوديفف صباحاً وجد نفسه في تلك الشقة لنفسها التي كان يشغلها مناصفة مع المرحوم برليوز في عمارة من ستة طوابق تقع على شكل حرف النون (ن) في شارع سادوفايا .

ويجب القول ان الشقة هذه - وهي برقم ٥٠ - كانت تتمتع من وقت بعيد بسعة ان لم نقل سينة فهي غريبة على أي حال . لمن عاين كانت تملكها أرملة الصانع دي فوجيري . كانت آنا فرانتسيفنا دي فوجيري ، وهي امرأة في الخمسين من العمر محترمة وعملية جداً ، وكانت تزجر ثلاثاً من غرفها الخمس الى شخصين : اولهما كنيته بيلوموت على ما يبدو ، وثانيهما ذو كنية ضائعة .

ومن يومها ، من عاين بدأت تحدث في الشقة امور غامضة : اخذ الناس يختلفون دون اثر من هذه الشقة .

ففي احد ايام العطل حضر ذات مرة الى الشقة شرطسي واستدعى المستاجر الثاني (الذي ضاعت كنيته) وقال له انه مطلوب الى المخفر لدقيقة كي يوقع على شيء ما . امر المستاجر انفيسا خادمة آنا فرانتسيفنا القديمة والامينة ان تقول لمن قد يطلبه بالهاتف انه عالد في غضون عشر دقائق ، ثم خرج مع الشرطي المتأدب الذي كان يضع في يده قفازاً ابيض . لكنه لم يعد في غضون عشر دقائق ، بل لم يعد أبداً . والأغرب من هذا كله ان الشرطي ، كما يبدو ، اختلف معه .

وقالت انفيسا التقية ، بل لنقلها صراحة - انفيسا المزمنة بالخراجات - لآنا فرانتسيفنا المتهاجرة ان هذا عمل من اعمال السحر ، وانها تعرف جيداً من خطف المستاجر والشرطي كليهما ، لكنها لا تريد ان تذكر الاسم ليلاً . ولكن ما ان لبدا اعمال السحر حتى لا يعود هناك ما يوقفها كما هو معروف . لقد اختلف المستاجر الثاني يوم الاثنين كما يذكر الرواة ، ويوم الأربعاء اختلف بيلوموت كأنما غار في الأرض ، لكنه اختلف في ظروف مختلفة . ففي صباح ذلك اليوم حضرت كالعادة السيارة لتقله

الى عمله ، واقبلته ، لكنها لم تعد به ، وهي نفسها لم تعد ابداً .

اتاب مدام بيلوموت حزن ورعب يعزان عن الوصف . لكن الحزن كالرعب شعسوز لا يعبر طويلاً مع الأسف . فلي تلك الليلة بالذات ، وبعد ان عادت آنا فرانتسيفنا مع انليسا من الفيلا التي ذهبت اليها لسبب ما على عجل ، لم تجد المواطنة بيلوموت في الشقة . وليس هذا كل شيء ، بل كان بابا كلتا العرفتين اللتين يستأجرهما بيلوموت وزوجته محتومين . ومر يومان بالتى هي احسن . لكن في اليوم الثالث غادرت آنا فرانتسيفنا ، التي ظلت طول اليومين الماضيين تعاني من الارق ، الشقة مرة اخرى الى الفيلا على عجل . . . ترى هل هناك حاجة الى القول انها لم تعد !

ذرفت انليسا التي اخضت وحيدة دعوها فزيرة ثم اوت الى فراشها في الثانية بعد منتصف الليل . ما الذي حدث لها بعد ذلك امر لا تعرفه ، لكن فاطمي الشفق الاخرى روى ليمسا بعد . والعهد عليهم ، انهم سبحوا طوال الليل في الشقة وهم ٥٠ خطاً وتقرأ وان النوافذ ظلت مضاءة بنور الكهرباء حتى الصباح . وفي الصباح تبين ان لا اثر لانليسا !

وظل الناس طويلاً يروون عن الذين اختفوا من الشقة وعن الشقة الملعونة نفسها مختلف الروايات والحكايات الغريبة ، من ذلك مثلاً ان انليسا النحيلة والتقية هذه كانت تحصل في كيس صغير من جلد الشاموا تضعه على صدرها المتيبس خمساً وعشرين مائة ضخمة تخص آنا فرانتسيفنا ، وأنه انكشفت بعد ذاتها ، في عنبر الحطب ، في تلك الفيلا التي ذهبت اليها آنا فرانتسيفنا على عجل ، كتوز لا تخص من نوع تلك الماسات وتقود ذهبية مسكوكة في عهد القيصر . . . وما الى ذلك من روايات مماثلة . لكننا لا نأخذ على عائلتنا صحة ما لا نعرف . ومهما يكن من امر ، لم تبق الشقة فارغة ومخترومة الا اسبوعاً ، انتقل بعده اليها المرحوم برليوز وزوجته وستيوبوا اياه وزوجته ، ومن الطبيعي تماماً انه ما ان داست اقدامهم الشقة الملعونة حتى بدأت تحدث لهم اشياء الشيطان اعلمس بها . ونقول تحديداً ان كلتا الزوجتين اختفيا في شهر . لكن

هاتين لم تخفيا دون اثر . فقد قيل ان زوجة برليوز شوهدت في خاركوف بصحبة مصمم رقصات باليه ، وان زوجة ستيوبيا وجدت في بوجيدومكا حيث نجح مدير مسرح «الفاريتشي» ، كما تلوك الألسن ، في ان يؤمن لها من خلال معارفه وعلاقاته الكثيرة غرفة بشرط واحد : الا تظا قدمها شارع سادوغايسا على الاطلاق . . .

وهكذا نلت عن ستيوبيا انه . اراد ان يستدعي الخادمة غرونيا ويطلب اليها ان تاتي ببعض البيراميدون ، لكنه فطن الى ان هذا طلب لا معنى له . . . وانه لا يمكن ان يوجد لدى غرونيا اي بيراميدون ، فحاول ان يستنجد ببرليوز . ارتفع صوته مرتين فيما يشبه الأنين ينادي : «ميشا . . . ميشا . . .» ، لكنكم تدركون جميعاً انه لم يطلق أي جواب . كان الصمت التام يطبق على الشقة .

حرك ستيوبيا اصابع قدميه فحزر انه يرفد في جوربيه ، فمرّ بيد مرتعشة على فخله ليؤكد مما اذا كان يلبس بنطاله ام لا . لكنه لم يستطع مع هذا التاكيد .

واذ رأى أخيراً ان الجميع تخلوا عنه وانه وحيد وانه ليس بوسع احد ان يهب لنجده ، قرر النهوض مها كلفه ذلك من جهد .

فتح ستيوبيا جفنيه الملتزمين فرأى انه يتعكس في المرآة القائية على شكل انسان ذي شعر ملتوش في مختلف الاتجاهات ، وسحنة متفخمة مطبأة بشعر قصير خشن اسود ، وعينين متورمتين ، وقميص وسخ ذي ياقة وربطة عنق ، وسروال تحالي وجوارب .

هكذا رأى نفسه في المرآة ، لكنه رأى الى جانبها ايضاً شخصاً غريباً متربلاً بالسواد وعلى راسه قبعة مستديرة سوداء .

تداعى ستيوبيا على السرير وحلق قدر ما وسعته الحيلة في الغريب بعينين محتفتين بالدم .

وكان الغريب هو الذي قطع الصمت حين نطق بصوت خفيض وغليظ تشويه لكثة اجنبية بالكلمات التالية :

- صباح الخير يا جزييل اللطف ستيبان بوغدانوفتش ا

اعتب هذه الكلمات توقف بدل فيه ستيوبيا قصارى جهده

ليقول :

- نعم ! ماذا تريد ؟

وبهت ستيوبيا نفسه إذ لم يتعرف الى صوته ، فقد خرجت كلمة «نعم» ولادية عالية ، و«ماذا» عميقة ، أما «تريد» فلم تخرج من بين شفتيه .

ابتسم الغريب بود وأخرج ساعة ذهبية كبيرة رسم على قطاها منلت الماسي ودقها إحدى عشرة دقة وقال :

- الحادية عشرة ! وما أنا ذا انتظر نهوضك من ساعة كاملة ، ذلك أنك حددت لي العاشرة كي أحضر اليك . وما أنا ذا !

تلمس ستيوبيا البنتال الذي على الكرسي قرب السرير

وهمس :

- علواً . . . - ثم ارتداه بسرعة وسأله بصوت أجش :

- ما كنتك من فضلك ؟

كان يشعر بصعوبة في نطق كلماته ، ذلك أنه كان يشعر مع كل كلمة ينطقها وكان أبرة تفرز في دماغه وتسبب له ألماً جهنمياً .

- كيف ؟ وكنتي أيضاً نسيتهما ؟ - قال الغريب وابتسم .

- العفو . . . - أجاب ستيوبيا بصوت أبح وهو يشعر أن

الخمار يقدم له عترياً جديداً : فقد بدا له أن أرض الغرفة قرب السرير انشقت وأنه هاور حالاً الى اصاق الجحيم .

- يا عزيزي ستيبان بوفدا توفتس ، - قال الزائر وهو

يبتسم ابتسامة دهاء ، - لن يساعدك أي بيراميدون . اتبع

القاعدة القديمة الحكيمة : كل داء ضده من جنسه . . . الشيء

الوحيد الذي يعيدك الى الحياة هو قدحان صغيران من الخودكا

مع وجبة حادة وساخنة .

كان ستيوبيا انساناً ماركراً ، ولهذا رأى ، وهم شدة مرضه ،

أن عليه ، وقد الفوه على هذا المنظر ، أن يعترف بكل شيء .

- بصراحة ، - قال وهو يكاد لا يقوى على تحريك لسانه ،

- البارحة شربت قليلاً . . .

- لا تزيد على ذلك ! - اجابه الزائر ونحن بكرسيه جانباً .

رأى ستيويا ، وقد اتسعت عيناه دهشة ، ان على الطاولة الصغيرة صينية عليها خبز مقطع وكافيار اسود مكبوس في وعاء صغير ، وفطر ابيض مخلل في صحن صغير ، وخبز ما لم يشبهه في طنجرة ، وفودكا في دورق زوجة الصانع الكبير . وما بهت له ستيويا بوجه خاص ان الدورق كان يتعرق من البرد . وبالمناسبة هذا امر مفهوم ، فالدورق كان موضوعاً في وعاء مملوء بقطع الجليد . وتقول باختصار كانت المائدة معدة اعداداً نظيفاً ، بارعاً .

ولم يدع الغريب دهشة ستيويا تبلغ حد المرض فسكب له نصف قدح من الفودكا بحركة حاذقة .

- وانت ؟ - صأى ستيويا .

- بكل سرور !

وبعد مرتعشة رفع ستيويا القدح الى شفطيه اما الغريب فابتلع ما في قدحه دفعة واحدة . فقال له ستيويا ، وهو يضع قطعة كافيار ، وكانما يعنصر كلماته من حلقه اعتصاراً :

- وانت . . . الا تتميزز ؟

- شكراً ، انا لا اتميزز ابداً . - اجابه الغريب وسكب قدحاً ثانياً . وقتحت الطنجرة فاذا بمفاتيح باليندورة في داخلها . وهنا ذابت الخضرة الملونة امام عيني ستيويا ، واخذت الكلمات تتلقت ، والاهم انه تذكر بعض الامور ، وعلى وجه الضبط ان الامر حدث في سخودنيا \* ، في فيلا مؤلف الاستكشبات خوستوف ، وان خوستوف هذا هو الذي اخذه بسيارة اجرة الى هناك . بل تذكر ايضاً كيف استاجرو السيارة قرب فندق «الميتروبول» . وانه كان معها ايضاً شخص آخر وربما كان مثلاً . لم يعد يدري . . . ومع ذلك في حقيبة . نعم ، نعم ، نعم ، كان هذا في الفيلا ! ويذكر ايضاً ان الكلاب اخذت تنبح بسبب هذا الحاكي ! فقط السيدة التي اراد ستيوبسا ان

\* مدينة في سواحي موسكو . المترجم .

يقيلها ظلمت لغزاً . الشيطان اعلم من هي . . . يبدو انها  
تعلم في الراديو . ومن الجائز ان لا .  
وهكذا اخذ اسمه يشغلي له شيئاً فشيئاً ، الا ان ما كان  
يشغل بال ستيوبيا الآن اكثر بكثير هو يومه هذا ، وعلى الاخص  
ظهور الغريب في مقدمه ، زد على ذلك العزلة والفردا . نعم .  
هذا امر لا بأس في جلالة !

- والان اهل ان تكون ذكرت كنيش !

لكن ستيوبيا اهتمت بخلاّ وظل على حيرته ملوحاً ذراعيه .

- غريب ! اشعر انك شربت نبيذ «البورتفين» بعقد

الفودكا ارجاء . هل هذا معقول ؟

- اريد ان اسالك شيئاً واريد ان يبقى سرّاً بيننا ، -

قال ستيوبيا مداهناً .

- او . بالطبع . بالطبع ! لكني لا اضمن خوستوف

بطبيعة الحال .

- وهل تعرف خوستوف حقاً ؟

- البارحة رايت هذا الشخص عندك في المكتب للحظة ،

وانما تكفي المرء نظرة عابرة الى وجهه لكي يعرف انه وغد

وميال للمشاحنة والتهازي ومتزلف .

«تماماً» . - قال ستيوبيا في سره وقد صعد من وصف

خوستوف هذا الوصف الصحيح ، الدقيق والموجز .

نعم ، كان اسمه يتشكل في ذهنه على شكل قطع صغيرة

يلتصق بعضها ببعض ، لكن التلق لم يزاول . مع هذا ، مدير

مسرح «فارييتيه» . فقد كان في اسمه هذا خرق واسع جداً ،

تفرة عملاقة سوداء . وهذا الغريب بالذات صاحب القبعة

المستديرة ، صدقوا او لا تصدقوا ، لم يره ستيوبيا في مكتبه

البارحة ابداً .

- البروفيسور فولند ، استاذ في السحر الشيطاني ، -

قال الزائر يوقار وقد شعر بهرج موقف ستيوبيا وارتيائه ،

وروى له كل شيء بالترتيب .

امس تهازاً وصل الى موسكو من الخارج ، وتوجه على الفور

الى ستيوبيا ، وعرض عليه اقامة حفلاته في مسرح «فارييتيه» .

حصل ستيوبيا هاتيفاً بلجنة منطقة موسكو للعروض المسرحية

والتبشيرية ونسق الموضوع معها (شحب وجهه ستيوبا وأخذ  
يفغر بعينه) . ثم وقع مع البروفيسور فولند عقداً على سبعة  
عروض (فغر ستيوبا فاه) وانطلقا على أن يحضر فولند اليه اليوم  
صباحاً في العاشرة للاتفاق على التفاصيل لهائلاً . . . وهامو ذا  
فولند قد حضر !

وعندما حضر استقبلته الخادمة غرونيا التي اهتمت أنها هي  
الأخرى وصلت للتو . وأنها ليست خادمة دائمة في هذا البيت .  
وان برليوز غير موجود . وان الزائر . اذا كان يرغب في رؤية  
ستيبان بوغدانوفتش . فما عليه الا ان يذهب الى غرفة نومه  
بنفسه . لستيبان بوغدانوفتش يغط في نوم عميق بحيث لا تجد  
نفسها على استعداد لابقائه . واذا رأى الفنان العالة التي فيها  
ستيبان بوغدانوفتش أرسل غرونيا الى اقرب بقالية لتأتي  
بفودكا وطعام ثم الى الصيدلية لتأتي بالجليد . . .

- اسمح لي بتسوية حسابي معك . - هر ستيوبا المحترم  
واخذ يبحث عن محفظة نقوده .

- ما هذا الهراء ! - صاح الفنان الزائر وانطماً سماح اي  
شيء . بخصوص هذا الموضوع .

وهكذا أصبح موضوع الفودكا والطعام واضحاً . ومع هذا كان  
منظر ستيوبا يشير الشفقة : فهو يقيناً لا يذكر أي شيء عن  
العقد . ولم ير اطلاقاً فولند هذا اليلوحة . أجل ، خوستوف  
كان موجوداً . أما فولند فلا .

- اسمح لي بالقاء نظرة على العقد . - سأله ستيوبسا  
بصوت خافت .

- تفضل . تفضل . . .

نظر ستيوبا الى الورقة وجسده . كان كل شيء سليماً .  
اولاً توقيع ستيوبا اللامبالي بخط يده . ثم حاشية جانبية بخط  
المدير المالي ريمسكي تجيز اعطاء الفنان فولند عشرة آلاف  
روبل مقدماً من اصل خمسة وثلاثين ألف روبل اجراء عن سبعة  
عروض . وأكثر من ذلك : كان على الورقة ذاتها تصريح بتوقيع  
فولند بأنه قبض هذه الآلاف العشر !

«ما هذا !» - قال ستيوبا المسكين في نفسه وشعر بدوار .  
تري هل اخذت ثنثابه اعراض لعينة من ضغط الذاكرة ؟ لكن

من الطبيعي أن يرى ستويوا ، بعد أن أبرز له فولند العقد ، أن الاستمرار في رسم علامات الدهشة على وجه امر غير لائق على أقل تقدير . لذلك استأذن ضيفه أن يغيب عنه دقيقة ، وبما أنه كان يرتدي جواربه مخرج إلى الهاتف في المدخل ، وفي طريقه إلى المدخل تادي باتجاه المطبخ :

- نغرونيا !

ولم يجبه أحد . وهنا التي نظرة على باب مكتب برليوز قرب المدخل ، وتجمد في مكانه من الذعر كما يقال . فقد رأى على مقبض الباب ختماً هائلاً بالشبح الأحمر مربوطاً بحبل . مرحي ! هذا ما كان ينتصنا ! - زار شخص مسا في رأس ستويوا . وهنا اندفعت أفكار ستويوا كما لو على خط حديدي لكن هذا الخط ، كما يحدث دائماً في وقت الكوارث ، ذو اتجاه واحد الشيطان أعلم ما هو . ويصعب على المرء حتى تصوير هذا الخليط العجيب من الأفكار في رأس ستويوا . فهنا هذا الشيطان ذو القبعة المستديرة السوداء وفودكاه الباردة وعقدته غير المعقول . وهنا أيضاً ، إلى هذا كله ، الختم على الباب ! يعني ، إذا قلت لأي كان أن برليوز أمر فعلة ما ، لا والله لكن يصدقك ، إلا أن الختم . . . هاهو ذا موجوداً ! آيه . . .

وهنا تسلمت في دماغ ستويوا هواجس جد مزعجة عن مسألة دسها منذ قليل في يدي ميخائيل الكسندروفيتش من أجل نشرها في المجلة ، وكأنه فعل ذلك خصيصاً . والمقالة ، بصراحة ، كانت سخيفة وتافهة ، والمكافأة تافهة . . .

وعقب تذكر المقالة مرق تذكر حديث مريب جرى ، كما يذكر ، مساء الرابع والعشرين من نيسان هنا ، في لفرسة الطعام ، حين كان ستويوا يتناول عشاء مع ميخائيل الكسندروفيتش . بطبيعة الحال ، يعني ، لا يمكن أن نصف هذا الحديث بأنه كان مريباً بملء معنى الكلمة (ستويوا لم يكن ليتورط في حديث كهذا) ، لكن الحديث كان يدور حول موضوع عقيم . وكان بالإمكان ، أيها المواطنون ، ألا يباشر هذا الحديث بعربية تامة . فقبل الختم كان يمكن اعتبار هذا الحديث ، دون شك ، حديثاً جد تافه ، أما بعد الختم . . .



بدأت الأفكار تغل في رأس ستيفوينا : «آه ، برليوز !  
برليوز ! لا أستطيع أن أصوره» .

لكن الوقت لم يكن يسمح للحزن والأسف ، وأدار رقم الهاتف في مكتب المدير المالي لمسرح «فارييتيه» ريمسكي . كان موقف ستيفوينا دقيقاً : لهذا الأجنبي قد يغضب ، لأن ستيفوينا يحاول التأكيد من صحة أقواله بعد أن أبرز له العقد ، ثم إن التحدث إلى المدير المالي في هذا الموضوع شائك للغاية . وبالفضل ، فانت لن تسأله هكذا : «قل لي ، هل وقعت أنتما البارحة عقداً بقيمة وثلاثين ألف روبل مع بروفيسور في السحر الشيطاني» . لا ، الاستفسار على هذا النحو لا يجدي !  
- نعم ! - دوى في السماعه صوت ريمسكي الحاد ، المزعج .

- مرحباً ، غريغوري دانييلوفتش ، - قال ستيفوينا بصوت خافت ، - أنا ليخودوفيف ، هناك أمر . . . هيم ، هيم . . . يجلس عندي . . . هذا . . . الفنان فولند . . . أودت أن أسألك : ماذا بشأن أمسية اليوم ؟  
- آه ، الساحر ؟ - ردّ عليه ريمسكي في السماعه ، - الاعلانات ستكون جاهزة على الفور .

- ها ، ها ، - قال ستيفوينا بصوت واهن ، - السي اللقاء إذن . . .

- وهل ستأتي قريباً ؟ - سأل ريمسكي .  
- خلال نصف ساعة ، - أجابه ستيفوينا وعلق السماعه ، وضغط رأسه المحنوم بيديه . آه ، يالها من قصة بشعة ! ما الذي دهم ذاكرتي ، أيها المواطنون ؟ ؟ ؟

إلا أنه لم يكن من اللائق أن يتأخر ستيفوينا في المدخل أكثر مما تأخر ، فوضع للحال خطته وهي أن يخفي بكل الوسائل نسيانته الذي لا يصدق هذا . أما الآن فعليه أن يستلم من الرجل الأجنبي بالمكر والدهاء عما يتوي عرضه اليوم مساء بالضبط في مسرح «فارييتيه» الذي يقوم ستيفوينا على إدارته . وهنا تحول ستيفوينا عن جهاز الهاتف فرأى بجلاء في المرآة الموجودة في المدخل ، التي لم تسعه الكسولة لرونيا من فترة طويلة ، شخصاً غريباً غارح الطول يضع نظارة انفية (آه ، لو

كان ايطان ليقولايقتس هنا لعرف هذا الشخص فسوراً ا) .  
انعكست صورة ذلك الشخص في المرآة ثم اختلف للحال . التي  
ستيوبو الذي تملكه الاضطراب نظرة اكثر تمنعنا على المدخل  
وارتعشت اوصاله ثانية . فقد رأى في المرآة قطعاً اسود هائل  
الحجم يعبر ثم يختفي .  
الطلع قلب ستيوبو فترجع .

«ما هذا ؟ - فكر في نفسه . - هل ترى بدأت اجن ؟ من  
اين هذه الانعكاسات ؟ - ثم التي نظرة عجل على المدخل وصاح  
مذهوراً :

- غرونيا ا ما هذا القظ الذي يصرح ويصرح عندنا ؟ من  
اين اتى ؟ ومن هذا الذي معه ؟؟  
واجابه صوت لم يكن صوت غرونيا . بل صوت الضيف  
من غرفة النوم :

- لا تشغل بالك يااستيبان بوقدانوقتس . القظ قطي .  
ارجو الا تنار اعصابك . اما غرونيا فغير موجودة . لقد ارسلتها  
الى اهلها في نورونيج بعد ان شككت من انك لم تمنحها اجازة  
من فترة طويلة .

كانت هذه الكلمات مفاجئة وخرقاء بحيث جزم ستيوبو انه  
اخفا السمع . فهرع وقد تملكته هلبة كاملة الى غرفة النوم  
وتجدد في العتبة . اعترت شعرات رأسه وتوضع جبينه حبيبات  
عرق .

لم يكن الضيف في غرفة النوم وحده . بل في صحبة آخرين .  
كان يجلس على المقعد الثاني نفس الشخص الذي تراسى له في  
المدخل . لكنه كان الآن واضح المعالم تماماً : شاويسان  
كريشتين . واحد زجاجي النظارة يلعب بينما الآخر غير موجود .  
وتبين ستيوبو في غرفة النوم . بالاضافة الى هذا . اشياء اسوا :  
كان يستلقي على يوف زوجة الصانع شخص ثالث في وضع ليس  
فيه اي تكلف . وتعميداً كان قط اسود هائل الحجم يسلك  
ياحدى فانمته الاماميتين قدح فودكا . وبالتالي شوكة شرز  
فيها نظر مغلغل .

واخذ النور . الضيف في غرفة النوم اصلاً . يزداد

تضالوا في عيش ستيوبا . «كنا اذن يبدأ الجنون !» - قال ستيوبا في سره وامسك بالسكف .

- ارى انك مندعش قليلاً . ايها العزيز ستيبان بوغدانوفتش ؟ - قال فولند لستيوبا ، الذي كانت أسنانه تصطك ، مستغماً ، - مع انه ليس هناك ما يدعو للدهشة . هذه حاشيتي .

وهنا تناول القط بعض الفودكا . فانزلت يد ستيوبا عن السكف .

وأردف فولند :

- وهذه الحاشية يلزمها مكان . وعلى هذا فان احدنا لا بد ان يكون زائداً في هذه الشقة . ويبدو لي ان هذا الزائد هو انت تحديداً .

- هيم ، هيم ! - قال الطويسل المخطط بصوت كصوت الماعز متكلماً على ستيوبا بصيغة الجمع . - انهم يتصرفون لي الفترة الأخيرة كالخنزير . يسكرون ، ويعقدون علاقات مع النساء مستقلين مركزهم ، لا يعملون شيئاً . بل ولا يستطيعون ان يعملوا شيئاً . لأنهم لا يفهمون شيئاً فيما عهد به اليهم ، ثم ينفرون الرماد في عيون رؤسائهم !

- ويستخدم سيارة الخدمة دون سبب ! - شارك القط في الوشاية وهو يلوذ الفطر .

هنا حدث الظهور الرابع والأخير في الشقة ، عندما كان ستيوبا المتهاوي على أرض الغرفة يخدم بيده الموهنة السكف . فقد خرج من المرآة القالبة مباشرة شخص قصير القامة لكنه عريض الكتفين بشكل غير عادي ، ذو قبعة سوداء اللون صلبة القوام على رأسه وناب بارز من فمه زاد وجهه الذي لم يسر لشناعته أصلاً مثيل شناعة ، زد على ذلك لونه الأحمر كالنار .

وتدخل القادم الجديد في الحديث :

- لست أفهم كيف أصبح هذا مديراً ، - كانت خنة صوته تزداد . - انه لا يصلح للإدارة الا بقدر ما أصلح انا للاستقفاة ! - انك لا تشبه الأستاذ ، يا أرازيلو . - لاحظ القط وهو يضع في صحنة قطعاً من المقاتق .

- هذا الذي أقوله . - قال الأحمر بصوته الأخرن ثم

التفت الى فولند واردف يقول باحترام : - هل تسمح لسي ياسيدي ان ارميه من موسكو الى الشيطان ؟  
- بس . بس . - جاز القط فجأة وقد اتصب شعر جلده .

وهنا اخذت الغرفة تدور حول ستيويا ، فاصطدم رأسه بالسلك . ولعت في رأسه فكرة وهو يغيب عن وعيه «السي اعوت . . .»

لكنه لم يمت . فتح عينيه قليلاً فرأى انه يجلس على شيء ما كانه من الحجر ، وحوله يهدر شيء ما . وعندما فتح عينيه كما يجب رأى ان البحر هو الذي يهدر ، بل زد على ذلك ان الموج يتأرجح عند قدميه تماماً ، وأنه ، باختصار ، عند طرف مكسر أمواج ، وان تحت قدميه بحراً أزرق متلألئاً ، ووراء مدينة جميلة في الجبال .

واذ لم يكن ستيويا يعرف كيف يتصرف في مثل هذه الحالات ، وقف على قدميه المرتعشين وسار على المكسر باتجاه الشاطئ .

وعلى المكسر كان يقف شخصي ، يدخن ويصق في البحر . نظر الى ستيويا بعينين وحشيتين وكلف عن البصاق . اذالك يهر عن ستيويا تصرف لريب : فقد ركع امام المدخن الغريب وقال له :

- اتوسل اليك ان تقول لي ما هي هذه المدينة !  
- ما هذا الكلام ! - اجابه المدخن الغليظ القلب .  
- انا لست سكران ، - اجابه ستيويا بصوت أجش . -  
انا مريض . حدث لي امر ما ، انا مريض . . . اين انا ؟ أي مدينة هذه ؟

- حسناً ، بالظن . . .  
ارسل ستيويا تنهيدة واهنة وخر على جنبه فارتطم رأسه بحجر المكسر الساخن .

## مبارزة بين البروفيسور والشاعر

في نفس اللحظة التي غاب فيها ستيوبا عن وعيه في يالطا ،  
 أي في حوالي منتصف الثانية عشرة ظهراً ، عاد إلى ايفلان  
 ليقولاً يفتش بيزدومشي وعيه بعد نوم طويل وعميق . ظل ايفلان  
 بعض الوقت يحاول أن يتذكر كيف وصل إلى هذه الغرفة الغريبة  
 بجدرانها البيض وبطاولتها الليلية العجيبة المصنوعة من معدن  
 لامع وستارتهما البيضاء التي كان يشعر بالشمس الطيبة  
 وراءها .

مز راسه وتأكد أنه لا يزال ، فتذكر أنه في مصحة .  
 واستدعت هذه الفكرة ذكرى مقتل برليوز ، لكن هذه الذكرى لم  
 تصدمه بقوة اليوم . وأخذت نفسه تستعيد هدومها ، وذمته  
 صفراء بعد أن نال قسطاً وافياً من النوم . ظل ايفلان مستلقياً  
 بعض الوقت في سريره التظيف الوثير الريح ذي التوابض دون  
 حراك ، ثم لمح زر جرس قربه . وعمل ما لوف عادته في لمس  
 الأتسياء دونما داع أو ضرورة ، ضغط على الزر . كان ايفلان  
 يتوقع بعد ضغطه الزر أن يسمع أو يرى شخصاً ، لكن ما حدث  
 كان شيئاً مختلفاً تماماً ، فقد أصابت في أسفل سرير ايفلان  
 اسطوانة ريداء كتب عليها «الشرب» ؛ وبعد أن توقفت بعض  
 الوقت أخذت تدور حتى ظهرت عليها «مرضعة» . من داخل القول  
 أن هذه الاسطوانة الداعية أذهلت ايفلان . ثم اختفت كلمة  
 «مرضعة» لتظهر كتابة أخرى «ادع الدكتور» .

- هيم . . . - تسم ايفلان وهو لا يدري ما يفعل بهذه  
 الاسطوانة . وهنا حالفه الحظ مصادفة ؛ فقد ضغط الزر ثانية  
 على كلمة «مرضعة» . . . أجهت الاسطوانة برتين خافت وتوقفت  
 وانطلقت ، وللحال دخلت الغرفة امرأة لطيفة متلثة القوام في  
 رداء ابيض تظيف وقالت لايفلان :

- صباح الخير !

ولم يرد ايفلان عادةً التحية في مثل هذه الظروف غير  
 مناسبة . وبالعمل احتجزوا انساناً سليماً في مصحة ثم يتظاهرون  
 بأن هذا هو الذي يجب أن يفعلوه !

ودون ان تفقد المرأة بشائسة وجهها ، رفعت الستارة  
بضغطة زر الى الأعلى ، فتدلق نور الشمس الى الغرفة من خلال  
شبكة خفيفة واسعة الفتحات تصل حتى الأرض ، وتكشفت الشبكة  
عن شرفة من ورائها ضفة نهر متعرج وعلى ضفته الأخرى حرش  
صنوبر يهوج المنظر .

- لفضل غداً حتماً ، - قالت المرأة تدعوها ، وانفتح تحت  
يديها جدار داخلي بدا من ورائه حمام وكثيف مجهز تجهيزاً  
والعاً .

وعلى الرغم من ان ايفان قرر الا يكلم المرأة الا انه لم  
يتمالك نفسه ، وقد رأى المساء يتدقق في الحمام بغزارة من  
صنوبر لامع ، فقال في سخرية :

- ما هذا ! كأننا في «الميثروبول» !

- اوه ، لا - اجابته المرأة باعتزاز ، - بل افضل  
كثيراً . هذه التجهيزات لن ترى مثلها حتى في البلاد الأجنبية .  
والعلماء والأطباء يأتون الى هنا خصيصاً ليعاينوا مصحبتنا . وكل  
يوم لا نخلو من سواح .

لدى سماع ايفان كلمة «سواح» تذكر على الفور مستشار  
الأمس . فأكفهر وجهه ونظر شزواً وقال :

- سواح . . . كم تعيدون السواح . . . مع ان بينهم ،  
بالمناسبة ، انساناً ليسوا كما نظن ! البارحة مثلاً تعرفت على  
واحد منهم لا أحب ولا أطفأ !

وكاد يخوض في الكلام على بيلاطس البنطي ، لكنه أمسك  
وقد أدرك ان هذا الكلام لا يهم المرأة ، وانها ، على أي حال ،  
لن تستطيع تقديم أي مساعدة له .

وللعحال قدّم لايوان نيقولايفتش المستعم كل ما يحتاجه  
الرجل بعد الحمام : قميص مكيوي وسروال تحتاني وجوربان . بل  
أكثر من هذا : فقد فتحت المرأة باب خزانة صغيرة وأشارت  
الى داخلها وسألته :

- ماذا تريد ان تلبس : منامة أم روب دي شجير ؟

كاد ايفان ، وقد رأى اسمه يتقيد هنا ، في هذا المسكن  
الجديد عنوة ، ان يضرب كلاً بكف من ولاعة هذه المرأة ، لكنه  
لم يفعل بل حرّز اصبعه صامتاً في منامة من قماش قرمزي ناعم .

واقتيده ايفان بعد هذا في مسر خال ساكن الى مكتب ذي  
ملايسس بالفة الضخامة . اطلق عليه ايفان . الذي قرر ان يتعامل  
مع كل ما في هذا البناء المجهز تجهيزاً عجيباً بسخرية . اطلق  
عليه في سره اسم «المعمل المطبخ» .

وكان لهذا الاسم ما يبرره . كان في المكتب خزانة خشبية  
واخرى زجاجية صغيرة فيها ادوات لماعة مطلية بالنيكل . وكان  
هناك مقاعد معقدة التركيب بشكل خارق . ومصاييح ذات بطون  
عليها واليات لماعة . والعديد من الزجاجات ومشاعل غازية  
واسلاك كهربائية وادوات اخرى لحرية تماماً .

في المكتب تولى ثلاثة امر ايفان - امراتان ورجل . وكلهم  
في رداء ابيض . كان اول ما فعلوه انهم اقتادوا ايفان الى زاوية  
خلف طاولة صغيرة بهدف واضح - استجوابه . اخذ ايفان يقلب  
النظر في وضعه . كانت امامه ثلاثة طرق . وكان اولها الذي  
يفرجه اشد الافراء ان ينفض عن هذه المصاييح والاشياء الداعية  
العجيبة ويحطها تعظيماً . وبهذا يعبر عن احتجابه على احتجازه  
سدى . لكن ايفان اليوم كان يختلف اختلافاً كبيراً عن ايفان  
الأمس . ولهذا بدا له الطريق الاول مشكوكاً في جدواه : من  
يدري فقد تترسخ قناعتهم بانه مجنون هائج . فتغلى ايفان عنه .  
والثاني ان يشرع على القود في التحدث اليهم عن المستشار  
وبيلاطس البنطي . لكن تجربة الأمس البتت له اهم لا يصدقون  
هذه القصة . او انهم يفهمونها فهماً مشوهاً . ولهذا استبعد  
ايفان الطريق الثاني هذا . وقرر اختيار الطريق الثالث -  
الاعتصام بصمت الكبرياء .

لكن ايفان لم ينجح الا جزئياً فقد وجد نفسه . عن رضى او  
غير رضى . يجيب وان بكلمات موجزة وبوجه عايس على مجموعة  
كاملة من الاسئلة .

فقد استفسروا من ايفان عن كل ما يتصل بحياته السابقة  
بما في ذلك وقت مرضه بالحصى القرمزية منذ حوالي خمسة عشر  
عاماً وملابسات مرضه . وبعد ان ملئت الصفحة الاولى قلبت .  
وكانت المرأة ذات الرداء الابيض هي التي تولت الان توجيه  
الاسئلة عن اقرباء ايفان . وبدا استجواب طويل : من مات ومتى  
ومن أي شيء . هل كان يشرب . هل كان مصاباً بامراض زهرية

وما الى ذلك . وفي آخر المطاف طلبوا اليه التحدث عن حادثة  
الأمس في بنريشيين يروذي . لكنهم لم يلحوا على هذا الموضوع ،  
أما روايته عن بيلاطس البنطي فلم تثر فيهم أي دهشة .

واخلت المرأة مكانها لرجل . فتولى هذا امرء لكن على نحو  
آخر ودون أن يوجه اليه أي سؤال . فقد فاس حرارة جسم  
ايفان ونفضه وحقق في عينيه بعد أن سلط عليهما نور مصباح  
كهربائي . ثم نهضت المرأة الأخرى لمساعدة الرجل فوخزاه  
بشيء ما في ظهره وخزات غير مؤلمة ، ورسماً يمتدح مطرقة  
صغيرة اشارات على جلد صدره ، وتقرأ على ركبتيه بالمطرقة مما  
يجعل قدميه تنطان ، ووخزاً اصعباً وسحباً منها دماً ، ثم وخزاه  
في ثنية العرق ، ووضعها في يديه أساور مطاطية .

وكان ايفان في غضون ذلك يضحك في سره بحرارة وهو يفكر  
في سخف والفرابة ما حصل . من كان يقطن ذلك ا أراد ان يحذر  
الجميع من الخطر الذي يحمله اليهم هذا المستشار الغريب ، وهكذا  
العزم على ملاحظته والماء القبيح عليه فلم يجر من هذا كله سوى  
ان وجد نفسه في المكتب الغامض ليتحدث بترهات لا أول لها ولا  
آخر عن عمه فيودور الذي أمضى حياته يسكر في فولوغدا . ياله  
من سخف لا يطاق !

وأخيراً تركوه وشأنه فأعادوه الى غرفته حيث قدم له فنجان  
قهوة وبيضتا برشت وخبز أبيض مع قطعة زبدة .  
فرد ايفان . بعد أن أكل وشرب ما قدم له . انتظار المسؤول  
الرئيسي في هذه المؤسسة والظفر منه . هذا المسؤول الرئيسي ،  
بالرعاية والعدل .

ولم يطل انتظاره . فما كاد يفرغ من تناول العطور ، حتى  
فتح باب غرفة ايفان فجساة ودخل أشخاص كثيرون في أردية  
بيض . يتقدمهم شخص في نحو الخامسة والأربعين من العمر  
محلوق الرأس بعناية على طريقة المثملين ، ذو عينين لطيفتين  
أما جد نائفتين وطريقة في التعامل تشي بأدبه الجم . وكانت كل  
حاشيته تبدي له علامات الحفاوة والاحترام ، ولهذا بدأ دخوله  
الى غرفة ايفان جد مهيب . «كاته بيلاطس البنطي !» - قال ايفان  
في سره .



نعم ، كان هذا المسؤول الرئيسي دون شك . جلس على  
منضدة صغيرة دون مستند بينما ظل الآخرون وقوفاً .

- الدكتور سترافنسكي ، - قال الجالس يقدم نفسه الى  
ايفان وهو يلتقي عليه نظرة ود .

- تفضل ياالكسندر تيغولايفتش ! - قال أحدهم وهو ذو  
لحية مهندسة بصوت خافت ومد يده الى المسؤول الرئيسي  
بصحيفة ايفان المليئة .

«عملوا منها قصة !» - قال ايفان في سره . امسا المسؤول  
الرئيسي فقد مر على الصحيفة بعينين معتادتين ولعظم : «او -  
هو ، او - هو . . .» وتبادل مع المحيطين به بعض عبارات بلغة  
قليلة الشهرة .

«ويتكلم باللاتينية مثل بيلاطس . . .» - فكر ايفان في  
حزن . الا ان احدى الكلمات جعلته يرتعد . وكانت هذه كلمة  
«الضمام» - اي واسفاء الكلمة التي تلوها بها الاجنبي اللعين في  
بتريرشبي يرودي يوم امس والتي كررها اليوم البروفيسور  
سترافنسكي هنا .

«وكان يعرف هذا ايضا !» - فكر ايفان في قلق .

كان المسؤول الرئيسي قد درج ، فيما يبدو ، على موافقة من  
يحيط به في كل ما يقوله ويسر به وان يعبر عن موافقته وسروره  
هذين بكلمة «رائع ، رائع . . .»

- رائع ! - قال سترافنسكي وهو يعيد الصحيفة لأحدهم ،  
ثم التفت الى ايفان يسأله : - انت الشاعر ؟

- نعم ، شاعر ، - اجابه ايفان في تهم . وهو يشعر للحرارة  
الأولى في حياته بكرة غامض للشعر ، حتى أشعاره التي مرت  
بخاطره في هذه اللحظة بدت له ، لسبب ما ، كريهة .

وسال بدوره سترافنسكي وهو ملطخ الجبين :

- انت البروفيسور ؟

رد عليه سترافنسكي بالحنانة أدب ومعاملة من راسه .  
واستطرد ايفان :

- وانت المسؤول الأول هنا ؟

حتى سترافنسكي راسه مرة أخرى .

- انا بحاجة الى التحدث اليك ، - قال ايفان ليقولافنتس  
بلهجة ذات معنى .

- ولهذا بالضبط حضرت ، - رد سترافنسكي .

- المسألة ، - بدأ ايفان كلامه وقد شعر ان ساعته  
ازلت ، - المسألة انهم عدوني مجنوناً ولا احد يريد ان يستمع  
الي . . .

- او ، لا ، سنستمع اليك باهتمام شديد ، - قال له  
سترافنسكي بصوت وزيين مطمئن ، - ولن نسمح باحتبارك مجنوناً  
باي صورة من الصور .

- اسمعني الآن ، امس مساء صادفت في بتريشيني برودي  
شخصاً غامضاً ، لا ادري ان كان اجنبياً ام لا ، كان يعرف  
سابقاً موت برليوز ، وراى شخصياً بيلاطس البنطي .  
كانت العاشية تصفي الى الشاعر وكان على رأسها الطير  
كما يقال .

- بيلاطس ؟ بيلاطس ذلك الذي عاش في ايسام يسوع  
المسيح ؟ - سأل سترافنسكي ايفان وهو يضيق عينيه .  
- هو نفسه .

- آ ، - قال سترافنسكي ، - وبرليوز هذا مات تحت  
عجلات الترام ؟

- نعم بالضبط ، امس مساء دعسه الترام امامي في  
بتريشيني برودي ، زد على ذلك ان هذا المواطن اللغز . . .  
- الذي يعرف بيلاطس البنطي ؟ - سأل سترافنسكي الذي  
كان يتميز ، كما هو واضح ، بتدرة كبيرة على الفهم .

- هو بالذات ، - اجاب ايفان مؤكداً وهو يتلخص وجه  
سترافنسكي ، - هذا المواطن ، الآن ، قال مسبقاً ان اوشكا  
سكنت زيت عباد الشمس . . . وقد زلت قدمه في ذلك المكان  
بالذات اهل اعجبك هذا ؟ - تسأل ايفان بلهجة ذات معنى على  
امل ان يحدث بكلماته هذه تأثيراً كبيراً في سترافنسكي .

لكن هذا التأثير لم يحصل ، إذ طسرح عليه سترافنسكي  
السؤال التالي ببساطة متناهية :

- ومن اوشكا هذه ؟

واربك هذا السؤال ايفان فتشجع وجهه .

- انوشكا لا اهمية لها في هذا الموضوع على الاطلاق . -  
اجاب ايفان وقد اخلت اعصابه تتوتر . - الشيطان اعلم من  
من . مجرد حقاء من سادوقايسا . المهم هنا انه كان يعرف  
مسبقاً . هل تفهمسي - كان يعرف مسبقاً بامر زيت عبسار  
النسسي . هل تفهمني ؟

- كل الفهم . - اجابه سترافنسكي بصوت رزين واردف  
يقول وهو يمس ركة الشامر : - وانت تابع . لا تطلق .

- ساتابع . قال ايفان وهو يجهد لأن يجاري لهجة  
سترافنسكي وقد أدرك بتجربته المرة ان الهدوء وحده يمكن ان  
يساعده . - هذا الشخص الطليح الآن . وهو يتكلم حين يدعي  
انه مستشار . هذا الشخص الطليح يمتنع بقوة خارقة . . .  
مثلاً . تطارده فلا تستطيع اللحاق به . ومعك اثنان . هما أيضاً  
جيدان انما في جنسهما : رجل طويل بزجاج نظارة متصدع . وقط  
هائل الحجم يركب الترام بمفرده . - وتابع ايفان الذي لم يكن  
يقاطعه أحد حديثه بزيد من الحماسة والقناعة : -زد على ذلك  
انه كان شخصياً على شرفة بيلاطس البنطي . وهذا امر لا يحتمل  
الشك . فما معنى هذا ؟ علينا اعتقاله على الفور والا جر علينا  
مصائب لا توصف .

- انت الآن نسعي الى اعتقاله . اليس هذا ما تريد قوله ؟  
- سألته سترافنسكي .

«انه ذكي - فكر ايفان في سره . - يجب الاعتراف انه يوجد  
أحياناً بين المتكلمين أيضاً أناس اذكيا جداً . وعلينا الا ننكر  
ذلك !» - واجاب :

- تماماً ! وكيف لا أسعي الى اعتقاله . فكر في هذا بنفسك !  
ويستلزم من ذلك يحجزونني هنا عنوة ويسلطون على عيني  
مصائبهم . ويحسبونني ويطرحون علي اسئلة عن عني  
فيودور ا . . مع انه فارق الحياة منذ امد بعيد جداً ! واني  
لاطلب اطلاق سراحي فوراً .

- وماذا في الأمر ! رابع ا - رد عليه سترافنسكي . - لقد  
اتضح كل شيء . وبالفعل ما الحكمة في احتجاز انسان سليم في  
المصحة ؟ حسن ! سأطلق سراحك على الفور اذا قلت لي انك

انسان سوي . اريدك ان تقول لي هذا لا ان تبرهن عليه . وهل هذا ، هل انت انسان سوي ؟  
وهنا اطبق صمت كامل . رفعت المرأة البدينة التي كانت ترضع ايفان في الصباح عينها الى البروفيسور في نظرة اكبار ، بينما فكر ايفان في سره ثانية : «ذكي بالتأكيد» .  
وقع عرض البروفيسور موقفاً حسناً من نفس ايفان ، لكنه فكر طويلاً طويلاً قبل ان يجيب وقد قطب جبينه . وقال اخيراً بصوت جازم :

- اني انسان سوي .

- تمام ، رائع ، - صاح سترافنسكي في ارتياح . - اذا كان الامر كذلك فتعال تفكر معاً بشكل منطقي . لتأخذ يوم أمس ، - وهنا التفت فلنأولوه صحيفة ايفان حالاً . - خلال بحثك اليارحة عن الشخص المجهول الذي قدم اليك نفسه على انه من معارف بيلاطس البنطي قمت بالأعمال التالية . - وهنا اخذ سترافنسكي ينسى اساميه الطويلة وهو ينظر الى الصحيفة تارة وتارة ايفان تارة اخرى ، - علقت على صدرك ايقونة . حدث ؟  
- حدث . - قال ايفان موافقاً في نجهم .

- سقطت عن السياج وجرحت وجهك . صحيح ؟ حضرت الى المطعم وانت تحمل شمعة مشتعلة بيدك وانت في ملابسك الداخلية فقط . وفي المطعم صنعت احد الحاضرين . احضروك الى هنا مقيداً . وبعد حضورك اتصلت هاتفياً بالشرطة وطلبت منهم ارسال رشاشات . تم حاولت الفرار من النافذة . صحيح ؟ هنا لا بد ان تتساءل : هل يمكننا يتصرفنا على هذا النحو ان نلبس على شخص ما او نعتقله ؟ اذا كنت انساناً سويماً ، فلا بد ان تجيب : لا ، ابداً . تريد ان تخرج من هنا ؟ تفضل . انما اسمح لي ان اسالك : الى أين ؟

- الى الشرطة بالطبع . - اجابته ايفان لكن ليس بنفس اللهجة الرنانة كالسابق ، وهو يشعر ببعض الاوتباك والحيرة من نظرات البروفيسور المسطحة عليه .

- من هنا مباشرة ؟ انما يشعركم اني اريد ان ابرهنه ثانية .  
- نعم .

- ان تعرج في طريقك على شقتك ؟ - سألته سترافنسكي بسرعة .

- لا وقت لدي اسيختني بينما انا ادور على الشقق ا  
- حسن . وما هو اول شيء ستقوله لهم في قسم الشرطة ؟  
- سأخبرهم عن بيلاطس البنطي . - اجابه ايفان نيقولايفتش  
واقشيت عينيه سحابة قائمة .

- اوه . رائع ا - هتف سترافنسكي مستسلماً والتفت الى  
الرجل ذي اللحية يأمره قائلاً : - اكتب للمواطنن بيزدومني  
ورقة تخريج من فضلك يا فيودور فاسيليفتش . انما لا تشغلوا  
هذه الغرفة . كما بإمكانكم الا تقيموا بياضات السرير . فالمواطن  
بيزدومني عائد الى هنا في ساعتين . - ثم التفت الى ايفان  
قائلاً : - وماذا في اليد . لا استطيع ان اتمنى لك التوفيق .  
لاني لا اؤمن بهذا التوفيق مقدار ذرة . الى اللقاء قريباً ا -  
ونفض فتحركت حاشيته حوله .

- هل اي اساس ساعدت الى هنا ؟ - سألته ايفان في قلق .  
وكان سترافنسكي كان يتوقع هذا السؤال فعاد من فوراً الى  
الجلوس وقال :

- هل اساس انك هنا ان تحضر في سروالك التحتاني الى  
الشرطة . وتقول انك التقيت بشخص عرف شخصياً ببيلاطس  
البنطي . حتى يعيدوك الى هنا على الفور لترى نفسك في هذه  
الغرفة نفسها .

- وما شأن السروال التحتاني هنا ؟ - سألته ايفان وهو  
يتلفت حوله في ارتباك شديد .

- الشأن الاول هو شأن ببيلاطس البنطي . لكن السروال  
التحتاني له دخله ايضاً . فنحن سنخلع هناك ثياب الدولة وتعيد  
اليك ثيابك . لقد احضرت اليها في سروالك التحتاني . ومع هذا  
لم ترهب في التعرّيج على شقتك مع اني لمحت لك الى هذا . بعد  
ذلك انصب الحديث على ببيلاطس . . . واصبحت المسألة  
مفهومة ا

وهنا حدث لايفان نيقولايفتش شيء قريب : كأنما قلت  
لرأدته فشمع انه ضعيف وانه يحتاج الى النصح .  
- وما العمل ؟ - سأل في وجل هذه المرة .

- رائع ! رائع ! - ردّ سترافنسكي . - هذا سؤال  
معتول جداً . سأقول لك الآن ما جرى لك بالضبط . البارحة  
احدهم اربعك وشوش أفكارك بقصصه عن بيلاطس وغيرها ،  
فانطلقت في المدينة ، وانت متوتر الأعصاب مجهوما ، تحدث  
الناس عن بيلاطس البنطي . ومن الطبيعي جداً ، في هذه الحالة ،  
ان يعتبروك مجنوناً . ان خلاصك الآن ليس له الا سبيل واحد -  
الهدوء التام . وبالتالي لا بد لك من المكوث هنا .  
- لكن يجب العثور عليه ! - هتف ايفان . انما بصوت  
ضارح هذه المرة .

- حسن . ولكن لماذا عليك ان تلاحقه بنفسك ؟ امرض  
على ورقة كل شكوكك حول هذا الشخص وكل اتهاماتك له .  
وليس هنا ما هو اسهل من توجيه نصريتك حيث يجب ان يوجه ،  
وإذا كان الأمر أمر مجرم كما تلتزم . فما أسرع ما يتضح  
الأمر . انما هناك شرط واحد : لا تجهد رأسك وحاول ان تفكر  
اقل ما يمكن في بيلاطس البنطي . هل ما تلوكه الألسن بالنسبة  
التقليد ! انما على الانسان الا يصدق كل ما يسمع !  
- فهمت ! - أعلن ايفان بحزم . - أرجو اعطائي ورقة  
وقلماً .

- اعطيه ورقة وقلم وحصان نصيراً . - امر سترافنسكي  
المرأة البديئة ، بينما قال لايفان ما يلي : - اصحك الا تكتب  
اليوم شيئاً .  
- لا . لا . بل اليوم . اليوم لا معالة . - صاح ايفان في  
اللق .

- حسن . انما لا تجهد دماغك . ما لا تستطيعه اليوم  
تستطيعه غداً .

- لكنه سيهرب !

- لا . لا . - اعترض سترافنسكي بنقصة . - لن يهرب  
وانا اضمن ذلك . ثم اذكر انهم هنا سيقتدون لك كل أشكال  
المساعدة ، وبدونها لن تستطيع شيئاً . هل تسمعني ؟ - سأل  
سترافنسكي فجأة بلهجة ذات معنى وامسك يديه ووضعها بين  
يديه . واخذ يردد على سماع ايفان وهو ينظر في عينيه طويلاً  
ربحاناً : - سيساعدونك هنا . . . هل تسمعني ؟ سيساعدونك

هنا . . . سيساعدوك هنا . . . وستجد الراحة والاطمئنان .  
 هنا كل شيء هادي . . . سيساعدوك هنا . . .  
 تنام ايلان فجأة ولالت تعابير وجهه .  
 - نعم . نعم . - قال بصوت خفيض .  
 - رائع ! رائع ! - انهى ستراهنسكي الحديث بهذه الكلمات  
 على عادته . ذهب واقفاً - الى اللقاء ! - وشد على يد ايلان ثم  
 التفت وهو خارج الى الرجل ذي اللحية الصغيرة وقال له : -  
 على فكرة ، اما الاوكسجين فحريه . . . والمفاس .  
 وفي ثوان اختفى ستراهنسكي وحاشيته من امام ايلان . ولاح  
 وراء شبكة النافذة في شمس الظهيرة حرش الصنوبر الريبي  
 البهيج على المساطر الآخر والنهر يتلأأ امامه .

## الفصل التاسع

### ملاعب كوروفييف

كان نيكاتور ايفانوفتش بوسوي وليس الجمعية السكنية  
 للنهاية رقم ٣٠٢ حكرز ، القائمة في شارع سادوفايا في موسكو ،  
 حيث كان يلعب المرحوم برليوز ، غارقاً حتى شحمة اذنيه في  
 مشاغل وهوام هائلة من الليلة السابقة ، ليلة الاربعاء على  
 الخميس .

ففي منتصف الليل ، كما تعرف ، حضرت اللجنة ، التي كان  
 جيلديبين من اعضائها ، واستدعت نيكاتور ايفانوفتش واخبرته  
 بصريح برليوز ، ثم توجهوا معاً الى الشقة رقم ٥٠ .

ثم هناك ختم مخطوطات المرحوم وحاجياته . وتبين انه لم  
 يكن في الشقة آنذاك الخادمة ثرونيسا ولا هذا الطائر ستيبان  
 بوفدانوفتش . واعلمت اللجنة نيكاتور ايفانوفتش انها ستأخذ  
 معها مخطوطات المرحوم لفرزها ، وان سكن المرحوم اي الغرف  
 الثلاث (المكتب وغرفة الاستقبال وغرفة الطعام التي كانت عائدة  
 لزوجته الصانع) سيوضع تحت تصرف الجمعية السكنية . اما  
 حاجيات المرحوم فتحتفظ في سكنه حتى الاعلان عن أسماء الورثة .

انتشر خبر مصرع برليوز في البناية كلها بسرعة فائقة ، وبدأت الهوائف أولاً تنهال على بوسوي منذ الساعة من صباح الخميس ، ثم أخذ الناس يحضرون شخصياً ومعهم طلبات يدعون فيها احتيبتهم في سكن المرحوم . وفي ساعتين استلم نيكاتور ايفانوفتش اثنين وثلاثين منها .

وكانت هذه الطلبات تتضمن توسلات وتهديدات ورسايات ووشايات وتمهيدات باصلاح السكن على نفقة مقدم الطلب الخاصة . واشذرات الى ضيق المنزل الذي لا يحتمل ، والى استحالة السكن في شقة واحدة مع لصوص . وما تضمنته هذه الطلبات وصف مذهل بقوته الفنية لسرقة اقدم اطائر صغيرة باللحم في الشقة رقم ٣١ ، وكيف دسها مباشرة في جيب جاكيتته ، ووعدان بالانتحار ، واعتراف واحد بحمل سري .

وكانوا يستدعون نيكاتور ايفانوفتش الى مدخل شقته ، ويسكنونه من كعب ويهيسون له بشيء ما ويضربونه ويعدونه بان يردوا له جميله .

واستمر عذاب نيكاتور ايفانوفتش هذا حتى بداية الساعة الأولى ظهراً . اذ هرب ، نعم بكل بساطة هرب من شقته الى مقر الجمعية السكنية القائم قرب الباب الخارجى ، لكنه حين رأى هناك اناساً تترصده أيضاً ظل منطلقاً . وبعد ان استطاع بشكل ما التلصص من الذين كانوا يتعقبونه في الغناء الواسع المفروش بالاسفلت ، اختبأ في المدخل السادس للبنائة وصعد الى الطابق الخامس حيث الشقة النجسة رقم ٥٠ ايها .

التقل نيكاتور ايفانوفتش اليدين انفاسه امام الشقة ثم فرج جرسها ، لكن احداً لم يفتح له . فقرعه ثانية ثم ثالثة واخذ يندم ويسب ويشتم بصوت خافت . ومع هذا لم يفتح له احد . اذاك لقد صبر نيكاتور ايفانوفتش فاخرج من جيبه رزمة من نسخ المفاتيح العائدة لادارة العمارة السكنية . وبمركبة من بيده الامر والنهي فتح الباب ودخل .

- اي ، ايها الخادمة ، - صاح نيكاتور ايفانوفتش وهو في المدخل نصف العاتم ، - ما اسمك انت ؟ غرونيسا ، اليس كذلك ؟ اليس هنا ؟

لم يرد عليه احد .



اذك نزع نيكانور ايفانوفتش الغتم عن باب المكتب ، واخرج  
من حقيبته متراً مطويًا وخطا باتجاه المكتب .  
صحيح انه خطا ، لكنه توفسف مذهولاً في الباب ، بل ان  
فرالسه ارتعدت .

لقد كان يجلس الى طاولة المرحوم مواطن غريب نحيل  
وطويل يلبس جاكيتية ذات مربعات وقبضة شتواري وخطارة  
انفية . . . وبكلمة واحدة ذلك الشخص اياه .  
- من تكون ايها المواطن ؟ - سألته نيكانور ايفانوفتش  
وهو في حالة ذعر .

- فرصة سعيدة ، يا نيكانور ايفانوفتش ، - صرخ المواطن  
غير المنتظر بصوت عالٍ وحاد ووثب مسن مقعده يحيى رئيس  
الجمعية السكنية بالشد على يده بفتة وحنوة . ولم تبعت هذه  
التحية في نفس نيكانور ايفانوفتش أي شعور بالسرور أو الرضى .  
- المعذرة ، - قال نيكانور ايفانوفتش بلهجة ارتياح ، -  
لكن من تكون ؟ هل انت شخص رسمي ؟

- اي ، نيكانور ايفانوفتش ، - هتف المجهول بورد ، -  
ما معنى ان يكون الانسان شخصاً رسمياً أو غير رسمي ؟ هذا  
كله يتوقف على الزاوية التي ننظر منها الى الاشياء . وهذا كله ،  
يا نيكانور ايفانوفتش ، اشياء شرطية ورجاجة . اليوم قد لا  
اكون شخصاً رسمياً ، بينما غداً اكونه . وقد يحدث العكس ،  
يا نيكانور ايفانوفتش ، وامرأ منه ، وليتك تعرف كيف يحدث !  
لم يترض هذا القول رئيس مجلس ادارة العمارة بأي شكل  
من الاشكال مما دفعه الى الاستنتاج ، وهو الانسان المتشكك  
بطبيعته ، ان هذا المواطن المتبسط في الكلام امانه ، اما هو  
شخص غير رسمي ، وربما كان شخصاً بطالاً .

- ومن تكون أخيراً ؟ وما هي كنيته ؟ - كان صوت رئيس  
مجلس الادارة يزداد صرامة ، بل همّ يدفع الغريب ،  
- كنيته ، - اجابه المواطن الغريب دون ان يشعر بأي  
حرج من لهجة السؤال الصارمة ، - كنيته ، لنقل كوروفنييف ،  
على فكرة الا تريد بعض المسزة يا نيكانور ايفانوفتش ؟ بدون  
كلفة ! ؟

- العلو ، - قال نيكانور ايفانوفتش والسيد اخذ السخط

يتملكه ، - أي مزة هذه التي تتكلم عنها ! (ويجب الاعتراف هنا ، مع ان هذا ليس بالنسيء اللطيف ، ان نيكاتور ايفانوفتش كان على شيء من الغفظة بطبعه) . الا تعرف ان الجلوس في مسكن المتوفى ممنوع ا ماذا تفعل هنا ؟

- هلا جلست ، يانيكاتور ايفانوفتش ، - زعق المواطن دون اي ارتباك وأخذ يسمي حوله مقدماً له أريكة .

دفع نيكاتور ايفانوفتش الأريكة وجار وهو يشبه غيظاً :  
- ومن تكون أخيراً ؟

- اذا أردت أن تعرف فانا أعمل مترجماً لدى شخصية أجنبية تكلم في هذه الشقة ، - قال الذي يدعي انه كوروفيف مقدماً نفسه ، ونظر بكعب حدائه الأحمر الوسخ .

فكر نيكاتور ايفانوفتش لماه - فوجد أجنبي ، وبعبية مترجم أيضاً ، في هذه الشقة كان مفاجأة كاملة له . وطالب بإيضاحات ، وأوضح المترجم الأمر بطيب خاطر ، لقد تلقى الفنان الأجنبي السيد فولند دهوة كريمة من مدير مسرح «فارييتيه» ستيفيان بوغدانوفتش ليخوديف ليزول فترة جولته الفنية التي تمتد نحو اسبوع في شقته ، ولقد كتب ال نيكاتور ايفانوفتش البارحة في هذا الخصوص طالباً اليه تسجيل اسم الأجنبي مؤلفاً بين أسماء قاطني البناية ، ويشأ يعود ليخوديف من بالطا .

- انه لم يكتب لي شيئاً ، - قال الرئيس مبهوراً .

- هلا بحثت في حقيبتك يانيكاتور ايفانوفتش ، - قال له كوروفيف مذوبة .

فتح نيكاتور ايفانوفتش الحقيبة وهو يهز كتفيه ، ووجد فيها رسالة ليخوديف .

- كيف نسبتها ؟ - فغمم نيكاتور ايفانوفتش وهو ينظر الى الطرف المفضوض ببلادة .

- ما أكثر ما تحدث مثل هذه الامور ، ما أكثر ما تحدث ، يانيكاتور ايفانوفتش ! - أخذ كوروفيف يثرثر ، - السهو ، السهو ، والارهاق وارتفاع ضغط الدم يأسديتنا العزيز نيكاتور ايفانوفتش ! انا شخصياً شديد السهو والشرد بشكل فظيح . لا يد ان أروي لكه ونحن نتناول كأساً بعض وقائع من حياتي وستفهمه من الضحك !

- وحتى يسافر ليخوديف الى يالطا ١٩

- لقد سافر ، سافر ! - صرخ المترجم ، - انه منطلق ،  
والشيطان وحده يدري اين هو الآن ! - وهنا لوح المترجم بيديه  
الاشبه بجناسي طاحونة .

وهنا أعلن نيكاتور ايفانوفتش عن ضرورة مقابلة الاجنبي  
شخصياً ، لكنه جوبه برفض المترجم : مستحيل ، انه مشغول ،  
يرفض القف .

- يمكنني ان اريك القف اذا شئت ، - اقترح عليه  
المترجم .

لكن نيكاتور ايفانوفتش رفض بدوره هذا العرض ، فالتجبه  
كوروفيف على الفور بعرض آخر مفاجئ ، لكنه جد مفر .

بما ان السيد فولند الذي ألف العيش في دور واسعة لا  
يرغب بأي شكل من الاشكال النزول في الفندق ، الا تستطيع  
الجمعية السكنية تاجيره الشقة كلها ، أي بما في ذلك غرف  
المرحوم لمدة اسبوع ، أي طول جولة فولند الفنية في موسكو ؟  
واردف كوروفيف يهس بصوت جسر :

- الامر سيان بالنسبة له ، للمرحوم ، الا توافقني يانيكاتور  
ايفانوفتش ان هذه الشقة لا تهبه في شيء الان ؟

اعترض نيكاتور ايفانوفتش وقد اتياه بعض الارتباك بالقول  
ان المفروض في الاجانب ان ينزلوا في فندق «الميتروبول» وليس  
في شقق خاصة . . .

- اقول لك انه صاحب نزوات لا يدري بها الا الشيطان !

- هس كوروفيف ، - لا يرغب وحسب ! انه لا يحب الفنادق !

- واردف كوروفيف يشكو بلهجة حبيبة وهو يغرر اصبعه في

رقبته المعروفة : - انظر اين يركب هؤلاء السواح ، لقد ازهقوا

روحي ! يائي احدهم . . . فاما ان ياخذ بالتجنس كلاحظ اين

كلب ، واما ان يزهد روحك بنزواته : هذا الشيء لا يعجبه ،

وذلك ليس كما يجب ! . . . اما جمعيتكم ، يانيكاتور ايفانوفتش ،

فعرشه يعود عليها بفائدة بالغة وبلغ مطلق ، وهو لا يرضن بأي

مبلغ ، - وهنا تلمت كوروفيف حواسه وهس في الذن رئيس

الجمعية : - انه مليونير !

كان في عرض المترجم معنى عملي واضح ، وكان عرضه في

غاية الرصانة ، لكن شيئاً ما غير رصين يشكّل غريب كانت  
تسبب به طريقة المترجم في الكلام ولباسه ونظاراته الاتلية المقيتة  
هذه التي لا تصلح لشيء . وبالتالي أخذ شيء ما غامض ينقل على  
نفسه ، لكنه قرر مع هذا قبول العرض . ذلك ان الجمعية  
السكنية كانت تعاني ، للأسف ، من عجز كبير . فقد كان عليهم ،  
في مطلع الخريف ، ان يشتروا مازوتاً للتدفئة المركزية ولكن  
كيف - لا أحد يدري . وبهذا المال الذي يعرضه هؤلاء السواح  
يمكنهم الخروج من المأزق . لكن نيكانور ايفانوفتش العملي  
والحذر أعلن ان عليه أولاً ان ينسق هذا الأمر مع مكتب السواح  
الاجانب .

- انهم ذلك . - صاح كوروفيف ، - يجب التنسيق ،  
التنسيق لا بد منه . هاهو ذا الهاتف يا نيكانور ايفانوفتش ، نسلكه  
معهم حالاً . وبخصوص المال لا تتخرج ، - أردف عمساً وهو  
يسحب رئيس الجمعية باتجاه مدخل الشقة حيث الهاتف ، - ممن  
يمكنك ان تأخذ مالاً ان لم يكن منه ! لو رأيت دارته في ليس !  
اذا سافرت الصيف القادم خارج البلد ، تصدّ المرور عليه  
لتتأملها - سياحتك العجب !

ونسق الأمر بالهاتف مع مكتب السواح بسرعة فائقة الأهلن  
ورئيس الجمعية . فقد تبين انهم هناك يعرفون بنية السيد فولند  
النزول في شقة ليخوديفيف الخاصة ، وانهم لا يعترضون على هذا  
بتاتاً .

- رائع ! - جاز كوروفيف .

وأعلن رئيس الجمعية الذي سمعته جلية كوروفيف قليلاً  
ان الجمعية توافق على تأجير الفنان السيد فولند الشقة رقم ٥٠  
لأسبوع بمبلغ . . . - وهنا لتعلم قليلاً ثم أردف :

- بمبلغ خمسمائة روبل في اليوم الواحد .

وهنا أدهش كوروفيف رئيس الجمعية نهائياً . فقد قال  
بصوت جش وهو يغمز بالجاه لرفة النوم ، حيث كانت تسمع  
لغزات القطن الثقيل الرشيق :

- معنى ذلك ثلاثة آلاف ونصف في اسبوع ؟

ظن نيكانور ايفانوفتش ان كوروفيف سيرد على ذلك :

«بالشهيتك يانيكانور ايفانوفتش ا» - لكن كوروفيف قال شيئاً آخر تماماً :

- وهل هذا مبلغ ! اطلب خمسة يعطك .

ايتمتع نيكاتور ايفانوفتش في ذهول وما لبث ان وجد نفسه ، دون ان يدري ، قرب مكتب المرحوم حيث كتب كوروفيف بسرعة وبهارة عظيمنتين العقد على نسختين . ثم اسرع الى غرفة النوم وعاد منها فاذا بالنسختين قد وقعتهما الاجنبي بحروف عريضة . كما وقع العقد رئيس الجمعية ايضاً . وهنا طلب كوروفيف ايصالاً بخمسة آلاف . . .

- اكتبها احرفاً يانيكانور ايفانوفتش ا . . . خمسة الالف

روبل . . .

وبكلمات لا تناسب العمل الجاد الذي يقومون به «اين - تسلي - دي» \* وضع كوروفيف خمس رزم من الأوراق المصرفية الجديدة امام رئيس الجمعية .

تخلل عد النقود مداعبات وامثال كان يطلقها كوروفيف : «المال يحب العدة» ، «عينك ابصر» وما الى ذلك .

عد رئيس الجمعية النقود واخذ من كوروفيف جواز سفر الاجنبي لتسجيل الاسم ووضعه هو والعقد والنقود في حقيبته ، ثم التفت الى كوروفيف ، وهو لما بعد يتماثلك نفسه . وسأله على استحياء بطاقة دخول مجانية . . .

- تكرم ، تكرم ا - جاز كوروفيف ، - كم بطاقة تريد ، يانيكانور ايفانوفتش . اثنتا عشرة ، خمس عشرة ؟

افهمه رئيس الجمعية المبهوت انه يحتاج الى بطاقتين فقط ، له ولزوجته بيلافيا انطوننا .

وللمحال اخرج كوروفيف مفكرة ، وحرر لنيكانور ايفانوفتش باندفاع بطاقة مجانية لشخصين في الصنف الامامي ، ثم دس بيده اليسرى البطاقة بيد نيكاتور ايفانوفتش برشاقة ، بينما وضع بيده اليمنى رزمة سمبكية موشخشة في يد رئيس الجمعية الأخرى . التي نيكاتور ايفانوفتش نظرة خاطفة على الرزمة فاصطبح وجهه بحمرة شديدة واخذ يدفعها عنه .

\* واحد اثنان ثلاثة (بالالعالية) . المترجم : ا . . .

- هنا لا يجوز . . . - قال مضطجاً .

- لا تتعب نفسك ، لن أصفي اليك ، - همس كوروفيف في اذنه تماماً . - عندنا هذا غير جائز ، اما عند الأجانب فجائز . انك ستزعله يانيكانور ايفانوفتشس وهذا مخرج . لقد سمعت وبذلك جهداً . . .

- القانون يعاقب بصرامة . - همس الرئيس بصوت خافت خافت وتلفت حوله .

- واين الشهود ؟ - همس كوروفيف في اذنه الأخرى . - اني أسالك : اين هم ؟ ومع تخاف ؟

وهنا حدثت معجزة كما أكد رئيس الجمعية فيما بعد : فقد اتسلت الرزمة بنفسها من يده الى حقيبته . ثم وجد نفسه ، وهو المهدود القوى بل المحطم ، على السلم . كان تيار من الانكار يضرب في رأسه . وكان من بيتها تلك الدارة في نيس . والقط العرواض ، وعدم وجود شهود بالفعل ، وسرور بيلاغيا انطونوفنا لدى رؤيتها البطاقة المجانية . كانت افكاراً غير مترابطة لكنها لطيفة سارة على وجه العموم . ومع هذا كله كانت هناك في اعصافه ابرة صغيرة تحزه . هذه الابرة كانت ابرة الفلق ، وبالإضافة الى ذلك زلزلت كيان الرئيس وهو لا يزال على درجات السلم فكرة : «كيف استطاع المترجم الدخول الى المكتب وبابه مختوم ؟ او كيف لم يسأله هو نيكاتور ايفانوفتشس عن ذلك ؟» . وقف رئيس الجمعية فترة ينظر ببلاهة الخروف الى درجات السلم ثم قرر تناسي هذا الموضوع وعدم تعذيب نفسه بحصل هذه المسألة المحلدة . . .

ما ان غادر رئيس الجمعية السكنية الشقة حتى تناهى من غرفة النوم صوت متخضض :

- نيكاتور ايفانوفتشس هنا لم يعجبني . انه غشاش ونصاب ، الا نستطيع ان تعمل بحيث لا يعود الى هنا ابداً ؟

- حسبك ان تأمر ياسيدي . . . - اجابه من مكان مسا كوروفيف بصوت صاف جهوري لا اثر للصرير فيه .

وعلى الفور صار المترجم اللعين في المدخل ، حيث ادار رقياً واخذ يقول في السعادة بصوت الله اعلم لماذا كان باكياً :

- الو ! اعتبر من واجبي ابلاغكم ان رئيس الجمعية السكنية

للبنائة رقم ٣٠٢ مكرر في شارع سادوقايا نيكاتور ايفانوفتش  
بوسوي يتاجر بالعمل الاجنبية . وفي الوقت الراهن لديه في  
شقته رقم ٣٥ في كوة التهوية التي في المراض اربعائة دولار  
ملفوفة بورقة جريدة . معكم على الخط الآن في الشقة رقم ١١ من  
العارة المذكورة لسوفي كفاستوف . لكني استعطفكم ان يظل  
اسمي سرا . فانا اخاف من انتقام رئيس الجمعية المذكور .  
وعلق الساعة . النذل !

لا نعرف ما حدث في الشقة رقم ٥٠ بعد هذا . لكننا نعرف  
ما حدث عند نيكاتور ايفانوفتش . دخل نيكاتور ايفانوفتش  
المراض وفتح الباب خلفه ثم اخرج من حقيبته الرزمة التي دسها  
له المترجم عشوة . وتأكد من وجود اربعائة روبل فيها . ثم  
نيكاتور ايفانوفتش هذه الرزمة في ورقة جريدة ودسها في كوة  
التهوية .

وبعد خمس دقائق كان رئيس الجمعية السكنية يجلس الى  
المائدة في غرفة الطعام الصغيرة . كانت زوجته قد اضررت من  
المطبخ سكة رنكة مقطعة بعناية . ومطباء بطبقة كريمة من يصل  
الاخضر . سكب نيكاتور ايفانوفتش فمحا من الفودكا وشربه .  
ثم سكب ثانياً وشرب . ورفع بشوكة ثلاث قطع من الرنكة . . .  
وفي هذه اللحظة قرع جرس الباب . بينما كانت بيلاغيا الطولفنا  
عائدة من المطبخ وهي تحمل طنجرة يتصاعد منها دخان خفيف  
يستطيع المرء بنظرة واحدة اليها ان يحزر ان في حساء كرنيا  
الكثيف الساخن الد واشهى ما في الدنيا - عظمة النخاع .

ازدرد نيكاتور ايفانوفتش ريقه واخذ يهر كالكلب :

- تخوروا من وجهي ا لا يدعون السر . يتناول طعامه . لا  
تدخلي احداً . فانا غير موجود . انا غير موجود . وبخصوص  
الشقة قول لي لاسم ان يكفوا عن اللغط . بعد اسبوع عندنا  
اجتماع . . .

هرعت زوجته الى المدخل بينما اخرجها نيكاتور ايفانوفتش  
بمفرته من هذه البحيرة المتلظية - اخرج العظمة المتشققة  
بالطول . وفي هذه اللحظة دخل غرفة الطعام مواطنان ومعهما  
بيلاغيا الطولفنا وهي شاحبة الوجه لسبب لم يدركه . لدى رؤية  
نيكاتور ايفانوفتش المواطنين امتنع وجهه هو ايضاً وهب واقفا .

- اين المرحاض ؟ - سال المواطن الأول الذي كان يرتدي قميصاً ابيض ذا ازرار جانبية بالاضطغال بال .  
سئمت خبطة على مائدة الطعام (كانت الملعقة قد سقطت من يد نيكاتور ايفانوفتشس على منضج الطاولة) .  
- هنا . هنا . - ردت بيلافيا انطونفنا بسرعة .

واندفع الزائران من فورهما الى السر .  
- ما الموضوع ؟ - سال نيكاتور ايفانوفتشس بصوت خافت وهو يتبع الزائرين . - ليس عندنا في الشقة ما يمكن ان يتبر شبهة . . . هل عندكما وثائقكما . . . العلوان . . .

أرى اولهما نيكاتور ايفانوفتشس الوثيقة على العاشي . بينما كان الثاني في اللحظة نفسها يلف على مقعد صغير دون مساند في المرحاض ويدس يده في كوة التهوية . اظلمت الدنيا في عيني نيكاتور ايفانوفتشس . وانزعت الورقة فلذا بالرزمة لا تحتوي على روبلات . بل على نقود شريفة لا تعرف ان كانت زرقاء اللون أم خضراء . عليها صور شيوخ عجوز . وعلى أي حال فان نيكاتور ايفانوفتشس لم يتبين هذا كله بوضوح . اذ كانت تسبح أمام عينيه بقع اثر بلع .

- دولارات في كوة التهوية . - قال الأول في استغراق ثم سال نيكاتور ايفانوفتشس بلين وأدب : - هل الرزمة رزمتك ؟ - لا . اجابه نيكاتور ايفانوفتشس بصوت رهيب . - للذ دسها اعداء ا

- يحدث هذا . - قال الأول موافقاً . وأردف يقول بنلس اللطف : - وما العمل . عليك ان تسلم الباقي .  
- لا شيء عندي الا شيء . اقسم بالله . لم أمسك بيدي شيئاً من هذا طول حياتي ا - صرخ رئيس الجمعية السكنية بصوت يائس .

واندفع الى الدولاب الصغير وسحب درجه بجلبه . وانخرج منه حقيبة وهو يصرخ اثناء ذلك بعبارات غير مترابطة :  
- هاهو ذا العنق . . . المترجم التذال دس . . .

كوردوفيف . . . في النظارة الأعلى !  
فتح الحقيبة وألقى نظرة الى داخلها ومد يده فازرق وجهه وولعت الحقيبة من يده في حساء الكواب . لم يكن في الحقيبة



شيء : لا رسالة ستيبيان ولا العقد ولا جواز سفر الأجنبي ولا التهود ولا بطاقة الدخول المجانية . وباختصار لا شيء سوى المتر المطوي .

وصرخ رئيس الجمعية فيما يشبه الجنون :

- أيها الرفاق ، اقتبسوا عليهم ! في بنايتنا قوى شريرة ! لا أحد يدري ما الذي تراقى لبيلاغيبيا انطونلنا ، إلا أنها ضربت كلاً بكف وصاحت :

- اعترف يا ليكانور ! سيظفون منك الحكم !

وبعينيّن محتقنتين بالدم رفع نيكانور ايفانوفتش قبضتيه فوق رأس زوجته وقال فيما يشبه التشجيع :

- أوه ، أيتها الحقا، اللعينة !

وهنا خارت قواه فتهاوى على الكرسي مستسلماً فيما يبدو لما ليس منه بد .

في هذا الوقت كان تيموفي كوندراتيفتش كفاستسوف على بسطة الدرج يلتصق بثقب باب شقة رئيس الجمعية تارة بأذنه وتارة بعينه وهو يتحرك فضولاً .

وبعد خمس دقائق رأى سكان العمارة المتواجدين في القناء رئيس الجمعية يتوجه برفقة شخصين آخرين إلى بوابة العمارة الخارجية رأساً . ولقد روى هؤلاء أن وجه نيكانور ايفانوفتش كان مستلق اللون ، وأنه كان يترنح كالسكران وهو يضم بأشياء غير مفهومة .

وبعد ساعة حضر إلى الشقة رقم ١١ مواطن مجهول . حضر بالضبط فيما كان تيموفي كوندراتيفتش يروي لسكان العمارة الآخرين وهو في نشوة السعادة والرضى كيف ألغوا القبض على رئيس الجمعية ، واستدعى بإمضاء من أصعبه تيموفي كوندراتيفتش من المطبخ إلى المدخل وأسر له شيئاً تم اختفياً معاً .

## الفصل العاشر

### أخبار من يالطا

في الوقت الذي حلت بنيكانور ايفانوفتش التصبيبة كان يتواجد في مكتب المدير المالي لمسرح «فارييتيه» الواقع في نفس

شارع سادوقايا غير بعيد عن العنارة رقم ٢٠٢-٢ حكره شخصان :  
المدير المالي نفسه ويمسكي والمدير الإداري «الفاربيتية»  
فارينوخا .

كان المكتب الواسع الذي يقع في الطابق الثاني من المسرح  
يطل باثنتين من نوافذه على شارع سادوقايا ، وبنافته الثالثة  
القائمة رأساً وراء ظهر المدير المالي ، الجالس الى مكتبه ، على  
الحديقة الصيفية «الفاربيتية» حيث اليونيات المبردة والحرمي  
والمرح المكشوف . وكان اثاث الغرفة يتكون ، بالإضافة الى  
المكتب ، من حزمة من الاعلانات القديمة المتدلية على الجدار ،  
ومن طاولة صغيرة عليها دورق ماء ، ومن أربعة مقاعد وثيرة  
وحامل في الزاوية عليه نموذج قديم منير لأحد الاستعراضات .  
وبطبيعة الحال كانت توجد في غرفة المكتب ، الى جانب هذا كله ،  
وهل يسار ويمسكي وقرب مكتبه تماماً ، خزانة عشيقه متفشرة  
مضادة للحريق ذات مقاييس صغيرة .

كان ويمسكي الجالس الآن وراء مكتبه منحرف المزاج منذ  
الصباح ، أما فارينوخا فكان على العكس متدفق الحيوية موفور  
الهمة وإن كان يشوب همته الآن شيء من الللق إذ لم يكن يتوفر  
لها الآن المجال المناسب .

فقد كان يختبئ الآن في مكتب المدير المالي بسبب طائفي  
البطاقات المجانية الذين كانوا يفسدون عليه حياته ، لا سيما  
في أيام تغيير البرامج . وهذا اليوم كان ، بالضبط ، واحداً من  
تلك الأيام .

ما إن كان جرس الهاتف يبدأ بالرنين حتى كان فارينوخا  
يمسك السماعة ويأخذ بالكذب :

- من ؟ تريد فارينوخا ؟ غير موجود . غادر المسرح .
- اتصل بليخودريف مرة أخرى من فضلك ، - قال ويمسكي  
بعده .
- لكنه غير موجود في بيته . لقد سبق وأرسلت كاربوف .  
لا أحد في البيت .
- الشيطان أدري بما يجري ، - فصح ويمسكي وهو ينقر  
على الآلة الحاسبة .
- فتح الباب ودخل أحد المستخدمين يحمل حزمة غليظة من

الإعلانات الإضافية التي انتهى طبعها للتور . وكان مكتوباً على أوراقها الخضراء بحروف حمراء ضخمة ما يلي :

**اليوم وكل يوم في مسرح «الفاريتيه» .  
برنامج المسائي :**

### **البروفيسور فولند**

#### **حظات سحر شيطاني مع فضحها الكامل**

تراجع فارينوخا قليلاً عن الإعلان الذي بسطه على التلويح وتأمله باعجاب ثم أمر المستخدم بالصاق كافة النسخ على التور .  
- شيء جيد . جذاب . - قال فارينوخا بعد خروج المستخدم .

- أما أنا فلا يعجبني هذا المشروع إطلاقاً . - غضب ريسكي وهو يلقي على الإعلان نظرة حائرة من خلال نظارته القريبة . - واني لأعجب كيف سمحوا له بمثل هذا العرض !  
- لا . لا تقل هذا ياغريغوري داتيلوفيتش . فهذه خطوة ذكية جداً . ونكبتها . كل نكبتها في عملية التضخ .

- لا أعرف . لا أعرف . ليس هناك أي نكبة . وبالمناسبة انه دائماً يفجزنا بمثل هذه البدع ! ولو انه أرانا هذا الساحر ! هل رأيته أنت ؟ الشيطان وحده يعلم من أين «نكسه» !

وتبين ان فارينوخا كريسكي لم يشاهد الساحر . لقد هرع ستيبوبا (الذي كان «كالمجنون» حسب تعبير ريسكي) الى المدير المالي يوم أمس ومعه مسودة اتفاق مكتوبة وطلب اليه ان يعيد كتابتها ويسلمه المال . أما الساحر فقد اختفى ولم يره أحد سوى ستيبوبا نفسه .

أخرج ريسكي ساعته ورأى انها تشير الى الدقيقة الخامسة بعد الثانية فحين جنونه . ما هذا ! اتصل ليخوديف في الحادية عشرة تقريباً وقال انه سيصل في نصف ساعة . لكنه لم يأت وحسب . بل اختفى من شقته أيضاً !

- ولكن عندنا أمالنا ١ - زمير ريمسكي وهو يصوب  
أصبعه الى كومة أوراق لير موقعة .  
- الا يمكن ان يكون سقط كبرليوز تحت عجلات ترام ؟ -  
قال فارينوخا وهو ملتصق بأذنه سماعة الهاتف التي كانت تسمع  
فيها اشارات غليظة ، طويلة وعديدة الجدوى بتاتا .  
- هذا . . . - قال ريمسكي بين أسنانه بصوت يكاد لا  
يسمع .

في هذه اللحظة دخلت المكتبة امرأة تلبس جاكيتة رسمية  
وسدارة وتتودرة سوداء وتشتعل غلظاً ، وأخرجت من حقيبة صغيرة  
عل خصرها شيئاً مربعاً أبيض صغيراً ودفترت وسالت :  
- اين فاريتيه هنا ؟ برقية عاجلة جداً لكم . رفعوا .  
خط فارينوخا بسرعة بضعة خطوط عرج في الدفتر الذي  
تحمله المرأة ، وما ان انغلق الباب وراءها حتى قض الشيء  
المرج .

قرأ البرقية فرفت عيناه وسلم البرقية الى ريمسكي .  
وقد جاء في البرقية ما يلي : «بالطا موسكو «فاريتيه»  
منتصف الثانية عشرة اليوم حضر الى المباحث الجنائية أصعب في  
لبس نوم وينطال دون جزمة مريض نفسي يدعى انه ليخوديف  
مدير «فاريتيه» ايرقوا الى مباحث يالطا اين المدير ليخوديف» .  
- حلوة هذه ١ - هتف ريمسكي وأردف : مفاجأة أخرى ١  
- الدعى ، - قال فارينوخا تم أمسك الساعة : - البرق ؟  
عل حساب «فاريتيه» . برقية عاجلة جداً . . . هل تسمعتي ؟ . . .  
«بالطا . المباحث الجنائية . المدير ليخوديف في موسكو . المدير  
العالي ريمسكي» . . .

بالرغم من البرقية عن هذا الدعى اليالطوي ، شرع فارينوخا  
يبحث من جديد بالهاتف عن ستيوبيا ليخوديف حينما انطلق ،  
ويطبيعة الحال لم يجده في أي مكان . وفيما كان فارينوخا مستكاً  
بالسماعة يفكر انى يهتف أيضاً ، في هذه اللحظة بالذات دخلت  
نفس المرأة التي حملت البرقية الأولى وسلمت فارينوخا طرفاً  
جديداً . نفس فارينوخا الطرف عل عجل ولسراً ما طبع فيه  
وصلر .

- ماذا أيضاً ؟ - سأل ريمسكي ولد لوتشلي بعصبية .

ناولته فارينوخا البرقيسة في صمت ، فرأى المدير السالي  
الكلمات التالية : « انوسل ان تصدقوا القيت في يالطا بتتويم  
فولند . ابرقوا للسياحت بتاكيد شخصيتي ليخوديفيف » .

اعاد ريسكي وفارينوخا قراءة البرقية ورأساهما متلامسان ،  
وبعد ان اعادا قراءتها حلق أحدهما في الآخر بصمت .

- ايها المواطنين ! - قالت المرأة في سخط فجساة ، -  
وقعا اولاً ثم اصمتا ما طاب لكما الصمت ا قلدي برقيات عاجلة  
أخرى أحصلها !

رسم فارينوخا بعض الخطوط العسوج على دفتر دون ان  
يرفع عينيه عن البرقية واختلفت المرأة .

- ألم تتحدث اليه بالهاتف بعد العادية عشرة ؟ - سألته  
المدير الاداري في ذهول .

- شيء مضحك ! - صرخ ريسكي بصوت حاد ، - سواء  
تحدثت اليه ام لم اتحدث ، الا انه يستحيل ان يكون الآن في  
يالطا ا شيء مضحك !

- انه سكران . . . - قال فارينوخا .

- من السكران ؟ - سأل ريسكي وعادا يحصلقان أحدهما  
في الآخر .

ان يكون احد الادعياء او المجانين ابرق من يالطا - هذا  
امر لا شك فيه . لكن الشيء الغريب هو : من اين لهذا الدعوي  
اليالطوي ان يعرف فولند الذي لم يصل موسكو الا البارحة ؟  
ومن اين له ان يعرف بالعلاقة بين ليخوديفيف وفولند ؟

- « بتتويسم . . . » - اخذ فارينوخا يردد الكلمة الواردة  
في البرقية ، - من اين له ان يعرف فولند ؟ - ثم رف بعينه  
وصرخ فجأة بصوت جازم : - لا ، لا ، هراء ، هراء ، هراء !

- واين نزل فولند هذا عليه اللعنة ؟ - سأل ريسكي .

اتصل فارينوخا بمكتب السياحة الاجنبية على الفور ، وأعلن ،  
لدعشة ريسكي الكاملة ، ان فولند نزل في شقة ليخوديفيف .  
ولم يتباطأ فارينوخا ، بل اذار رقم شقة ليخوديفيف ، وأصغى  
طويلاً الى طنين غليظ مثقال يتردد في الساعات ، ووسط هذا  
الطنين صوت كتيب مزعج أت من مكان ما بعيد يقضي :

« . . . انتهى الصفور ، ياملجني . . . » وقرر فارينوخا ان  
الخطوط تداخلت وان هذا الصوت من الاذاعة . . .  
- النقة لا تجيب . - قال فارينوخا وهو يعلق الساعة ،  
- ربما نحاول الاتصال مرة . . .

ولم يكمل . فقد ظهرت في الباب تلك المرأة نفسها فهي  
كلاهما ، ريمسكي وفارينوخا ، ليلاقاها ، اما هي فلم تخرج من  
حقيبتها ورقة بيضاء هذه المرة ، بل ورقة قائمة اللون .  
- بات الامر مثيراً . - قال فارينوخا من بين أسنانه وهو  
يشرح المرأة الخارجة على عجل بنظراته . كان ريمسكي اول من  
استولى على الورقة .

وقد برزت على خلفية قائمة للورقة الفوتوغرافية بوضوح  
الاسطر السود مكتوبة بخط اليد :

« الدليل خطي وتوقيمي . ابرقوا بانها شخصيتي . نلقوا  
المراتبة السرية على فولند ليخودبييف » .

راى فارينوخا في العشرين سنة التي امضاها يعمل في المسارح  
المختلفة العجب العجاب . لكنه شعر هنا ان حجاباً سليفاً يفتى  
عقله . فلم يستطع ان ينطق الا بتلك الجملة المألوفة والخالية  
من المعنى اصلاً :

- هذا مستحيل !

لكن ريمسكي لم يتصرف على هذا النحو ، بل نهض وفتح  
الباب وصاح بالساعية الجالسة على مقعد دون مستند :  
- لا تدخلني احداً سوى سعاة البريد ! - وقفل الباب  
بالمفتاح .

ثم اخرج من درج مكتبه رزمة أوراق واخذ يقارن بعناية  
الأحرف الخفيفة المائلة الى اليسار على البرقية الفوتوغرافية  
بأحرف ستيروبا في قراراته وتواقيعه ذات الاعوجاجات اللولبية .  
بينما كان فارينوخا الذي انحنى فوق الطاولة ينتفت في حد ريمسكي  
الغلمسة الحارة .

- انه خطه . - قال أخيراً المدير المالي بلهجة حاسمة ،  
فرد عليه فارينوخا كالصدى :

- خطه .

وتطلع الى وجه ريمسكي فدهش للتغير الذي طرأ عليه :

كاننا ازداد المدير المالي ، التحليل أصلاً ، نحولاً . بل انه شاخ .  
وفقدت عيناء في اطرافها القرني نفاذها السابق المعهود ، ولاح  
فيهما ليس القلق وحسب بل ما يشبه الحزن .

وفعل فارينوخا ما يفعله اي انسان في لحظات البغشة والحيرة  
العظمى . فقد أخذ يعدو في المكتب جيتة وذهاباً ، ويسط يديه  
مرتين كالصلوب ، وجرع كأساً كاملة من ماء مائل الى الصفرة  
من دورق وهو يصيح :

- لا انهم الا ا - ف - هم !

أما ريسكي فكان يتطلع من النافذة مُعْمِلاً فكرة في تركيز  
شديد . كان موقفه حرجاً للغاية ، وكان عليه ان يجد للحال ،  
دون ان يتحرك من مكانه ، تفسيراً عادياً لطواهر غير عادية .  
زد المدير المالي عينيه فتمثل ستيوبا في قميص النوم ودون  
جزمة يتسل في منتصف الثانية عشرة من هذا اليوم الى طائرة  
فالقة السرعة بشكل غير معهود ، ثم يلق ، هو نفسه ستيوبا ،  
في منتصف الثانية عشرة ايضاً على أرض المطار في يالطا وليس  
عليه الا جواربه . . . الشيطان وحده يعلم ما هذا !

يمكن الا يكون ستيوبا هو الذي كلمه اليوم من شفته ؟  
لا . الذي كلمه كان ستيوبا ! وهل له هو الا يعرف صوت  
ستيوبا ! واذا لم يكن ستيوبا هو الذي تكلم معه اليوم ، فان  
ستيوبا نفسه هو الذي حضر اليه أمس ، عند المساء ، حضر اليه  
في مكتبه هنا وبعده هذا العقد السخيف مما أثار عليه سخط المدير  
العالي لطيشه ، وكيف واثته نفسه ان يسافر براً او جواً دون  
ان يتفوه بكلمة عن هذا الموضوع في المسرح ؟ وحتى لو ركب  
طائرة مساء الأمس لما استطاع ان يصل الى يالطا اليوم ظهراً .  
او لعله كان وصل ؟

- كم كيلومتراً الى يالطا ؟ - سأل ريسكي .

توقف فارينوخا عن عدوه وجأر :

- هذا الذي انتهيت اليه ا حوالي الف وخمسمائة كيلومتر  
حتى سيفاستوبول بالسكة الحديدية . أضف اليها ثمانين كيلومتراً  
حتى يالطا . والمسافة جواً اقل طبعاً .

- هم . . . نعم . . . لا مجال للحديث هنا عن أي  
قطارات . كيف إذن ؟ هل بطائرة مطاردة ؟ لكن من يدع ستيوبا

يصعد الى مطاردة وهو حافٍ ؟ ولاي هدف ؟ قد يكون خلع جزمته بعد وصوله الى يالطا ؟ وحرمة اخرى : ولاي هدف ؟ حتى ولو كان ستيوبا يلبس جزمته فان احداً لن يدهه يصعد الى مطاردة ا المطاردات لا شأن لها في هذا الموضوع ا لقد جاء في البرقية ان ستيوبا حضر الى قلم المباحث الجنائية في الحادية عشرة والنصف ظهراً ، في حين انه كلفني في موسكو . . . لحظة . . . وهناك يبرز امام عيني ريمسكي حينئذ ساعته ، وتذكر اين كان عترياه . قطاعة ا كانت الساعة الحادية عشرة وعشرين دقيقة . فما معنى هذا ؟ لو المترضنا ان ستيوبا انطلق الى المطار فور انتهاء حديثه مع ويلغه لنقل في خمس دقائق ، وهذا ، بالمناسبة ، امر غير معتاد ايضاً ، فمعنى ذلك ان الطائرة ، على فرض انها اقلعت فوراً ، قطعت اكثر من الف كيلومتر في خمس دقائق . الاذن فهي تقطع في الساعة اكثر من اثني عشر الف كيلومتر ا هذا مستحيل ، وبالتالي ستيوبا ليس في يالطا .

ما الذي يبقى اذن ؟ التنويم المغناطيسي ؟ لا يستطيع اي تنويم مغناطيسي على الأرض ان يقذف بشخص ما الى ما يزيد عن الف كيلومتر ا اذن هل تهبأ له انه في يالطا ؟ ربما تهبأ له هو ، ولكن هل يتهبأ للمباحث الجنائية في يالطا مثل مسأ تهبأ له ؟ لا ، أرجوكم ، هذا لا يمكن ان يحدث . . . ولكن ليست المباحث هي التي تهربق من هناك ؟

كان وجه المدير المالي مرعباً بالمعنى العرفي للكلمة . في هذه الأثناء كان أحدهم يدير مقبض الباب من الخارج ويشده . وكان يسمع صوت الساعة وراء الباب يصرخ صراخ المستميت : - ممنوع ا لن ادع أحداً يدخل . ولو قطعتموني الاجتماع ا تمالك ريمسكي نفسه قدر ما استطاع وأخذ سماعة الهاتف وقال :

- اريد مكالمة عاجلة مع يالطا .  
«لصرف ذكي ا» - هتف فارينوخا في سره .

لكن المكالمة مع يالطا لم تتم . فوضع ريمسكي السماعة وقال :

- الخط تعطل لاننا نكأية .  
كان واضحاً ان تعطل الخط سبب له لأمر ما كدوا بالغا ، بل



جعله يترك في تفكير لم يستمر طويلاً . فقد أمسك السماعة من جديد بيده ، وأخذ يسجل بالأخرى ما كان يقوله في السماعة :  
- تسلموا برفية عاجلة جداً . فاريتيه . نعم . يالطا .  
المباحث الجنائية . نعم . «حوالي الحادية عشرة والنصف ظهر اليوم تكلم مع ليخوديف بالهاتف في موسكو ، نقطة . ثم لم يحضر الى مكتبه ولم نستطع الاتصال به ، نقطة . أؤكد صحة الخط . نقطة . اتخذت الاجراءات لمراقبة الفنان المذكور . المدير العالي ريسكي» .

«تصرف ذكي جداً» - قال فارينوخا في سره . ولكنه لم يكذب يتم ، حتى برقت في رأسه عبارة : «هذا لئلا لا يمكن أن يكون في يالطا» .

في هذه الأثناء فعل ريسكي ما يلي : كتب كل البرقيات التي استلمها ونسخة من برقيته بعناية على شكل رزمة ووضع الرزمة في ظرف وصنخ الطرف وكتب عليه بضع كلمات وسلبه الى فارينوخا قائلاً :

- احمل هذا الطرف على الفور بنفسك يا ايها سافيليفتش .  
ولينظروا هناك في الأمر .

«الآن هذا تصرف ذكي فعلاً» - قال فارينوخا في نفسه وأخلى الطرف في محفظته . ثم أدار مرة أخرى رقم الهاتف في شقة ستيبوبالعل وعسى يلقاه وأصغت ، ثم غمز بعينه غمزة فيها فرح وفيها الغار وعجزى وجهه . مطاً ريسكي رقيته .

- هل بإمكانكم استدعاء الفنان لولند ؟ - سأل فارينوخا بصوت يفيض عذوبة ورقة .

- انه مشغول . - أجابته السماعة بصوت متهدج . - من الذي يطلبه ؟

- المدير الإداري لفاريتيه فارينوخا .

- ايها سافيليفتش ؟ - هتفت السماعة فرحة . - اني في غاية السرور لسماع صوتك ا كيف صحتك ؟

- ميرسي . - أجابه فارينوخا مبهوئاً . - لكني مع من أتكلم ؟

- المساعد ، مساعده ومترجمه كوروفيف . - قررت

الساعة . - انا في خدمتك ايها الغالي ايفان سالييليفتشس ! وما عليك الا ان تأمر . هلا امرت ؟

- العفو . هل ستيبان بوفدانوفتشس ليخودوييف غائب الآن يا تري ؟

- نعم للأسف . نعم ! - صرخت الساعة . - لقد غادر البيت .

- والى أين ؟

- الى الضواحي يتفصح بالسيارة .

- . . . كيف ؟ . . . يتفصح ؟ . . . ومتى يعود ؟

- قال انا ذاهب انلشق الهواء العليل قليلاً واحود !

- حسن . . . - قال فارينوخا في ذهول . - ميرسي .

تلطف وبلغ مسير فولند ان عرضه اليوم سيكون في القسم الثالث .

- سبعا . طبعاً . من كل يد . فوراً . ضروري سابلغه . -

نقرت الساعة نقرات منقطعة .

- تمنياتي لك بكل الخير . - قال فارينوخا وهو في دهشة

مما يسمع .

وقالت الساعة :

- ارجو ان تتقبل تحياتي ولتمياتي واحرهما !

بالنجاح ! والتوفيق ! والصحة الكاملة وكل شيء !

- طبعاً . طبعاً ! لقد قلت لك ! - اخذ المدير الاداري

يصيح بانفعال شديد . - ليس هناك اي بالطا . كل ما في الامر

انه ذهب الى الضواحي !

- ما دام الامر كذلك . - قال المدير المالي ووجهه ينتقع

حنداً واطشياً . - فعلته هذه حقارة لا وصف لها !

وهنا قلغز المدير الاداري وصاح بصوت جعل ريمسكي

يرتعد :

- تذكرت ! تذكرت ! في يوشكين افتتح محل لبيع فطائر

اللحم على الطريقة القفقاسية باسم «ياالطا» ! كل شيء مفهوم !

لقد ذهب الى هناك وشرب حتى سكر واخذ يبرق من هناك !

- لا . هذا زاد عن الحد . - اجاب ريمسكي ووجنته

ترتجف وعيناه تتوقدان بحقد بالغ حقيقي . - لا بأس . ستكلفه

نزعت هذه غالياً ، - وهنا استندوك فجأة وأضاف بلهجة المتردد :  
- لكن كيف ذلك . فالمباحث الجنائية . . .  
- هراء ! هذه أيضاً من ملاحبيه . - قاطعه المدير الإداري  
الذي لم يكن يعرف كيف يدازي عواطفه ، وأضاف يسأله : -  
وهل أرسل الرزمة ؟  
- حتماً ، - أجابه ريسكي .

وفتح الباب من جديد وأطلت نفس . . . هي ! - لسبب  
ما قال ريسكي في سره بشيء من السوء . وهيا كلاهما لملاقات  
ساعية البريد .

في هذه المرة جاء في البرقية مسأ يلي : «شكراً للأنبات  
خمسائة نورا المباحث الجنائية لي غداً أصل موسكو ليخودويل» .  
- لقد فقد صوابه . . . - قال فارينوخا بصوت واهن .

أما ريسكي فخشخش بفتح . وأخرج من درج الخزنة غير  
التأبلة للاحتراق نقوداً وعدد خمسائة روبل . وقرع جرساً وسلم  
سامي المسرح المال . وبعث به الى دائرة البرق .

- العلو بالفريغوري دانييلوفتش . - قال فارينوخا وهو لا  
يصدق عينيه ، - في رأي أنك عينا تبعت بهذه النقود .

- النقود ستعود اليها ، - رد عليه ريسكي بصوت خافت .  
- أما هو نسيدفع غالياً لمن نزعت اللطيفة هذه ، - ثم أزدق  
وهو يشير الى حبيبة فارينوخا : - هيا ، يا ايقان سافيليفتش ،  
لا تتأخر .

وخرج فارينوخا من المكتب عدواً وهو يتأبط حقيبته .  
هبط الى الطابق السفلي فرأى طابرسوراً طويلاً جداً قرب  
كشك التذاكر ، وعرف من بائعة التذاكر أنها تتوقع اعلان غداً  
البطاقات في ساعة ، لان الجمهور ما ان رأى الاعلان الاخالي حتى  
أخذ يتدفق كالسوج . أمر فارينوخا البائعة الا تبيع الفضل لثلاثين  
مقعداً في الدوجات والحصالة ثم وثب خارجاً من الكشك ، وأخذ  
يتخلص من طالبي التذاكر المجانسة اللجوجين الذين كانوا  
يعترضون سبيله ، ثم غاص في مكتبه الصغير ليأخذ قبضته . في  
هذا الوقت تمقع جرس الهاتف .

- نعم ! - صاح فارينوخا .

- ايدان سافيليفتش ؟ - قالت السماعة بصوت اخن كريبه مستظفرة .

- انه غير موجود في المسرح ا - كاد فارينوخا يصرخ ، لكن السماعة قاطعت على الفور :

- لا تتباله ، يا ايدان سافيليفتش ، بل اسمع . هذه البرقيات لا تحملها الى اي مكان ولا تتركها اهدأ .

- من الذي يتكلم ؟ - دوى صوت فارينوخا ، - كف عن ملامعبيك ايها المواطن . لا بد انهم كاشفون امرك على الفور ! رملك ؟

- فارينوخا ، - رد عليه الصوت المقيت اياه ، - الا تفهم اللغة الروسية ؟ قلت لك لا تحمل هذه البرقيات الى اي مكان .

- ان تكف عن هذا الهراء ؟ - صاح المدير الاداري في غيظ شديد ، - اياك تم اياك ا ستدفع نحن هذا كله ، - وأردف هذا التهديد بتهديد آخر وصمت لأنه شعر ان لا أحد يستمع اليه في السماعة .

هدا ان العتمة اخذت تلف المكتب الصغير بسرعة ، فعدا فارينوخا خارجاً وصفق الباب وراءه واندفع من سر جانبي الى الحديقة الصيفية .

كان المدير الاداري مثاراً مليئاً بالهمة والنشاط ، اذ لم يعد يصادره اي شك بعد هذه المكالمة الوثقة في ان عصابة من الاشقياء تتكرف هذه الافعال الشنيعة ، وان هذه الافعال مرتبطة باختفاء ليثوديف . كانت رغبة المدير الاداري في كشف هؤلاء الاشرار تكاد تختفه ، ومهما بدا الأمر غريباً فقد أحس سلفاً بطعم شيء لذيذ مقبل . هذا ما يحدث عادة حين يسعى الانسان الى ان يصبح في مركز الاهتمام ويحصل معه خيراً كثيراً .

في الحديقة هبت في وجهه ريح وملاّت عينيه بذرات الرمل ، كأنها تسد عليه طريقه ، كأنها تحذره . وفي الطابق الثاني صُفّق اطار نافذة بحيث كاد زجاجه يتطاير ، والعتزت رؤوس اشجار التوت والزيزفون في هلع . اعتمت الدنيا وترطب جوحها . وفرك المدير الاداري عينيه فرأى جماعة صفراء محملة بالحاصلة تسبح فوق موسكو ، وفي البعيد دوى صوت الرعد العميق .

ومهما يكن من لغة فارينوخا وصجلته ، الا ان رغبة لا تقاوم

شدته الى التعرّيج ثانية واحدة على المرحاض الصيفي ليتأكد على  
المأسي ما اذا كان عامل الكهرباء وضع المصباح في الشبكة .  
وجد فارينوخا نفسه ، بعد ان عدنا قرب المرمى ، في خييلة  
كثيفة من اشجار الفيلاك حيث مبنى المرحاض الأزرق . وتبين  
له ان عامل الكهرباء انسان دقيق ، فقد كان المصباح المعلق  
يسقط القسم الرجالي من المرحاض ملفوفاً بشبكة معدنية ، لكن  
الذي كسر على المدير الاداري صفاء مزاجه انه كان بإمكان المرمي ،  
حتى في هذه العتمة التي تسبق العاصفة العظيمة ، ان يثبّين ان  
الجدران صارت مغطاة بكتابات يقطع اللحم وأقلام الرصاص .  
- يالهم من ا . . . - ومسا كاد المدير العالي ينطق هذه

الكلمات حتى سمع فجأة صوتاً يمزج خلفه :

- هذا انت ، يا ايفان سافيليفيتش ؟

ارتعد فارينوخا والتفت فرأى وراءه شخصاً يديناً صغيراً له  
وجه قط فيما بدا له .

- اي ، أنا ، - أجابه فارينوخا بجلاء .

- تشرطنا جداً ، جداً ، - رد عليه اليمين الضمير بالقط  
بصوت كالمصاصة . ثم انخفض ولكن فارينوخا على اذنه فجأة بحيث  
طارت قبعته عن رأسه واختفت دون اثر في فوهة المقعد .

وبفضل اللكمة ضام المرحاض كله لحظة بطوء راعش وترددت  
في السماء قصبة رعد . ثم برقت الدنيا مرة أخرى فانسلت الأرض  
فجأة أسماء المدير الاداري عن شخص نان - قصير لكنه ذو  
كتفين كالكثاف الرياضييين . وأحمر كالنار ، ذي عين عليها بياض  
وقم له ناب . وتاوله الثاني ، الذي كان أحمر على ما يظهر ،  
لكمة ثانية على اذنه الأخرى . وكأنها تجاوزت مع اللكمة قصبة  
رعد أخرى في السماء . وانهمر المطر على سطح المرحاض  
الخشبي .

- ما هذا ياوقا . . . - هسس المدير الاداري وقد طار  
نصف صوابه . لكنه ادرك للحال ان كلمة "رفاق" لا تناسب على  
الاطلاق اشقياء يهاجمون شخصاً في دورة مياه همومية فقال بصوت  
اجس : - أيها المواط . . . - ولم يكمل اذ اتبه الى ان هذه  
التسمية أيضاً لا يستحقها ، فاذا به يتلقى لكمة تالفة نظيعة  
لم يدر من أيها ، بحيث نفر الدم من أنفه على قميصه .

- ما هذا الذي في حبيبك ايها الطفيلي ؟ - صرخ الذي يشبه القط بصوت جاد ، - البرقيات ، ٢٢٠ الم يحذرك بالهاتف الا تحملها الى اي مكان ؟ الم يحذرك ، اني اسالك ؟  
- حلو . . . حلو . . . حلووني ، - اجابه المدير الاداري بانفاس متقطعة .

- ومع هذا فانت تحملها ؟ هات الحقيبة ايها الوغد ا -  
صرخ الثاني بنفس الصوت الاثن الذي سمعه في الهاتف ، وانتزع الحقيبة من يدي فارينوغا المرتجفتين .

وامسك كلاهما المدير الاداري من ابطه وجره خارج الحديقة والطلقا به في سادوغايا . كانت العاصفة المطرية تعربد ببل ، فواما ، والماء يهوي في قوحدات المجاري بصخب وهدير ، والمفاعلات تغلي وتلور في كل مكان والموجات تنتفخ ، والماء يتدفق بغزارة من الأسطح قرب القساطل ، ومن تحت الابواب تندفع تيارات مزبدة . اختفى كل ما هو حي في سادوغايا ولم يكن فيه من يستطيع انقاذ ايذان سافيليفتش . جر الشقيان ، وهما يتفزان في الأنهر العكرة ويستضيئان بالبروق ، المدير الاداري في ثاية حتى النهاية رقم ٣٠٢-مكرر وهو بين الحياة والموت ، وطارا به الى تحت الرجاج حيث كانت تلتصق بالجدار المران حائيتان تمسكان جواربهما وخليهما بأيديهما . ثم اندفعا الى المدخل السادس للبنائة ووجد فارينوغا الذي اشرف على الجنون نفسه محمولاً الى الطابق الخامس وملقياً به على ارض المدخل المألوف نصف العائم لشقة ستيبويا ليخوديف .

وهنا اختفى الشقيان وظهرت مكانهما في المدخل فتاة عارية تماماً ، صهبا اللون ذات عيين فسفورييتين متقدتين .

ادرك فارينوغا ان هذا انما هو افطخ ما حدث له . فصعد انة وتراجع الى الجدار . لكن الفتاة اقتربت من المدير الاداري ووضعت راحتيها على كتفيه ، فوقف شعر رأس فارينوغا الا أحس ، حتى من فوق قميصه البارد المبلل بالماء ، ان هاتين اليدين أبرد ، وانهما باردتان كالجليد .

- دعني اقبلك ، - قالت له الفتاة برقة وصارت عينها المثلالتان امام عينيه تماماً . اذاك غاب فارينوغا عن الوعي ولم يشعر بالقبلة .

## الفصل العاشر عشر

### ايغان ينصاب بالازدواجية

علم حرش الصنوبر المنتصب على ضفة النهر المقابلة التي كانت شمس ايار تنوره الى ساعة من الزمن ، وذاب وغاب .  
كان المطر ينهمر شأبيب متصلة وراء الناقله ، وبين الحين والحين تومض غيوط وتنشق السماء ، ويغر غرفة العريض نور راضى مخيف .

كان ايغان يبكي بصوت خافت وهو جالس على سريريه ينظر الى النهر العكر الذي يفرور بالمناغات . كان يطلق لدى كل لصفه بعد سرعة حزينة شاكية وينظي وجهه بيديه . وكانت الاوراق التي كتبها ايغان تتناثر على ارض الغرفة بعد ان بعثرتها الريح التي هبت على الغرفة قبل بدء العاصفة .

لقد باحت محاولات الشاعر كتابة تصريح بخصوص المستنصر الرهيب بالاخفاق . فما ان استلم من المعرضة المدينة التي كانوا يتادونها براسكوليا فيودوروفنا بقية قلم وورقة حتى فرك يديه فعمل المقدم على عمل جدي . وجلس الى طاولته على عجل . وسرعان ما كتب المطلع :

«الى دائرة الشرطة . تصريح من عضو الحاسوليت ايغان نيقولايفتش بيزدومني . البارحة مساء ذهبت مع المرحوم م . ا . برليوز الى بتريشسي برودي . . .» .

وعلى الفور ارتبك الشاعر . ارتبك بصورة رئيسية بسبب كلمة «المرحوم» . هذا كلام غير معقول . كيف يمكنه ان يقول : ذهبت مع المرحوم ؟ الاموات لا يسيرون ! وما ادراك قد يعتبرونك مجنوناً بالفعل !

بعد ان طاحت برأس ايغان نيقولايفتش الافكار على هذا النحو اخذ يصحح ما كتبه فكان التالي : « . . . مع م . ا . برليوز الذي توفي فيما بعد . . .» . لكن هذه الصيغة لم ترض كاتبها ، فما كان عليه الا ان يستخدم صيغة تالسة . فكانت هذه اسوأ من سابقتها : « . . . مع برليسوز الذي سقط تحت عجلات الترام . . .» . وهنا جاء اسم الموسيقار الشكرة الذي يحمل نفس

الكتابة يلتصق في ذهنه باسم صاحبه مما اضطره الى اضافة :  
« . . . ليس الموسيقار . . . »

ولما اضاء امر هذين البرليوزين شطب كل ما كتبه ، وقرر ان يبدأ من جديد بشي، جد قوي يثير اهتمام القاري على الفور يكتب عن القط الذي استقل الترام ، ثم عاد الى حادثة الراس المقطوع . وادى به الراس المقطوع ونهضة المستشار الى موضوع بيلاطس البنطي ، فقرر ايفان بغية الافئاح الكامل سرد قصة الوالي كاملة من اللحظة التي خرج فيها ببرده البيضاء ذات البطانة الحمراء الى الرواق ذي الأعمدة في قصر هيرودس .

وانكب ايفان على عمله فكان يشطب ما يكتب ويضيف كلمات جديدة ، بل انه حاول رسم بيلاطس البنطي اول الامر ثم القط الواقف على قائميه الخلفيتين . لكن حتى الرسم لم يسعفه في شيء ، فما كان تصريحه يزداد الا تشوشاً وغموضاً .

واحسن ايفان ، حين ظهرت الغمامة المربعة ذات الحواشي الداخنة من بعيد ولغت العرش وهبت الريح ، بالوهن يتسرب الى اوصاله وباقلاط زمام التصريح من يده ، فكف عن لم الأوراق المتطايرة وأخذ يبكي بكاء مرأ خافتاً .

عادت العرصة الطبية براسكوفيا فيردوروفنا الشاعر اثناء العاصفة فانتابها القلق لرؤيته يبكي فاسدلت الستار كي لا تخيف البروق العريض ولست الأوراق وهزعت بها لتستدعي الطبيب . وحضر الطبيب . ذوق ايفان باهرة في يده واكد له انه لن يعود الى البكاء ، وان هذا كله عابر سيجزول ، وان كل شيء سينتهي وسينسى كل شيء .

وكان الطبيب سعيداً . فما لبث العرش الذي وراء النهر ان عاد الى سابق عهده . وباتت أشجاره شجرة شجرة تحت سماء صفت وعادت اليها كل زرقتها ، وسكن النهر . واخذت الكتابة تنجلي عن ايفان بعد الابرة مباشرة فتعدد في هدوء ، وأخذ يرنو الى قوس قزح المشلوح في السماء .

واستمرت به الحال حتى المساء ، حتى انه لم يلاحظ كيف ذاب قوس قزح وحال لون السماء واكتست غلالة رقيقة من الكتابة واسود العرش .

شرب ايفان حليباً ساخناً ثم عاد يتعدد على سريره ، وأخذته



الدعشة من التغيير الذي طرأ على أفكاره . غام التظ الجهنمي  
اللعين في ذاكرته . ولم يعد الرأس المقطوع يخيفه . وأخذ ايفان  
يقول في نفسه . وقد طرح فكرة الرأس المقطوع بعيداً عنه . إن  
وجوده في العيادة ليس على هذه الدرجة من سوء في الواقع .  
وإن ستراهنسكي انسان ذكي جداً وله شهرته . وإن التعامل معه  
أمر جد سيار . هذا الى ان نسيم المساء رقيق وبليبل بعد العاصفة .  
واخذ مستشفى المجانين الى التسوم . فأطلقت المصابيح  
البيضاء الريد في الممرات الساكنة واضيبت بدلاً منها . حسب  
النظام المتبع . نواصات زرق شحيحة النور . وتضائل أكثر  
فاكثر خلف الأبواب وقع خطوات المرضيات الحذرة على سجادة  
الممر المطاطية .

كان ايفان يتمدد الآن في استرخاء لذيذ . يتطلع تارة الى  
المصباح الصغير ذي الغطاء يسكب من السقف نوراً لطيفاً . وتارة  
الى القمر الطالع من وراء العرش الأسود وهو يحدث نفسه :  
- حقاً . لماذا جزعت واضطربت على هذا النحو لو رتوخ  
برليوز تحت عجلات الترام ؟ ليسقط اذا شاء في المستنقع أيضاً .  
فما دخلني ! ومن أنا بالنسبة له في واقع الأمر . أخوه . قريبة .  
نسيبه ؟ ولو حملنا هذه المسألة جيداً . فمن الجلي أنني لم  
أكن أعرف المرحوم تمام المعرفة . وبالفعل ما الذي أعرفه عنه ؟  
لا شيء سوى انه كان أصليح وتصبح اللسان بشكل فظيخ . ثم  
تعالوا ايها المواطنين . - هنسأ أخذ ايفان بوجه كلامه الى  
اشخاص ما . - تعالوا ففكر معاً وقولوا لي : لماذا استعرت أنا  
بالذات غيظاً على هذا المستشار الفاضل . الساحر . البروفيسور  
ذي العين الفلورقة السوداء ؟ لماذا كل مطارديتي السخيفة له هذه  
وأنا في سروالي الداخلي والشمعة في يدي . ولماذا كل هذا  
الزياط الوحشي في المطعم ؟

وسمع نجاته . وفي مكان ما لا تدري اهو في الداخل او فوق  
الأذن ايفان القديم يقول لايفان الجديد بصوت صارم : - لا .  
لا . لا . ألم يكن يعرف مسبقاً . مع هذا . بم سيقطع رأس  
برليوز . فكيف لا يطلق المرء ؟

- الأمر واضح جداً ! - قال ايفان الجديد يعترض على  
ايفان السابق . القديم . - كون الأمر قريباً شيء يدركه حتى

الطفل ! انه شخصية خارقة وغامضة مائة بالمائة . وهنا اطرف ما في الموضوع ! كان يعرف بيلاطس البنطي شخصياً فماذا تريد اطرف من ذلك ؟ ألم يكن من الأذكي سؤاله بأدب عما حدث لبيلاطس البنطي لاحقاً وهذا الخاوصري المعتقل بدلاً من اثاره هذه الغضبية الحمقاء في بتريرشي ؟

اما انا فاشغلت الشيطان يعلم بماذا ! وبالفعل ياله من حدث صام - أن يدعى رئيس تحرير مجلة أهل سيفلون ابواب المجلة جراه ذلك ؟ ماذا باليد . الانسان فان . وكما قيل بحق فان على حين شرة . اي . رحمة الله عليه ! سيأتي رئيس تحرير آخر وربما كان المصحح لسائناً من سابقته !

فما ايطان الجديد قليلاً ثم سأل ايطان القديم بلوم :

- من اكون في هذه الحالة اذن ؟

- غبي ! - اجابه صوت جبير واضح الثبرات لسم يكن صوت احد الايفانيين ، بل صوت بالغ الشبه بصوت المستشار . ولامر ما لم تخط ايطان كلمة «غبي» هذه بل اثارته في نفسه شيئاً من دهشة الرضى . فطافت هل معياء ابتساماً وسكن في نصف الغمامة . وما كاد الكرى يتسلل الى جفنيه حتى ترامت له شجرة نخيل يجذعها الاشبه بقائمة الغيل ثم لمح قطعاً يمر قريباً ولم يكن مغيفاً بل لطيف المنظر . وباختصار كاد ايطان ان ينط في النوم حين انزاحت شبكة الشرفة لاجاء بلاصوت وظهر على الشرفة خيال غامض يختبئ من ضوء القمر . وأوماً لايفان ياسبعه مهدداً .

نهض ايطان قليلاً من سريره دون اي ذعر وراى في الشرفة رجلاً . ووضع هذا الرجل سبابته على شفتيه وحسس :

- حس !

## الفصل الثاني عشر

### السحر الشيطاني وفضحه

خرج رجل صغير ذو آتق قرمزي على شكل اجاصة وراس اعلاه قبة عالية صفراء مغرمة ويلبس بنظلاً ذا مربعات وحداء

مصبوفا الى خشبة «فارييتيه» على دراجة عادية ذات دولابين .  
دار الرجل الصغير دورة على الخمام الفوكستروت ثم أطلق صرخة  
ظفر شبت لها الدراجة على دولابها الخلفي . وبعد أن دار دورة  
اخرى على دولاب واحد انكأ واقفاً على يديه ، نسم تعاهل على  
الدولاب الامامي في سيره فلك براغيه ودفع به الى الكواليس  
وتابع دورانه على دولاب واحد يدير دواسته بيديه .

ثم خرجت الى الخشبة شعراء مستقلة التوام في تريكو وثورة  
قصيرة تنتثر عليها نجوم فضية وقد امتطت مقعداً في اعل سارية  
معدنية تسير بدولاب واحد . واخذت تدور بها على خشبة  
المسرح . وكان الرجل يطلق صرخات كحبة حين يلتقي بها ويرفع  
برجله قبعته عن راسه .

واخيراً خرج الى الخشبة طفل في نحو الثامنة من عمره ذو  
وجه عليه علامات الشيخوخة واخذ يسمى بين زميليه الكبيرين  
على دراجة صغيرة ذات دولابين وركب عليها بوق سيارة ضخم .  
بعد أن دارت المجموعة الثلاثية بطع دورات ، اندفعت كلها  
على ضربات طبل الاوركسترا الكثيرة حتى طرف الخشبة تماماً .  
شبه النظارة في الصلوف الأولى وارتدوا الى الوراء ظناً منهم ان  
التلاني سيهوى مع دراجاته على الاوركسترا .

لكن الدراجات توقفت بالضبط لحظة كانت الدولاب الامامية  
توشك ان تنزلق وتهوي على رؤوس الموسيقيين . وقلز واكبوها  
عن دراجاتهم وهم يطلقون صرخة عظيمة «اب» ، واخذوا يتحنون  
معيين فيما كانت الفتساء الشعراء ترسل الى الجمهور قبيلات في  
الهواء . اما الطفل فقد أطلق من زهوره اشارة مضحكة .

وهن التصفيق بناء المسرح . وتعدت الستارة الزرقاء من  
الجانبين لتعجب راكبي الدراجات . واطلقت الأنوار الخضرا التي  
تعلم كلمة «مدخل» عند الأبواب . بينما أضيئت بين الأراجيح  
التي تشبه بيت العنكبوت تحت القبة بالونات بيض كأنها الشمس .  
وحانت فترة الاستراحة قبل الفصل الأخير .

الشخص الوحيد الذي لم تتر اهتمامه اسرة «بولي» بفرانب  
بهلوانياتها على الدراجات كان ليريفوري دانيلوفتشى ريمسكي .  
كان ريمسكي غارقاً في عزلة تامة في مكتبه وهو يعض شفطيه  
الرقبقتين . وعلى وجهه ترسم بين العين والآخر علامات التشنج .

قال اغتفاء ليخوديف الغريب جاء اغتفاء المدير الاداري فارينوفا  
الذي لم يكن يتوقعه بأي شكل من الأشكال .

كان ريسكي يعرف أين ذهب فارينوفا ، لكنه ذهب و . . .  
لم يعد ! هنأ ريسكي كتفيه وهمس بقول لنفسه :  
- ولكن لماذا ؟

والامر الغريب أنه من أبسط الأمور لانسان عمل كالمدير  
المالي هو ، بطبيعة الحال ، الاتصال هاتفياً حيث ذهب فارينوفا ،  
والاستفسار عما دعاه ، لكنه لم يستطع مع هذا الكراه نفسه على  
هذا الاتصال حتى الساعة العاشرة مساء .

وفي العاشرة رفع السماعة على كره شديد من الجهاز ، وللحال  
اتضح له ان هاتفه ميت ، لا حيوية فيه ، وأخطره الساعي ان  
الهاتف الأخرى في المبنى معطلة أيضاً ولأمر ما هنأ هذا الحدث  
غير السار بطبيعة الحال لكنه غير الخارق للطبيعة المدير المالي  
نهائياً ، لكنه في الوقت نفسه المرحة : فقد تزاجت عن كاهله  
ضرورة الاتصال .

وفيما ومض الصباح الأحمر الصغير فوق رأس المدير  
المالي وأخذ يظرف معلناً بدء الاستراحة ، دخل عليه الساعي  
وأبلغه بوصول القتان الأجنبي . ولأمر ما أحس المدير المالي  
بتشنج ، لكنه اتجه الى خلف الكواليس كالحال الوجه لاستقبال  
القطان الزائر اذ لم يكن في المسرح سواء لاستقباله .

ومن المسرح ، حيث كانت الاشارات الصوتية تطلقن ، كان  
المضليون يسترقون النظر الى غرفة الزينة الكبرى بدوانسج  
مختلفة . في الغرفة مشعوذون في أردية زاهية وعمائم ومتزحلقي  
على الجلبيد في سترة بيضاء معبوكه وعريف حلات صاحب من اثر  
المساحيق وماكبير .

صعد الزائسر الشهير الجميع براكه ذي الطول الخارق  
والتفصيل البديع وبظهوره وهو يضع نصف قناع أسود . لكن  
الأغرب من هذا كله كان وفيقا الساحر : شخص طويل بليس  
لياساً ذا مربعات ويضع نظارة انفية متشققة ولط سمين أسود  
دخل غرفة الزينة على قائمته الخليتين وجلس دون كلفة على  
الأريكة وهو يتطلع الى المصاييح الصغيرة المكشوفة في غرفة  
الزينة مضيقاً عينيه .

جهد ريمسكي ان يرسم على وجهه ابتسامة مما جعل وجهه يكتسي مسحة من الكآبة والشر . ثم حيا الساهر الصامت الذي كان يجلس على الديوان الى جوار القفط . ولم يتصافح الرجلان ، لكن ذا المربعات القليل الحياء تبرع بتقديم نفسه على أنه «مساعدهم» . وادعش هذا التفضيل المدير العالي . وكانت دهشته مشوبة بالانزعاج هذه المرة أيضاً : إذ لم يرد في العقد أي ذكر لأي مساعد اطلاقاً .

وبصوت يفيض بالجفاء والقهر استلصر غريغوري دانيلوفتش من ذي المربعات ، الذي هبط عليه فجأة ، عن مكان وجود عدة الفنان .

- يادرتنا المساوية ، ياسيدنا المدير العالي ، - اجابه مساعد الساهر بصوت رقيق حاد ، - عدتنا معنا دائماً . هاهي ذي ! اين تسلي دري ! - وادار امام عيني ريمسكي اصابعه المتداخلة على شكل عقد وسحب بفتة من خلف اذن القفط ساعة ريمسكي الذهبية مع سلسلتها التي كانت حتى الآن في جيب المدير العالي تحت الجاكيتة المزودة معقودة بسلسلتها الى حروقة .

امسك ريمسكي بطنه بحركة لا ارادية ، وندت من الفواء الحاضرين المتفورة آهات الدهشة . اما الماكبير الذي كان يسترق النظر من الباب فتنتحج مستحسناً .

- ساعتك ؟ ارجو ان تستلمها ، - قال ذو المربعات وهو يتشم دون كلفة ، ومدّ لريمسكي المذهول واحتسه القفوة بالساعة .

- لا تركب الترام مع شخص كهذا ، - همس عريف الحفلات للماكبير بصوت خافت مرج .

لكن القفط قدم فقرة ادهش من فقرة الساعة . فقد نهض عن الديوان بفتة ، ودنا من المنضدة التي امام المرأة على قائمته الخليليتين ، ونزع سداة الدورق بقائمه الامامية ، وسكب منه ماء في كأس ، وشرب ثم اعاد السداة الى موضعها ومسح شاربيه بخرقة ماكياج .

لم تند عن الفواء المشاهدين آهات الدهشة هذه المرة ، بل ففروا جميعاً الفواهم وحسب . وهمس الماكبير بانبهار :

- اي ، رائع !

وهنا ردت الأجراس للمرة الثالثة ولينا مقلقا ، فأخذ الجميع يخرجون متدافعين من غرفة الزينة وهم في غاية الاثارة والتشويق المسبق للفقرات الطريفة .

وبعد دقيقة انطلقت البالونات في الصالة ، واشتعلت أضواء الغشبية الأمامية ملقبة على اسفل الستارة بصيصاً ضارباً الى الحمرة ، وانتصب في شق الستارة المنار أمام الجمهور شخص يدين مرح كالطفل ، ذو وجه حليق وقراة مكرمش وقميص غير نظيف . كان هذا جورج بينغالسكي عريف الحفلات المعروف في موسكو كلها .

وقال بينغالسكي وهو يتشمم ابتسامة الطفل الصغير :

- وهكذا ايها المواطنون ، سيقدم لكم الآن . . . . - وهنا قاطع بينغالسكي نفسه واردف بنبذة اخرى قائلاً : - ارى ان عدد الجمهور زاد أيضاً مع بداية الموسم الثالث من حفلاتنا . عندنا الآن نصف المدينة ! من ايام معدودة التفتت صديقاً فقلت له : «لماذا لا تأتي الينا ؟ البارحة كان عندنا نصف المدينة» . فاجابني «انا اسكن في النصف الثاني» - وتوقف بينغالسكي بانتظار ان تنفجر الضحكات . ولما لم يضحك احد تابع يقول : - . . . وهكذا سيقدم لنا الفنان الاجنبي المعروف مسيو فولند حفلة سحر شيطاني ! ونحن جميعاً نترك ، - هنا ابتسم بينغالسكي ابتسامة تفيض بالحكمة ، - ان السحر الشيطاني لا وجود له على الأرض اطلاقاً ، وانه ليس سوى خرافة ، وهم . وكل ما في الامر ان المايسترو فولند يتكلمن تقنية الخدعة ، التسوذة الى درجة عالية الامر الذي سينجل لكم في اكثر فقرات الحفلة اثارة الا وهي كشف هذه التقنية وفضحها . وبما اننا جميعاً كالرجل الواحد من اضرار التقنية ومن اضرار كشفها وفضحها فاننا نرجو السيد فولند ان يتفضل !

بعد ان فرغ بينغالسكي من هذا اللغو شيك كنا بكف ولوح بهما محبباً من شق الستارة التي اخذت تعف حفيفاً خافتاً وتفرج شيئاً فشيئاً .

اتار ظهور الساحر مع مساعده الطويل والقط العائسي عسل قائمته الخلفيتين اعجاب الجمهور الشديد .

- الي ياريتكة ، - امر فولند بصوت خفيض ، وفي اللحظة

نفسها ظهرت على المسرح لا تدري من أين وكيف أريكة وثيرة  
جلس فيها الساحر . - قل لي يا عزيزي فافوت ، - توجه فولند  
بالسؤال الى المخرج ذي الربعات الذي كان يحل ، على مسا  
يظهر ، اسماً آخر غير اسم كوروفيف ، - الا ترى معي ان  
سكان موسكو تغيروا تغيراً كبيراً ؟

وتطلع الساحر الى الجمهور الساكن ، المبهوت بظهور  
الاركة من الهواء .

- كما تقول بالضبط ياسيدي ، - اجابه فافوت . كوروفيف  
بصوت خافت .

- انت على حق . اهل المدينة تغيروا تغيراً كبيراً ، اقصد  
ظاهرياً كما المدينة نفسها بالمناسبة . اللباس - هذا شيء  
مفروغ منه ، انما ظهرت هذه . . . كيف يسهلها ؟ . . . هذه  
الترامات والسيارات . . .

- الياسات ، - قال فافوت يسعه باحترام .

كان الجمهور يصفى الى هذا الحديث بكل جوارحه حاسباً  
انه مقدمة لشعوزات الساحر . وكانت الكواليس فاصدة بالفناتين  
وبالعاملين في المسرح ، وبين هذه الوجوه كان وجه ريمسكي  
الشاحب ، المتوتر .

بدأت هيئة بينغالسكي الذي اتزوى جانب خشية المسرح  
تشي بالحيرة . فرسع حاجبيه قليلاً وقال مستغلاً توقف  
الساحر :

- يريد الفنان الاجنبي الاحراب عن اعجابه بوسكو التي  
تطورت من الناحية التقنية وبالسكوفيين ايضاً ، - وهنا ابتسم  
بينغالسكي ابتسامتين : للصالة اولاً ثم للمشرفات .

استدار فولند وفافوت والقط برؤوسهم نحو مقدم  
البرنامج .

- هل احريت عن اعجابي حقاً ؟ - سأل الساحر فافوت .

- ابدأ ، ياسيدي ، انك لم تعرب عمن اي اعجاب ، -

اجابه فافوت .

- فما الذي يقوله هذا الانسان اذن ؟

- بكل بساطة - كذب ا - فقال المساعد ذو الربعات

بصوت عال دوى في القاعة كلها ، ثم التفتت الى بينغالسكي  
واضاف : - اعتشك ايها المواطن بمناسبة الكذب .  
اعتزت الشرفات بالضحكات ، اما بينغالسكي فقد ارتعدت  
فرائصه وجهت عيائه .

- اما انا فلا تهمني ، بطبيعة الحال ، الهامات والهوائف  
وغيرها من . . .

- الأجهزة والمعدات ! - قال ذو المربعات مسعفاً .

- بالضبط ، شكراً ، - قال الساهر بصوت عميق ،  
ثقل وبطء ، - بقدر ما تهمني مسألة أخرى أهم : هل تغير  
اهل المدينة هؤلاء ، داخلياً ؟

- نعم ، هذا هو السؤال الأهم ياسيدي .

أخذ الناس في الكوالييس يتبادلون النظرات ويهزون  
اكتافهم ، بينما اكتس وجه بينغالسكي بالحيرة وريمسكي  
بالصفرة . وكانتما شعر الساهر بالقلق والاضطراب اللذين  
بدا يتسريان الى نفوس المشاهدين فقال :

- لقد استرسلنا في الحديث يا فانوت العزيز ، وبدا  
الجمهور يمل . اربنا بداية شيئاً ما بسيطاً .

وسرت في الحاضرين حركة ارتياح . تفرق فانوت والقط  
وتوجه كل منهما الى أحد جانبي الأتوار الامامية ثم فرقع فانوت  
اصابعه وصاح بصوت مرنان مرح :

- ثلاثة ، اربعة ، - والتقط من الهواء دستة ورق  
وخلطها ، ودفعها الى القط على شكل شريط . التقط القط  
الشريط واعاده . نخرت الأضراس الملساء وفتح فانوت فيه كفرخ  
تصفر وابتلعه كله ورقة ورقة .

بعد هذا خلق القط قائمته الخلفية اليمنى ، وانحنى محيياً  
مما اثار عاصفة هائلة من التصفيق .

وتعالت صيحات الإعجاب من خلف الكوالييس :

- رائع ، رائع !

اما فانوت فصبو اصبعه بالجاه الصلاة وأعلن :

- الستة الآن ، ايها المواطنون المحترمون ، في الصنف  
السابع مع المواطن بارتشيفسكي ، وبالضبط بين ورقة نقدية



من فئة الثلاثة روبلات ورقة دعوته الى المحكمة في قضية دفع  
ثلاثة للسواطنة زيلكونا .

تتمثل النظارة في الصالة وبسدا بعضهم ينهض ، واخيراً  
أخرج مواطن من محرم الوجه مسن الدهشة اسمه بالفضيل  
بارتشيبيسكي المستة من محفظته ورفعا في الهواء وهو لا يدري  
ما يفعل بها .

- دعها معك للذكرى ! - صاح فافوت . - ليس عبثاً ما  
قلته البارحة وانت على العشاء من انه لولا البوكر لكانت حياتك  
في موسكو لا تطاق .

وسمع صوت في الشرفة يقول :

- لعبة قديمة ، ذلك الذي في الصالة من نفس الفريق .  
- أعتقد ذلك ؟ - صدر فافوت وهو يسزر عينيته باتجاه  
الشرفة . - إذن انت واحد من عصابتنا لأن المستة في جيبك ا  
حدث في الشرفة لقط واضطراب ثم سمع صوت فرح يقول :  
- صحيح ! معناه ! هنا . هنا . . . قف ! لكنها  
تسير فوتسات \* .

التفت الجالسون في الصالة ، فقد وجد رجل في الشرفة تبدو  
عليه امارات الاثباتك الشديد رزمة في جيبه . وكانت الرزمة  
مربوطة على نحو ما تربط في المصارف ، وقد كتب على غلافها  
«الف روبل فقط» .

وتكدس جبراته حوله بينما كان يثلب الغلاف بظفره مشدوهاً  
لعله يتبين ما اذا كانت الأوراق المالية حقيقية او سحرية .  
- اي والله حقيقية ! التشيرفوتسات ا - صاح بعضهم  
من الشرفة بأصوات جمل .

- المبوا لعبة الورق هذه معي انا ايضاً . - طلب بدين  
جالس في منتصف الصالة بصوت مرح .

- أفيك بليزير \* \* - رد عليه فافوت . - ولكن لماذا  
معك وحدك ؟ الجميع سيشاركون في اللعبة بحماسة ا - وأمر  
قائلاً : - أرجسو أن تنظروا الى أعلى ا . . . واحسد ا

\* تشيرفوتس : عملة من فئة العشرة روبلات . المترجم .

\*\* بكل سرور (بالفرنسية) . المترجم .

- وظهور في يمينه مدس . وصاح : - اثنان ! - فاصوب  
المدس الى اعلى . ثم صاح : - ثلاثة ! - فلمع بريق خاطف  
ثم دوى صوت . وهل الغور اخلت لتساقط من تحت القبة على  
الصالة اوراق بيض صغيرة وهي لغوص بين الأراجيح .

كانت الأوراق تدور وتتقلب متناثرة بعضها محمولا الى  
الشرفات وبعضها مرتدا على الأوركسترا وخشبة المسرح . وفي  
نوان بلغ هذا المطر التقدي الذي كان يزداد شدة المقاعد واخذ  
المساهدون يلتفتون الأوراق .

ارتفعت مئات الأيدي واخذت النظارة يتطلعون من خلال  
الأوراق المتساقطة الى خشبة المسرح المضادة ليروا علامات  
أكيدة وصحيحة والرائحة أيضاً لم تترك في نفوسهم موضعاً  
لاي شك : كانت تلك رائحة الأوراق المائية المطبوعة حديثاً ،  
تلك الرائحة التي لا تضامها في طيبها اي رائحة . وتملكت  
البهجة فالدهشة المسرح كله . كانت تدوي في أرجاء المسرح  
كلها كلمة «تسيفوتسات ، تسيفوتسات» . وتطلق صيحات  
«آه ، آه» وضحكات مرحة . بسيل اخذ بعضهم يزحف بين  
الصفوف باحثاً عن الأوراق تحت المقاعد وبعضهم انتصب على  
المقاعد يلتقط الأوراق الشديدة الحركة والتقلب .

وشيناً فشيناً اخلت العيرة ترسم على وجوه رجال الشرطة  
بينما اخذ الفنانون يبرزون من وراء الكواليس دون أي كلفة .  
وسمع في الشرفة صوت يقول : «لماذا تلتقطها ! انها في !  
كانت لطير الي» . ويرد عليه آخر : «لا تدلع هكذا ! والا  
أرنتك !» . وسمع لجة صوت صلعبة . وللحال ظهرت في  
الشرفة خوزة شرطي وسبق احداهم خارج الشرفة .

وهل الموم كان الهيجان يتعاطم . والله اعلم الى ما كان  
سينتهي اليه لو لم يوقف فالغوت هذا المطر التقدي بثلغة مباحثة  
في الهواء .

تبادل شايدان نظرة مرحة ذات معنى . ونهضا من متديهما  
وانجبا الى البوفيه مباشرة . كان الضجيج يملا المسرح وكانت  
عيون النظارة كلهم تلمع من فرط الاثارة . نعم ، نعم ، الله  
اعلم الى ما كان سينتهي اليه هذا كله لو لم يجد بينفالمسكن في  
نفسه القوة ليتحرك . فقد فرك يديه على عادته . وهو يحاول ان

يتماثلت نفسه أشد ما يمكنه لئلا يها وقال بأقصى ما في صوته من قوة :

- ها نحن اولاء ايها المواطنين ، قد رأينا معاً حالة من حالات ما يسمى التنويم المغناطيسي الجماعي ، وهي تجربة علمية خالصة تقدم أفضل برهان على انه ليس هناك أي اعجوبة أو سحر . فتعالوا نسال المايسترو فولند كيف ستختفي هذه التجربة . وسترون الآن ، ايها المواطنين ، كيف ستختفي هذه الأوراق النقدية كما يتخيل لنا بغتة كما ظهرت .

ورفع يديه مصفحاً ، لكنه لم يصفق الا وحده تماماً وقد ارتسخت على وجهه ابتسامة واقفة ، لكن عينيه لم تكونا تعكسان هذه الثقة اطلاقاً ، بل رجاء وتوسلاً .

ولم تعجب كلمة بينغالسكي الجمهور فزان صمت عميق قطع بعد حين فافوت ذو المربعات معلناً بصوت عال جاد كهوت الجدي :

- وهذه ، مرة أخرى ، حالة من حالات ما يسمى الكلب .  
الأوراق حقيقية ايها المواطنين !

- براغو ! - جار صوت عميق متقطع من مكان ما في الأعلى .

- وبالمناسبة هذا الشخص . - قال فافوت مشيراً الى بينغالسكي ، - يزعمني . انه يتلمس بل ويحضر نفسه فيما لا يعنيه ، ويلسد حفلتنا بملاحظاته الكاذبة ! فماذا تفعل به ؟

- تقطع رأسه ! - قال أحدهم من الشرفة بصوت صارم .  
- ماذا قلت ؟ ؟ - قال فافوت يرد على هذا الاقتراح

البيشع ، - تقطع رأسه ؟ فكرة ! بيفيموت ! - صاح فافوت بالقط ، - انقل ! أين ، تسفي ، دري ! !

وهنا حدث شيء لم يسمع بمثله ، فقد انصب الشعر على جلد القط الأسود الذي ما بصوت يمزق الأذان ، وتجمع على نفسه ، وانقض كالنهد على صدر بينغالسكي مباشرة ، ثم وثب الى رأسه فتشبث بشعر رأسه الخفيف بقوائمه المنتفخة وهو يهر ، ثم مال به مرتين مطلقاً عواء وحشياً ونزع رأسه عن رقبتة المثلثة .

صاح الألمان والخسماثة شخصس الموجودون في المسرح

صيحة رجل واحد . فقد تدفق الدم مسن الشرايين المقطعة الى  
الأعلى كأنه نافورة ولغطي الصدرة والفراخ . وفحص الجسد الفائق  
الراس الأرض بحركات خرقاء مسن قدميه وجلس على الأرض .  
وطلقت النساء في القاعة صيحات هستيرية . وناول القط فاعثوت  
الراس . فامسكه هذا من شعره ورقيه وعرضه على الجمهور .  
وصاح الراس بصوت يانس دوى في أرجاء المسرح كله :

- الطبيب !

- هل تستمع في هرائك ؟ - سأل فاعثوت الراس الباكي  
بصوت متوعد .

- لا . لن أفعل ! - اجابه الراس بصوت أجش .

- لا تعذبه بحق الله ! - دوى فجساءة من الشرفة صوت  
نساءي لغطي اللغظ في الصالة . والتفتت الساحر الى مصدر  
الصوت .

- ماذا . ايها المواطنون ؟ هل نعلو عنه ؟ - قال فاعثوت  
موجهاً سؤاله الى الصالة .

- نعلو ! نعلو ! - ترددت في اول الامر اصوات متفرقة  
مطلبها نساءي ثم ذابت كلها في جوقة واحدة مع الاصوات  
الرجالية .

- ماذا تأمر ياسيدي ؟ - سأل فاعثوت الرجل المظنح .

- ما العمل . - رد هذا بلهجة الخارج من تفكير عميق . -

يشر كبيرهم . يحبون المال . وحب المال كسان دائماً في  
الناس . . . الناس يحبون المال من أي مادة صنع سواء كانت  
جلداً أو ورقاً أو برونزا أو ذهباً . يالهم من خلف العقول . . .  
لكن ما العسل . . . حنسي الرحمة تطرق أحياناً أبواب  
قلوبهم . . . أناس عاديون . . . وهل العموم يذكررون  
بسايقهم . . . الا أن مسألة الشفق أهدتهم . . . ثم أمر  
بصوت عال : - وكبوا الراس .

تناول القط الراس وسدد الى الرقبة نظرة متأنية متقصصة  
ووضع الراس عليها . فاستوى هذا في مكانه تماماً وكأنه لسم  
يقادره اطلاقاً . والأهم انه لم يبق أي أثر لندبة على الرقبة .  
ثم نظس القط بقائمتيه فراك بينغالسكي وصدورته فاخفتت منهما  
آثار الدم . أما فاعثوت فأنهض بينغالسكي الذي كان جالساً

ودس له في جيبه رزمة تشيرفونتسات وشيعة الى خارج الخشبة  
فانزلا :

- الغرب من هنا ! الحفلة بدونك امتح .

مشي بينفالسكي بخطوات ثقيلة وهو يترنح ويشلفت حوله  
بنظرات بلهاء حتى مركز الاطفاء فقط . وهناك سمات حاله فصاح  
يشكو :

- راسي . ياراسي !

وكان ويمسكي من بين الذين هرعوا الى تعريف الحفلة الذي  
كان يمشي ويحاول اصمك شي . ما في الهواء بيديه ويفضم :  
- اعيدوا راسي ! اعيدوا راسي ! خسقوا الشقة . خطوا  
اللوحات . لكن اعيدوا لي راسي فقط .

وفيما اسرع الساعي يستدعي الطبيب . حاول الآخرون  
لمديد بينفالسكي على الديوان الذي في غرفة الزينة . لكنه اخذ  
يمانع ويشاكس وهو في حالة من الهيجان الشديد مما اضطرهم  
لاستدعاء عربة اسعاف . وعاد ويمسكي مسرعا الى الخشبة . بعد  
ان حملت العربة تعريف الحفلة السكين . فرأى عجائب جديدة  
تجري عليها . وبالمناسبة . في هذا الوقت بالذات او قبله يقليل  
كان الساحر قد اختفى مع مقعده الباهت اللون من خشبة المسرح  
تماما . ويجدر بنا القول ان الجمهور المأخوذ بالخوارق . التي  
كان يعرضها عليه فالغوت . لم يلاحظ اختفاء الساحر اطلاقا .

وأعلن فالغوت بعد ان اخل الخشبة من تعريف الحفلة  
المصاب :

- الآن وبعد ان رحلنا هذا المزيج الكئيب تعالوا لتفتح  
مخزنا تساليا !

وللمحال فطيت خشبة المسرح بسجادات عجيبة وانصببت  
مرايا ضخمة منارة من جوانبها بلصائب مائلة الى الخصرة . وبين  
المرايا واجهات راي فيها المشاهدون وقد تملكهم انهار بهيج  
فساتين نسائية باريسية من مختلف الالوان والطرازات .  
وراجهات اخرى ظهرت فيها مئات القبعات النسائية بريش  
وبدون ريش . ببيكر وبدون بكل . ومئات من الاطية - سود  
وبيض وصفر . جلدية ومن الاطلس ومن النسوة . بسبيور  
وبعجارة صغيرة . وبين الاطية بانت علب تلالا فيها حواي

قوارير من الكريستال ، واكوام من الجزادين النسائية من جلد  
الطباء والغزلان ومسسن الحرير وبينها اكدامس علب صغيرة  
مستطيلة مذهبة جميلة الصنع من تلك التي يوضع فيها أحمر  
الشفاة .

والشيطان أمدى من أين ظهرت على خشبة المسرح فتاة  
صهباء الشعر في ثوب سهرة أسود ، فتاة كل ما فيها جميل لو لا  
تلك التدهة الغريبة الشكل على عنقها ، وولفت قرب الواجبات  
وهي تبتسم ابتسامة صافية محل .

واعلمن فاعلمت بابتسامة عذبة ان الشركة تجري بالمجان  
تماما استبدال الأتواب والأحذية النسائية القديمة بموديلات  
باريسية للأتواب والأحذية ، وكذلك الأمر بالنسبة للجزادين  
والعطور وما إلى ذلك .

اغذ القط يخلق بفالمته الخلفية وبالامامية ويؤدي حركات  
كذلك التي يقوم بها البوابون لدى فتحهم الأبواب .

وصدحت الفتاة تلتخ بصوت عذب وان يكن مشوباً ببعض  
بحة بشري، ما عسير الفهم الى حد ما ، لكنه مفرح كما تجل على  
الوجه النسائية في الصلاة :

- غرلين ، شانيل خمسة ، ميتسوكو ، ترسيس نوار ،  
اتواب سهرة ، اتواب كوكتيل . . .

كان فاعلمت يميل على جنبيه والقط ينحني والفتاة تفتح  
الواجبات الزجاجية .

- تفضلوا ، - صاح القط ، - تفضلوا دون اي كلفة او  
حرج !

كان الجمهور في حالة من الاضطراب والاثارة ، لكن احداً لما  
يعزم امره على الصعود الى الخشبة ، واخيراً نهضت امرأة سمراء  
من الصف العاشر في الصلاة وجازت وهي تبتسم ابتسامة مسن  
يريد ان يقول للحاضرين ان الأمر بالنسبة اليها سيان وانها لا  
تبالى بما يدور حولها ، وصعدت على مرقاة جانبية الى الخشبة .

- برافوا - هتف فاعلمت ، - احبسي اولي زائرانا !  
أريكة بايفيسوت ! لتبدأ بالخطا يامدام .

جلست السمراء على الأريكة ، وللحصال الفرج فاعلمت على  
السجادة امامها كومة كاملة من الأحذية .

نزعتم السمراء هذا رجلها اليمنى ، وقامت هذا ليالكسي  
اللون ودبت به على السجادة وتأمّلت كعبه .  
- أن يضايقني ؟ - تساءلت في الضغال بال .  
ورد فالحوت على تساؤلها بصيحة استياء :  
- ماذا تقولين ، ماذا تقولين ! - بينما ماء القط مسن  
الإهانة .

- سأخذ هذا الزوج يامسيو ، - قالت السمراء بوقار وهي  
تلبس الحذاء الثاني .  
ألقى حذاء السمراء القديم وراء الستارة حيث مضت برفقة  
الفتاة الصبية ، فالحوت الذي كان يحمل بعض الموديلات عمل  
عكلافات . وكان القط يسمر بينهم وقد علق متراً على عنقه  
لاسطنح الزيد من الأصبية .

وبعد دقيقة ظهرت السمراء من خلف الستارة في ثوب نبت  
له التتهيدات في كل الصالة . ووقفت المرأة الشجاعة التي بلغت  
في جمالها حد الروعة أمام المرأة ، وهزت كتفها المكتوفتين .  
ومسحت بأصابعها شعرها على قذالها . واتعنت محاولة القاء  
نظرة خلف ظهرها .

- ترجو الشركة قبول هذه للذكري ، - قال فالحوت وناول  
السمراء علبة مفتوحة فيها قارورة .

- ميرسي ، - أجابت السمراء بفطرسية ومضت تهبط  
المرقاة إلى الصالصة . وعلى طول طريقها إلى مقعدها كان  
المشاهدون يهيجون ويمدون أيديهم للمس العلية .

وهنا أقلت الزمام ، فاندفعت النساء من كل حدب وصوب  
إلى الخشبة . وسمع في زحمة الأصوات المثارة والضحكات  
والتتهيدات صوت رجل يقول : «لا أسمع لك !» وصوت امرأة  
يود : «مستيد ، برجوازي محدود ، لا تلو يدي !» . كانت  
النساء يهجن خلف الستارة ويتركن هناك التواهيمن ثم يعدن في  
أثواب جديدة . وعلى المقاعد ذات القوائم المذهبية جلس صف من  
السيدات يضرين السجادة بأقدامهن المنتملة الجديدة بحماسة .  
كان فالحوت واقفاً على ركبتيه يساعد النساء في ادخال أقدامهن في  
الأحذية الجديدة بشدادته القرنية . والقط يروح ويحيى بتناقل  
بين الواجبات والمقاعد وهو يتوزع تحت أقدام الجزائريين

والأحدية . أما الفتاة ذات العنق المشوه فكانت تظهر نادرة وتختفي نادرة أخرى والنهي بها الأمر إلى أن صارت ترطن بالفرنسية وحدها . والغريب أن النساء كلهن حتى اللواتي لا يعرفن كلمة واحدة بالفرنسية كن يفهمنها «على الطائر» .

وأثار دهشة الجميع رجل حشر نفسه بين جمهور النساء على خشبة المسرح . فقد أعلن أن زوجته مصابة بالانفلونزا . ولهذا فهو يريد أن يعطوه شيئاً ما لها . وأنه على استعداد لإبراز بطاقته العائلية برهاناً على أنه متزوج . وقربيل أعلن الزوج المطرف المهتم بالتهلقة ، لكن فالحوت صاح بصوت عالٍ أنه يصدق كما يصدق نفسه دونما حاجة إلى بطاقة وسلمه زوجين من الجوارب الحريرية وتبرع له اللط بقلم من أحمر الشفاه .

كانت النساء المتخلفات يندفعن إلى خشبة المسرح ، ومن خشبة المسرح كان يتدفق سيل المحفوظات ومن في ثياب السمرات الراقصة وفي جاكيتسات موشاة يرسم تينين ، وفي ملابس زيارة صارمة اللون وفي قبعات مانلة على العاجب .

أذاك أعلن فالحوت أنه نظراً لتأخر الوقت فإن المخزن سيغلق بعد دقيقة بالضبط حتى مساء اليوم التالي فاستعرت على الخشبة جليلة لا تصفق . أخذت النساء يتخاطبن الأحدية دون قياس . واحداً من الدفقت كالعاصفة إلى وراء الستارة وخلعت رداً على عجل وأخذت أول ما وقعت يدها عليه وكان روب دي شمير حريرية عليه طاقات كبيرة من الورد . وتمكنت ، بالإضافة إلى ذلك ، من التقاط زجاجتي عطر .

وبعد دقيقة تماماً دوت طلقة سدس فاخفت الرايا وطارحت الواجبات والمقاعد ، وذابت السجادة كما الستارة في الهواء ، وكان الجبل الشاهق من الألبسة والأحدية القديمة آخر ما اختفى ، عادت بعده خشبة المسرح صارمة فارقة وعارية .

وهنا تدخل شخص جديد في الأمر .

لقد سُمع من اللوح رقم ٢ صوت جهوري لطيف ورغيسم يقول بالحاج :

- ومع هذا حبذا لو كشفت للمشاهدين على الفور تقنية خزعبلاتك . أيها المواطن الفنان ، وعلى الأخص لعبة الأوراق



التفدية هذه . وحيناً أيضاً لو أعدت حريف الحفلة الى خشبة المسرح فمصيره يلقى المشاهدين .

ولم يكن الصوت الجهوري سوى صوت خفيف الشرف في امنية اليوم . وليس لجنة السعيات في مسارح موسكو ارКАДي أبولونوفتش سمبلياروف .

كان ارКАДي أبولونوفتش يجلس في اللوح مع سيدتين : اولاهما متقدمة في السن ترتدي ملابس عالية موضة وثانيتها صبية غضة بملابس اكثر تواضعاً . كانت الاولى . كما تهبسن بعد ذلك لدى تسجيل الحضر . زوجة ارКАДي أبولونوفتش . والثانية قريبة بعيدة له وفنانة مبتدئة وواعده قدمت من ساراتوف وتعيش في شقة ارКАДي أبولونوفتش وزوجته .

- بردون ا - اجابه فانوت . - الطول . ليس هنا ما يحتاج الي كشف او فضح . فكل شيء واضح .

- لا . آسف . الفضح هنا ضروري للغاية . والا تركت الفقرات المتأخرة التي قدمتوها انطباعاً مضمناً في النفوس . ان جمهور المشاهدين يطالب بالتوضيح .

وقاطع النهج الوقح سمبلياروف قائلاً :

- جمهور المشاهدين لم يعرب . فيما يبدو . عن رغبة من هذا القبيل . اليس كذلك ؟ ومع هذا ولزولا عند رغبتك الكريمة جداً يا ارКАДي أبولو نوفتش سأقوم بالكشف عن سرها وفضحه . اما هل تسمح لي قبل هذا بفقرة قصيرة جداً ؟

- ولم لا . - اجابه ارКАДي أبولونوفتش بشيرة رعابة . - لكن مع فضحها حتماً ا

- سمعاً وطاعة . سمعاً وطاعة . وهكذا أصبح لي ان أسألك : اين كنت الياحة مساء يا ارКАДي أبولونوفتش ؟

لدى سماح ارКАДي أبولونوفتش هذا السؤال غير اللائق او . اذا شئت . هذا السؤال اللفظ تغيرت ملامح وجهه . بسـل تغيرت تغيراً شديداً .

- الياحة مساء كان ارКАДي أبولونوفتش في اجتماع لجنة السعيات . - اعلنت زوجة ارКАДي أبولونوفتش بكثير حسن الفطرسية . - لكني لا افهم ما علاقة هذا بالسر .

- اي . مدام . - قال فانوت متنبهاً على قولها . - طبعاً

لا تلهين . بخصوص الاجتماع انت على ضلال ، وضلال ميين .  
بعد ان ذهب اركادي ابولونوفتش الى الاجتماع المذكور .  
الذي لم يتعين البراعة اصلاً اذا اردت الحقيقة ، صرف سائقه  
عند مبنى لجنة السبعيات في تشيستني برودي (وهنا ران على  
المرح الصامت والسكون) وذهب بملرده الى شارع  
ايلوغانسكايا لزيارة ميليتسا اندريفنا بوكوباتكو ، الفنانة  
التي تعمل في المسرح الجوال التابع للمنطقة وأضى عندها نحو  
اربع ساعات .

- اوي . - صاح شخص ما بصوت موجه في الصمت

المخيم .

وفجأة انفجرت قريبة اركادي ابولونوفتش الشاب في ضحكة  
خافتة ومخيفة ، وصاحت :

- كل شيء مفهوم ! انا ايضاً كنت اشك في الأمر مسن  
لفترة طويلة . الآن ادركت لماذا حصلت هذه المرأة العديمة  
الوهبة على دور لويزا !

وبفتة لوحت بشمسيتها الليلية الصغيرة والغليظة وهوت  
بها على رأس اركادي ابولونوفتش .

وصاح السائل فالحوت الذي هو كوروفيف :

- اليكم ، ايها المواطنين المبهلون ، واحدة من حالات  
الضح التي طالما الح اركادي ابولونوفتش علينا بها !

- كيف تجرات ، ايها اللثيمة ، على مد يدك الى اركادي  
ابولونوفتش ؟ - سألته زوجة اركادي ابولونوفتش فاخضبة

متوعدة وهي تنصب في اللوح بملء قامتها العملاقة .

وهزت موجة ثانية قصيرة من الضحك الجهنمي القريبية  
الشابة .

- فد لا يجرؤ غيري ، - اجابت مفهبة ، - اما انا

فاجرؤ ! - وللمرة الثانية مدت عن الشمسية المرتدة عن رأس  
اركادي ابولونوفتش فرقة جافة .

- الشرطة ! ليأخذوها ! - صرخت زوجة سيبلياروف  
بصوت مخيف تجددت له اوصال الكثيرين .

وزاد التظ على ذلك فلكز الى مقدمة الخشبة وجار فجأة

بصوت انساني ملء المسرح :

- انتهت الحلقة : ايها المايسترو ! قطع مارشاً ! !  
 لوح قائد الاوركسترا الذي فقد عقله بعصاه وهو لا يعسى  
 ما يفعل . ولم تصدح الاوركسترا ، بل لم تدو ، بل حتى لم  
 تضج ، الما قطعت بالضيظ ، على حسد تعبير القط الكريه ،  
 مارشاً غير معتول ، لا يشاهيه شيء في جلالته .  
 وغيل للحظة انه ترددت في وقت ما تحسنت نجوم الجنوب  
 وفي متهى رخيص كلمات هذا المارش الغامضة تصف العمياء انما  
 الجريئة :

كان سيادته  
 يحب الطيور المفردة  
 وييسط رعايته  
 على الكواكب المتفتحة

ولعل هذه الكلمات لم تتردد أبداً ، بل ترددت اخرى بنفس  
 اللحن لكنها غير لائقة بتاتا . المهم ليس هذا ، بل ان ما حدث  
 في غارييتيه بعد ذلك كان اشبه بيليلة بايل . فقد هرع رجال  
 الشرطة الى لوج سمبلياروف ، ولفز الضوليون فوق الحاجز  
 وانجرت ضحكات جهشية وصيحات مسعورة خلت من حديثها رنين  
 صنوج الاوركسترا الذهبي .

ورأى الناس بأم العين ان خشبة المسرح خلت بفتة وان  
 الغشاش فانحوت والقط الوقح يبعثون ذابا في الهواء واختفيا  
 كما اختفى من قبلهما الساحر مع اريكته ذات الغلاف الباهت  
 اللون .

## الفصل الثالث عشر

### تهور البطل

وهكذا اوما المجهول باصبعه الى ايفان معلناً وهمس :  
 «تس !»  
 انزل ايفان قدميه من الحرير وحسب فيما حوله ، فرأى

شخصاً في نحو الثامنة والثلاثين مسن العبر ، حليفاً ، اسود  
الشعر ، ذا اشف حاد وعينين للفتين وتصلة شعر متدلّية على  
جبينه يتطلع من الشرفة الى النافذة .

وبعد ان اصاح الزائر الغاضب السمح وتاكد من وجود  
ايفان وحده تجرأ ودخل الغرفة . وهنا رأى ايفان ان القادم  
يرتدي ثياب المستشفى : ملابس داخلية وخفا دس فيه قدميه  
العائيتين وجبة داكنة مشلوجة على الكتلين .

غمز القادم ايفان واخفى رزمة مفاتيح في جيبه وسأل همساً  
ان كان بإمكانه الجلوس ، وبعد ان تلقى ايماءة بالايجاب جلس  
على الأريكة .

- كيف اتيت الى هنا ؟ - همس ايفان منصاعاً للسبابة  
اليابسة المحنونة . - ليست شبكات الشرفات مغلقة بالاقفال ؟  
- الشرفات مغلقة بالاقفال طبعاً ، - قال الضيف مثنياً ،  
- ان برسكوفيا فيودوروفنا السانة لطيفة جداً لكنها كثيرة  
السهو . من شهر تطلعت منها رزمة مفاتيح ، وعلى هذا صار  
بإمكانني الخروج الى الشرفة العامة الملتفة حول الطابق كله  
وبالثاني زيارة جيراني أحياناً .

- بما انك تستطيع الخروج الى الشرفة فيمكنك ان  
تهرب ، ام ان الشرفة مرتفعة ؟ - قال ايفان مستفسراً .

- لا . - اجابه الضيف بعزم . - لا يستطيع الهرب ، لا  
لان الشرفة مرتفعة ، بل لانه ليس في مكان هرب اليه . -  
واردف بعد وقفة قصيرة : - اذن نحن راقدون هنا ؟

- نعم ، راقدون ، - اجابه ايفان وهو يتفرد في عيني  
القادم الهندقيتي اللون المليئين بالقلق والجزع .

- لكن . . . - وهنا ازداد قلق الضيف فجأة ، - لكنك  
لست من الهائجين كما آمل ؟ فانا ، اذا شئت ، مسن لا يحبون  
الضوضاء والجلبة والعنف وما الى ذلك . واكره خاصة الصراخ  
الالساني سواء صراخ الألم أو الغضب اي صراخ آخر . طمئني ، هل  
انت من اولئك ؟

- البارحة في المطعم ضربت احدكم على سحنته ، - اجابه  
الشاعر المتغير الشخصية برجولة .

- والسبب ؟ - سأل الضيف بصوت صارم .

- إذا شئت الحقيقة ، دون أي سبب ، - اجاب ايفان مرتبكا .
- هذا شيء ، شائن ، - قال الضيف يدين ايفان وأردف :
- ثم ما هذه الطريقة في التعبير : ضربته على سحنته ؟ فتنح لا تعرف بالضبط ما الذي للانسان : أهو وجه أم سحنة ، ومسح هذا فالأرجح أنه وجه ، ثم التبهضات هذه . . . لا ذلك من هذا مرة وإلى الأبد .
- وبعد أن اتب الضيف الشاعر على هذا النحو سأله مستغراً :
- مهنتك ؟
- ولأمر ما أجابه ايفان معترفاً بفتور :
- شاعر .
- تكرر وجه القادم وصاح :
- أوه ، ما اتمس حظي ! - لكنك استندرك على الفور معتلراً وسأله : - كنيته ؟
- بيزدومني .
- آيه ، آيه . . . - قال الضيف وهو يقطب حاجبيه .
- ألا تعجبك أشعاري ؟ - سأله ايفان بفضول .
- بشكل .
- وأجها فرات ؟
- لم أقرأ بيتاً منها ! - صاح الزائر بعصبية .
- وكيف حكيت إذن ؟
- وما الغريب في الأمر ؟ - أجابه الضيف ، - كالي لم أقرأ غيرها ؟ . . . لربما . . . معجزة ؟ حسناً ، أنا على استعداد لأن أصفق ما تقول لي : هل أشعارك جيدة ؟
- مريعة ! - قال ايفان نجاةً بشجاعة وصراحة .
- كف عن الكتابة ! - توسل القادم إليه ضارحاً .
- اعدك وأقسم على هذا ، - نطق ايفان هذه الكلمات بصوت مهيب .
- ووتفا القسم بمصاحفة . وهنا تناهت اليهما من الممسر أصوات وخطوات خفيفة .

- تس . - همس الضيف وتلزم الى الشرفة والخلق الشبك  
وراء . -

مدت برسكوفيا فيودوروفنا راسها من الباب . وسالست  
ايفان عن حاله . ومعا اذا كان يترقب في النوم في الظلمة أم في  
الضوء . طلب ايفان اليها أن تترك النور مضاء . فضمت بعد أن  
تعتت له ليلة عادلة . ولما هذا كل شيء عاد الضيف الى  
ايفان .

واخير الضيف ايفان همساً اتهم انوا الى الغرفة رقم ١١٩  
يرجل يدين ذي وجه أحمر يطمع طول الوقت بكلام عن عملة  
اجنبية من كوة التهوية ويقسم انه نزلت شارعهم سادوفايا قوى  
شريرة .

وتابع الضيف وهو يرتعش في قلق :

- . . . وهو يشتم بوشكين بأقذع الشتائم ويصرخ طول  
الوقت : «كورايسوف ، بيس ، بيس ، بيس» .

وبعد أن هذا روع الضيف . جلس وقال :

- على كل حال . الله معه . - ثم توجه الى ايفان مستأنفاً  
حديثه : - ما الذي أوصلك الى هنا إذن ؟

- بيلاطس البنطي . - اجابه ايفان وهو يطرق الى الأرض  
هابساً .

- كيف ؟ - صرخ الضيف وقد نسي الحيلة والحذر وللحال  
سد فمه بيده . - توافق منهل ! أتوسل اليك . الضرع اليك  
ان تخبرني !

ولم يدر ايفان ما الذي يدفعه الى الاطمئنان الى هذا الرجل  
المجهول والثقة فيه فأخذ يروي له متلعثماً ووجلاً أول الأمر ثم  
بمزيد من الجراءة قصته بالأمس في بتريشسي برودي . نعم .  
لقد وجد ايفان نيقولايتش في شخص سابق المفاتيح الغامض  
هذا مستعماً شكوراً ! لم يضعه الضيف في مصاف الجانين .  
بل كان يبدي أعظم الاهتمام بما يرويه له . ويتندر ما كان ايفان  
يستترسل في روايته كان اتصال الضيف يشتم حتى بلغ أخيراً  
حد الحماسة . فأخذ يقطع ايفان بيسن الفترة والأخرى بهتافات  
الدهشة والحب :

- اي ، اي ! تابع ، تابع التوصل اليك . لا تغفل شيئاً  
بحق كل ما هو مقدس !

لكن ايفان لم يكن يغفل شيئاً ، فقد كان هو نفسه يشعر  
بارتياح متزايد كلما آمن في الحديث ، وأخيراً وصل شيئاً  
فشيئاً الى لحظة خروج بيلاطس البنطي الى الشرفة بهيردكسه  
البيضاء ذات البطانة الحمراء القانية .

اذك ضم الضيف يديه ضارحاً وهمس :

- اوه ، كما خمنت ا اوه ، كل شيء كما خمنت ا

علق المستمع الشكور على وصف موت برليوز العريض  
بملاحظة ملغزة وعيناه تلذخان شرواً :

- أسف لشيء واحد - أن لم يكن الناقد لاتونسكي او  
الإديب مستيللاف لافروقتس مكان برليوز هنا . - وصاح  
وهو في ذروة الحماسة انما بصوت يكاد لا يسمع : - تابع ا

طرب الضيف للقط يدفع ثمن التذكرة للجارية والفرق في  
ضحك خافت وهو ينظر الى ايفان الذي اتاره نجاح قصته فاخذ  
يتفحص ويفرز قفزات خفيفة مقلداً القظ وهو يمسح شاربيه بالفكة .  
ويجد أن روى له حادثة لريبيروبيدوف . أليس ايفان كلامه  
قاتلاً وقد لاح على وجهه التجهم والحزن :

- وهكذا وجدت نفسي هنا ا

وضع الضيف يده على كتف الشاعر المسكين مشفقاً وقال  
له :

- يا للشاعر العائر الحظ ! لكني اقول لك مع هذا انك  
المسؤول عن كل ما حصل ياعزيزي . ما كان عليك ان تعامله  
بهذا القدر من الجراء او حتى الوقاحة . وما انت ذا دفعت  
التمن . وعليك ان «تسكروه» لأن الثمن كان بخساً الى حد ما .

- ولكن من يكون هذا الشخص أخيراً ؟ - سأل ايفان  
متاراً وهو يهز قبضتيه .

تأمل الضيف ايفان ملياً ورد عليه بسؤال :

- ان تهتاج ؟ نعم كلنا هنا اناس غير مأمونين . . .  
استمدعاه الطيب والحقن وغيرها . . . ان يكون شيء ممن

ذلك ؟

- لن يكون ، لن يكون ! - هتف ايفان ، - قل لي : من يكون ؟  
- حسناً ، - اجابه الضيف واردف يقول له بصوت وزيں  
مقطعاً الكلمات :

- البارحة التليت في بتريرشيف برودي يا بليس .  
وكما وعد ايفان ، لم يتهيج لكنه سمع لهذا الجواب بشدة .  
- هذا مستحيل ! انه غير موجود .  
- العفو ! قد يحق لغيرك ان يسؤل هذا ، اما انت فلا .  
فانت واحد من اوائل الذين كابدوا بسببه على ما يظهر . انك  
ترقد الآن في مستشفى الامراض النفسية كما ترى ، ومع هذا لا  
ذلت تردد انه غير موجود . شيء غريب حقاً !  
صمت ايفان حائراً .

واردف الضيف يقول :

- ما ان بدأت تصفه حتى اخذت احزر الشخص الذي كانت  
لك سعادة التحدث اليه البارحة . والحقيقة اني ادهش لأمس  
برليوز ! انت انسان لمر طبعاً ، - وهنا اعترف الضيف لمن  
جديد ، - لكن ذلك ، بقدر ما سمعت عنه ، لا بد ان يكون قرأ  
شيئاً ! لقد بددت الكلمات الأولى لهذا البروفيسور كل شكوكي .  
فمن المحال الا يستطيع انسان التعرف عليه ! وعلى أي  
حال . . . اعترني . . . اعترني ثانية . . . انت بالتأكيد  
انسان جاهل اليس كذلك ؟

- دون شك ، - اجابه ايفان الذي تغيرت اخلاقه حتى لم  
يعد يعرف .

- النظر . . . حتى الوجه السذي رسمته . . . والعينان  
المختلفتان والحاجبان ! العفو ، وبالمناسبة لعلك لم تسمع حتى  
أوبرا «فاوست» ؟

ولامر ما بلغ الارتباك بايفان حداً مرعباً فأخذ يضم بوجهه  
محصراً كلاماً عن سفرة الى مصحة في يالطا . . .

- هذا ما توقعت ، هذا ما توقعت . . . وهو ليس بالشيء  
الغريب ! اما برليوز فأعود فأقول ان امره يدعشني ! فهو ليس  
بالانسان الواسع الاطلاع وحسب ، بل انه ماكر أشد المكر .



وان كان علي ان اعترف دقاً عنه ان تولد يستطيع ذو الرماد  
في عيون من هو امكر من برليوز .

- كيف ؟ - صاح ايفان بدور .

- اخفض صوتك .

لطم ايفان جبينه براحته وقال بصوت اجسر :

- الان فهمت . الان فهمت . كان حرف «ف» مكتوباً علي

بطاقة الزيارة . اي-ياريا . هكذا الامر ان ا - وسمت قليلاً

في ذهنك وهو يحدق في القمر السابح وراء الضبيان ثم قال :

- وهل هذا كان بإمكانه ان يكون عند بيلاطس البنطي فعلاً ؟

او لم يكن مولوداً اذالك ؟ ومسح هذا يقولون اني مجنون ا -

اصاف ايفان وهو يوميء ساخطاً الى الباب .

ارتسم عند شفطي الضيف لظنن يشي بالمرارة .

- تعال ننظر الى الحقيقة عارية . - وحول الضيف وجهه

الى الكوكب الليل الراكس بين الخيوم . - انا وانت مجنونان .

ولا حاجة الى الانكار ! لقد مررت لتأزم حزناً عتيقاً فاضطرب عقلك

لانه كانت عندك التربة الصالحة كما هو واضح . لكن كل مسا

تقول حدث فعلاً دون اي شك . لكنني غير مالوف حتى ان

سترافنسكي نفسه . وهو عالم لغساني عبقري . لم يصدقك

بطبيعة الحال . هل عاينتك ؟ (هن ايفان راسه بالاجاب) . لقد

كان محدثك عند بيلاطس البنطي وهل القطور عند كسط وهامو

ذا الآن يزور موسكو .

- لكن الشيطان اعلم بما سيترقه هنا من اعمال شنيعة !

الا يجب القبض عليه بطريقة او بأخرى ؟ - رفع مع هذا ايفان

التقديم . الذي لم يهزم في ايفان الجديد نهائياً . راسه وان لم

يكن بثقة تامة .

- لقد حاولت ونالك منه ما نالك . - رد عليه الضيف

بسخرية . - ولا اصح الآخرين بتكرار المعاملة . انه سيلترف

اشياء كثيرة . فلا شك في ذلك ! آه . آه . كما سادني انك

انت الذي التفتيت به لا انا ! ومع ان كل شيء انتهى بالنسبة

لي . فاني اقسم لك اني هل استعداد لان اعيد رزمة مطالبك

برسكوفيا فيودوروفنا لقاء هذا اللقاء . اذ لا شيء . لدي اعطيه

سواها . فانا فقير !

-ولماذا انت بحاجة اليه ؟

فرق الضيف في حزن طويل وهو يرتعش . لكنسه قال

اخيراً :

- انها قصة غريبة . فانا هنا لنفس السبب الذي اتى بك  
هنا . وبالذات بسبب بيلاطس البنطي . - وهنا التفت الضيف  
عوله بنعم وقال : - ملخص الموضوع اني كتبت من عام رواية  
عن بيلاطس .

- انت كاتب ؟ - سألته الشاعر باهتمام .

اكفهر وجه الضيف ولوح لايمان بلبسته متوعداً ثم قال :

- انا المعلم . - وهنا قصت تعابير وجهه فأخرج من جيب  
توبه طاوية سوداء صغيرة في افاية الكنزة طرز عليها حرف "م"  
بحبر اصفر . ووضعها على راسه واتصب امام ايمان يريسه  
نفسه في وضع جانبي ثم مياثر ليبرهن له على انه المعلم . ثم  
اردف كمن يلثني سرا : - لقد خاطتها بي يديها .  
- وما كنيثك ؟

- لم تعد لي كنية . - اجاب الضيف الغريب باحتقار

مشوب بالحزن . - لقد تخليت عنها . كما تخليت ايضاً عن كل  
ما في الحياة . فلتنسها .

- لكن حلا حدثني عن الرواية على الاقل . - طلب اليه

ايمان بلطف .

- كما تشاء . قصتي بالفعل لغير عادية الى حد ما . . .

. . . كان اختصاصياً في التاريخ عمل الى سنتين خلنا في

احد متاحف موسكو كما عمل في الترجمة .

- من اي لغة ؟ - سألته ايمان باهتمام .

- اعرف خمس لغات عدا لغتي الام : الانكليزية والفرنسية

والالمانية واللاتينية واليونانية . والرا ايضاً قليلاً بالاطالية .

- عظيم ! - همس ايمان في حسد .

كان المزوخ يعيش وحيداً في موسكو . لا اهل له . بل دون

معارف تقريباً . وتصوروا . . . اذا به يربح ذات مرة مائسة

الف روبل .

وهمس الضيف ذو الطاوية السوداء الصغيرة :

- تصور دهشتي حين دستسست يفتي في سلة الملابس

المتسفة فإذا بي أرى نفس الرقم الذي في الجريدة ١ - وأردف  
موضحاً : هذا المستد اعطانيه المتحف .

بعد أن ربح ضيف ايفان الغامض المائة ألف روبل اشترى  
كتباً وهجر غرفته في شارع مياسنيتسكايا . . .  
- يا للجر اللعين ! - زجر الضيف .  
. . . واستاجر عند أحد اصحاب حق البناء في زفاني قرب  
قريبات . . .

- هل تعرف ما معنى اصحاب حق البناء ؟ - سأل الضيف  
ايفان ، وأردف يشرح له على الفور : - انهم جماعة قليلة من  
النصابين لا ادري كيف ظلت سليمة ترتفع في موسكو  
وتخرج . . .

استاجر اذاً عند أحد اصحاب حق البناء غرفتين في قبو  
منزل صغير يقع وسط حديقة . واعتزل العمل في المتحف ،  
وشرع يكتب رواية عن بيلاطس البنطى .

- آه ، كانت فترة ذهبية من عمري ، - همس الضيف  
وقد برقت عيناه ، - شقة مستقلة تماماً ، لها مدخل ومفصلة  
يجري فيها الماء (والأمر ما شدد باعتزاز على هذه النقطة) ونوالد  
صغيرة ترتفع مباشرة فوق المشى الممتد من باب الحديقة .  
وعلى بعد أربع خطوات قبالتى اشجار الليلاك والزيزفون والقيقب  
عند السور . آه ، آه ، آه ، في الشتاء لم اكن ارى من  
النافذة ، الا فيما ندر ، أرجلاً سوداء وأسمع خشخشة الثلج  
تحتها . كانت النار متاججة في موقدي على الدوام ا وبغثة اتس  
الربيع . ورايت من خلال الزجاج الداكن شجيرات الليلاك  
العارية اول الأمر . ثم الأخلد بالاكتماء بالخضرة . انما في ذلك  
الوقت بالذات ، أي في الربيع القالت حدث لي ما هو أروع من  
استلام المائة ألف روبل ، وهذا مبلغ هائل من المال كما لا بد  
أن توافقتني ا

- هذا صحيح ، - اعترف له ايفان الذي كان يصرى اليه  
باهتمام .

- فتحت النوافذ وكنت جالسا في الغرفة الثانية ، الصغيرة  
جداً ، - وهنا أخذ الضيف يقيس بيديه ، - هكذا . . . هنا  
ديوان ، وهنا قبلكه ديوان آخر وبينهما طاولة صغيرة فوقها

مصباح ليل رائع ، وبالقرب من النافذة كتب ، وهنا طاولة صغيرة للكتابة ، أما في الغرفة الأولى ، الكبيرة ، بمساحة أربعة عشر متراً فكتب ، كتب ، ومدفأة . آه باللجو الذي كان يخيم على بيتي !

كان الليلاك ينشر طيباً غير عادي ! وأخذ رأسي يخف من الإرهاق وكان بيلاطس يشرف على النهاية . . .

- البردة البيضاء ، والبطانة الحمراء ، بلون الدم ! فاهم ! - هتف ايلان .

- بالضبط . كان بيلاطس يشرف على النهاية ، النهاية تماماً ، وكنت أعرف إن آخر كلمات الرواية ستكون : . . . حاكم اليهودية الخامس الفارسي بيلاطس البنطي . كنت أخرج للزحمة بطبيعة الحال . فمائة ألف كنية هائلة ، وكانت عندي بذلة رمادية رائعة . أو كنت أضيء لتناول الغداء في أحد المطاعم الرخيصة . كان في إربات مطعم رائع لا أدري إن كان قائماً حتى الآن .

وهنا انفتحت عينا الضيف على اتساعهما ، وتابع هماً وهو يرتو إلى القمر :

- كانت تحمل بيدها زهوراً صفراً بشعة تبعث على القلق ، الشيطان يعلم ما اسم هذه الزهور ، لكنها هي أول ما يظهر من الزهور في موسكو لسبب ما . وكانت هذه الزهور تبرز بجلاء فوق معظمها الربيعي الأسود . كانت تحمل زهوراً صفراً ! إنه لون ردي ، وانعطفت من شارع تفيرسكايا إلى زقاق والتفت . ألا تعرف تفيرسكايا ؟ في تفيرسكايا يسير آلاف الأشخاص ، أنا أؤكد لك أنها رائتي أنا وحسبي ، ونظرت إلى نظرة لا أستطيع القول أنها نظرة قلق فهذا غير دقيق ، بل نظرة كأننا نلبي بوجع دفين . ولم يهزني جمالها بقدر ما هزني الوحشة القائلة . غير الطبيعية التي لم يتسن لأحد أن يراها في عينين ! وانعطفت أنا أيضاً في أعقابها إلى الزقاق متقاداً إلى هذه العلامة الصفراء . وسرنا في زقاق متعرج كتيب صامتين . أنا في جانب وهي في الجانب الآخر . وتصور . لم يكن في الزقاق أحد سوانا . كنت أعذب لانه تمياً لي أنه من الضروري أن أكلتها ،

وكنت مضطرباً خشية الا استطيع فتح فمي بكلمة فتضمر قسلاً  
اعود الى رؤيتها ابداً . . .

وتصور ، كانت هي التي تكلمت على حين غرة اولاً :

- هل تعجبك زهوري ؟

لا زلت اذكر جيداً كيف تردد صوتها الخافت الى حد ما انما  
المتلطف بحيث تهباً لي ، مهما بدا ذلك على قدر من الغياء ، ان  
صداء هو الذي دوى في الزقاق وارتد عن العائط الأصفر القذر .  
عبثت الى جانبها بسرعة واجبتها وأنا ادنو منها :

- لا .

نظرت الي مندحشة ، فادركت فجأة ، ودون اي توقع بانانا ،  
انني طول حياتي انما احببت هذه المرأة بالذات ا امر غريب  
اليس كذلك ؟ ستقول طبعاً اني مجنون .

- اني لا اتول شيئاً ، - متف اهدان واضاف : - تابع ،

ارجوك ا

وتابع الضيف :

- نعم ، نظرت الي مندحشة وسألتني بعد ان تأملتني :

- الا تحب الزهور عموماً ؟

كان في صوتها عدا ، كما بدا لي . كنت اسير الى جنبها وأنا  
احاول الا اتخلف عنها ، ولدحشتني لم اكن اشعر بأي حرج .

- بل ، احبها ، ولكن ليس هذه .

- وأيها ؟

- احب الورود .

واسفت على ما قلت ، لأنها ابتسمت ابتسامة مذهب ورومت  
زهورها في اخدود . اوليكت قليلاً لكنني التلقت الزهور مع  
دنا ومددت لها يدي بها لكنها ابتسمت ابتسامة خفيفة ودفعتها  
عنها فأبليتني في يدي .

وعلى هذا التحو سرنا صاحبتين بعض الوقت الى ان التزعت  
الزهود من يدي ورمتها على الرصيف . ثم شيكيت يدها بتفازها  
الأسود المتسع الطرف بيدي وسرنا جنباً الى جنب .

- تابع ، - قال ايلسان ، - ولا تفعل اي شيء مسن  
فضلك .

- اتابع ؟ - كرر الضيف السؤال ، - بوسعك ان تحزر

ما حدث بعد ذلك بتفصيص . - وهنا مسح دموعه فجاءته بكلمة  
الأيمن وتابع : - وطلع علينا الحب كما يطلع عليك من تحت  
الأرض في زفاتي قاتل . وأردانا كليتنا على الفور !  
هكذا تردى الصاعقة . هكذا يردي الخنجر !

غير أنها كانت تؤكد فيما بعد ان الأمر لم يكن على هذا  
النحو . واننا كنا نحب أحداً الآخر منذ زمن بعيد جداً بطبيعة  
الحال . دون ان يعرف أحداً الآخر ودون ان يراء أبداً . وانها  
كانت تعيش مع انسان آخر واني كنت اذاك مع هذه . . . التي  
اسمها . . .

- مع من ؟ - سأل بيزدومني .  
- مع هذه . . . التي . . . مسح هذه . . . اي . . . -  
اجاب الضيف وفرقع بأصابعه .  
- كنت متزوجاً ؟

- طبعاً . ولهذا الفرقع . . . مع هذه . . . مع فارنكا .  
مالتشكا . . . لا فارنكا . . . صاحبة الثوب المخطط . . .  
الضيف . . . على أي حال لم أعد اذكر .

وقالت أيضاً انها خرجت في ذلك اليوم تحصل زهوراً صفراً  
كثيراً اجدها أخيراً . وانه لو لم يحصل هذا . لتناولت السم لأن  
حياتها فارغة .

نعم . لقد أردانا الحب على الفور . ولقد أيقنت هذا بعد  
ساعة من ذلك اليوم نفسه حين وجدنا نفسينا . دون ان نشعر  
بالمدينة حولنا . على الكورنيش قرب جدار الكرملين .

تحدثنا وكاننا لم نفرق الا بالأصم . وكاننا يعرف الواحد  
منا الآخر من سنين طويلة . وتواعدنا على اللقاء في اليوم التالي  
هناك أيضاً . على ضفة نهر الموسكوف والتلينا . كانت الشمس  
أيار لشرق لنا . وفي فترة وجيزة . وجيزة جداً صارت هذه  
الامراء زوجتي سرّاً .

كانت تأتي الي كل يوم . وكنت أخذ في انتظارها منذ  
الصباح . وكان هذا الانتظار يتجل في الي كنت اعيد ترتيب  
أشيائي على الطاولة . وقبل عشر دقائق من مجيئها أكون جالساً  
الى النافذة ارفع المسح لعل باب الحديقة المهترى يفتح .  
والشمس الغريب انه حتى لقائي بها . نادراً ما كان أحد يقصد

فنادنا الصغير ، أو لنقل ببساطة ، لم يكن أحد يقصده ، أما الآن فقد بدا لي ان المدينة كلها تندفع اليه . يندق باب الجنة فيندق قلبي . وتصور ، كنت أرى دائماً على مستوى وجهي وراء الناقله جزمة قفوة لدخول أو خارج . جصلاح . من الذي يحتاج جلاًخاً في بيتنا ؟ ما الذي يريد جلاًخه ؟ وأي سكاكين ؟

كالت تدخل من باب الحديقة مرة واحدة ، بينما يكون قلبي يخلق قبل دخولها عشر مرات . اني لا أكذب عليك . وحين كان وقتها يحين ، وكان العرق يشير الى انتصاف النهار . لم يكن قلبي يخلق عن الدق الى ان كان حذاؤها ذو العقدتين السوداوين من جلد السموا ، المشدودتين بايزيمين فولاذيين يلموح على مستوى الناقله دولنا صوت حتى لتحسب انها تسير بخطوات خرساء .

وكانت تعاتبني احياناً ، فتتوقف عند الناقله الثانية ، وتندق الزجاج بمقدمة حذائها . فكنت اجسد نفسي في لحظة عند هذه الناقله ، لكن الحذاء كان يختفي ، ويختفي الحرير الأسود الذي كان يحجب الضوء . وكنت أسرع الى الباب افتحه لها .

لم يدر أحد بعلاقتنا ، أوكد لك ، مع ان هذا امر لا يحدث أبداً . لم يدر زوجها ولم يدر معارفها . وفي البيت العتيق المتفرد ، حيث كان لي هذا القبر ، عرف بعضهم وراى ان امرأة تأتي لي ، لكنهم لم يعرفوا اسمها .

- ومن تكون هذه المرأة ؟ - سألها ايفان الذي اتارته هذه القصة الغرامية أشد الاتارة .

أتى الضيف بحركة تعدل على انه لن يقول اسمها أبداً ولاي كان وقابع حديثه .

وعرف ايفان ان المعلم والمجهولة أحيا احدهما الآخر حباً قوياً جعلهما لا يفترقان أبداً . وتصور ايفان بوضوح الغرقتين اللتين في قبو الدارة واللتين تفشاهما العتمة دائماً بسبب اشجار الليلاك وسياج الحديقة وكذلك الآنات الأحمر الرن والمكتب ولقوله الساعة التي ترن كسل تصف ساعة والكتب ، الكتب التي ترتفع من أرض القبو الصبوغ حتى السقف المسود من الدخان ، والمدفأة .

وعرف ايفان أيضاً ان ضيله وزوجته السرية ادركا مسن

الأيام الأولى لعلاقتها ان القدر نفسه هو الذي دفعها دافعاً الى  
الناسية عند شراخ تفيرسكايا والزلساق ، وانها خلقا ليكون  
احدهما للاخر مدى الدهر .

وهرف ايفان من حديث ضيفه كيف كان العاشقان يضيان  
يومهما . كانت تآلي . ثم تضيح منزواً وفي المدخل الضيق .  
حيث المغسلة اياها التي كان المريض المسكين يعتز بها لسبب  
ما . تشعل واهور الغاز على طاولة خشبية وتعد الفطور وتضعه  
على طاولة بيضوية في الغرفة الأولى . وعندما كانت عواصف  
ايار المطرية تهب . وكان الماء يهدر قرب النوافذ العملى  
متدفقا الى الرجاج ويهددأ بغير آخر ملجأ للعاشقين . كانسا  
يوفدان المدفأة ويشويان فيها البطاطا . كان البخار يتصاعد من  
البطاطا وكانت فتشارة البطاطا السوداء تلوث اصابعهما . كانت  
الضحكات تتردد في القبو الصغير . وكانت اشجار الحديقة تلقى  
عنها بعد المطر غصيناتها المكسرة وعذوقها البيض . وحين مضت  
ايام العواصف المطرية واتي الصيف الخائق . ظهرت في  
الاصيص الورود التي شد ما احياها وانتظراها .

كان من يسمي نفسه المعلم يعمل . بينما كانت . هي .  
تعيد قراءة ما يكتبه وهي تدس اصابعها النجيلية ذات الاظافر  
الحادة الاطراف المصقولة بعناية في شعرها . وتعود . بعد ان  
تنهي القراءة . الى خياطة الطاقية المذكور اياها . وكانت تجلس  
القرضاء قرب رفوف الكتب الدنيا أحياناً . او تقف على كرسي  
قرب العليا تسمع الغبار عن مئات كموب الكتب . كانت تمنيه  
بالمجد والشهرة . وكانت تستحبه وتدفعه . وفي هذا الوقت  
بالذات سمته المعلم . كانت تنتظر هذه الكلمات الأخيرة  
الموعودة عن حاكم اليهودية الخامس . وكانت تردد بصوت عال  
متريلاً جلاً متفرقة راقتها . وتقول ان حياتها في هذه الرواية .  
وانجزت الرواية في شهر آب . ودفع بها الى ضاربة آلة  
كاتبه طبعها في خمس نسخ . واخيراً جاءت الساعة التي كان على  
فيها هجر ملجئي السري والخروج الى الحياة .

- وخرجت الى الحياة أحمل كتابي يبعثني . وهنا انتهت  
حياتي . - همس المعلم ونكس رأسه بينما راحت طاقتيسه  
الصغيرة السوداء ذات الحرف «م» تهتز طويلاً . طويلاً . وتابع



المعلم حديثه ، لكن حديثه اظهر على شيء من التفكك ، لم يلقه  
منه ايقان الا انه نزلت بضيقة اذناك كارتة .

- دخلت عالم الادب لأول مرة ، لكنني الآن ، وقد انتهى  
كل شيء بالنسبة الي وصرت على يقين من هلاكي ، اذكره  
يرعب ا - همس المعلم بهيأة ورفع يده . - نعم ، لقد  
صعقتني ، آه لو تعرف كم صعقتني !

- من ؟ - همس ايقان بصوت يكاد لا يسمع خشية مقاطعة  
محدثه الذي تولاه الاضطراب .

- رئيس التحرير ، رئيس التحرير قلت لك . نعم ، هو  
الذي قرأه . وعالي بنظرة كأنما خدي متورم من خراج ثم نظر  
شزوا نحو الزاوية ، بل ضحك ضحكة محبوسة مرتبكة . ودونا  
سبب او ضرورة دعك المخطوطة وتنحنع . وبدت لي الاسئلة  
التي وجهها الي اسئلة مجنون . فقد اخذ يسألني ، دون ان  
يقول أي شيء ، في صلب الرواية ، من اكون ، ومن أين أتيت ،  
وهل اكتب من مدة طويلة ، ولماذا لم يسمع أحد بي من قبل ،  
بل انه طرح على سؤالا في غاية البلاغة في رأيي : من هذا الذي  
اوحى لي بكتابة رواية في موضوع غريب كهذا ؟

وضقت أخيراً به فزعاً فسأله ان يقول لي بصراحة ان كان  
سيطيع روايتي أم لا .

وهنا أخذ يحوص ويلوص ويفطم ، وأعلن أخيراً انه لا  
يستطيع شخصياً اتخاذ قرار في هذه المسألة ، وانه من المفروض  
ان يطلع الاعضاء الآخرون في هيئة التحرير وباللغات الناقدان  
لاتونسكي وارمان والأديب مستيسلاف لافروفتس على كتابي ،  
وطلب الي الحضور بعد اسبوعين .

وحضرت بعد اسبوعين فاستقبلتني فتاة ذات عيني مائلتين  
الى انهما من شدة كذبها المتواصل .

- انها ليشونيكوفا سكرتيرة هيئة التحرير ، - قال  
ايقان ، الذي كان يعرف عن كتب العالم الذي يصفه له ضيفه  
بمثل هذا السخط ، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة خفيفة  
ساخرة .

- يمكن ، - قال الضيف بحسدة ، - وهكذا اعادت لي  
الرواية وقد اصابها قدر كبير من التلوث ببقع الدهن والتهرق .

وابلغتنى . وهي تحاول الا تقع عينها في عيني ان لدى هيئة التحرير من المواد ما يكفي لعامين مقدماً . وعلى هذا فمسألة طبع روايتي غير واردة على حد تعبيرها .

- وما الذي اذكره بعد هذا ؟ - عظم المعلم وهو يحسك صغفه . - نعم . البتلات الحمر المقرورة على ورقة العنوان وعيني صديقتي . نعم . هاتان العينان اذكرهما جيداً .

كان حديث الضيف يزاد تشوشاً وتكثراً . تكلم على خطوط مطر مائلة وعلى اليأس في ملجاء في القيرو . وعلى انه سعى الى مكان ما . وعتف في همس انه لا يلومها . لا . لا يلومها ابداً تلك التي دفعتني الى الكفاح .

- اذكر . لا زلت اذكر هذا الملحق اللعين في الجريدة . - عظم الضيف وهو يرسم باصبعيه ورقة جريدة في الهواء . وحزر ايفان من جملة المشوشة اللاحقة ان رئيس تحرير آخر طبع مقطعاً طويلاً من رواية من يسمي نفسه المعلم .

ولم يمر يومان . كما فهم من كلامه . حتى ظهرت في جريدة اخرى مقالة للناقد اريمان تحت عنوان «عدو في كنف رئيس تحرير» جاء فيها ان ضيف ايفان حاول عن طريق المكر والخديعة دس تبجيل يسوع المسيح في الصحافة مستغلاً غفلة رئيس التحرير وجهله .

- آ . اذكر . اذكر هذا ا - صاح ايفان . - لكنني نسيت ما كنتك !

- اقول لك مرة اخرى : دعك من كنتي . فلم يعد لها وجود . - اجابه الضيف . - المسألة ليست مسألة كنتي . وبعد يوم ظهرت في جريدة اخرى مقالة جديدة بتوقيع مسيلافا لافروفنتش يقترح صاحبهما الضرب . والضرب بقوة على يد البيلاطسية وعلى يد ميجل الرب الذي خطر له دسها في الصحافة عن طريق المكر والخديعة (ومرة اخرى هذه العبارة اللعينة ا) . تجددت من كلمة «البيلاطسية» هذه وفتحت جريدة اخرى فاذا فيها مقالتان اولاهما بتوقيع لاتونسكي وثالثتهما موقعة بحرفي ن . ا . وازكد لك انه كان بالامكان اعتبار مقالتي اريمان لافروفنتش مزحة بالمقارنة مع ما كتبه لاتونسكي . يكفي ان اقول لك ان المقالة بعنوان «المؤمن القديم المجاهد» . ولقد

أخذت بقراءة المقالة التي تتحدث عنى حتى لم ألاحظ (وقصد نسيت الفلاق الباب) كيف التصيت أمامي تحمل بيديها شمسيتها المبللة وجرائد مبللة . كانت حينها تفدحان شرراً . ويداهما ترتجفان وقد دب فيهما البرد . والمدفعت لتبلىني ثم قالت لي بصوت أبع وهي تضرب بيدها على الطاولة انها ستدس السم للاتونسكي .

تاوه ايقان في لوتباله . لكنه لم يقل شيئاً .

- وحلت ايام كئيبة . كانت الرواية قد انجزت . ولم يكن لدينا ما نعله فكنا نطسي وقتنا في الجلوس على السجادة الصغيرة قرب المدفأة والنظر الى النار . ولا بدني من القول اننا صرنا لفتوق اكثر من السابق . اخذت نخرج للترعة . اما انا فحدث لي شيء طريف من تلك الاشياء التي حدثت لي مراراً في حياتي . . . اصبح لي على حين غرة صديق . نعم . تصور . . . اني لا اميل عادة الى مخالطة الناس . انسان ذو طبع غريب : لا أفهم الا بصعوبة . ولا اتق بهم . وارتاب فيهم . ومع هذا تصور . لا بد أن يدخل قلبي شخص ما لا أتوقعه ولا انتظره . والشيطان وحده يعلم ما يشبه مظهره الخارجي . وهذا الشخص هو الذي سيعجبني اكثر من الآخرين كلهم .

وفي هذا الوقت اللعين فتح باب حديثنا . وكما انذكر كان النهار جد لطيف . خريفياً . ولم تكن . هي . في البيت . دخل رجل وجاز الى صاحب البيت في أمر ما . ثم خرج الى العديفة . ولست ادري كيف تم التعسوف بيننا بسرعة . قدم لي الرجل نفسه على انه صحتي . ولقد اعجبني حتى انني . تصور . لا زلت الاكراه احياناً واشتاق اليه الى الآن . وثوارثت زيارته لي مع الايام . ولقد عرفت منه انه اعزب . وأنه يسكن قريباً مني في شقة تشبه شقتي الى حد كبير . وأنه يشعر بالضيق هناك وما الى ذلك . لكنه لأمر ما لم يدعني مرة الى بيته . ولم يعجب الرجل زوجتي اطلاقاً . دالعت عنه فقالت لي :

- افعل ما تشاء . لكني أقول لك ان هذا الانسان يثير في شعوراً بالاشمزاز .

والفجرت ضاحكاً . لكن ما السلي شدني اليه بالضبط ؟ المسألة ان الانسان عامة . اذا لم يكن ينطوي على قعدة

الادعاش ، اذا لم تكن فيه مفاجأة لك ، ليس بالانسان المثير للاهتمام . ولقد كانت عند الوبيزي (آء ، تسميت أن اسم صاحب الجديد الوبيزي موفارثش) هذه المفاجأة ! والفول لك تحديداً اني لم اتق ، وواتق بانى ان التقي ابدأ ، بالانسان بذلك الوبيزي . فاذا لم انهم معنى مقالة في جريدة ، كان الوبيزي يفسرها في دليقة بالمعنى العرفى للكلمة . وكان واضحاً ان تفسيره هذا لم يكن يكلفه اى جهد . وقيل الضم - نفسه في ظواهر الحياة وقضاياها . زد على ذلك انه اسرني بعينه للأدب . فلم يبدأ له بال حتى نزلت عند رغبته وقرات له الرواية كلها من اللها حتى بانها . ولقد اطرى الرواية اطراء جيداً ، لكنه ردد على مسامحي بدقة صعلتني كل ملاحظات رئيس التحرير المتعلقة بالرواية وكانه كان حاضراً وقتها وقد اصاب مائة بالمائة . زد على ذلك انه شرح لي بدقة متناهية سبب استعالة طبع روايتي وادركت انه لا يخطئ في رأيه . وقال لي بصراحة : هذا الفصل مثلاً لا يمكن ان ينشر . . .

ولم يتوقف سبيل المقالات . سخرت من اولها بادي الامر . ولكن بقدر ما كانت تظهر اعداد جديدة منها ، كان موفلي منها يزداد تغيراً . كانت المرحلة الثانية مرحلة المعشبة . وكنت اشعر بشيء زائف وغير واثق الى حد خارق في كل سطر من هذه المقالات على الرغم من لهجتها الغاضبية الواثقة . كان يتهاى لي دائماً . - ولم يكن يوسعي التخل عن هذا الاحساس . - ان اصحاب هذه المقالات يقولون ما لا يريدون قولسه . وان هذا بالذات هو سبب حنقهم . ثم تصور ، اعقبتها المرحلة الثالثة - مرحلة الخوف . لا . هذا ليس خوفاً من هذه المقالات ، انهنى جيداً . بل الخوف من اشياء اخرى ليس لها اى علاقة بالمقالات أو الرواية . صرت احناف الظلمة مثلاً . وباختصار دخلت مرحلة العرض النفسي . كان يكفي ان اطلق المصباح في الغرفة الصغيرة قبل النوم ، حتى يتهاى لي ان اخطبوطاً ذا ملامس جسد باردة وطويلة يزحف على من التافسدة رغم انها كانت مغلقة . فاضطرت ان اشعل المصباح وانام على توره .

وتغيرت محبوبتي تغيراً شديداً (لم احدتها بامر الاخطبوط طبيعية الحال . لكنها رات ان شيئاً ما شيئاً يتناهى) فهزلت

وشحبت\* واختفت ضحكاتها . وصارت تتوسل الي ان الممر لها  
تصيحتها لي بطبع ذلك المقطع من الرواية . وألحت علي أن اترك  
كل شيء ، واذهب الي شاطئ البحر الأسود في الجنوب وانلق علي  
هذه الرحلة ما بقي لدي من العالة الف روبل .

واشتدت في الالاحاح حتى وعدتها تعاشياً للدخول في مشاحنة  
معها ان الفعل ذلك في غضون ايام (كان شيء ما في داخلي يقول لي  
اني لن اذهب الي البحر الأسود) . لكنها قالت انها ستقطع لي  
تذكرة بنفسها . اذآك أخرجت ما تبقى لدي من نقود . أي نحو  
عشرة آلاف روبل . وغاولتها اياها .

- ولماذا هذه الكمية الكبيرة ؟ - تساءلت مستغربة .

قلت لها ما معناه اني أخشى اللصوص . وأرجوها ان تحتفظ  
بالنقود حتى موعد سفري . اخذت النقود ووضعتها في حقيبتها  
واخذت تقبلني وتقول لي ان الموت أسهل عليها من تركي وحدي  
في مثل هذه الحالة . انما هناك من ينتظرها وانها تدفع لحكس  
الضرورة وانها ستوافيني غداً . وتوسلت الي الا أخشى شيئاً .  
كان هذا عند المغيب . في منتصف تشرين الأول . وخرجت .

تمددت علي الديوان وظلوت دون أن أشعل المصباح . وافقت من  
احساس راودني بان الأضطبوط هنا . تلمست في الظلمة طريقي  
الي المصباح واشعلته بجدد بالغ . كانت ساعة الجيب تشير الي  
الثانية بعد منتصف الليل . ففوت متوعدك الصحة وافقسست  
مريضاً . بدا لي فجأة ان ظلام الخريف سيحطم الزجاج . ويتدفق  
الي الغرفة واني تحرقت فيها كما في حجر . بت انساأاً لا يملكه  
نفسه . صرخت وراودتني فكرة اللجوء الي أي شخص ولو كان  
صاحب البيت الفاطن في الطابق العلوي . كنت كالمجنون في  
صراع داخلي مع نفسي . وواتنتي القوة لان أبلغ الموقف وأشعل  
فيه حطباً . وعندما زلزلت الحطب وطلعت باب الموقف أحسست  
ببعض الازلياح . . . فاندفعت الي المدخل وأشعلت نوره فوجدت  
هناك فتينة ليبد ابيض ففتحتها وأخذت اشرب الشيبذ مسن  
عقلها . وهذا خوفي قليلاً . علي الأقل بحيث لم أهرج الي صاحب  
البيت بل عدت الي الموقف . وفتحت باب الموقف فأخذت الحرارة  
تلحح وجهي ويدي . وهست : ا

- اتحررين ان مصيبة حلت بي . تعالي . تعالي . تعالي ا

لكن اهدأ لم يأت . كانت النار تزجر في الوقد ، والمطر ينقر على التوافد . وهنا كانت نالمة الأثافي . أخرجت من درج الطاولة نسف الرواية الثقيلة ومسوداتها وأخذت أحرقها . كان هذا العمل شاقاً بشكل ، لأن الورقة المكتوبة لا تحترق في النار جيداً . كنت أمزق الدفاتر وأمزق معها اظفاري وأضعها صودياً بين قمرات الحطسب وأحرك الأوراق بالحراك . كان الرماد يطبني على أعمري أحياناً ويخلق اللهب . لكنني كنت أقاومسه وكانت الرواية تلاوم بعناد . لكنها كانت تهلك . كانت الكلمات الأليقة تحرق بسرعة أمام عيني وكانت الصفرة تتسلق الصفحات من أسفلها الى أعلاها بقوة لا تلاوم . لكن الكلمات كانت تبرز حتى فوق الصفرة نفسها . ولم تكن الكلمات تتلاشي تماماً الا حين كانت الورقة تسود تماماً وكنت ، مسن جهتي ، آمن في تقبيتها بسحراكي بعنف .

في هذا الوقت أخذ شخص ما ينقر على النافذة نقرأ خفيفاً . وثب قلبي في صدري واندفعت افتح للطارق بعد أن القست النار بسرعة آخر دفاتري . كانت درجات الأجر لظني من القبو الى باب الفناء . هزمت الى اليساب وأنا اتعثر وسألت بصوت خفيض :

- من هناك ؟

وأجابني صوت ، صوتها :

- أنا .

لا أدري كيف تمكنت من السلسلة والمفتاح . وما ان عدت عتبة الباب حتى ارتمت على صدري مبللة كلها ، بوجنتها الرطبتين وشعرها المحلول . وهي ترتعش . ولم أقول الا على نطق كلمة واحدة :

- انت . . . انت . ؟ - وانقطع صوتي ودلنا الى أسفل . خلعت مغطتها في المدخل ودخلنا الغرفة الأولى بسرعة . نددت عنها صرخة خافتة ، وبيديها العاريتين انتقلت من الوقد آخر ما تبلى هناك . وكانت حزمة دبت النار في أسفلها . وألقت بها على الأرض . وغمر الدخان الغرفة بحل الغور . فأخذت أدوس النار بقدمي . أما هي فقد تهاوت على الديوان وأخذت لتنتحب .

وقلت لها بعد أن هدأ روعها :

- لقد أبغضت هذه الرواية ، وأنا خائف ، انسى مريض .

أنا مرعوب .

نهضت وقالت :

- يا الهي ما أشد مرضك ، لماذا هذا كله ، لماذا ؟ لكني

سأنتفك ، سأنتفك ، ما هذا الذي يجري ؟

رايت عينيها المنتفختين من الدخان والبكاء ، وأحسست

بيديها الباردتين تمسحان جبيني .

- سأنتفيك ، سأنتفيك ، - لمضت وهي تتشبث

بكتفي ، - وستعيدها كما كانت ، لماذا ، لماذا لم احتفظ

بنسخة منها عندي !

كثرت غمضاً وقالت شيئاً لم اتبينته . ثم أخذت تلملم

الأوراق المحترقة وتسويها وقد زومت شفقتها . وكانت تلك

الأوراق فصلاً من وسط الرواية لا أدري أيه . ثم رئيست

الصفحات المحروقة بعناية ولتفتها بورقة وربطتها بشريط . كانت

طريقة عملها تدل على أنها مبتكرة عزمًا وتصميمًا وعلى أنها ملكة

نفسها تماماً . ثم طلبت ليبدأ ، وبعد أن رشفته قالت بصوت

أكثر هدوءاً :

- وهكذا على الانسان ان يدفع ثمن كذبه ، وأنا لا أريد

ان استمر في هذا الكسلب . كان يودي ان أبلى معك الليلة ،

لكني لا أريد ان أفعل هذا على هذا النحو . لا أريد ان يستقر

في ذاكرته اني هربت منه ليلاً . انه لم يسألني في حياته قط .

لقد استندى فجأة لأن حريقاً شسب في المصنع . لكنه سيعود

بعد حين . سأكاشفه في الموضوع صباح الغد وأقول له انسى

أحب انساناً آخر . واعدد اليك الى الأبد . ام لعلك لا تريد

هذا ؟

- يامسكينتي ، يامسكينتي ، - قلت لها ، - لن ادعك

تلعلين هذا . اشعر ان أيامي الآتية أيام سسود ولا أريد ان

تهلكي معي .

- هذا هو السبب الوحيد ؟ - سألتني وقربت عينيها من

عيني .

- نعم الوحيد .

دبت فيها حيوية مرعبة فارتمت على صفدي وطوقت عنقسي  
وقالت :

- اني مستعدة لكن اهلك معك . فبدأ صباحاً ساكون  
عندك .

وأخر ما أذكره في حياتي شريط من الضوء في مدخل لغرفتي  
وفي هذا الشريط خصلة شعر منسدلة ولحمتها وعيناها الملحمتان  
حزناً . والذكر ايضاً طيلها الأسود على عتبة الباب الخارجة  
والعزمة البيضاء .

- كان يودي ان اوصلك . لكن ليس عندي القوة للعودة  
بمفردتي . قالاً خائف .

- لا تغف . اصبر هذه الساعات القليلة وفدأ صباحاً اكون  
عندك . - كانت هذه آخر كلمات سمعتها منها في حياتي .

ولجأة قطع الشريط كلامه ورفع اصبعه :

- تس ! انها لتأيلة قمره فلقة هذا اليوم .

وتوارى في الشرفة . وسمع ايفان صوت عجلات صغيرة في  
المرر وشخصاً ينسجج او يصرخ بصوت خافت .

وعندما نيم الهدوء من جديد عاد الضيف واخبره ان الغرفة  
رقم ١٢٠ استقبلت ضيفاً جديداً وان الوافد الجديد يرجوهم  
ان يعيدوا اليه رأسه . وصمت المسامران في قلق ، لكنهما  
عادا . بعد ان اطمانت نفسيهما ، الى وصل ما انتطع من  
حديثهما . وكاد الضيف يفتح فيه . لكن الليل كان قلفاً بالفعل ،  
لقد كانت اصوات لا تزال تسمع في المرر . ففرب الضيف  
فيه من اذن ايفان ، واخذ يكلله بصوت خافت بحيث لم يعرف  
الا الصامر ما قاله له باستثناء الجملة الاولى :

- وبعد ان غادرتني يربح ساعة سمعت طرفاً غسلي  
النافذة . . .

ولا يد ان ما كان الضيف يمس به في اذن ايفان كان  
يشير في الضيف أشد الاضطراب . فقد كانت التشنجات تلتصق  
تسعات وجهه بين العين والحين . وكان الخوف والحق يسبحان  
في عينيه ويتحركان سراعاً . وكان يشير بيده الى مكان ما بالجاه  
المرر الذي توارى عن الشرفة من وقت بعيد . وحين لم تصد



تنتاهي الى الغرفة من الخارج ، اي اصوات اهل البيت الضيف عن  
ايقان قليلاً وتكلم بصوت اهل .

- وهكذا اذن كنت اقف في منتصف كاتون الثاني ليلاً في  
غناء البيت منكبساً على نفسي من البرد في مطلي نفسه ، انسا  
كان مقطع الازرار ، ووراني كتابان تلجيبية تحجب شجيرات  
الليلك ، وامامي في الاسفل نافذتاي المضائتان بنور خافت  
والمسدلتا الستائر ، انكببت باذني على اول الناقدتين واصغت  
السمع : كان حاكٍ يحزف في بيتي ، هذا كل ما سمعته ، ولم  
استطع تبين أي شيء ، وقلت قليلاً ثم خرجت من باب الحديثة  
الى الزقاق الذي كانت تصف به زويدة تلجيبية ، اندس كلب بين  
قدمي فركبني الذعر وهدوت هارباً الى الرصيف المقابل ، كان  
البرد والخوف الذي اصبح رفيفي الدائم يوصلانني الى حافة  
الجنون ، لم يكن لي مكان اذهب اليه ، وابسط ما كان يوسعي  
فعله بطبيعة الحال هو القاء نلسي تحت عجلات الترام الذي يمر  
في الشارع الذي يقضي اليه زقاقنا ، رأيت من بعيد هذه العلب  
المغطاة بالجليد والمتلألأ داخلها بالأضواء وسمعت صريرها  
الكريه في الصقيع ، لكن كل ما في الأمر ، يا جاري العزيز ، ان  
الخوف كان مستحوذاً على كل خلية من خلايا جسدي ، وكنت  
اخاف الترام ايضاً كما خفت الكلب ، نعم ، ليس في هذا الجنبى  
مرض اشد من مرضي ، اؤكد لك .

- ولكن كان بإمكانك ان تخطرها ، - قال ايقان مشطفاً  
على العريض المسكين ، - وبالإضافة الى هذا ، اليس تلوذك  
معا ؟ لا بد انها احتفظت لك بها ؟

- لا مجال لأن تشكك في هذا ، لقد حفظتها لي بالطبع ،  
لكنك لا تفهمني على ما يبدو ؟ أو الأصح انا الذي فقدت قدرتي  
السابقة على وصف شيء ما ، وعسى أي حال لست بأسف جداً  
عليها ، لأنها لن تجديني تقماً بعد الآن ، - وأردف يقول بنبرة  
احترام عميق وهو يحثق في ظلمة الليل : - تصور امامها رسالة  
من مستشفى المجانين ، هل يمكن حقا ارسال رسائل تحمل هذا  
العنوان ؟ مريض نفسي ؟ انت تمزح يا صديقي ! لا ، اشقيها  
معي ؟ لا ، لا اقوى على ذلك .

لم يستطع ايقان الاعتراض على هذا القول ، لكن ايقان

الصامت رق له واشفق عليه بينما أخذ الضيف بهز رأسه  
الغارفة في طاقته السوداء من العذاب الذي بعثه فيه ذكرياته  
وأردف يقول :

- امرأة مسكينة . وعلى أي حال أمل أن تكون نسيتني .

- لكنك قد تشفى . . . - رد ايفان بوجل .

- حالتني غير قابلة للشفاء . - أجابه الضيف بهدوء . -

حين يقول لي ستراقتسكي انه سيعيدني الى الحياة . لا أصدقه .

انه انساني . ولا يبغى بكلامه هذا الا مواساتي . ولا انكر مع

هذا ان حالتني تحسنت كثيراً الآن . اي . اين وصلنا الآن ؟

الصفوح وهذه الحافلات المتدفقة . كنت أعلم انه تم افتتاح هذا

المستشفى . فاجتزت المدينة كلها على قدمي اليه . جنون !

وفي ظاهر المدينة كنت سأتجمد على الأرجح من البرد . لولا

ان اللذنتي المصادفة . فقد تعطل شيء ما لي شاحنة فدنوت من

الساقي (حدث هذا على بعد نحو أربعة كيلومترات من مدخل

المدينة) ولدهشتي أشفق على . كانت الشاحنة تقصد نفس

المكان فنقلني معه واقتصر الامر فقط على ان أصابع قدمي

اليسرى تجمدت لمولجت منها . وها أنا ذا للشهر الرابع هنا .

وهل تدري . لقد وجدت المكان هنا غير سيء على الإطلاق . على

الإطلاق . لا داعي لأن تشغل نفسك بخطط كبيرة يا جاري

العزيز . صدقتي ! أنا مثلاً كنت أريد ان أدور الكرة الأرضية

كلها . ولكن لا بأس . هذا غير مقدر لي كما يظهر . فانا الآن لا

أرى سوى جزء يسير من هذه الكرة . واعتقد انه ليس أفضل

جزء فيها . لكنني أعود فأقول انه ليس بهذا السوء . هاهو ذا

الصيف قادم الينا . وسيعرض الليلاب على الشرفة كما تعدنا

براسكوفيا فيودوروفنا . وزادت الطائيف من امكاناتي . الشمس

سيسطع في ليالي الصيف ! آه . لقد غاب ! والجو أخذ يبرد .

لقد تجاوزت الساعة منتصف الليل . أن لي ان أذهب .

- قل لي . ما الذي حدث بعد ذلك ليضوح وبيلاطس . -

رجاء ايفان . - قل لي . اتوصل اليك . أريد ان أعرف .

- آه . لا . لا . - أجابه الضيف وقد أخذته هزة

مرضية . - لا أستطيع تذكر روايتي دون ان أحس

بالقشعريرة . بإمكان صاحبك ذلك الذي من بتبرير ضمني برودي  
أن يفعل هذا المفضل مني . شكراً على هذا الحديث . وإلى اللقاء .  
وقبل أن يفتق ايغان من غلغله . كان شبك النافذة يتغلق  
برنين خفيف والضيف يختفي .

## الفصل الرابع عشر

### المجد للديك

ولم تتحمل أعصاب ريمسكي كما يقال ، فخرج إلى مكتبه دون  
انتظار الانتهاء من تحرير المحضر ، وجلس إلى طاوخته وأخذ  
يعتق في التفسيرات السحرية أمامه بعينين حراوين .  
وهو عاجز عن التفكير المنطقي . وفي الخارج كان يرتفع هدير  
متصل رتيب . وسيل من البشر يتدفق من مبنى «فارييتيه» إلى  
الشارع . وفجأة تناهت إلى سمع المدير المالي الذي رهف  
وهافة خارقة زقزقة رجال الشرطة باللغة الواضوح . هذه الزقزقة  
لم تبشر يوماً بشيء لطيف . لكن حين تكررت هذه الزقزقة  
وهبت إلى نجدتها زقزقة أخرى أطول وأحزم ثم تبعتها قهقهات  
وزعيق عال . بل حتى أصوات سخرية ، أدرك المدير المالي على  
القرور أنه حدث شيء ما قاضح وشنيع في الشارع . وأن هذا الذي  
حدث يتصل . فهما حاول المرء التوصل منه . اتصالاً وثيقاً جداً  
بالحفلة المظلمة التي أقامها الساحر الشيطاني ومساعدوه . ولم  
يخطر المدير المالي المرحف الحس .

وما إن تطلع من النافذة المطلقة على سادوقايا حتى انزعج  
وجهه . ولم يمض بل أز :  
— هذا ما كنت أتوقعه !

أجبر على ضوء الثور الساطع الذي تبعته مصابيح الشارع  
التوية جداً على الرصيف الذي تبعته تماماً سيده في قميص داخلي  
وسروال بنفسجي . إنما كانت السيدة تضع ، والحق يقال ، قبة  
وتحمل في يدها شمسية .

وحول هذه السيدة التي كانت في حالة ارتباك كامل والنسي

كانت تفرص نارة وتندفع واكتمسة الى مكان ما نارة اخرى . اضطربت جمهرة من الناس وهي تطلق تلك القهقهات التي بعثت الصقيع في ظهر المدير المالي . وكان يتدفع الى جانب السيدة شخص يحاول نزع معطفه الصيفي ، لكنه لا يضطرا به لم يستطع التخلص من الكم الذي علقت به يده .

وكانت الصيحات والقهقهات المدوية تتناهي اليه من مكان آخر ايضاً ، وبالتحديد من المدخل الشمالي . والتفت غريغوري دانيلوفتش بالجاء الاسوات فرأى سيدة اخرى في ملابس داخلية وردية . قفزت هذه من قارعة الشارع الى رصيفه محاولة الاختباء في المدخل . لكن الجمهور المتدافع سد عليها الطريق . كانت غاية منى السيدة ، هذه المسكينة التي راحت ضحية طيشها وولعها بالملابس الجميلة والنسي خدعتها شركة فاغوت النجس ، ان تنشق الأرض وتبتلعها . وكان احد رجال الشرطة ينطلق اثر المسكينة ممزقا الهواء بصفيره وقد تراكض خلفه شبان يعتمرون كبيبات في هرج ومرج . هؤلاء الشبان بالذات هم الذين كانوا يطلقون تلك القهقهات والصيحات الساخرة .

وطار حوذي تحيل ، عريض الشاربين الى السيدة الأولى بعربته ، ووقف حصانه الهزيل المنهك بكل قوته . كان وجهه الحوذني يتشم من غبطة .

ضرب ريمسكي على راسه بقبضته وبسحق وتلوازي مسن الثالثة .

وجلس الى طاولته بعض الوقت مصيحاً السمع الى ما يجري في الشارع . بلغ الزعيق والصفير أوجهما في نقاط متعددة ، ثم اخذا في الخفوت . ولدهشة ريمسكي قضي على الفضيحة بسرعة فائقة لم يتوقعها .

دقت ساعة العمل ، وكان عليه ان يضرب كأس المسؤولية المر . كان قد تم اصلاح اجهزة الهاتف اثناء الفصل الثالث ، وكان عليه ان يتصل بالهاتف ويعلم بما جرى ، ويطلب المساعدة ويكتب ويتملص من المسؤولية ويضعها كلها على كامل ليخوديف ويري نفسه منها وما الى ذلك . ثبأ للشيطان ا وضع المدير المالي المشوش الفكر يده على السماعة مرتين ، ومرتين رفعها عنها . وفجأة التفت الهاتف يرن راينسا

متواصلاً في المكتب الذي خيم عليه صمت القيود ، كأنما يصفح  
وجه المدير المالي صفحاً ، فارتعد وسرت البرودة في أعضائه .  
«لقد تهاقت أعضائي إلى حد مرعب» - قال ريمسكي في سره  
ورفع الساعة ، وللحال تراجع مذعوراً وامتقع لونه ، إذ بلغه  
صوت نسائي خافت لكنه مغادع ومتهتك في الوقت نفسه يهمس في  
الساعة :

- لا تهتف إلى أي مكان باريسسكي ، والا الويل لك !  
وخوت الساعة فوراً . وضع المدير المالي الساعة وهو  
يخس بالقشعريرة تسري في بدنه ، ولأمراً ما التفت إلى الناظفة  
التي خلف ظهره . فرأى من خلال الأضواء القليلة التي لم  
تغطها الخضرة إلا قليلاً القمر سابحاً في غيمة شفافة . ولأمر ما  
تسمر بصره على الأضواء وأخسذ يرتو إليها ، وبقدرو ما كان  
يتأملها كان الخوف يتملكه أكثر فأكثر .

تعامل المدير المالي على نفسه وحول عينيه أخيراً عن الناظفة  
المقترعة وهب واقفاً . لم يعد هناك مجال لأي اتصال هاتفي ،  
والقصر الوحيد الذي بات يشغل بهال المدير المالي الآن هو :  
كيف يغادر المسرح بأسرع ما يمكن .

أصاح السمع : كان الصمت يطبق على مبنى المسرح .  
إذك أدرك أنه لم يبق في الطابق الثاني كله من فترة طويلة إلا  
فتملكه لحظة برقت هذه الفكرة في رأسه خوف بصرف كالأخوف  
الذي يتملك الأطفال . لم يكن يوسعه أن يتصور دون أن تأخذ  
الزعشة أن عليه الآن أن يسير وحده في الممرات العالية ويهبط  
الدرج . وبحركة سريعة منحومة خطف تشيرفولتسات المنوم  
المغناطيسي من على الطاولة وخباها في حقيبته وسعل كيما يشجع  
نفسه ولو قليلاً ، فخرج سعاله مبحوحاً ضعيفاً .

وهنا بدأ المدير المالي أن رطوبة معلقة تسربت فجأة من  
تحت باب المكتب فاقشعر بدنه . ثم ما لبثت أن سمع الساعة  
تدق فجأة معلقة منتصف الليل . وحتى دقائق الساعة بدأت  
القشعريرة في أوصال المدير المالي . لكن قلبه انخلع نهائياً  
حين سمع صوت مفتاح إنكليزي يدور في مفلان الباب . أحس .  
وقد تثبث بالحقيبة بكلتا يديه البارديتين الناضحتين عرفاً .

ان اعصابه لم تعد تتحمل ، وانه سيطلق صراخاً جاداً فيما لو استمر الصرير في المطلق اكثر من ذلك قليلاً .

واخيراً تراجع الباب امام الجهد المبذول وانفتح ودخسل فارينوخا المكتب بخطوات مكتومة . ووجد ريسكي نفسه يتداعى على الأريكة وقد خذلته رجلاه . لكنه عب الهواء بصدوره وابتسم ابتسامة اقرب الى ان تكون ابتسامة مدهشة وتمتم :

- يا الهي . كم اخطئي !

نعم . كان هذا الظهور المبالغت شيئاً بالقاء الذعر في قلب اي كان . لكنه كان ، مع هذا ، مبعث سرور عظيم في الوقت نفسه . فقد ظهر على الاقل طرف خيط في هذه القضية المشرقة .

- هيا ، تكلم بسرعة ! هيا ! هيا ! - قال ريسكي بصوت ابح متشجئاً بطرف هذا الخيط ، - ما الذي يعنيه هذا كله ؟ ا -  
- المعذرة من فضلك . - رد عليه الداخل بصوت مكتوم وهو يفتح الباب وراءه . - صبت انك خرجت ا

ومضى فارينوخا الى الأريكة دون أن ينزع قبعته ، وجلس الى الجانب الآخر من الطاولة .

وينبغي القول ان جواب فارينوخا انطوى على بعض الغرابة التي وغزت على الفور المدير المالي ، القادر بحساسيته حسـل مطامحة جهاز تسجيل الاهتزازات في الفضل محطات العالم ، في جنبه على الفور . ما معنى هذا ؟ لماذا مضى فارينوخا الى مكتب المدير المالي ما دام يفترض انه ليس هناك ؟ اليس له مكتبه ا ؟ هذا واحد . والثاني : اياً كان المدخل الذي سلكه فارينوخا الى العمى ، كان لا بد له من مصادفة أحد المناوبين الليليين . وهؤلاء ، جميعاً ، بلغوا ان غريغوري دانييلوفتش سينأخر في مكتبه بعض الوقت .

لكن المدير المالي لم يتوقف كثيراً عند هذه النقطة الغريبة ، فقد كان هناك ما هو اخطر منها .

- لماذا لم اتصل هاتفياً ؟ وما معنى هذه المسخرة مسح بالظا ؟

- كما سبق وقلت ، - اجابه المدير الاداري وهو يتعطق

بلسانه كمن تزوجه سن موجهة ، - عتسر عليه في حالة في  
بوشكينو .

- كيف في بوشكينو ؟ هذه التسي في ضاحية موسكو ؟  
والبرقيات من يالطا ؟

- اية يالطا تلك التي تتكلم عليها ! لقد اسكر عامل البرق  
في بوشكينو واخذا يتشاقيان ويهربدان ، ومن بعض ما فعلاه  
انها اخدا يرسلان برقيات مع اشارة الى ان مصدرها «يالطا» .  
- ها . . . ها . . . اي . . . طيب . طيب . . . - خرج  
صوت ويمسكي اقرب الى الغناء منه الى الكلام واشرفت عيناه  
يتور ضارب الى الصفرة ، وارتسمت في راسه لوحة يهيجة عن  
عزل ستيوبيا عزلاً مشيناً من عمله . الخلاص ! الخلاص الذي طالما  
انتظره المدير المالي مسن هذه الضحية المتمثلة في شخص  
ليخوديف ! ولعل ستيبان بولغدانوفتش ينال ما هو اسوأ مسن  
العزل . . . - اخبرني بالتفصيل ! - قال ريسكي وهو يمدق  
الطاولة بنشافة الحبر .

واخذ فارينوخا يروي له التفاصيل . ما ان حضر الى حيث  
ارسله المدير المالي حتى قابلوه على الفور واستمعوا اليه  
باهتمام بالغ . لم يخطر ببال احد منهم بطبيعة الحال ان ستيوبيا  
قد يكون في يالطا . ولهذا وافقوا جميعاً على الفور على رأي  
فارينوخا ان ليخوديف دون شك في «يالطا» التي في بوشكينو .  
- واين هو الآن ؟ - قاطعه المدير المالي المنغل .

- واين يمكن ان يكون - اجابه المدير الاداري باهتمام  
ساخرة - في قسم الافاقه من السكر .  
- اي ، اي ، اي . . . شكراً .

واستأنف فارينوخا روايته . ويقدر ما كان يظني في  
روايته . كانت تمر امام عيني المدير المالي وتكتشف بصورة  
اوضح سلسلة طويلة من نذالات ليخوديف وهربدانسه ،  
وكل حلقة منها اسوأ من سابقتها . ما ذا يمكن للمرء ان يقوله  
في هذه الرقصة التملة معانقاً عامل البرق على فسحة امام مركز  
البرق في بوشكينو على انغام هرمونيك متجولة ! او مطاردة بعض  
السيدات اللواتي اخذن يزعلن من الرعب ! او محاولة الدخول  
في عراك مع عامل البوفيه في «يالطا» نفسها ! ورمي البصم

الأخضر على الأرض في «الطاء» ايها ! وتحطيم ثماني زجاجات من  
تبيد «اي دانييل» الأبيض ! وكسر العداد لسائق التاكسي الذي  
لم يشأ تسليم سيارته لستيويبا . والتهديد بالقبض على  
المواطنين الذين حاولوا وضع حشد لأعمال ستيويبا الشيعة .  
وباختصار شيء مرعب وغامض !

كان ستيويبا شخصاً معروفاً على نطاق واسع في أوساط  
موسكو المسرحية . وكان الجميع يدركون ان هذا الانسان ليس  
نعمة هبطت عليهم من السماء . ومع هذا بدأ ما يرويه المدير  
الإداري مبالغ فيه حتى بالنسبة لستيويبا . نعم ، مبالغ فيه  
جداً . . .

انقرضت عيننا ريمسكي التافيتان عبر الطاولة في وجه المدير  
الإداري . ويبدو ما كان هذا يستمرسل في حديثه . كانت هاتان  
العينان تزدادان حزناً . ويبدو ما كانت تلك التفاصيل الشيعة  
التي كان المدير الإداري يزين بها روايته تزداد حياة  
وتلاوين . . . كان تصديق المدير المالي لما يرويه صاحبه  
يتضائل . ولما أخبره فارينوخا ان الاستهتار بلغ بستيويبا حد  
محاولة مقاومة من أثرى لاعادته الى موسكو ، كان المدير المالي  
قد صار على يقين راسخ بأن كل ما يرويه له المدير الإداري في  
منتصف الليل كذب ! كذب في كذب ، من الله الى ياته .

فلا فارينوخا ذهب الى بوشكينو ، ولا ستيويبا نفسه كان  
ايضاً في بوشكينو . ولم يكن هناك أي عامل يرتق سكران . ولا  
أي زجاج محطم في الحالة ، ولم يقيد أحد ستيويبا بالحبال . . .  
لم يكن شيء من هذا كله .

ما ان رسخت في ذهن المدير المالي فكرة ان المدير الإداري  
يكذب عليه حتى زحف الخوف في كل بدنه . بدأ من قدميه . ونهياً  
له من جديد مرتين ان رطوبة الملايا المظنة امتدت فوق أرض  
المنكب . ودون ان يحول عينيه لحظة عن المدير الإداري الذي  
انكمش في أريكته على نحو غريب جاهداً طول الوقت الا يخرج من  
الظل الأزرق الذي يلقى فيه مصباح الطاولة . والذي كان يحاول  
طول الوقت حجب وجهه على نحو عجيب بجريدة يدفع بها ضوء  
المصباح المزعج كما يدعي . لم يكن المدير المالي يفكر الا في  
امر واحد : ما معنى هذا كله ؟ ولماذا يكذب المدير الإداري



العائد اليه في مثل هذه الساعة المتأخرة عليه يمثل هذه الصفات  
وفي هذا المبنى الخالي والصامت ؟ وأخذ ادراك المدير المالي  
للخطر ، الخطر النجول انما الجسيم يوزق روحه . تظاهر المدير  
المالي بأنه لا يلاحظ مراوغة فارينوخا ولا شعوزائه بالجريدة ،  
وأخذ يتأمل وجه محدته وهو يكاد لا يستمع الى حرف مما يعرف  
به . كان هناك شيء ، ما بدا للمدير المالي انه اكثر الغاراً من  
هذه القصة المختلفة لأمر ما من مغامرات ستيوبا في بوشكينو ،  
وكان هذا الشيء ، التخير في مظهر المدير الاداري وحركاته .

فقد تمكن المدير المالي ، على الرغم مما بذله المدير الاداري  
من جهد في ازالة حافة كيبته الضيقة على عينيه كيما يظل بها  
وجهه ، وعلى الرغم من تقليبه الجريدة ، من تبين كدمة ضخمة على  
جانب وجهه الايمن قرب الألف بجلاء . زد على ذلك ان شعوباً  
أشبه بشعوب المرض قد علا الآن وجه المدير الاداري المورود  
الخدري عادة ، ولأمر ما كانت وقبته ملفوفة في هذا الليل الخائى  
بشمال قديم مخطط . واذا أضفنا الى هذا وذلك طريقة المدير  
الاداري اللبحة ، التي ظهرت اثناء غيابه ، في التملق بشفتيه  
ومصصتها ، والتغير الحاد في صوته الذي أضحي أصم وفضفاً ،  
والجبن والتلصص في عينيه ، بات بإمكاننا القول بجرأة ان ايفان  
ساقيليفتش فارينوخا استحال انساناً آخر .

وكان شيء ، ما آخر يوزق بسال المدير المالي بقوة اخند ،  
لكنه لم يكن قادراً على تحديد هذا الشيء ، بالضيظ على الرغم من  
شحنه دعائه المحموم ، وعلى الرغم من امعائه النظر في فارينوخا .  
شيء واحد فقط كان بإمكانه تأكيده ، وهو ان شيئاً ما تحريماً  
وتغير طبيعى كان في التصاق المدير الاداري باريكةاتها جيداً .  
- واخيراً تمكنا منه وشحناء بالسيارة ، - ففتح فارينوخا  
وهو يخلتس النظر من وراء الجريدة ويفطى الكدمة براحته .

مد ريمسكي بسده فجأة وضغط كأنما آلياً زر الجرس  
الكهربائي براحته وهو يلعب في الوقت نفسه أصابعه على  
الطاولة ، وجهد .

كان من المفروض ان تسمع في المبنى الخالي اشارة حادة ،  
لكن هذه الاشارة لم تصدر ، ونحاص الزر في لوحة الطاولة دون  
حياة . كان الزر ميتاً ، والجرس معطلاً .

ولم ينقل مكر المدير المالي غسل فارينوغا الذي سألته في  
تسنج وقد يرق في عينيه غضب واضح :

- لماذا ترن الجرس ؟

- آلياً فعلت . - أجابه المدير المالي بصوت أصم ورفع  
يده عن الزر . وسأله بدوره بصوت متردد : - ما هذا الذي  
عل وجهك ؟

- انخرقت سيارة عن طريقها فاصطدمت بملبض الباب . -  
أجابه فارينوغا وهو يحول عنه عينيه .

«كذاب !» - هتف المدير المالي في سره . وهنا استعارت  
عيناه فجأة واختبلتا تماماً . وحسقت في مسند الأريكة .

كان ينسبط غسل أرض المكتب خلف الأريكة ظلان  
متقاطعان : أحدهما رقيق ورعادي وثانيهما أكثر كثافة وسواداً .  
وكان يرى على الأرض بوضوح ظل مسند الأريكة وقوائمه  
الدقيقة ، لكنه لم يكن هناك أي أثر من فوق المسند لظل رأس  
فارينوغا على الأرض ، كما لم يكن تحت القوائم أي أثر لرجل  
المدير الإداري .

«انه لا يلقى ظلاً !» - صرخ ريسكي في سره في غضب ،  
وهزته فشمعيرة .

تلقت فارينوغا كالمخلص الی وواء مسند الأريكة متتبهاً  
نظرة ريسكي المجنونة وأدرك أنه اكتشف .

عب من مقعده واقفاً (كما عب في الوقت نفسه المدير المالي  
واقفاً) وتراجع عن الطاولة خطوة وهو يحتضن حقيبته بين يديه  
ويشد عليها .

- حذرت أيها اللعين ! طول عمرك وانت ذكي فطن . -

قال فارينوغا وهو يتسهم ابتسامة تنضح بالشر في وجه المدير  
المالي مباشرة . ووثب على حين غرة الی الباب وضغط بسرعة زر  
المفتاح الانكليزي الی الأسفل . تلقت المدير المالي حوله تلقت  
اليأس وهو يتراجع الی النافذة المطلة على الحديقة . وفي هذه  
النافذة المغشورة بضوء القمر رأى المدير المالي وجه فتاة عارية  
ملتصقا بالزجاج . ويدها العارية تمتد من كوة النافذة العليسا  
وتحاول فتح الزجاج الأسفل . كان الزجاج الأعل مفتوحاً .

بدأ ريسكي ان الضوء في مصباح الطاولة ينطفئ . وان

الطاولة تميل . احسن ريمسكي كان أحدهم صب عليه سطل ماء بارد . لكنه ، لحسن الحظ ، لم يملك نفسه ولم يسقط على الأرض . وأسقطه ما بقي فيسه من قسوة لأن يهس . لا لأن يصرخ :

- النجدة . . .

كان فارينوغا يقف مترجماً عند الباب وهو يلفز قريبه لفزات صغيرة يعوم خلالها طويلاً في الهواء ويتأرجح فيه ، ويلوح بأصابعه المتلوية بالحاء ريمسكي وهو ينز ويتسطق ويغمر الفتاة التي في الناقله .

أخذت الفتاة تعمل بسرعة أكبر : أدخلت رأسها الأصهب من الكوة ومدت يدها فبر ما استطاعت وأخذت تخدم المزلاج السفلي بأظفارها وتهز اطار الناقله . وأخذت يدها تطول كأنها من مطاط . وتغطت بخضرة كخضرة الجثث . وأخيراً أمسكت أصابع المينة الخضراء برأس المزلاج وأدارته وأخذ الاطار يفتح . نادت عن ريمسكي صرخة غائسة ، واستندت الى الحائط ورفع حقيبته أمامه كأنها ترس . لقد أدرك ان أجله قد حان .

وانفتح الاطار على مصراعيه ، لكنه ، بدلاً من طراوة الليل وأريج الزيزفون ، انسلت الى الغرفة رائحة القيور . ولاحت المينة على حافة الناقله ، ورأى ريمسكي بوضوح يقع العفن على صدرها .

في هذا الوقت بالذات علا صياح الديك المفاجئ ، الفرج من الحديقة ، من ذلك المبني الواسع الواقع خلف العرس حيث كانت تربي الطيور التي تشارك في البرامج . كان الديك المروض ذو الصوت الصمداح يدوي معلناً ان الفجر قادم الى موسكو من الشرق .

شبه غضب فظيع وجه الفتاة فأطلقت شتية مبحوحة ، بينما زعق فارينوغا العائم في الهواء قرب الباب وهوى على الأرض . وتكرر صياح الديك ، فصرفت الفتاة أسنانها وانصبب شعرها الأشهب . ومع صياح الديك للمرة الثالثة استدارت وولت طايرة الى الخارج . وتبعها فارينوغا سابحاً على مهل في الهواء فوق الطاولة وقد لفز وبسط جسمه أحياناً كأنه الكويبيد الطائر .

واندفع نحو الباب شيخ عجوز أبيض الشعر كالتلج ليس فيه شعرة سوداء واحدة (ولم يكن هذا الشيخ قبل لحظات قليلة إلا ريمسكي نفسه) وفك الزر وفتح الباب واندفع يعدو في العمر العظيم . وعند عطفة المروج تلمس زر الكهرباء وهو يشن مسن الخوف . فصر النور المروج . وسقط الشيخ العجوز المرتجف المرتعد على المروج إذ بدا له أن قارينوفا حط عليه يرفق مسن عل .

ورأى ريمسكي . بعد أن عبط المروج عدواً إلى الأسفل . المناوب غافياً قرب شباك التذاكر الذي في الردهة . انسل ريمسكي على أطراف أصابعه خارجاً من الباب الرئيسي . وأحس ببعض الراحة حين وجد نفسه خارج العنق . وعاد إليه وهيبه بحيث ضرب على رأسه إذ فطن إلى أن قبعته بقيت في المكتب .

من ناقل القول أن ريمسكي لم يعد أدراجه لأخذ قبعته . بل عبر الشارع العريض ركضاً وهو يلهث إلى الناحية المطالبة التي قرب دار السينما حيث يلوح ضوء أحمر خافت . وفي دليقة كان قرب الضوء . لم يتمكن أحد من أن يسبته إلى السيارة الواقفة هناك .

- قطار لينينغراد السريع . ولك يقشيش - قال الشيخ العجوز وهو يتلمس بصعوبة ويضع يده على قلبه .  
- اني ذاهب إلى المرائب . - أجابه السائق بحقد وتحول عنه .

إذك فتح ريمسكي حقيبته وأخرج منها خمسين روبلاً ومد بها يده إلى السائق من النافذة الأمامية المفتوحة .

وفي لحظات كانت العربة المطلقّة تنطلق بسرعة الريح في شارع سادوفايا . وراكبنا يملو ويهبط داخلها . وهو يتطلع في قطعة الرأفة المعلقة أمام السائق فيرى تارة عيني السائق المتجهتين وعيني المجنوتين تارة أخرى .

فلز ريمسكي من السيارة أمام مبنى المحطة وصاح في أول شخص صادفه يلبس منزواً أبيض ويضع الإشارة الخاصة :

- درجة أولى . شخص واحد . أعطيك ثلاثين . - كان يخرج التفسير فوتسبات ويكوها بيده . - إذا لم يبق مقعد في الدرجة الأولى فلي الثانية . والا فلي الثالثة .

واختطف الرجل ذو الشارة التشيرفونتمسات من يد ريسكي وهو يتطلع الى الساعة المضادة .  
وبعد خمس دقائق اختفى القطار السريع من تحت قبة المحطة الزجاجية وابتلعته الظلمة تماماً ، واختفى معه ريسكي .

## الفصل الخامس عشر

### حلم نيكانور ايفانوفتش

ليس من الصعب على القارى ان يعجز ان البدين ذا الوجه الاحمر الذي ادخل الغرفة ١١٩ في المستشفى كان نيكانور ايفانوفتش بوسوي .

الا ان بوسوي لم يجد نفسه في عيادة البروفيسور ستراونسكي مباشرة ، بل ادخل قبلها مكانا آخر مكث فيه بعض الوقت .

ولم يبق في ذاكرة نيكانور ايفانوفتش من هذا المكان الاخر الا الشيء القليل : الطاولة والخزانة والارنيكة فقط ، ا هناك تحدث بعضهم الى نيكانور ايفانوفتش الذي قامست الاشياء امام عينيه من احتقان الدم والهيجان النفسى ، لكن الحديث الذي عتقد كان غريباً مضطرباً ، والاصح القول انه لم يعتقد اي حديث .

كان السؤال الاول الذي طرح على نيكانور ايفانوفتش هو التالي :

- انت نيكانور ايفانوفتش بوسوي رئيس الجمعية السكتية في البناية رقم ٣٠٢ - مكرر التي في سادوفايا ؟

اغضب نيكانور ايفانوفتش في ضحكة مرعبة واجاب بالحرف الواحد :

- انا نيكانور ، طبعاً نيكانور ، ولكن رئيس ؟ اي رئيس انا بحق الشيطان ؟

- ماذا تلصد ؟ - سألوا نيكانور ايفانوفتش وهم يزرون عيونهم .

- اقصده . . . اني لو كنت رئيساً لكان علي أن احدد علي الفور انه قسوة شريفة ! والا ما معنى هذا ؟ نظارة انقيسة مصدعة . . . وثيابه كلها مهلهلة . . . كيف يمكن أن يكون شخص كهذا مترجماً لدي اجنبي !

- علي من تتكلم ؟ - سألوا نيكاتور ايفانوفيتش .

- كوروفيف ! - زعم نيكاتور ايفانوفيتش . - استقر في الشقة رقم ٥٠ عندنا ! سجلوا : كوروفيف . يجب القبض عليه فوراً . سجلوا : المدخل الرئيسي السادس . انه هناك .

- ومن أين لك العملة الأجنبية ؟ - سألوه بلطف ورقة . - الله الحق ، الله الكل القمعة يرى كل شيء ، وامامه سامتل في يوم ما . لم امسك في حياتي قط عملة اجنبية ولا اعرف ما هي ! الله يعاقبني عسى اني . - اردف نيكاتور ايفانوفيتش بانفعال وهو يزور قميصه نارة ويفك نارة اخرى ، ويرسم اشارة الصليب تالفة . - لقد اخذت نقوداً اقصده اخذت نقوداً ، لكني اخذتها بعملتنا السوفيتية ! سجلت بعضهم لقاء مال احياناً ، انا لا انكر ذلك . وسكرتيرنا بروليچيف لم يتصر ، هو أيضاً لم يتصر ! وبصراحة جميعهم في الادارة السكنية لصومس . لكني لم اخذ عملة اجنبية .

وعندما طلب اليه الا يتباه ، بل ان يروي لهم كيف وجدت الدولارات في كوة التهوية ، خر نيكاتور ايفانوفيتش علي قدميه واحتز فالغراً فيه كأنما يريد ابتسلاع قطعة من الباركيه وقال بصوت كالخوار :

- مستعد ، اذا شقتم ، ان آكل التراب برهاناً علي اني لم اخذ دولارات ! اما كوروفيف فشيطان .

لاي صير حدود ، وقد ارتفع صوت بعضهم الجالس الي المكتب ولمح لنيكاتور ايفانوفيتش ان آن له ان يتكلم بلغسة بني البشر .

وهنا دوى في الغرفة ذات الاربعة ابوابها زئير وحشي اطلقه نيكاتور ايفانوفيتش الذي هب واقفاً :

- هاهو ذا ! هاهو ذا خلف الخزانة ! هاهو ذا يتسسم ساخراً ! ونظارته الانفية ايضاً . . . امسكوه ! رشوا الييست بالماء المقدس !

غار الدم من وجه نيكاتور ايفانوفتش واخذ يرسم اشارة الصليب في الهواء ، ويندفع نحو الباب جيئة وذهاباً وهو يرتجف كالورقة ، ثم رتل صلاة ، واخيراً اخذ يهلوس .

بات واضحاً تماماً ان نيكاتور ايفانوفتش لم يعد صالحاً لأي حديث معه فالتفت الى غرفة منفردة حيث هذا بعض الشيء ، ولم يعد يصدر عنه الا الصلاة والتشجيع .

ذهبوا الى سادوفايا بطبيعة الحال ، ودخلوا الشقة ورقم ٥٠ ، لكنهم لم يجدوا أي شخص باسم كوروفيف هناك ، ولا وجدوا في البناية احداً يعرف أو رأى شخصاً باسم كوروفيف . كانت الشقة التي يشغلها المرحوم بريوز وليغوديف الذي غادر الى الطا خالية تماماً ، واختام التسم التي لم يمسه أحد تتدل بسلام من على ابواب خزانات المكتب . هذا ما خرجوا به من سادوفايا ، الا انه خرج مع الخارجين سكرتير ادارة الجمعية السكنية بروليجنيف الذاهل والمسحوق .

ومساء ذلك اليوم احضر نيكاتور ايفانوفتش الى مستشفى سترافنسكي ، لكنه كان في سلوكه من الهياج والصخب مما اضطرهم الى اعطائه حقنة بوصفة من سترافنسكي ، ولم يفسد نيكاتور ايفانوفتش في الغرفة رقم ١١٩ الا بعد منتصف الليل وهو يصدر بين العين والآخر حواراً ثقيلاً موجعاً .

ومع مرور الوقت صار نومه ايسر واهناً . ولما كف عن التمتمة والأتين واخذ يتنفس بهدوء وانتظام ، غادروا الغرفة وتركوه وحده .

اذك الم بنيكاتور ايفانوفتش حليم يلوم في اسامه دون شك على ما عاناه في يومه هذا . بدأ الحليم بأن رأى نيكاتور ايفانوفتش اشخاصاً يحملون ابواقاً ذهبية في ايديهم يشيعونه وبكل مهابة حتى ابواب كبيرة صليبة . وعند هذه الابواب كانوا عزف مراقلوه له سلاماً موسيقياً ، ثم سمع صوتاً عميقاً مدويماً يهبط عليه من السماء ويقول له :

- اهلاً وسهلاً بك يا نيكاتور ايفانوفتش ! سلم العملة الأجنبية !

تملكت نيكاتور ايفانوفتش دعة عظيمة ورفع عينيه فرأى لفرقه مكبر صوت اسود .

ثم لم يدر كيف وجد نفسه في صالة مسرح تتلأأ تحت سفلها المذهب ثريات الكريستال وتتعل على جدرانها القناديل . كان كل شيء كما يجب ان يكون في مسرح صغير لكنه بالسبح الغنى : خشبة مسرح وستارة مغلقة مسددة لتأثرت على خلفيتها ذات اللون الكرزى القاتم كالتجوم الصغيرة صور مكبرة لأوراق نقدية ذهبية من فئة العشرة روبلات . ومكان الملقن ، بل حتى الجمهور .

وأدهش نيكاتور ايفانوفتش ان الجمهور كله كان من جنس واحد - الذكور ، وكله لأمر ما ملتجياً . وأدهشه أكثر من ذلك انه لم تكن في الصالة كراس وان الجمهور كله كان يجلس على الأرض المسوحة بشكل رائع والملساء .

شعر نيكاتور ايفانوفتش ببعض العرج وسط هذا الجمهور الجديد والواسع وتردد قليلاً ، الا انه حفا حقوه وترجع على الأرض بين ملتج بدین اصعب وآخر شاحب اللون لم يحلسق ذقنه منذ فترة طويلة لكن اهدأ مسن الجالسین لم ينتبه الى المشاهد الجديد القادم .

وهنا سمع رنين جرس ناعم ، وانطلقا النور وانفتحت الستارة ، فباتت خشبة المسرح المضاءة ذات الخلفية المظلمة السوداء تنتصب فوقها اريكة وطاولة صغيرة عليها جرس ذهبي صغير .

وهنا بان من وراء الكواليس فنان شاب في السموكيتنج ، حليق الذقن ، ملروق الشعر بعناية ، ذو لقاطيع وجه في غاية اللطف . دبت الحيوية في الجمهور ، واستدار كله بصره الى خشبة المسرح . توجه الفنان الى مكان الملقن وفرك يديه .

- جالسون ؟ - سالهم بصوت جهوري رقيق وابتهسم للصاله .

- جالسون ، جالسون . - اجابوه كجوقة واحدة من الصالة بين اصوات غليظة رحادة .

- احتم . . . - قال الفنان متفكراً . - لا انهم ، كيف لا يدرككم الملل ؟ الناس كلهم يتمشون الآن في الشوارع ويتمشون بضمس الربيع ودفته ، بينما اتم تستلقون على الأرض هنا ، في هذه الصالة بجوها الغائق ! ايكسون البرنامج شيئاً الى هذا



الحد ؟ وعلى أي حال لكل ذوقه . - قال الفنان متعباً كلامه  
بلهجة فلسفية .

ثم تغير جرس صوته ونبرته وأعلن بصوت مرح مرنان :  
- وهكذا فالفترة التالية من برنامجنا هي نيكاتور ايفانوفتش  
برسوي رئيس اللجنة السكنية ومدير مطعم الحمية . فليتلفضل  
نيكاتور ايفانوفتش !

ردت القاعة كلها على الفنان بالتصفيق . بينما اتسعت عينا  
نيكاتور ايفانوفتش من الدهشة . أما مقدم البرنامج فقد أخذ  
يبعث عنه بنظرة وسط الجالسين وهو يغطي وجهه بيديه من  
انوار مقدمة المسرح . ولما وجده أومأ اليه ايماءة ودودة  
باصبعه . ولم يدر نيكاتور ايفانوفتش نفسه الا وهو على خشبة  
المسرح .

ولطم نور المصابيح الملونة عينيه من تحت ومن قدام مما  
جعل الصالة تغور في الظلام مع جهورها على الفور .  
وقال له الفنان الشاب برفقة :

- هيا يانيكاتور ايفانوفتش . أرونا نموذجاً . وناولنا عملة  
أجنبية .

ران على الصالة الصمت . لكن نيكاتور ايفانوفتش التفت  
انقاسه وقال بصوت خافت :

- التسم بالله اني . . .

وما كاد ينطق هذه الكلمات حتى ضجبت القاعة بصيحات  
السطح فارتبك نيكاتور ايفانوفتش وصمت .

- بقدر ما فهمتك . أردت ان تلمس بالله ان ليس لديك  
عملة أجنبية ؟ - فقال مقدم البرنامج وألقى على نيكاتور  
ايفانوفتش نظرة تعاطف .

- تماماً . ليس عندي شيء . مسن هذا . - أجايه نيكاتور  
ايفانوفتش .

- حسن . - رد الفنان . - لكن انظر لي قلعة تواضعي :  
من أين جاءت الأربعمائة دولار التي وجدت في مراحض تلك  
الشقة التي لا يقطنها الا أنت وزوجتك ؟

- مسحورة ا - قال أحدهم في الصالة الممتدة بسخرية  
ظاهرة .

- بالضبط ، مسجورة ، - أجاب نيكاتور ايفانوفتشس بوجل  
موجهاً كلامه لا تدري لمن : للفنان أم للصالة المعتبة ، وأردف  
موضحاً : - قوة شريفة . المترجم ذو الاربعات هو الذي تركها  
عمداً .

ومن جديد هدوت الصالة ساخطة . وعاد الفنان يقول بعد  
ان ساد الهدوء من جديد :

- اي حكايات خرافية من حكايات لافوتتين تلك التي على  
ان اسمعها هنا ا تركوا عن قصد اربعمائة دولار ! ما انتسم  
اولاء هنا كلكم تتعاملون بالعملة الاجنبية ا واني لأتوجه اليكم  
بوصفكم اختصاصيين : هل هذا معقول ؟

- نحن لا نتعامل بالعملة الاجنبية ، - عدت في الصالة  
بعض اصوات مستنادة ، - لكن هذا الامر غير معقول .

- اشاطركم الرأي تماماً ، - قال الفنان بصوت جازم ، -  
واني لأسالكم : ما الذي يمكن ان يترك عمداً ؟

- طفل ! - صاح احدهم من وسط القاعة .  
- صحيح كل الصحة ، - قال مقدم البرنامج مثنياً ، -

طفل ، رسالة مغلطة ، منشور ، آلة جهنية وأشياء أخرى  
كثيرة ، أما اربعمائة دولار فلا احد يتركها عن قصد إذ لا يوجد  
مثل هذا الأبله في الطبيعة ، - وهنا التفت الى نيكاتور  
ايفانوفتشس وأردف يقول له بنبرة عتاب وحزن : - آه منك  
يانيكاتور ايفانوفتشس ! وأنا الذي عقدت عليك الأمل ! لقد  
أخفقت ففرتك .

تعالي في الصالة الصغير موجهاً الى نيكاتور ايفانوفتشس .  
كما تعالي الزعيق :

- انه يتعامل بالعملة الاجنبية ا بسببه هو وامثاله تعالي ما  
تعالي دون لاتب ا

- لا تشتموه ، - قال مقدم البرنامج بصوت وديع ، -  
انه نادم ، - وأردف وهو يحول الى نيكاتور ايفانوفتشس عينين  
زرقاوين تجول فيهما العبرات : - هيا ، يانيكاتور ايفانوفتشس ،  
عد الى مكانك ا

ثم قرع الجرس الصغير وأعلن بصوت عال :  
- استراحة أيها الأوغاد ا

ومرة أخرى وجد نيكانور ايطانوفتش الضيعة ، الذي اسهم على غير توقع منه في برنامج مسرحي ، نفسه في مكانه عمل الأرض . وهنا بدأ له ان الصالة غرقت في ظلمة ظلماء وان كلتيني حراوين ومتوقفتين : «سلم العجلة !» تتواليان عمل الجدران . ثم فتحت الستارة من جديد وسمع صوت مقدم البرنامج يعلن :

- أرجو سيرغي غيراردوفتش دوتشيل الصعود الى خشبة المسرح .

كان دوتشيل كهلاً في الخمسين من عمره لطيف المظهر محترمه لكنه منهملك جداً .

وتوجه اليه مقدم البرنامج بالقول :

- من شهر ونصف والست لجلس هنا ، ياسيرغي غيراردوفتش ، ولتنتع بعناد عن تسليم ما بلي لديك من عملة اجنبية ، في حين ان البلد في حاجة اليها ، وانها لا تنفك في شيء على الاطلاق ، ومع هذا فانت تعاند وتمعن في العناد . انك انسان مثقف وتترك هذا كله تماماً ، ومع هذا لا تريد التجارب معي .

- ليس يوسعي فعل شيء مع الأسف ، الا لم يعد لدي شيء منها ، - اجاب دوتشيل بصوت هادي .

- اليس لديك بعض الاحجار الماسية على الأقل ؟ - سألته الفنان .

- وهذه ليس لدي منها شيء .

نكس الفنان راسه وفكر قليلاً ثم صلق بكفيه ، فخرجت من وراء الكواليس الى خشبة المسرح سيده في منتصف العمر ترتدي ملابس من الموضة ، اي معطفاً بلا ياقة ولبعضه صغيرة . كان يظهر السيده يشي بقلقها . ونظر دوتشيل الى السيده دون ان يهتز له جفن .

- من هذه السيده ؟ - سأل مقدم البرنامج دوتشيل .

- انها زوجتي ، - اجاب دوتشيل بوقار وتطلع ببعض الاستمزاز الى عنق زوجته الطويل .

- لقد ازعجتك ياامدام دوتشيل ، - قال الفنان موجهاً

كلامه الى السيدة . - والسبب هو اننا نريد سؤالك ان كانت لا تزال لدى زوجك عملة اجنبية .  
- لقد سلمها كلها اذاك . - اجابست عدم دوتنشل في اضطراب .

- حسناً ، وهو كذلك ، - قال الفنان . - مادام قصد سلمها كلها فلا بد لنا ان نلتحق عمل الفور . بإمكانك مغادرة المسرح باسيرغى غيراردوتنشل اذا شئت . - ورفع الفنان يده في حركة ملكية .

استعار دوتنشل برزانة ووقار واتجه الى الكواليس .  
- دقيقة ا - قال مقدم البرنامج يوقله . - اسمع لي قبل الوداع ان اريك فقرة اخرى من برنامجنا . - وصفق براحتيه من جديد .

انفجرت الستارة الخلفية السوداء وخرجت الى خشبة المسرح كاعب حسناء في لباس السهرة تحمل بين يديها صينية ذهبية فيها زهرة سمكية مربوطة بشريط . وعقد من الماس يتدح شرره الازرق والاصفر والاحمر في كل اتجاه .

تراجع دوتنشل خطوة ولفسي وجهه الشحوب وبجهدت الصلاة .

وأعلن الفنان بصوت مهيب :

- ثمانية عشر الف دولار وعقد باربعين الف روبل ذهبي كان يحتفظ بها سيرغى غيراردوتنشل في مدينة خاركوف في شقة عشيقته ايدا غيركولاتوفنا نورس التي يسرنا ان نراها امامنا ، والتي تطلعت وساعدتنا في العثور على هذه الكتوز التي لا تقدر بثمن انما المدينة الجدوى في حوزة فرد واحد . شكراً جزيلاً لك يا ايدا غيركولاتوفنا .

ابتسمت الحسناء فلمعت أسنانها واعتزت بعرضها الكثيفة . واستطرد الفنان موجهاً كلامه الى دوتنشل :

- اما انت فتحت مظهرك الملء بالوقار يخلفي عنكبوت لهم وخداع وفتح وكذاب . لقد أهينتنا جميعاً طوال شهر ونصف بعنادك البليد . أما الآن فهيا الى بيتك ولتكن جهنم التسي سلقبها زوجتك هل رأسك وتتمدها جزاك عما فعلتم .  
ترجع دوتنشل . وبدأ انه على وشك ان يسقط على الأرض .

لكن ايادي عطوفة لست تدري ايادي من تلقفته . وهنا سقطت  
الستارة الامامية دفعة واحدة واخذت كل من كان على الخشبة .  
من الصالة تصفيق مسعور حتى بدأ ليكاتور ايفانوفتش ان  
احياء التريات اخذت تقفز . وعندما انسحبت الستارة الامامية  
السوداء الى الامل ، لم يكن على الخشبة الا الفنان بمفرده الذي  
كانت من نصيبه العاصلة الثانية من التصفيق وانحنى محيياً  
وقال :

- لقد رايتم في برنامجنا حماراً نموذجياً في شخص دونتشل  
هذا . لقد كان من دواعي سروري ان افسول لكم البارحة ان  
اخذاء العملة الاجنبية عمل غير مجد ، وكونوا على يقين ان لا احد  
يستطيع ان يستخدمها في أي حالة من الحالات . خذوا دونتشل  
هذا على سبيل المثال . انه يقبض راتباً ممتازاً ولا يفكر الى  
شيء . عنده شقة رائعة وله زوجة وعشيقه حسناء . لكنه بدلاً  
من ان يسلم العملة والاحجار الكريمة ، التي لديه ، ويعيش في  
هدوء وسلام دون أي متغضبات ، تسبب هذا الأبله الطماع  
لنفسه بفضيحة علنية وطعماً بفضيحة عائلية كبيرة . وهكذا من  
يسلم ؟ الا من رالمب ؟ في هذه الحالة الفقرة التالية في برنامجنا  
لللغنان الدرامسي الموهوب والمعروف كوراليسوف سافا  
بوتابوفتش الذي دعوناه خصيصاً ليؤدي مقاطع من «الفارس  
البخيل» للشاعر بوشكين .

ولم يتأخر كوراليسوف الموعود في الظهور على خشبة  
المسرح . وكان رجلاً حليفاً فارح الطول نحياً يضع فراكساً  
وربطة عنق بيضاء .

ودون أي مقدمات اصطنع وجهاً متجعجماً وقطب حاجبيه وأخذ  
يقول بصوت مفتعل وهو ينظر شزراً الى الجرس الذهبي :

- كفتي طائش ينتظر لئام مع بغي ماكرة . . .

وردى كوراليسوف كثيراً من الاتيياء السيئة عن نفسه .  
وسمع ليكاتور ايفانوفتش كوراليسوف يعترف لهسم كيف ان  
ارملة تمسك ركعت امامه تحت المطر وهي تنوح وتعول لكنها لم  
تس سخاف قلبه القاسي . لم يكن ليكاتور ايفانوفتش حتى  
عليه هذا يعرف على الاطلاق مؤلفات الشاعر بوشكين . لكنه كان  
يعرف بوشكين للنسه معرفة رائعة ، وكانت تخرج من فمه عدة

مرات كل يوم جعل مــــن نوع : «هل سيدفع بوشكين اجرة الشقة ؟» أو «بوشكين اذن هو الذي فلك الصباح على العرج ؟» أو «بوشكين اذن هو الذي سيشتري المازوت ؟»  
واهتم نيكاتور ايفانوفتش الآن بعد ان تعرف على احمد مزلقات بوشكين ، وتمثلت امامه المرادة مع اولادها اليتامى جانية على ركبتيها تحت المطر ، وفكر على الرغم منه قائلاً : «ياله من سافل كوراليسوف هذا !»

اما هذا فتابع يدهي ندمه رافعاً صوته باستمرار ، واخيراً اربك نيكاتور ايفانوفتش نهائياً لانه اخذ فجأة يخاطب شخصاً ما لم يكن موجوداً على خشبة المسرح ، لم يجيب نفسه نيابة عن هذا الشخص الغائب ، هذا الى انه كان يدعو نفسه «سيد» تارة ، و«بارون» تارة اخرى ، و«والد» ثالثة و«ابنك» رابعة ، و«احياناً» يخاطبه بصيغة الجمع و«احياناً» بصيغة المفرد .

ولم يلهم نيكاتور ايفانوفتش من هذا كله الا امرأ واحداً هو ان الفنان مات ميتة شريرة بعد ان صرخ : «المطاييح ا مطاييح ا» وسقط على الأرض وهو يحشرج ويفك ربطة عنقه يحذر .

وهب كوراليسوف والفاً بعد ان مات ، وتغض الغبار عن ينطال فراكه والحنى مبشماً ابتسامة زالفة ، وتوارى مشيعاً بتصفيق متفرق . اما مقدم البرنامج فقال :

- استمعنا ممناً الى «الفارس البغيض» في أداء سافا بوتابوفتش الرائع . كان هذا الفارس يأمل ان تنهات الحوريات اللعوبات عليه ، وان تحدث أمور كتيصرة لطيفة بهذه الروح ، لكن شيئاً من هذا لم يحدث ، كما وايتم ، فلا الحوريات تهافتن عليه ، ولا ربات الشعر ادين له ما عليهن ، ولم يبن أي قصور او مخادع بل مات غير مأسوف عليه ميتة جد شنيعة من ضربته على صندوقه الذي شيا فيه العمليسة والأجار الكريمة . والي لأحذركم انه سينالكم شيء من هذا القبيل ان لم يكن أسوأ ما لم تسلموا ما لديكم من عملة ا

لا احد يدري ما السبب ، امر شعر بوشكين الذي احدث هذا التأثير ام خطاب مقدم البرنامج الشرطي ، الا ان صوتاً شجولاً سمع يقول من الصالة :

- أريد ان اسلم ما لدي من عملة .
- أرجو التفضل والصعود الى خشبة المسرح ا - قال مقدم البرنامج يدعو بأدب وهو يخلق في الصالة المطلقة .
- وظهر على خشبة المسرح مواطن اشقر ، قصير القامة ، لم يخلق ذقنه من نحو ثلاثة أسابيع اذا ما حكمنا عليه من وجهه .
- علوا ا ما كيتك ؟ - قال مقدم البرنامج مستهزئاً .
- كانافكين نيكولاي ، - اجابه بوجل .
- ا ا تشرفتا ، ايها المواطن كانافكين ، ماذا تريد ؟
- تسليم العملة الاجنبية ، - قال كانافكين بصوت خافت .
- ما مقدارها ؟
- الف دولار وعشرون قطعة مسن قنة العشرة روبلات ذهبية .

- براغو ا كل ما لديك ؟

ولبت عريف الحقل عينيه في عيني كانافكين حتى بدا لتيكانور ايدانوفتش انه البعث من تينك العينين اشعة اخترقت كانافكين كما تخرق اشعة روتجن جسم الانسان . وجس من في الصالة انقاسهم .

- اصدقك ا - هتف الفنان اخيراً وأطلقاً نظراته ، - اصدقك ا هاتان العينان لا تكذبان ، وأنا كم قلست لكم ان خطاكم الاساسي في انكم لا تفقدون قبة العينين الانسانيين حق قدرها . الهوا اخيراً ان اللسان قد يستطيع كتم الحقيقة اما العينان فابدأ ا قد تلجأ بسؤال فلا تأخذك حتى مجرد وعشة ، بل تضبط نفسك في ثالية وتعرف ما ينبغي عليك قوله حتى تخفي الحقيقة ، وتقول ما تقوله بشكلى ملتحج لماماً ودون ان تتحرك تنية من ثاياتها وجهك . لكن الحقيقة التي اقض مطججها السؤال تنب في لحظة ، مع الأسف ، مسن اعماق النفس الى العينين وينتهي كل شيء . لقد بانث الحقيقة وامسكت متلبساً بالكلب ا

وبعد ان القى الفنان هذا الخطاب الشديد الاقتناع بحرارة بالغة سأل كانافكين برفقة :

- واين خباتها ؟

- عند عملي ، بوروخوفنيكوفنا ، في بريتشيمستكا . . .

- ١٢ عند . . . مهلاً . . . عند كلافديا ايلينسنا ،  
 اليس كذلك ؟  
 - نعم .  
 - آه ، اي ، اي ، اي ، اي ! الدار الصغيرة المنعزلة ؟  
 وقبالتها ايضاً جنيته صغيرة ؟ كيف لا ، اعرفها ، اعرفها ! واين  
 درستها هناك ؟  
 - في القبر ، في علبسة فارغة من علب يسكويست  
 «ايلينيم» . . .  
 ضرب الفنان كلاً بكف وصاح بصوت مضموم :  
 - هل رايتم شيئاً كهذا ؟ لكنهما هناك مستصفاً وتهترى  
 من الرطوبة ! هل من المعقول ، بالله عليكم ، ان يؤتمن ناس  
 كهؤلاء ، هل عملة اجنبية ؟ ١٢ اطفال والله اطفال !  
 ونكس كانافكين الذي ادرك انه اخطأ وفضح امره راسه  
 الشبيه بالخنزيرة .  
 وتابع الفنان يفلول :  
 - النقود يجب ان تحفظ في مصرف الدولة ، في اماكن خاصة  
 جافة ومحمومة جيداً ، وليس في ليلو عند عمه حيث تستطيع  
 الجرذان خاصة التلها ! امر مفضل حقاً يا كانافكين ! فالست  
 انسان راشد !  
 لم يعد كانافكين يدري اين يخلي وجهه فلم يفعل سوى ان  
 اخذ يفرح باصابعه طرف جاكيتته .  
 - حسناً ، - قال الفنان بلهجة ارق ، - لننسى  
 الماضي . . . - واخفاف فجأة يشكل مباحث : - آ ، بالمناسبة  
 وكى لا تضطر السيارة الى النعاب الى هناك مرتين . . . عمتك  
 هذه لديها عملة اليس كذلك ؟ ١٢  
 ارتعد كانافكين الذي لم يكن يتوقع اطلاقاً هذا التحول في  
 مجرى الموضوع ، وزان الصمت على الصلاة .  
 - اي كانافكين ، - قال له عريف الحفلة بلهجة عتاب  
 ورفيق ، - وانا الذي اتيت عليه ا لقد انقطع لسانه فجأة !  
 هذا غير معقول يا كانافكين ! فانا لم اكذ انتهى من كلامي عمل  
 العينين ، الظاهر ان لدى عمتك عملة ، هيا ، لماذا تعذبيننا  
 عبتاً ؟



- نعم لديها ! - صاح كاتافكين بالدفاع .

- برافو ! - صاح عريف الحفلة .

- برافو ! - همرت الصالة .

وعندما عاد الهدوء هنا عريف الحفلة كاتافكين وشده على يده وعرض عليه أن يعيده إلى بيته بالسيارة ، وأمر أحد الموجودين في الكواليس أن يعرج معه على عمته بالسيارة نفسها ويطلب إليها أن تنتظر لحضور البرنامج في المسرح النسائي .

- على فكرة . أردت أن أسالك : ألم تقل لك عمتك أين تكبري ؟ - سأله عريف الحفلة وهو يقدم له بلطف وكياسة سيجارة وعود ثقاب مشتعلًا . . . . . ابتسم كاتافكين ابتسامة حزينة وهو يسحب نفساً من سيجارته .

- صدقك ، صدقك ، - قال عريف الحفل متنهداً ، - هذه الحيزبون البغيلة لن تسير بهذا ليس لابن أخيها فقط ، وإنما حتى للشيطان نفسه . ولكن لا بأس ، سنحاول إيقاف المشاعر الانسانية فيها . قد لا تكون كل الأوتار قد تقيحت وتلقت في نفس هذه المرايية ، انتهى لك كل خير يا كاتافكين . ولما دار كاتافكين خشية المسرح سعيداً . ثم سأل الفنان إن كان هناك من يرغب في تسليم ما لديه من عملة اجنبية . لكن الصمت كان هو الجواب .

- فريبو الأطوار والله ! - قال الفنان وهو يهز كتفيه ، وحجبه الستارة .

انطقات المصابيح فساد الظلام بعض الوقت ، ومن بعيد في وسط الظلام سمع صوت عصبي حاد يقضي :

«كوام الذهب هناك وأنا لها الملاك !»

ثم سمع من مكان ما بعيد تصليق تردد مرتين .

- في المسرح النسائي إحدى السيدات تسلم ما لديها ، - قال فجأة جار نيكانور ايفانوفتش الأصهب الملتحي ، وأردف متنهداً : - آه ، هل ألا تكسون أوزاتي ! عندي يا عزيزي ، أوزات مصارعة في لياوزوفو ، أخشى أن نلتق بدولي . انها طيور حركة ، لطيفة ، تتطلب عناية . . . . . هل ألا تكون أوزاتي ! لن تدهشني ببوشكين هنا ، - وتنهذ تالية .

وهنا ضابت الصالة بشور ساطع ، وأخذ نيكانور ايفانوفتش

يرى في حله طبائخين في قيعات بيض يحملون مقاريف في أيديهم يدخلون من أبواب الصالة زرافات ، ومساعدتي الطباخين يجرون خابية حساء وكشة خبز أسود منقطع . ودب النشاط في النظارة واخذ الطباخون المرحون يسعون بخلة وحمة بين عشاق المسرح ، ويرزحون عليهم الخبز ، ويسكبون لهم الحساء في صحاف ، وهم ينادون عليهم :

- تفدوا يا شباب ، وسلموا ما لديكم من عملة اجنبية ! ا  
ما لكم تجلسون هنا سدى ؟ هل راقكم هذا الحساء الكريه ؟  
هيدا لو ذهبتم الى بيوتكم وشربتم كما يجب وهرزتم .  
- وانت يا ايت مثلاً ، سلام تجلس في هذا المكان لا  
تبارحه ؟ - قال لنيكانور ايفانوفتش مباشرة طباخ بدين أحمر  
الرقبة وهو يناوله صحيفة حساء تظلو في ماله ورقة كرنسب  
وحيدة .

- لا لا لا ! ليس عندي شيء ، ا - صرخ نيكاتور ايفانوفتش  
بصوت مريع ، - هل تظلم ، ليس عندي شيء ، ا  
- ليس عندك شيء ، ا - صرخ الطباخ بصوت جهوري  
فاغضب ، ثم سأل بصوت نثائي رقيق : - ليس عندك شيء ، ؟  
- ثم اردف بلهجة تطمين : - ليس عندك شيء ، - وقد تحول  
فصار المرطبة براسكوفيا فيودوروفنا .

وهزت هذه بلطف نيكاتور ايفانوفتش الذي كان يش في ثوبه  
من كتفه . اذاك ذاب الطباخون وانهار المسرح وستارته . ولتين  
نيكانور ايفانوفتش من خلال دموعه عرفته في المصحة والثنين في  
رداء ابيض ، لكنهما لم يكونا من اولئك الطباخين الوثقين الذين  
يتطلقون على الناس بتصانحهم ، بل طبيباً وبرسكوفيا فيودوروفنا  
اياها التي لم تكن تمسك بيدها صحيفة ، بل صحفاً صغيراً مقطى  
بشاش وفيه محفلة .

واخذ نيكاتور ايفانوفتش يردد بمرارة وهم يفرزون الابرة في  
جنبه :

- ما معنى هذا كله ، قلت لكم : ليس عندي شيء ، يعني  
ليس عندي ا فليسلمهم يوشكين ما عنده من عملة ا لا شيء ،  
عندي ا

- لا شيء ، عندك ، لا شيء ، - قالت برسكوفيا فيودوروفنا

الطبية القلب تهدي' روحه ، - ما دام ليس عندك شيء فلا مجال للكلام .

احس نيكاتور ايفانوفتش ببعض الراحة بعد الحقة فلما دون أن تراوده أي أحلام .

لكن الهيجان والقلق انتقلا بفضل صيحاته الى الغرفة ١٢٠ حيث صعا مريضها وأخذ يفتش عن رأسه . والى الغرفة ١١٨ حيث اعتاج المعلم المجهول وأخذ يحصر يديه في سورة من العزق والكتابة وهو يرنو الى القمر ويتذكر تلك الليلة الخريفية المرة التي كانت آخر لياليه وشريط الضوء المتسلسل من تحت الباب في القبر والشعر المشعث .

وانتقل القلق من الغرفة ١١٨ عبر الشرفة الى ايفان فصعا من نومه وأخذ يهتكي .

لكن الطبيب هذا بسرعة كل هؤلاء المهتاجين المصابين في علولهم . فعادوا الى النوم شيئاً فشيئاً . وكان ايفان آخر من نفا . فلما بعد ان أخذ ضوء النهار ينتشر فوق النهر . عاد اليه هدوء وانعس . كما العوجة . بعد الدواء الذي روى كل خلاياه . استرخى جسمه وهو في العباس في رأسه نسيماً دائناً فلما . وكانت زلزلة العاصفير في الغابة قبل الفجر آخر ما سمعه في صحوه . لكن العاصفير سرعان ما صمتت . والأحلام سرعان ما خلت اليه . ورأى ي حلعه ان الشمس اخذت تهبط فوق الجبل الاترع وكان الجبل مطوقاً بطوقين من الجنود . . .

## الفصل السادس عشر

### الصلب

اخذت الشمس تهبط فوق الجبل الاترع . وكان الجبل مطوقاً بطوقين من الجنود .

انطلق فوج الخيالة الذي قطع على الحاكم طريقه عند الظهر الى أبواب حيفروف خبيماً بعد أن اخذ جنود الكتيبة القبدولية لها الطريق من حشود الناس والبهال والجسمال . وبلغ الفوج

خبياً وفي اعمدة عالية يبيض من الغبار مفرقاً يتقاطع فيه الطريق  
الجنوبي المؤدي الى بيت لحم والطريق الشمالي الغربي المؤدي  
الى يافا . واندفع الفوج في الطريق الشمالي الغربي الذي انتشر  
القبديون اياهم على جانبيه بعد ان طردوا منه كل الكوافل  
القادمة الى العبد في اورشليم . ووقلت وراهم جموع الحجاج التي  
خرجت من خيامها المؤقتة المخططة التي نصبتها فوق العشب  
مباشرة . ولم يقطع الفوج نحو كيلومتر واحد حتى لحق بالكتيبة  
الثانية من فرقة الصاعقة . ولم يقطع الكيلومتر الثاني حتى كان  
اول من بلغ سفح الجبل الافرغ ، حيث ترحلوا . وتشر قائد  
الفوج جنوده فصائل طوقت سفح الربوة الصغيرة ولم تترك الا  
منفذاً واحداً يؤدي اليها من طريق يافا .

وبعد قليل من وصول الفوج السوري الى الربوة تبعته  
الكتيبة الثانية التي ضربت حول الجبل طوقاً اعلى طبقة من طوق  
الفوج السوري .

واخيراً وصلت مائة مارك قاتل الجردان . كان جنود المائة  
يسيرون مشككين سلسلتين تمتدان على جانبي الطريق . وبين  
هاتين السلسلتين وبمراقة حرس سري ، كانت تحضي عربية  
بثلاثة من المحكوم عليهم علق في اعناقهم الواح يبيض كتب على  
كل منها باللغتين الآرامية واليونانية «لص وعاص» . وكانت  
تسير وراء عربية المحكوم عليهم عربات اخرى محملة باعمدة  
خشبية قطعت حديثاً وثبتت عليها عوارض وحيال ومعاول وقرب  
وغزوس . كما كانت هذه العربات تنقل ستة جلادين . يتبعها  
مباشرة قائد المائة ورئيس حرس هيكل اورشليم ، وذلك  
الشخص اياه ذر القلنسوة الذي اختل به بيلاطس لحظة في غرفة  
الضرب المعتمة . هل جيادهم . يلهم في مؤخرة الركب جنود انتظموا  
سلسلة متراصة ووراهم نحو الفين من الفضوليين الذين لم  
يخلفهم الحر الجهنم ورتلوا في حضور هذا المنظر الطريف .

وانضم الى الفضوليين المدينة هؤلاء الفضوليون من الحجاج  
الذين سمح لهم . دونما اي عائق . بالسير في مؤخرة الموكب .  
ووظف الموكب على صيحات الدعاء العادة . الذين كانوا يرافقون  
الرتل ويصيحون ما صاح به بيلاطس عند الظهر . الى الجبل  
الافرغ .

سمح فوج الخيالة للجميع بالصعود الى الطيبة العليا من  
الريوة اما المائة الثانية فلم تسمح الا لمن له علاقة بتنفيذ الحكم  
بالصعود الى القمة . ثم وبمناورة سريعة تترت الجمهور الزاحف  
حول الريوة كلها بحيث صار محصوراً بين طوق المشاة في الأعلى  
وطوق الخيالة في الأسفل . الا انه كان بإمكانه أن يرى من خلال  
السلسلة المتفرقة من جنود المشاة عملية الصليب .

وهكذا ، مضى على صعود المركب الى الجبل أكثر من ثلاث  
ساعات . وأخذت الشمس تهبط فوق الجبل الاقرب لكن الحر كان  
لما يزال شديداً لا يطاق ، وكان الجنود في كلا الطوقين يكابدون  
منه ومن الملل ، ويلعنون في قلوبهم اللصوص الثلاثة ويتمنون  
لهم بصدق موتاً سريعاً .

كان قائد الفوج قصير القامة بجبينه المبلل وقميصه  
الابيض ، الذي كمد لونه على ظهوره من العرق ، يقف في أسفل  
الريوة عند المنفذ الوحيد الى القمة . وكان يمضي بين الحين  
والحين الى التربة الجلدية التي في التفصيلة الأولى ويغرف منها  
براحتيه ماء ويشرب ويرش على عمامته . فاذا مسأ شعر بعض  
الارتياح أخذ يزرع الطريق الأمير الزودي الى القمة جبهة ودعاباً ،  
وسيلة الطويل يصل على جزمته الجلدية المشدودة . كان يريد  
أن يبدي لفرسانه مثالا على قوة الاحتمال والصبر ، لكنه اذن  
لهم مع هذا ، اتفاقاً عليهم ، ان يستعوا من رماحهم المركوزة في  
الأرض احرامات وينشروا فوقها بردهم البيض . والى تحت هذه  
الخيوم هرب السوريون من حر الشمس الذي لا يرحم . كانت  
القرب تفرغ بسرعة ، وكان الفرسان من مختلف الفصائل يتوجهون  
كل بدوره لجلب الماء من وادي ضيق في سفح الجبل حيث كانت  
ساقية عنكرة تعيش في هذا القيط الجنسي آخر ايامها تحت بضع  
من شجيرات التوت العجف الشحيحة الظل . وهنا ايضاً كان يقف  
السانسون الذين يسكون باعنة الخيول الهادئة وهم يحاولون  
ان يحتموا بالظل الشحيح ويعاتون من السام .

ولا بد من القول ان ملل الجنود وشنائمهم للمحكومين شيء  
مفهوم . زد على ذلك ان تخوف الحاكم من اضطرابات قد تحدث  
انقضاء تنفيذ الحكم في مدينة اورشليم التي يكرهها لم يتحلق  
لحسن الحظ . فما ان جانت الساعة الرابعة على بداية العملية

حتى لم يبق بين طوحي الجنود ، المشاة في وسط الجبل والخيالة في أسفله ، انسان واحد رغم كل التولعات . فقد أحرفت الشمس الجهور المحتشد بلبهيا ، واعادته صاغراً الى اورشليم . ولم يبق خلف الكتيبين الرومانيين على الربوة سوى كلبين لا يعرف صاحبهما ولا لماذا اتيا الى هنا . كانا يتمدان على الأرض وقد اردتهما الشمس الفاتحة وهما يمدان لسانيهما ويلهتان ولا يعيران اهتماماً حتى للحراذين ذات الظهور الخضر ، المخلوقات الوحيدة التي لا تخشى الشمس والتي كانت تتقلب بين الحجارة المتناطية وبعض النباتات ذات الأشواك الطويلة الزاحفة على الأرض .

لم يحاول احد اختطاف المحكومين لا في اورشليم التي كانت تعج بالقوات ، ولا هنا على الربوة المطوقة . وعاد الناس الى المدينة اذ لا شيء ، شائق ، بالفعل ، في هذه العملية ، في حين بدأت في اورشليم الاستعدادات لعيد الفصح العظيم الذي يحل مساء اليوم .

وكان جنود المشاة الرومانيون في الأعلى يعانون اكثر مما يعاني رفاقهم الخيالة . اذ ان قائد المائة قاتل الجرذان ابلى جنوده وقلوباً مشرعي الرياح ولم يسمح لهم الا ينزع حوذاتهم وتغطية رؤوسهم بعصابات بيض مبللة بالماء ، اما هو فكان يروح ويجيء ، على مقربة من الجلادين عاصب الرأس بعصابة مائلة لكنها غير مبللة بل جافة ، وحتى دون أن ينزع عن قميصه وجوه الاسود اللضية المحقودة عليه ، ودون أن ينزع لغطائي الساقين والسيف والخنجر . كانت الشمس تريش قائد المائة بسهامها الحارقة دون أن تصيبه بأي ضرر . امسا وجوه الاسود فكان يستحيل النظر اليها اذ كان يرتفقا الباهر يتاكل العيون وكأنه يريق نضرة تغلي في الشمس .

لم يكن يلوح على وجه قاتل الجرذان المشوه اثر لتعب او الزحاج . بل بدا قائد المائة العملاق هذا قادراً على أن يروح ويجيء ، على هذا النحو النهار كله والليل كله ثم نهاراً آخر بكامله . وباختصار بقدر ما يطلب منه ، وأن يظل يروح ويجيء هكذا واضعاً يديه على نطاقه المنقل بالانواط النحاسية . وان يلقى بنفس الصرامة نظرة الى الأعمدة الخشبية وتربها المحكومون

كثيرة ، والى جنوده الضارين طوقاً حول الربوة ثارة أخرى ،  
وان يخطف بنفس الامبالاة بطرف جزمته الوبرة ما يقع تحت  
قدميه من عظام انسانية ابيضت مع مرور الوقت أو صواناً  
صغير .

أما الشخص ذو اللنسوة فالتعد كرسياً صغيراً بثلاث  
قوائم على مقربة من الأعمدة منشرح الصدر لا يأتي بحركة سوى  
أن ينقلب الرمل بين الحين والحين بطرف عود من ملته .  
ما قلناه من أنه لم يبق وراء طوق الجنود أحد ليس دقيقاً  
تماماً . فقد بقي هناك شخص واحد لكنه لم يكن ظاهراً للجميع .  
فبور لم يتخذ له مكاناً في الجانب الذي فيه المنفذ الى الجبل والذي  
كان النسب مكان لمشاهدة تنفيذ الحكم ، بل في الجانب الشمالي  
حيث لم يكن الجبل منبسطةً ومكتسوفاً ، بل شديد النتوءات ، فيه  
وحدات وشقوق وحيث كانت تحاول ان تعيش في شق من هذه  
الأرض التي لعنتها السماء فحرمتها من الماء شجرة توت سقيمة .  
وتحت هذه الشجيرة التي لم تكن تغطي على الأرض أي ظل  
بالضبط تمركز هذا المشاهد الوحيد للصلب والوحيد الذي لم  
يشترك فيه ، وجلس على حجر من بداية العملية أي من ثلاث  
ساعات ونصف . أجل ، لم يختار لمشاهدة عملية الصلب أفضل  
المواقع بل أسوأها . لكنه كان يرى من موقعه ، على الرغم من  
هذا ، الأعمدة ، كما كان يرى وراء طوق الجنود البلقين  
البراقطين على صدر قائد المائة . وكان هذا ، فيما يبدو ، يرضى  
تماماً انساناً يرغب وغبة واضحة في البقاء بعيداً عن الأنتظار وعن  
الزعاج الآخرين له .

لكن تصرف هذا الانسان من اربع ساعات ، أي قبيل بداية  
العصية ، كان مغايراً تماماً لتصرفه الآن وكان قميئاً بلفت  
الانتظار اليه ، ولعل هذا ما دفعه الآن الى تغيير مسلكه والازدراء  
وحيداً وبميداً .

اذك ، أي حين اجتاز الموكب الطوق الى القمة ، شوهد هذا  
الشخص اول مرة ، كانت تبدو عليه امارات السنان تأخر كثيراً  
عن موعدة . كان يتنفس بصعوبة ، ولم يكن يمشي ، بل يحدو  
الى الرابية وهو يدفع الناس . وحين رأى ان السلسلة انفلتت  
أمامه كما أمام الآخرين ، قام بمحاولة ساذجة للتسلل عبر الجنود

متظاهراً بأنه لا يفهم صيحاتهم المغيظة الى مكان تنفيذ الحكم  
تماماً ، حيث كان المحكوم عليهم ينزلون من العربة . وكان  
جزاؤه طعنة قوية برأس كليل من رمح في صدره جعلته يشب  
مبتعداً عن الجنود ويصرخ . لكن ليس من ألمه بل من يأسه .  
ومن الجندي الذي طعنه بنظرة فائقة ولاسيالية بأي شيء . كانسان  
لا يشعر اطلاقاً بالألم الجسدي .

دار يركض حول الرابضة وهو يسعل ويلهث ويضع يده  
على صدره لعله يجد في الجانب الشمالي ثغرة في الطوق يستطيع  
التسلل منها . لكن الوقت كان قد طأت والحلقة انطلقت تماماً .  
عما اضطر الرجل الذي شوه الألم فسمات وجهه الى الكف عن  
محاولاته الوصول الى العربات التي كانت الأعمدة قد انزلت  
منها . ولم يكن من شأن هذه المحاولات الا ان تؤدي الى اعتقاله .  
الأمر الذي لم يكن وارداً على الإطلاق في خطته اليوم بالذات .  
وعاهو ذا ينتهز مكاناً قصياً في شق أكثر أمناً حيث لا شأن  
لأحد به .

كان هذا الانسان الأسود اللحية المتليح العينين من الشمس  
والأرق يجلس الآن على حجر وقد تولاه حزن وكآبة . كان ينتهد  
تارة كاشفاً عن عبادة بليت من كثرة التجوال واستحال لونها  
الأزرق الى رمادي فذر وعن صدره كعبه الرمح يتصبب عليه  
عرق وسخ . ويرفع عينيه الى السماء تارة أخرى في عذاب لا يطاق  
ملاحقاً بها ثلاثة نسور جيف تحوم منذ فترة طويلة في السماء  
في دوائر كبيرة متوقفة مادية قريبة حافلة . ويحلق تارة ثالثة  
في الأرض الصلراء فيرى فيها جسيمة كلب نصف مغطاة تتوابع  
الحراذين حولها .

كانت عذابات الرجل المبرحة من القوة بحيث كان يتحدث  
الى نفسه بين الحين والحين .

- يالي من نفسي ا - كان يغمغم وهو يهتز متمايلاً على  
الحجر في وجع نفسي يهتصره ويضئ صدره الأسمر ، - نفسي ،  
امرات معشوقة ، جيان . جبلة انا ولست انساناً .

ثم كان يصمت وينكس رأسه ثم يعود الى نشاطه بعد ان  
يشرب بعض الماء القاتر من زمزميته الخشبية فيقبض على خنجره  
المخبوء على صدره تحت عبائه تارة أو يمسك قطعة ورق الرق



الملقاة أمامه على الحجر قرب عصاء الصغيرة وزجاجة الحبر الصيني .

وعلى هذه الورقة دونت العبارات التالية على عجل .

«الفتاىق تظني سراها . وأنا . متى اللاوي . على الجبل الأحمر . والموت لمتا يات ا» .

ثم :

«الشمس تبيل الى المغيب . والموت لمتا يات» .

والآن اخذ متى اللاوي يسجل بطرف عصاء الحاد ما يلى وقد بلغ به اليأس أشده :

«لماذا تصب عليه غضبك يارب ؟ لو تبعت له بالموت» .

ثم نشج تشيخاً جافاً وغضض صدره باظافره ثانية حتى ادعاء .

كان سبب فتوط اللاوي هو الاخفاق المريع الذي لحق به ويشوع . زد على ذلك الخطأ الفادح الذي اعتقد اللاوي أنه اقترفه . فأول البارحة كان يشوع واللاوي في بيغانيا التي قرب اورشليم . حيث ضامفاً بستانياً مشغولاً بتعاليم يشوع . عمل الضيفان طيلة الصباح في البستان يساعدان مضيفهما وكانا يعتزمان الضي الى اورشليم مساء ذلك اليوم مع التعاض الجور . الا ان يشوع تعجل . لأمر ما . سفره قائلاً ان لديه في المدينة اموراً عاجلة لا يمكن تأجيلها وغادرهما قبيل الظهر وحده . وهنا بالضبط تكمن الخطأ الأول الذي اقترفه متى اللاوي . لماذا . لماذا ترك يشوع يذهب وحده ا

ولم يتمكن متى من الضي الى اورشليم في المساء . فقد القده مرض مياجت ومريع . كانت التشعيرية تهز اوصاله هزاً . وجسه يثلث ناراً . واخذ يصرف اسنانه ويطلب الماء كل دقيقة . كان عاجزاً عن الاثيان بأي حركة . نهاوى على جنل في هدير البستاني وظل متمهداً عليه حتى فجر يوم الجمعة حين زاو له المرض فجأة كما الم به . وعلى الرغم من الزمن الذي ادركه ومن الرعشة في قدميه قام وقد تقبض صدره احساس مسبق غريب بالكاترة الآلية . فودع صاحب البيت وتوجه الى اورشليم . وادرك هناك ان احساسه لم يقدعه . كانت المصيبة قد تزلت .

وكان اللاوي واحداً من الجيهور الذي استمع الى الحاكم يعلن الحكم .

عندما التفت المحكومون الى الجبل ، خف متى اللاوي يتبع المركب مع جيهور الفضوليين . كان يعث الخطأ على مسافة مسيرة من الطوق الذي خبره الجنود ، لعله يتمكن على الأقل من الفهم يشوع بشكل او بأخر خلسة أنه ، هو اللاوي ، هنا معه وأنه لم يتخل عنه في طريقه الأخير ، وأنه يدعو الله أن يوافي الموت يشوع بأسرع ما يمكن . لكن يشوع الذي كان ينظر الى البعيد ، الى حيث كانوا يسوقونه ، لم ير اللاوي بطبيعة الحال ، وما ان قطع المركب نحو نصف فرسخ على الطريق حتى لعت في رأس متى الذي كان وسط الجيهور يزحمة ويدلعه قرب الطوق المضروب فكرة بسيطة وعبقرية . وراح في الحال يصب اللعنات على نفسه لأن الفكرة لم تخطر له من قبل . لم يكن الجنود يسيرون في حلقة مترابطة وكانت بينهم فجوات ، وكان بإمكان العرء فيما لو اوتى حلة كبيرة وحسب واحكم التقدير أن يتخفى ويتصل بين جنديين ويبلغ العربة وينقض عليها . واذك سينقذ يشوع من عذاباته .

تكفيه لحظة واحدة كي يهتف وهو يظن يشوع بالسكين في ظهره : «يايشوع ، اني اقلبك وامضي معك ! أنا متى تلميذك الأمين الوحيد » .

ثم اذا ما انعم الله عليه بلحظة أخرى ، سيكون بإمكانه طعن نفسه وتغادي الموت على خشبة ا وعلى أي حال فهذه النقطة الأخيرة لم تكن تعنى اللاوي جامع العشر السابق الا قليلاً . لا فرق لديه على أي وجه يكون موته . كان يريد شيئاً واحداً - أن يتغادي يشوع الذي لم يسء للناس في حياته قبل اسائة التعذيب .

كانت الحلة في غاية البراعة والاحكام ، لكن المشكلة ان اللاوي لم يكن يحمل خنجرأ ، كما لم تكن معه حتى قطعة واحدة من التتود .

وفي سورة من العثوق على نفسه خرج اللاوي من وسط الصلوف واتدفع عائداً ادراجة الى اورشليم . كانت فكرة واحدة

مضمومة للفرز في رأسه المذهب - ان يحصل على الفور ، وبأي طريقة كانت ، على سكين في المدينة ليعود ويلحق بالموكب .  
 يبلغ أبواب المدينة وما ان انسل في زحمة القواقل المتداخلة عندها الى داخل السور حتى رأى على يساره دكان خبز مفتوحة .  
 كان يردد انفاسه بصعوبة بعد ان قطع الطريق المتروحة بطنى الشمس عدواً ، لكنه تمالك نفسه ودخل الدكان برزانة بالغة وحيا صاحبها التي كانت تلقف خلف الميسط وطلب منها ان تنزل له من الرف الرغيف العلوي الذي لا يدري لماذا أعجبه اكثر من الأرزلة الأخرى ، وما ان استدارت حتى اخذ من فوق الميسط بصمت وسرعة شيئاً لا يمكن ان يكون في الدنيا ما هو افضل منه - سكين خبز طويلة ومشحوفة كالضفيرة ، وانفتح يعدو خارجاً . وما هي الاعدة دقائق حتى كان على طريق يافا ، لكن الموكب كان قد غاب عن الأنظار ، فانطلق يعدو ثانية .  
 وكان يجسد نفسه بين الحين والحين يهوي متسرعاً في التراب ويظل على هذه الحال بعض الوقت ويشأ يسترد انفاسه . وكانت حاله هذه تدفع القادمين الى اورشليم على بغالهم او على الدمامم .  
 كان يتعرج في التراب وهو يستمع الى قلبه يدق ليس في صدره وحسب ، وانما في رأسه وفي اذنيه ايضاً . وبعد ان يسترد انفاسه كان يهب واقفاً ويستأنف العدو انما بسرعة تزداد بطأً .  
 وعندما رأى أخيراً في البعيد الموكب الطويل المجلجل بالخياب ، كان هذا قد وصل الصفح .

- اوه ، يا الهي . . . - قال اللاوي يئن وقد أدرك انه تاخر . وبالفعل كان قد تاخر .

عندما مضت الساعة الرابعة على بدء تنفيذ الحكم كان عذاب اللاوي قد بلغ ذروته . واستبد به حنق عظيم ، فقلد السكين ، التي سرقها عينا كما اعتقد الآن ، على الأرض ، وداس الزمزية بقدميه حارماً بذلك نفسه من الماء ، ونزع عينه عن رأسه وشبث يديه بشعر رأسه القليل واخذ يلعن نفسه .

لعن نفسه مجتهداً بكلمات لا معنى لها ، وخار وبصق وشتم اياه وامه اللذين ولدا أحق مثله .

واذ رأى ان أيامه وشماله لا تفعل فعلها ، وان شيئاً في هذا القليل لم يتغير بسببها ، انفض عينيه وكوّر قبضتيه

اليابستين ورفعهما الى السماء ، الى الشمس الممعة في زحلتها الى  
الاسفل مطاولة الظلال ومقاديرة كي تهبط في البحر المتوسط ،  
وطلب من ربه معجزة على الفور . طلب اليه ان يبعث الى يشوع  
بالموت دون ابطاء .

وفتح عينيه فتأكد ان شيئاً على الرايية لم يتغير سوى ان  
اليقطينين المتوهجتين على صدر قائد المائة قد غبا وهجها . كانت  
الشمس ترفش باشعتها ظهور المحكومين المتجهي الوجه الى  
أورشليم . اذك هتف اللادوي صارخاً :

— اللعنة عليك أيها الرب !

وأردف بصرخ بصوت مبحوح انه اقتنع بظلم الله وانه لا  
ينوي الايمان به بعد الآن .

— انت أصم ! — جار اللادوي — لو لم تكن أصم لسمعت  
لدائي وقتلته للحال .

والمض اللادوي عينيه في انتظار نار تلتفت عليه والصعقة .  
لكن شيئاً من هذا لم يحدث ، فاستأنف دون ان يفتح عينيه  
بصرخ بكلام لاذع ومهين بحق السماء : من خيبة أمه الكاملة ،  
وعن ان هناك آلهة أخرى وديانات أخرى . نعم ، ما كان إله  
آخر ليسمع بان يموت انسان كيشوع حرقاً بلهبب الشمس على  
غشبية . ما كان ليسمع بهذا أبداً .

واستمر اللادوي الذي يح صوته تماماً بصرخ :

— لقد خدعتك فيك ! انت إله الشر ! أم ان الدخان  
المتصاعد من مبخار الهيكل أعمى عينيك تماماً ، ولم تعد اذناك  
تسمعان سوى اصوات الكهنة الجهورية ! انك لست الهأ كلفي  
القدرة ، بل إله أسود . اني العنك يا إله النصوص والقتلة  
وحاميم وملهم !

وهنا لفتح شيء ما وجه العشار السابق ، وعسيس شيء ما  
لعت قدميه . ثم لفتحه تانياً . فتح عينيه فرأى ان كل شيء  
حوله تغير . ولم يدر لم هذا التغير : أيسبب لعناته أم لأسباب  
أخرى لا يدرها . كانت الشمس قد اختفت ولما تبلغ البحر الذي  
كانت تفرق فيه كل مساء ، والغيمة الرعدية التي التهمت ترفلح  
في السماء من الغرب في اصرار ووعيد ، وقد أخذت حواشيها تمور  
بزيد ابيض وكزشها المدخن الأسود يلمع احياناً ببريق اصفر .

كانت الغيمة تعدمم وغيوط من النار تتساقط منها بين الحين والحين . واعمدت الغبار ترتفع على طريق يافا وفي وادي هيون الصحيح وفوق خيم الحجاج الالهيا الرياح التي صفت فجأة . وسكت اللاوي محاولاً أن يرى ما اذا كانت العاصفة الرعدية الزاحفة على اورشليم ستغير شيئاً في مصير يشوع المسكين . واخذ يدعو من فوره . وهو يتأمل غيوط النار تنشق الغيمة السوداء . ان تنقش صاعقة على خشبة يشوع . تطلع اللاوي الى السماء الصافية التي لما تلتها الغيمة السوداء والتي كانت فيها نسور الجيف تتأهب للهروب من وجه العاصفة . وقال في نفسه انه استعجل بشكل جنوني في اطلاق لعناته وان الله لن يسمع دعاءه . حول اللاوي نظره الى سفح الجبل حيث كان فوج الخيالة منتشراً وتسمر اذ رأى التغيرات الهائلة التي طرأت . فقد رأى من مكانه العالي بوضوح الجنود يسعون في نشاط وهم يتزعمون السراج من الأرض ويترجون البرد على اكتافهم . وماسكى الخيول الدمى يقودونها من اعنتها غيباً الى الطريق . كان واضحاً ان الفوج يتأهب للرحيل . وحاول اللاوي . وهو يحمي يده ووجهه من الغبار الذي يسفحه ويهبط . أن يلهم ما معنى رحيل الخيالة الآن . ورفع ناظره الى أعلى قليلاً فتبين شخصاً في بردة عسكرية حمراء يصعد في الجبل الى مكان تنفيذ الحكم . ولحم قلب المشكر السابق برد وسلام لاحساسه بدنو النهاية البهيجة .

كان المصعد في الجبل في الساعة الخامسة من بدء عطايات اللصوص قائد كتيبة وصل من اورشليم بصحبة مرافقه . وبإشارة من قائد الجردان التفتت الحلقة وقدم قائد المائة التحية للأمر . أخذ هذا قائد الجردان جانباً وهمس في أذنه . قدم قائد المائة التحية ثانية وطفى الى فريق الجلادين الجالسين على العجارة عند الاعمدة الخشبية . اما القائد فتوجه الى الذي كان يجلس على الكرسي ذي الثلاث قوائم . فهد هذا يلقاه باحترام . أسر له القائد بوضع كلمات ومضياً معاً الى الاعمدة ثم انضم اليهما قائد حرس الهيكل .

حالت من قائد الجردان التفاتة لجزء الى الخرق الثقلة الملقاة على الأرض عند الاعمدة . هذه الخرق التي كانت الى

فترة لباس المجرمين والتي رفضها الجلادون ، فنادي اثنين منهم  
وأمرهما قائلاً :

- ورائي !

كانت تتناهى من الحرب خشية الفتية بلهاء مبهوطة . كان  
هستاس المعلق على هذه الخشبة قد فقد عقله مع مرور الساعة  
الثالثة على بداية الصلب من الذباب والشمس ، وكان الآن  
يفضي بصوت خفيض كلاماً غير مفهوم عن العشب ، لكنه كان يهز  
رأسه المغطى بعمامة أحياناً فكان الذباب يتطاير من على وجهه  
بفتور ويعود ليحط عليه .

وكان عذاب ديماس المعلق على الخشبة الثانية أمرٌ من  
عذاب الاثنين الآخرين ، لأنه لم يقب من وعيه ، فكان يهز  
رأسه عزات متتالية ومنظمة ، إلى اليمين تارة وإلى اليسار تارة  
كَيْما يحك كتفه بأذنه .

وكان يشوع أسعد الثلاثة حظاً . فمئذ الساعة الأولى من  
بدء تنفيذ الحكم صار يُغشى عليه ثم راح في فيبوبة كاملة وقد  
تدل رأسه الذي حلت عمامته ، فتجمع الذباب والقراد عليه  
بحيث اختفى وجهه تحت كتلة سوداء متحركة . وحط القراد  
المكتنز على حاله وبطنه وتحت أبطيه وراح يعض جسده الأصفر  
العاري .

وبناء على إشارة من الرجل ذي الفلنسوة أخذ أحد الجلادين  
رمحاً وجلب آخر إلى الخشبة سطلاً وأسفنجة . رفع الجلاد الأول  
الرمح ودفق به على يشوع ، الأول ثم الثانية ، المبسوطتين  
والمسدودتين بالحبال إلى عارضة الخشبة ، فاختلف جسده  
بإخلاقه النافرة . ومرّ الجلاد برأس رُمعه على بطن يشوع ،  
وإذ ذاك رفع يشوع رأسه فتطاير الذباب في طنين ، وبان وجه  
المعلق على الخشبة ، وجه تورّم من لدغات الذباب وانتفخت  
فيه العينان ففقد كل ملامح السابقة .

فتح الغانوصري جنونه المطبلة ونظر إلى أسفل . كانت  
عيناه الصافيتان عادة زائغتين الآن .

- أيها الغانوصري ! - قال له الجلاد .

حرك الغانوصري شفطيه المتشلختين وأجاب بصوت أجش

كصوت اللصوص :

- ماذا تريد ؟ ولماذا تشتقي ؟

- اشرب ا - قال الجلاد ، وارتفعت الى شفطي يشوع على رأس رمح اسفنجة مبللة بالماء . لمعت عينا يشوع بالفبطة والتصق بالاسفنجة بشفتيه يمس ماها بنهم . وسنح من الخشبة المجاورة صوت ديسماس يقول :

- هذا ليس هدلاً ! فانا لست مثله .

وحلز ديسماس كل فواء الا انه لم يتمكن من الاثيان بحركة . لان يديه كانتا موقفتين الى ثلاثة مواضع في العارضة بحلقات من الحبال . فقبض بطنه وخرز اطرافه في طرفي العارضة ورأسه باتجاه خشبة يشوع . كانت عينا لتأبجان متواجدة . ولفظت سحابة من الغبار ساحة العملية فاحلولكت الدنيا . وحين انقضت السحابة صاح قائد المائة :

- اخرس انت الذي على الخشبة الثانية !

وخرس ديسماس . ورفع يشوع شفتيه عن الاسفنجة وسألهم بصوت حاول ان يكون رقيقاً ومقنعاً . لكنه لم يفلح فخرج أجس :

- اعطه يشرب .

كانت الللمسة تشتد سواداً وقد لظت الغيبة الرعدية المنطلقة الى اورشليم نصف السماء . وكانت سحابات بيض متأججة تندفع في مقدمة الغيبة المحللة بالماء الاسود والنار . ايرقت السماء وارعدت فوق الراية تماماً . ونزع الجلاد الاسفنجة من الرمح .

- مجد الوالي الشهم ا - هس الجلاد بجلال وطمع يشوع طعنة خفيفة في قلبه . فاختلج هذا وهمس :

- الوالي . . .

والساح الدم على بطنه وارتمش فكه الأسفل في حركة تشنجية ، وتدل رأسه .

وحين نصف الرعد ثانية كان الجلاد يقدم الماء لديسماس ويقول له نفس الكلمتين السابقتين : مجد الوالي ا - ويقتله . ما ان صار الجلاد قرب هيسماس الذي فقد عقله ، حتى اطلق هذا صرخة مذعورة . لكنه ما ان لامست الاسفنجة شفتيه حتى غضم بشيء ما بصوت كالخوار وخرز فيها أسنانه . وما

هي ثوان حتى كان جسده يتدلى على الغشبية قدر ما تسمح به  
الحيال .

كان الرجل ذو القلنسوة يتبع الجلاء وقائد المائة وخلقه  
رئيس حرس الهيكل . توفى الرجل ذو القلنسوة عند الغشبية  
الأولى . وتأمل جسده يشوع المدمى ولمس بيده البيضاء قدمه  
وقال لمرافقيه :

- لقد فارق الحياة .

وتكرر هذا القول عند الغشبتين الثانية والثالثة .

بعد هذا أوما قائد الكتيبة لقائد المائة . تم استدراك يهبط  
التلة مع رئيس حرس الهيكل والرجل ذي القلنسوة . حل ما  
تكاد يكون نصف ظلام . كانت البروق تشق السماء السوداء  
وانبثقت من جوف السماء نار وخرقت صرخة قائد المائة «فكروا  
الطوق» في قصفة رعد . وخرج الجنود يهربون سعداء من التلة  
وهم يحتمرون خوذهم . وغطت الظلمة اورشليم .

ولجأة انهر مطر غزير وأدرك المئات في منتصف الطريق  
على الرابية . كان المطر يهطل بشكل مريب بحيث أدركت  
السيول الهادئة الجنود وهم يظفرون واكضمين الى الأسفل . كان  
الجنود ينزلقون ويستطون في الطين الرطب مسرعين الى الطريق  
الستوي الذي تنطلق فيه الغيالة المبللة حتى العظم وهي لا تكاد  
تبين في غشاوة الماء متجهة الى اورشليم . وفي دقائق لم يبق  
على الرابية في هذا المزيج المدخن من العاصفة الرعدية والماء  
والنار الا شخص واحد . كان هذا الشخص يصعد في الجبل الى  
الأعمدة الخشبية . وهو يهز سكينه التي لم يسرقها سوى .  
متشبهاً تارة بما تقع عليه يده . زاحفاً تارة أخرى على ركبتيه  
منزلقاً من الحوافي الثالثة . كانت العثة القاتمة تغمره تارة  
وتارة أخرى يغمره النور المهتز .

ما ان بلغ الغشبات حتى كان في الماء حتى رسغيه . نزع  
سترته المشبعة بالماء التي اظحت ثقيلة فلم يعد يسترد الا  
قميص . وهوى على قدمي يشوع فقطع الحبال عن ساقيه وصعد  
على العارضة السفلية فعانق يشوع وحرر يديه من قيودهما  
العلوية . هوى جسده يشوع العاري البليل على اللادوي وطرحه  
أرضاً . أراد اللادوي من لورده أن يجعل يشوع على كتفيه . لكن



فكرة ما أوقفته ، فترك على الأرض في الماء الجسد برأيه الملقى  
إلى الخلف ويدبسه المتباعدتين وهرج يخرق في الطمسي إلى  
الخشبتين الأخرين ، ققطع جبالهما ، وهوى الجسدان الأخران  
على الأرض .

ولم ترض بضع دقائق حتى لسم يبق على قمة الربوة إلا  
هذان الجسدان وثلاثة أعمدة فارغة . وكان الماء يتدفق ويدهرج  
هذين الجسدين .

أما اللاري وجسد يشوع فقد اختفيا من قمة الجبل .

## الفصل السابع عشر

### نهار مضطرب

في صباح يوم الجمعة ، أي في اليوم الذي تلا تلك الحفلة  
اللعيبة كنت ترى العاملين في «فاربيتيه» - رئيس المحاسبين  
فاسيلسي ستيبانوفتش لاستوثسكين ، والمحاسبين الأخرين  
والضاربات الثلاث على الآلة الكاتبة ، وقاطعتي التذاكر والسعاة  
والمراقبين وعاملات التنظيف - وباختصار كنت ترى كل من  
على ملاك مسرح «فاربيتيه» يجلسون على حوافي التوافذ المطلة  
على سادوفايا وليس في أماكنهم يزالون أعمالهم المعتادة ، وهم  
يتنظرون إلى ما يجري عند جدار المسرح . كان طايور غليير من  
الناس تمتد مؤخرته حتى ميدان كودرينسكايا قد تجبر في  
صفيين ، وكسان يقف على رأس هذا الطايور نحو عشرين من  
المتأخرين بالبطافات المعروفين جيداً في أوساط موسكسو  
المرحية .

كان الاضطراب الشديد يعترى الواقفين في الطايور المتهمين  
في مناقشة قصص منيرة عن حيلة السحر الشيطاني أمس التي  
لم يسمع بمنزلها من قبل الأمر الذي لفت انتباه المواطنين  
الأخرين المتدفقين زرافات ووحداً فرهم . ووقعت هذه  
الروايات في قلب المحاسب فاسيلسي ستيبانوفتش الذي لم يحضر

حفلة الأسي بلبلة عظيمة . وروى المراقبون قصصاً ما أنزل  
الله بها من سلطان . منها ان بعض المواطنين خرجن الى  
الشوارع بعد انتهاء الحفلة الشهيرة يركضن فيه في مظهر غير  
لائق واشياء أخرى من هذا القبيل . كان فاسيلي ستيبانوفتش  
المفاوض والهادئ يغمز عينيه فقط وهو يستمع الى اقوالهم  
حول كل هذه الغرائب دون أن تتكون لديه أي فكرة عما يجب  
ان يفعل . ومع هذا كان من الضروري اتخاذ اجراء ما ، وعليه  
هو بالذات ان يتخذ هذا الاجراء . لأنه كان الآن الاقدم في فريق  
«فاربيتيه» .

ما ان فاربت العاشرة صباحاً حتى كان طاير  
المتعطشين الى البطاقات قد انتفخ بحيث وصلت عنه اشاعات  
الى الشرطة . وخفت هذه بطاقات من المضادة والخيانة الى مسرح  
فاربيتيه بسرعة مدعشة واعادت الى الطاير بعض النظام . الا ان  
الحية بطول كيلومتر اصبحت . حتى وهي تلف في نظام . تمثل  
بذاتها مصدر انحاء كبير . واولعت في نفوس المواطنين في  
سادوقايا دعشة كاملة .

هذا ما كان خارج «فاربيتيه» . اما داخله فكان الامر في  
غاية السوء ايضاً . فبعد الصباح الباكر اخذت الهوائى ترن  
وظلت ترن دون انقطاع في مكتب ليخوديف وفي مكتب ريسكي  
وفي المحاسبة وفي شباك التذاكر وفي مكتب فارينوفا . في اول  
الامر رد فاسيلي ستيبانوفتش بكلام مسا . كما ردت بالعة  
التذاكر . وجمجم المراقبون شيئاً ما في الهاتف . لم كانوا نهائياً  
من الرد لأنه لم يكن لدى أي كان على الاطلاق ما يرد به على  
اسئلة كهذه : اين ليخوديف ؟ اين فارينوفا ؟ اين ريسكي ؟  
في اول الامر حاولوا التخلص بالقول «ليخوديف في شقته» . لكن  
الجواب كان ياتيهم من المدينة بانهم هتفوا الى شقته فردت  
الشفة بان ليخوديف في «فاربيتيه» .

وهتفت سيدة مثارة واخذت تطالب ريسكي . فنصحوها  
بالاتصال بزوجته . لكن السعافة اجابت . وهي تنتحب . انها  
هي زوجته وان ريسكي لا وجود له في أي مكان . بدأ الامر  
ياخذ مجرى غير معقول . وكانت عاملة النظافة قد اخبرت الجميع  
انها حين حضرت الى مكتب المدير العالي لتنظيفه رات الباب

مفتوحاً والمصابيح مشتعلة والنافذة المطلة على الحديقة مغلقة  
والمفعد ملقى على الأرض ، كما لم نجد أحداً في المكتب .  
وفي بداية الحادية عشرة اندفعت الى داخل فاربيتية مدام  
رييسكايا وهي تنتحب وتلوي يديها . ارتبك فاسيلي  
ستيبانوفتش ارتباكاً شديداً ولم يدمر ما ينصحها به . وفي  
منتصف الحادية عشرة حضرت الشرطة . وكان أول سؤال  
طرحته . وهو سؤال معتول تماماً . التالي :

- ما الذي يجري عندكم . أيها المواطنون ؟ ما الأمر ؟  
تراجع فريق الموظفين تاركاً فاسيلي ستيبانوفتش الشاحب  
والعضطرب في المقعدة . ولم يكن بد من تسمية الأشياء  
باسمائها . والاعتراف بأن ادارة «فاربيتية» . مثقلة بمديرها  
العام ومديرها المالي ومديرها الإداري . قد اختفت ولا يعرف  
مكانها . وأن عريف الحفلات نقل بعد حفلة أمس الى مصحة  
تفسية . وأن حفلة أمس كانت . باختصار . حفلة فضائح .  
طلبوا من مدام رييسكايا المنتحبة العودة الى البيت بعد أن  
هدؤوا من روعها قدر ما استطاعوا . وأبدوا أكثر ما أبدوا من  
الاهتمام بحديث عاملة النظافة عن الحالة التي وجدت فيها مكتب  
المدير المالي . وطلبوا من الموظفين التوجه الى أماكنهم  
والانصراف الى عملهم . وبعد قليل ظهر رجال التحقيق في مبنى  
فاربيتية يصحبهم كلب مرهف الأذنين قوي العضلات ذو عينين  
حادتي الذكاء ولون بلون رمساده السيجارة . وسرت في موظفي  
«فاربيتية» همسات بأن الكلب ليس سوى توزبويين الشهير .  
وبالضبط كان توزبويين . وبهت الجميع لتصرفاته . فما إن عدا  
الى مكتب المدير المالي حتى هرر مكشراً عن أنياب صفر مخيفة .  
ثم تمدد على بطنه وأخذ يزحف الى النافذة المحطية وقد ارتسست  
في عينيه أمارات الغم والفضب في أن . وفجأة . وبعد أن كبح  
خوفه . وثب الى حافة النافذة . وأخذ يهرر هريراً وحشياً ورائعاً  
وقد رفع سحنته الحادة الى الأعلى . لسم يكن يريد أن يفادر  
النافذة . كان يهرر وينتفضر ويتحفز للقفز الى أسفل .

اقتيد الكلب خارج المكتب وأطلق في الردهة . حيث خرج  
منها عبر الباب الرئيسي الى الشارع قائداً المحققين وراءه الى

موقف سيارات الأجرة . وهناك أضاع الأثر الذي كان يلتقيه .  
بعد هذا أخذ توزيويين .

أقام المحققون في مكتب فارينوغا ، وأخذوا يستدعون موظفي «فاريتيه» الذين شهدوا الأحداث التي جرت أثناء حطلة الأسم  
وأحداً بعد الآخر . وينبغي القول أنه كان على هيئة التحقيق أن  
تدلل في كل خطوة من خطواتها صعوبات غير متوقعة . وكان  
خيط الأحداث ينتطح من حين لآخر بين أيديها .

الإعلانات الصقت ؟ نعم . الصقت . انصبا أثناء الليل  
الصقت إعلانات جديدة . والآن لا أثر حتى لواحد منها . من  
أين ظهر الساحر نفسه ؟ لا يدري أحد . لا بد أن اتلاقا معه  
معه إذن ؟

- لا بد من افتراض ذلك . - أجاب فاسيلي ستيبانوفتش  
المضطرب .

- إذا كان هناك عقد . فلا بد أن يمر على المحاسبة .  
اليس كذلك ؟

- بكل تأكيد . - أجاب فاسيلي ستيبانوفتش وهو  
مضطرب .

- أين العقد إذن ؟

- لا يوجد عقد . - أجاب كبير المحاسبين وهو يبسط  
ما بين يديه وقد ازداد شجوباً وإرتباكاً . وبالفعل لم يعثر في  
أضابير المحاسبة ولا لدى المدير المالي ولا لدى ليخوديفف ولا  
لدى فارينوغا على أي أثر للعقد .

وما كنية هذا الساحر ؟ فاسيلي ستيبانوفتش لا يعرف  
كنيته . فهو لم يحضر الحفلة يوم أمس . والعراقبيون لا يعرفون .  
أما قاطعة التذاكر فقد قطبت حاجبيها . قطبت حاجبيها . وفكرت  
وفكرت . ثم قالت أخيراً :

- فور . . . يبدو أن اسمه فولند .

ولعله ليس فولند ؟ ممكن ألا يكون فولند . ربما كان  
قائد .

وتبين في مكتب الأجانب أنهم لم يسمعوا هناك بأي ساحر  
اسمه فولند أو قائد .

واعلمهم الساعي كاربوف أنه يبدو أن الساحر إياه نزل في

شقة ليخوديف . واسمها للتر بطبيعة الحال الى شقة ليخوديف فلم يفتروا على أي ساحر . كما ان ليخوديف نفسه لم يكن موجوداً . والخاتمة لغرونيا لم تكن هي الأخرى موجودة ولا أحد يعرف أين اختفت . ورئيس الجمعية نيكانور ايفانوفتش لم يكن موجوداً . ويزولجنيف أيضاً غير موجود .

يقينا أن ما يجري أمر يتناثر وأي منطق : اختفت ادارة المسرح . وامن اقيمت حفلة ليلية قاضحة . اما الذي اقامها والذي اوحى بها فلا يعرف عنهما شيء .

خلال ذلك كان النهار يقترب من منتصفه . أي الوقت المفروض ان يفتح فيه شبك التذاكر . لكن هذا الموضوع لم يعد . بطبيعة الحال وارداً على الاطلاق فقد عثقت على ابواب «فارييتيه» قطعة ضخمة من الورق الملوي كتب عليها : «تلفى حفلة اليوم» . واخذ الاضطراب يسري في الطابور . بدأ من راسه . لكنه رغم ذلك أخذ ينفطر . ولما تبض ساعة تقريباً حتى لم يبق منه أثر في سادوفايسا . وغادرت هيئة التحقيق لتواصل عملها في مكان آخر . وصرف الموظفون الا المناوبين . وانقلت ابواب «فارييتيه» .

كان ينبغي على المحاسب فاسيلي ستيبانوفتش ان يقوم بعملين عاجلين : اولاً ان يذهب الى لجنة العروض التمثيلية والترفيهية الخفيفة ليرفع اليها تقريراً عما حدث البارحة . وثانياً ان ينضم الى الادارة المالية للجنة المذكورة ليسلمها حصيلة يوم أمس أي (21711) روبلاً .

صرّ فاسيلي ستيبانوفتش التجد والمذيق القنود في ورقة جرائد وقف الرزمة بخيط مصبى ودسها عميقاً في حقيبته . وبوصفه موظفاً يحفظ التعليمات بشكل رائع لم يتوجه الى الباس أو الترام . بل الى موقف سيارات الأجرة .

ما ان رأى ثلاثة من السائقين هذا الراكب الذي بحث الخطأ الى الموقف وهو يحمل حقيبة منتفخة . حتى انطلقوا من امامه بسياراتهم فارغة وهم يتلفتون حولهم يعبون لا يدري لماذا كانت تفتح بالشر .

صعق المحاسب لهذا التصرف . فوقف بعض الوقت مشدوهاً يفكر فيما يمكن ان يعنيه هذا .

وبعد نحو ثلاث دقائق وصلت سيارة خالية . وما إن رأى  
سائقها الراكب حتى لوى وجهه .  
- السيارة خالية ؟ - سأل فاسيلي ستيبانوفتش بعد أن  
أجّ استغراب .  
- ارني التفود . - اجابه السائق بنظرة دون أن يرفع  
بصره اليه .  
وتعاطت دعشة فاسيلي ستيبانوفتش . ومع هذا فقد شد  
على حقيبته التمينية تحت ابطه . وأخرج من حافظته تفوده  
تشيروفوتسا وأراه السائق .  
- لن اذهب . - قال له السائق باختصار .  
- العلو . . .  
ولم يهله السائق بكلم . بل قاطعه قائلا :  
- هل لديك من فئة الثلاثة روبلات ؟  
أخرج المحاسب الذي استبد به ذهول كامل قطعتين من فئة  
الثلاثة روبلات وأراهما السائق .  
- اصعد . - صرخ هذا وتخط على مفتاح العداد بحيث كاد  
يحطه . - هيا .  
- هل أفهم ان ليس لديك «فراطة» ؟ - سأل المحاسب  
برجل .  
- جيبى ملان بالفراطة ! - جاز السائق بينما انعكست في  
المرآة عيناها المحتلفتان بالدم . - انها الحادثة الثالثة معي  
اليوم . وحدث مثلها لآخرين . يصعد معي واحد ابن كلب  
ويعطيني تشيروفوتسا . فاعيد له الباقي - اربعة روبلات  
وخمسين كوبيكا . . . وينزل . الوغد ! وبعد خمس دقائق  
انظر فاذا التشيروفوتسا عبارة عن ورقة من تلك التي تلتصق  
على فتالي لارزان ! - وهنا تفوه السائق بكلمات بذينة لا يصح  
ايرادها . - وآخر عند ساحة زوبولسكايسا . اعطاني  
تشيروفوتسا . فارجمت له ثلاثة روبلات ونزل . بعدما مدت  
يدي الى صرة التفود فاذا بتحفة تخرج منها وتلسع اصبعي ا  
ياله . . . - (وهنا قلب السائق مرة أخرى وضع كلمات لا  
يصح ايرادها) . - ولا وجود للتشيروفوتسا ! الباردة في مسرح  
«فارييتيه» هذا (وهنا ايضا كلمات بذينة لا يصح ايرادها) أقام

أحد المشعوذين الأوباش حيلة بهذه التضمير فوتتساب (وهنا أيضا كلمات من المستوى السابق) .

صنع المحاسب وانكس على نفسه واتخذ وجه "من" يسمح بكلمة «فاريثيه» لأول مرة ، فيما كان يقول في نفسه : «يالها من أمور . . .»

بعد أن وصل المحاسب الى حيث كان يجب أن يصل ، ودفع الحساب للمصالح بسلام دخل المبنى واندفع في العمر الى مكتب رئيس القسم ، لكنه أدرك ، وهو لما يزال يظني اليه ، انه أتى في وقت غير مناسب . فقد كانت جلبة لا يدري عنها تسود دائرة العروض التمثيلية ، وعرفت بجانب المحاسب ساعة يمددها المائل على قدمها وعينها المحلقتين . هي تصبح ولا تدري لمن توجه صياحها :

- غير موجود ، غير موجود ، غير موجود يا عزائي ا الجاكيته والينطال هنا ، لكن لا شيء داخل الجاكيته !

واختفت في أحد الأبواب ، وسمعت اترها أصوات أوان تتحطم . وخرج من غرفة السكرتيرة المسؤول عن القطاع الأول في اللجته . وكان من معارف المحاسب ، لكنه كان في حالة لم تمكنه من التعرف على المحاسب واختفى دون أثر .

بلغ المحاسب الذي هزم ما رأى وسمع لغرفة السكرتيرة التي كانت بمثابة مدخل الى مكتب رئيس اللجنة ، وهنا صنع نهائياً .

فقد تنهى اليه من وراء باب المكتب المطلق صوت غاضب ، هو صوت بروخور بيتروفنتش ، رئيس اللجنة ، دون شك . «اتراء يوبغ احدأ ما ؟» - فكر المحاسب المضطرب في سره والتفت فرأى شيئاً آخر : كانت تستلقي على مقعد جلدي وثير مادة" سابقها حتى وسط الغرفة تقريباً السكرتيرة الشخصية لبروخور بيتروفنتش - الغادة" الحسناه أنا وبتشاردوفنا وهي مشرطة في نحيب لا يتوقف وفي يدها منديل مبتل ورأسها يميل على ظهر المقعد .

كانت ذفن أنا وبتشاردوفنا ملونة كلها بأحمر الشفاء ، وعلى خديها الدراليين تتساج شأ يبيب سود من الطلاء الحائل اللون .

وإذ رأت آنا ويتشاردوفنا أن شخصاً ما دخل ، وثبتت من مقعدها واندهعت إلى المحاسب وتثبتت بالطراف جاكيتته وراحت تهزه وتصرخ :

- الحمد لله ! و'جيد' على الأكل انسان شجاع واحد ! جميعهم هربوا ، جميعهم خالوا ! هيا بنا إليه فلست أدري ما الفعل ! - وجرت المحاسب إلى المكتب وهي لا تزال تنتحب . نور إن ولسج المكتب ، سقطت المحفظة من يده وانقلبت الإنكار في رأسه رأساً على عقب . وينبغي القول : كان هناك ما يستحق ذلك .

كانت بذلة خالية تجلس إلى مكتب ضخم عليه دوازة ضخمة ونير بريشة جافة غير مضموسة في الحبر على ورقة . كانت البذلة معقودة بربطة عنق ، ومن جيبتها الأعلى يتمدى قلم حبر . لكنه لم يكن فوق ياقعتها رقبة ولا رأس . كما لم تظهر من فتحتي الكمين أرساغ اليدين . كانت البذلة منهكة في عملها دون أن تلاحظ نهائياً البلبلة والاضطراب السالدين حولها . وإذا سمعت البذلة أحدهم يدخل ، استلقت في مقعدها إلى الوراء قليلاً ، وعلا فوق الياقة صوت بروخور بيتروفيتش الأليف جسماً إلى أذن المحاسب :

- ما الأمر ؟ ألم تفرقوا على الباب أنني لا أستقبل .

زحقت السكرتيرة الحسنة وهي تلوي يديها :

- رأيتهم ؟ رأيتهم ؟ غير موجود ! غير موجود ! أعيده . أعيده !

وهنا مد أحدهم رأسه من الباب وتارة وتراجع فوراً . أحس المحاسب برهضة تسري في رجلينه فجلس على طرف الكرسي . لكنه لم ينس أن يتناول حقيبته من الأرض . كانت آنا ويتشاردوفنا تفلز حول المحاسب وتضده من جاكيتته وتصرخ :

- كنت دائماً ، دائماً أوقفه حين يأخذ بالشمع مستعيناً بالشياطين . وهاهم أولاء أمانوه تماماً ! - وهنا دنت الحسنة من المكتب عدواً ونادت بصوت رفيق شابته خنة بعد البكاء :

- بروشا \* ! أين أنت ؟

\* اسم تصغير وتدليل من بروخور ، المترجم .



- من يكون «يروشا» هذا بالنسبة لك ؟ - استظرت  
الجاكيته بتعال وهي تعوض في ملتحها أعرق قاعق .  
- لم يعد يعرفني ا لسم يعد يعرفني ا اتلهون ؟ -  
وانخرطت السكرتيرة في النحيب نالية .  
- أرجو عدم الانتعاب في المكتب ، - قالت الجاكيته  
المخططة السريعة الانفعال وقد اخذ الغضب يدب في صوتها ،  
وسحبت بكمها رزمة جديدة من الأوراق اليها بقصد وضع قرارات  
عليها كما كان واضحاً تماماً .  
- لا ، لا يستطيع ان ارى هذا ، لا ، لا يستطيع ا -  
صاحت آنا ريتشاردوفنا وعادت ال غرفة السكرتيرة وانطلق  
المحاسب لى اثرها كالرصاصة .  
- تصور ، كنت جالسة ، - قالت آنا ريتشاردوفنا تروي  
ما جرى وهي تنتفض من الاضطراب وتتشبث بكم المحاسب من  
جديد ، - فاذا بلفظ يدخل ، قط أسود مكتنز كجايوس النهر ،  
صحت فيه طبعاً «بس» خرج القط ، ودخل بدلاً منه شخص  
يدين بسحنة تشبه سحنة القط أيضاً وقال : «ما هذا ايتسا  
المواطنة ، كيف تصرخين «بس» في وجه المراجعين ؟» وعضى ال  
بروخور بيتروفتش مباشرة ، وأنا في التره بطبيعة الحال اصرخ :  
«هل جنت ؟» - لكنه ، الوقح ، لم يبال بل دخل عليه وجلس  
هل المقعد قبالة ا هكذا . . . بروخور بيتروفتش انسان في  
قاية الطيبة لكنه عصبي ، نار ا لا اعترض ، انسان عصبي ،  
يعمل كالبغل ، ثارت ثائركه : «لماذا تتسلل ال هتسا دون  
استئذان ؟» ، وذلك الوقح ، تصوروا ، ارتس على الكرسي  
وقال له وهو يتنسم : «جنت اتحدث اليك في امر صغير» .  
وثارت ثائرة بروخور بيتروفتش من جديد : «انا مشغول» .  
امسا ذاك ، تصوروا فقط ، لقد اجابته : «لست مشغولا  
بشيء . . . آ ؟ وهنا بالطبع نقد صبر بروخور بيتروفتش  
لصرخ : «ما هذا ! اخرجوه ، لتأخذني الشياطين !» تصوروا :  
ابتسم ذلك وقال : «لتأخذك الشياطين ؟ لا بأس ، هذا ممكن ا»  
وهوب ، قبل ان تنطلق صرختي ، نظرت فاذا بصاحب السحنة  
التي كسحنة القط قد اختلى ، والجاكيته . . . تج . . . تج . . .

تجلس . . . هيبس ! - عوت آنا ريتشاردوفنا وقد مطت فيها  
الذي فقد كل ملامحه .

ويعد ان شجعت نحيباً استردت انفسها لكنها اخذت تنفوس  
باشياء غير مترابطة :

- 'تكتب' وتكتب وتكتب اشيء - يعجزن ا بالهالف تتكلم ا  
الهدلة ا جميعهم هربوا كالأواب ا

ولم يعلق المحاسب شيئاً سوى انه كان يلف ويرتجف .  
لكن القدر انقذه . اذ دخل غرفة السكرتيرة بمشية هادئة لاناس  
يزدرون عملاً الثنان من رجال الشرطة . وما ان راتهما الحسناء  
حتى انخرطت في نحيب اشد واعلى وراحت تلوح بيدها باتجاه  
باب المكتب .

- هيا بنسا نكف عن النحيب . اينها الواطنة . - قال  
الشرطي الأول يهدوء . اما المحاسب فوثب من غرفة السكرتيرة .  
بعد ان شعر انه اصبح انساناً زائداً هنا . وفي دقيقة كان في  
الهواء الطلق . احس بما يشبه مجرى هواء في راسه . وبطنين  
كما في قسطنطنية . وفي هذا الطنين كان يتردد بعض من روايات  
المراقبين في المسرح عن قط البياضة الذي اشترك في الحفلة .  
«اي . ي . ي . ي ا ترى اليس هذا قطنا ؟»

ولمّا لم يخرج فاسيفي ستيفانوفتش الخزيمه بنتيجة من  
حضوره الى اللجنة . قرر الذهاب الى فرعها الكائن في زفان  
فالمانكوفسكي . ولكن يهدى من روعه قليلاً قطع الطريق اليه  
على قدميه .

كان فرع المدينة للعروض التمثيلية في دار منعزلة تشر  
ملازها يعلق الزمن منزوية في عمق فناء . وكان مشهوراً بأعمدة  
بهذه المنحوتة من الصخر الأرجواني .

لكن لم تكن الأعمدة هي التي اذهلت اليوم زوار الفرع .  
بل ما كان يجري تحتها .

كان بعض الزوار يقفون مبهوتين وهم يتأملون شابة تجلس  
الى طاولة عليها كتب خاصة بالتمثيلات وهي تبكي . كانت  
الشابة هي التي تقوم ببيع هذه الكتب . لكنها . في اللحظة  
الراهة . لم تكن تعرض على أحد شيئاً منها . بل كانت تعرض  
عن الاجابة على الاسئلة المتعبة بالتعاطف الموجبة اليها . في حين

كان يدوي من فوق ومن تحت ومن الجوانب ومن كل اقسام  
الفرع وتبين هاتف ينطلق على الاقل من عشرين جهازاً تكاد  
«عناجرها» تتزق .

ذوت الفتاة قليلاً من الدعج ثم ارتعدت فجأة وصرخت  
بصوت هستيري :

- مرة ثانية ! - وانطلقت تغني فجأة بصوت سوبرانو  
واعلى :

بعر مجيد ، بايكال المنلس \*

لوح الساعي الذي لاح على الدرج لاحدهم بلبضته متوجعاً ،  
وانشد مع الفتاة بصوت جهوري كاب غير رغييم :

المجد للمقارب برميل الاسماك . . .

وانضمت الى صوت الساعي اصوات اخرى بعيدة ، وتضخمت  
الجوقة واغبراً عدوت الاغنية في كل زوايا الفرع . ومن اقرب  
غرفة ، الغرفة رقم ٦ حيث قسم الحسابات والتدقيق ، ظهر على  
غيره من الاصوات صوت من الطبقة الشمالية قوي ذو بعة . وكان  
يرافق الجوقة طنطنة متعاشمة من اجهزة الهاتف . كان الساعي  
يزعق على الدرج :

ايه ربح الشمال . . . حركي الامواج . . .

كانت الدعوج تنهر من عيني الفتاة وكانت تحاول العض  
على فواجعها ، لكن فيها كان يثقلح من تلقاء نفسه ، وكانت  
تغني بصوت ثمانى الطبقات اعل من الساعي :

ما زالت المسافة قليلة !

---

\* اغنية روسية قديمة عن المسجين الشاب الذي حرب من سجنه .  
المترجم .

وما اذهل زوار الفرع الصامتين أن أعضاء الجوقة المنتشرين في أماكن مختلفة كانوا يشدون بانسجام كبير وكان الجوقة كلها لا ترفع طرفها عن قائد غير مرئي .

وكان المسارة في زقاق قاغانكولسكي يتوقفون قرب سياج الغناء دهشين من المرح السائد في الفرع .

ما إن بلغ المقطع الأول نهايته ، حتى سكث الغناء فجأة وكانا ، مرة أخرى ، بإشارة من عصا قائد الجوقة . أطلق السامعي شتية خالفة واختفى . وهنا افتتح الباب الرئيسي وبان فيه مواطن في معطف صيفي تتدلى تحته أذيال رداء أبيض وبعه شرطى .

- تصرف ، يادكتور ، اتوسل اليك ، - صاحت الفتاة بصوت هستيري .

ظهر سكرتير الفرع على الدرج وقال بصوت متلعثم وهو يتعرق حياء وارقبها كما على ما يبدو :

- يظهر ، يادكتور ، أن عندنا حالة تنويم مغناطيسي جماعي . . . . . وعلى هذا فمن الضروري . . . . . ولم يكمل جملة إذ أخذ يفص بكلماته ، وفجأة أخذ يفنى بصوت تينور :

### في المنافي البعيدة . . . .

- أحق ! - صرخت الفتاة لكنها لم توضح الشخص المقصود من شتيمتها ، وأخذت بدلاً من ذلك تدندن لحنًا كأنما كان شخص ما يخرج من فيها عتوة ، وارتفع صوتها بالفنية السجين الشاب .

- تما لك نلسك ا كف عن الغناء ! - قال الدكتور موجهاً كلامه إلى السكرتير .

كان كل شيء يدل على أن السكرتير نفسه مستعد لبذل أي شيء ، على أن يتوقف عن الغناء ، لكنه لم يستطع مع هذا التوقف وحمل مع الجوقة إلى أسمع المارة في الزقاق بشرى أن الوحش المفترس لم يمسسه ، ورماض الفتاة لم يدركه في الإدغال .

ما إن انتهى المقطع حتى كانت الفتاة أول من ناولها الدكتور

جرعة من الولايريان ثم هرع اثر السكرتير يصفي الآخرين .  
- العلو ، ايها المواطنة ، - توجه فاسيلي ستيبانوفتش  
الى الفتاة يسألها فجأة ، - ألم يمر عليكم قط أسود ؟  
- اي قط هذا ؟ - قالت الفتاة في حنق ، - عندنا في  
الفرع حمار ، حمار ا - واستطردت : - ليسعش ا ساووي  
لك كل شيء .

وبالفعل روت كل ما حدث وعرف من كلامها ان رئيس فرع  
المدينة «الذي «غرب» العروض الترفيهية الخليفة» (على حد قول  
الفتاة) كان يعاني من هوس تنظيم مختلف انواع الحلقات .  
- كان يضلل المسؤولين ا - جارت الفتاة .

وقد تمكن خلال عام من تنظيم حلقة دراسة عن ليرمنتوف  
وحلقة شطرنج وداما ، وكرة طاولة وحلقة لروسية . ومع  
اقتراب الصيف اخذ يهمد بتنظيم حلقة تجديد في المياه الحلوة ،  
وحلقة تسلق جبال .

واليوم بالذات ، في استراحة الغداء ، دخل علينا . . .  
- كان يشاهد ذراع واحد اين كلب لا ننوي من اين جاء  
به ، - قالت الفتاة ، - شخص في سروال ذي مربعات ونظارة  
اغنية متصدعة و . . . سخنة فظيعة جداً ا

وعلى الفور (والحديث لا زال للفتاة) قدمه لكل الذين كانوا  
يتناولون غداهم في مطعم الفرع على انه اختصاصي مرموق في  
تنظيم حلقات الغناء الجماعي .

تجهت وجوه متسلسق الجبال العتيدين ، لكن رئيس الفرع  
اسرع على الفور يناشد الجميع عدم الاستسلام للباس والقنوط ،  
اما الاختصاصي فاخذ يمزج وينكت ويؤكد شافعا تأكيداتنه  
بأغلب الايمان انه لن يأخذ من وقتهم للغناء الا اقل القليل ،  
وان القائدة التي سيجهونها منه ، بالمناسبة ، لا تقدر بشئ .  
وبطبيعة الحال (والرواية لا زالت للفتاة) كان فانوف  
وكوسارتشوك ، وهما أشهر متزلقين في الفرع ، اول من حب  
من مكانه واعلنا انهما يسجلان اسميهما في الحلقة . وهنا ايضاً  
الموظفون الآخرون ان لا مقر من الغناء ، وبالتالي اضطروا الى  
تسجيل اسمائهم . وتقرر الغناء في استراحة الغداء ، لان الجميع  
كانوا مشغولين في الأوقات الأخرى بليرمنتوف والداما ، ورغبة

من رئيس الفرع في ان يكون القدوة اعلني انه يملك صوت  
تينور . ومن هنا بدأ كل شيء ، وكأنه حلم نطيع . فقد صرخ  
اختصاصي الغناء الجماعي ذو المربعات :

- دو - مي - صول - دو ا - وسحب اكثر الموجودين  
حياء من وراء الخزن التي حاولوا التخلص من الغناء بالاختفاء  
وراسها . وقال لكوسارتشوك ان لديه (اي لدى كوسارتشوك)  
حاسة سمعية لا تخطئ . وان واشتكي ورجاهم احترام قائد  
كورس قديم . وتقر بالزنازة على اصابعهم وهو يتوسل اليهم  
ان ينشدوا «البحر الجيدة» بصوت قوي .

ودوت اصواتهم . دوت بشكل رائع . وبالفعل كان ذو  
المربعات يعرف عمله حق المعرفة . وانتهينا من المقطع الاول .  
وهنا قال قائد الكورس يعتذر : «خارج لدقيقة ا» و . . . اختلفي .  
اعتقدنا انه . بالفعل ، هائل بعد دقيقة . لكن مررت عشر دقائق  
ولم يعد . وشمرت الفرحة قلوب الموظفين - لقد هرب .

ونجاة ، لست ادري كيف . انشدنا المقطع الثاني من  
تلقاء انفسنا . وكان يتودنا كوسارتشوك . قد لا يكون  
لكوسارتشوك حاسة سمعية لا تخطئ . لكنه ذو صوت تينور  
عال لطيف نوعاً ما . انتهينا من المقطع الثاني . وقائد الكورس  
لياً بعد ا واخذنا نتحرك عائدتين الى اماكننا . لكن ما ان جلسنا  
حتى اخذنا ننشد على كره منا . لم يعد هناك ما يوقلنا . نصمت  
نحو ثلاث دقائق ثم تعود الى الانشاد . ثم نصمت لتعود اليه ا  
هنا ظننا ان مصيبة حلت بنا . اما رئيس الفرع فمن خزيه اخلق  
على نفسه باب مكتبه .

وهنا انقطع حديث الغناء . اذ فقدت جرعة الوليبريان  
مفولها .

وبعد ربع ساعة كانت ثلاث شاحنات تقرب من السيساج  
الذي في زقاق فالمانكوفسكي وتحمل كل موظفي الفرع وفي مقدمتهم  
رئيسه .

وما ان اجتازت الشاحنة الاولى البوابة الى الزقاق وهي  
تسابل حتى فتح الموظفون الذين كانوا يقفون في صندوقها  
مستكين بعضهم باكتاف بعض افواههم ودوى الزقاق بالغمية  
شائعة . وتلقت الغميمة الشاحنة الثانية ثم الثالثة . وهكذا

انطلقت الشاحنات . وكان المارة المرحون الى شؤونهم يلتقون  
على الشاحنات مجرد نظرة عابرة لا تنسى بأي دهشة ظناً منهم  
انها رحلة الى ضواحي المدينة . وبالفعل كانت الشاحنات تنجس  
الى ضاحية المدينة ، ولكن ليس في رحلة . بل الى مستشفى  
البروفيسور سترافنسكي .

وبعد نصف ساعة وصل المحاسب الذي فقد صوابه تماماً  
الى القسم المالي التابع لهيئة العروض التمثيلية على أمل أن  
يتخلص نهائياً من الأموال العامة التي يحملها . وبدأ المحاسب  
المحاسب ، الذي علمته التجربة وحكته . نظرة حذرة الى القاعة  
المتطاولة حيث جلس الموظفون وراء الواج زجاجية رأب عليها  
كتابات ذهبية . فلم يكتشف فيها أي علامة من علامات القلق أو  
الغرض . كان الهدوء يشملها كما يفترض أن يشمل أي دائرة  
محترمة .

أدخل فاسيل ستيبانوفتش واسمه في كوة كتب عليها :  
«الاستلام» وحيناً موظفاً يراء لأول مرة وطلب منه باحترام دفتر  
الايرادات .

- وما شأنك به ؟ - سأل الموظف الذي في الكوة .

بهت المحاسب .

- أريد أن أسلم . أنا من «فاربيتية» .

- دقيقة . - أجاهه الموظف وسد على الفور النقب الذي في

اللوح الزجاجي بشبكة .

«فريبة !» - قال المحاسب في نفسه . وكان عجبه جسده

طبيعياً . فلأول مرة في حياته تصادفه حالة كهذه . فمن المعروف

لنا جميعاً مدى صعوبة تسلم النقود ، إذ يمكن دائماً أن تخلق

لذلك عراقيل ومعوقات . لكنه لم تلج للمحاسب فاسيل

ستيبانوفتش على مدى ثلاثين سنة من حياته العملية حادثة واحدة

امتنع فيها فرد أو شخص اختياري عن قبض نقود منه .

والتراحت الشبكة أخيراً والتصق المحاسب بالكوة من جديد .

- هل تحمل مبلغاً كبيراً ؟ - سأل الموظف .

- واحد وعشرون ألفاً وسبعمائة واحد عشر روبلاً .

- أوه ! - أجاهه الموظف بشيرة لأمر ما ساخرة ، وناوله

صحيفة خضراء .

ولما كان المحاسب يعرف جيداً الأصول المتبعة فقد عبأ الصحيفة الخضراء في طرفه عين ، وأخذ يفتك الخيط عن الرزمة .  
 وما إن فضاها حتى ذأغ بصره وخار خوار الوجوع .  
 وأخذت تيرق أمام عينيه قطع النقود الأجنبية سراعاً وكان فيها رزم من الدولارات الكندية والجنيتات الانكليزية والفولديئات الهولندية واللاتات اللاتفية والكرونات الاستونية . . .  
 - هاهو ذا واحد من نصايبي فاريتيه - سمع صوت ناظم فوق رأس المحاسب الذي انعقد لسأله . وللحال ألقى القبض على فاسيل ستيبانوفتش .

## الفصل الثامن عشر

### الزوار المناحيس

في الوقت الذي كان فيه المحاسب المجد ينطلق في سيارة الأجرة للعثور على اليدلة التي تكتب بنفسها . كان بين النازلين من العربة الوثيرة ذات المقاعد المحجوزة رقم ٩ في قطار كييف الواصل الى موسكو راكب ذو مظهر لائق يحمل حقيبة ليفيسة صغيرة في يده . ولم يكن هذا الراكب سوى عم المرحوم برليوز مكسيميليان اندريفيتش يوزافسكي . وهو اختصاصي في التخطيط الاقتصادي يعيش في كييف في شارع اينستيتوتسكايا سابقاً . وسبق قدوم مكسيميليان اندريفيتش الى موسكو برفقة تلقاها في ساعة متأخرة من مساء أول اليلحة وهذا نصها :

«دهست» للتو بالترام في بتريشيس . الدفن الجمعة الثالثة ظهراً . احضر . برليوز» .

كان مكسيميليان اندريفيتش يعد وبحسق واحداً من اذكى اذكيا . كييف . لكن من شأن برفية كهذه أن تضع حتى اذكى الاذكيا في مأزق . فحين يبرق شخص انه دعس . فمعنى ذلك انه لم يقتل . ولكن ما شأن الدفن هنا ؟ ام تراء في حالة خطيرة



ويتوقع الموت ؟ هذا ممكن ، لكن هذه الدقة في غاية الغرابة -  
فمن أين له ، مع هذا ، أن يعرف أنه سيحدثن يوم الجمعة وفي  
الساعة الثالثة ظهراً ؟ برفية عجيبة !

لكن الإلكياء ليسوا الأكفاء ، إلا ليعطوا الأمور المعقدة ، الأمر  
بسيط ، وقع خطأ وتقلت البرقية مشوعة ، كلمة «أنا» \* جاءت  
عنا خطأ ، دون شك ، من برفية أخرى ، وكلمة بريوز التي  
جاءت في آخر البرقية كان يجب أن تكون في مطلعها ، ومع هذا  
التصحیح يصبح معنى البرقية واضحاً وإن كان لا يزال  
مأساوياً .

ما إن هدأت سورة الحزن التي انتابت زوجة مكسيميليان  
اندريفيتش ، حتى أخذ هذا يجهز نفسه للسفر إلى موسكو .

وينبغي علينا هنا أن نكتشف سراً من أسرار مكسيميليان  
اندريفيتش ، لا شك في أنه حزن على إيسن أخ زوجته الذي  
مات في شرح شبابه ، لكنه كاتسان عمل كان يدرك بطبيعة الحال  
أن ليس هناك ما يدعو به بشكل خاص لحضور الجنازة ، ومع هذا  
كان مكسيميليان اندريفيتش يتعجل السفر إلى موسكو ، فليس  
الأمر إذن ؟ أمر واحد - الشقة ، شقة في موسكو ؟ هذا أمر  
خطير ، لسنا ندرى السبب ، لكن كيف لم تكن تعجت مكسيميليان  
اندريفيتش ، وراحت فكرة الانتقال إلى موسكو تؤرقه في الفترة  
الأخيرة حتى صار النوم يجلو عينيه إلا لثباتاً ، لم تعد تهبج  
نفسه نبوض نهر الدنيبر في الربيع والماء يغر الجزر عند الضفة  
الواطئة ويمتزج بالأفق ، ولم يعد يهبج ذلك المنظر الغلاب  
الذي ينكشف أمام العين من قاعدة تمثال الأمير فلاديمير ، ولم  
تعد تهبج بقع نور الشمس المترالصة في الربيع على دروب رابية  
فلاديمير المرسوفة بالطوب ، لم يعد يريد شيئاً من هذا كله ،  
بل بات يريد شيئاً واحداً - الانتقال إلى موسكو .

ولم تسفر الاعلانات في الصحف عن الرغبة في استبدال شقة  
في شارع استيوتسكايا في كييف بشقة أصغر مساحة في موسكو

\* والمقصود بها ماء ، نائب الفاعل في ودعت ، ومولها في أول  
البرقية في نصها الروسي فيصبح النص بعد هذا التعديل : بريوز  
دعس . . الخ . المترجم .

عن أي نتيجة . لم يكن هناك رائعون ، وإذا وجد بعضهم أحياناً كانت شروطه على قدر مريح من العدم الذمة .  
حزت البرقية مكسيميليان اندريفيتش هزاً . كانت فرصة من الأثم ان يلوئها . والناس العمليون يعرفون ان مثل هذه الفرص لا تتكرر .

وباختصار كان عليه أن يعرف كيف يرث شقة ابن أخ زوجته في سادوقايا مهما كان حجم الصعوبات . نعم ، كان هذا أمراً معقداً ، في غاية التعقيد ، انما عليه ان يتجاوز كل هذه التعقيدات . وكان مكسيميليان اندريفيتش الجرب المحنك يعرف ان اول خطوة يتحتم عليه ان يخطوها هي التالية : ان يسجل مهما كلفه الأمر ، ولو مؤقتاً ، ثلاثاً من غرف شقة المرحوم باسمه .

وظهر يوم الجمعة دخل مكسيميليان اندريفيتش باب الغرفة التي تستخدم مقرراً لإدارة الجمعية السكنية في النهاية وتسلم ٣٠٢=مكرر الكائنة في شارع سادوقايا في موسكو .

في الغرفة الضيقة التي تتدل على حائطها لافتة اعلانية قديمة تمثل في بضع لوحات صغيرة طرق العاش الغرقى ، كان يجلس وراء طاولة خشبية وحده تماماً شخص متوسط العمر غير حليق ذو عينين يشبح فيهما القلق .

- هل بوسعي مقابلة رئيسي الادارة ؟- استفسر المخطط الاقتصادي باحترام وهو يرفع لبعته ويضع حقيبته على كرسي فاض .

هذا السؤال البريء ، فيما بدا ، أزعج لأمر ما الجالس ، حتى ان تعابير وجهه تغيرت . فلفظم ، وهو ينظر بعينيه اللطفتين شزراً ، بما معناه ان الرئيس غير موجود .

- هل هو في شقته ؟ - سأل بوبلافسكي ، - لدي امر عاجل جداً .

وأجابته الجالس ثانية بكلام غير مترابط . لكن كان بإمكانه الرد ان يحزر ان الرئيس غير موجود في شقته .

- ومتى سيحضر ؟

لم يعر الجالس جواباً بل نظر من النافذة بشيء من الكآبة .

- «آ» - قال بولافسكي الذكي لنفسه واستفسر عمن

السكرتير .

احمر وجه الرجل الغريب الجالس وراء الطاولة من التوتر وقال بكلام غير مفهوم هذه المرة ايضاً ما معناه ان السكرتير غير موجود ايضاً . . . وانه لا يعرف متى سيحضر . . . وان السكرتير مريض . . .

«آ . . .» - قال بولافسكي لنفسه . - ولكن لا بد ان يكون احد في الادارة !

- انا . - رد عليه الرجل بصوت خفيض .

وهنا قال بولافسكي بصوت مظم بالنهاية :

- الموضوع هو التالي : اني الوارث الوحيد لابن اخ زوجتي المرحوم بوليوز الذي قتل . كما تعرفون . في بتريرشيبي . ومن واجبي حسب القانون ان استلم تركته التي هي عبارة عن شقتنا رقم ٥٠ . . .

- لا علم لي بالموضوع . ايها الرفيق . - فاطمه الجالس بصوت يفيض بالملل .

- العفو . - قال له بولافسكي بصوت رنان . - انت عضو في الادارة ومن واجبك . . .

وهنا دخل الغرفة مواطن شحب وجهه الجالس وراء الطاولة لرؤيته .

- عضو الادارة بياتناجكو ؟ - سال الداخل الجالس .

- انا هو . اجاب الجالس بصوت يكاد لا يسمع .

اسر الداخل للجالس بشيء ما في اذنه . فنهض هذا عمن كرسيه وقد بلغ به الاضطراب انه قد سقط . وفي توان لم يبق في غرفة الادارة الخالية الا بولافسكي وحده .

«ايه . اي تعقيدات هذه ! اكان من الواجب حقاً ان يخرجوا كلهم . . .» - قال بولافسكي لنفسه في حيرة وهو يجتاز القناء المفروش بالاسفلت حاثاً الخطا الى الشقة رقم ٥٠ .

ما ان رن المخطط الاقتصادي جرس الباب حتى فتح . وولج مكسيميليان اندرويلتس الى مدخل نصف معتم . ادخله بعض الشيء . انه لم يعرف من فتح له الباب . اذ لم يكن في المدخل الا قط اسود هائل الحجم يجلس على كرسي .

تخرج مكسيميليان اندريفيتش وطرب الأرض بقدميه ضرباً خفيفاً . اذالك فتح باب المكتب وخرج منه كوروفيف الى المدخل .  
جاء مكسيميليان اندريفيتش بأدب لكن بوقار وقال له :

- كنتي بوبلافسكي . وأنا هم . . . .  
ولم يتسع له الوقت ليكمل . فقد سحب كوروفيف من جيبه بسرعة منديلاً وسخاً ودس فيه أنفه وأخذ يبكي .  
- . . . المرحوم برليوز . . . .

- واضح . واضح . - قاطعاً كوروفيف وهو ينزع المنديل عن وجهه . - ما ان لمحتك حتى عززت أنك هو ا -  
وهنا أخذ يخلج من شدة بكائه وبولول : - مصيبة ا مصيبة ا  
! ما هذا الذي يحدث ؟

- الترام دهسه ؟ - سأل بوبلافسكي همساً .  
- واي دهس . - صرخ كوروفيف وانهرت الدموع من تحت نظارته الأتنية . - واي دهس ا لقد شهدت العادة . هل تصدق ؟ ا في لحظة كان رأسه يتدحرج جانبا ا ورجله اليمنى مقطعتين ا ورجله اليسرى قطعتين ا هذا الذي أوصلتنا اليه هذه الترامات ا - واذا لم يعد بوسعك تكلمه هل ما يظهر .  
استد جيئة الى العائط قرب المرأة وراح جسده ينتفض من شدة نحيبه .

دخل عم برليوز ذهولاً صادقاً من تصرف هذا الشخص الغريب . «ويقال أيضاً انه لا يوجد في زمننا اناس رقيقين القلب !» - قال عم برليوز في سره . وقد أحس ان عينيه أخذتا تعكاته . الا ان سعابة قائمة اناحت في الوقت نفسه على قلبه . وتلوت في رأسه على الفور كالحية فكرة : ترى ألم يسببه هذا الانسان الرقيق القلب . المخلص الى تسجيل شلة المرحوم ياسه . او لم يحدث مثل هذا كثيراً من قبل ا

- العفو . هل كنت صديقاً قديماً عيشا ؟ - سأل بوبلافسكي وهو يمسح بطرف كفه عينه اليسرى الجافة . بينما كان يدرس باليسرى كوروفيف الذي هذه الحزن . لكن هذا انفجر في نحيب تعذر معه على بوبلافسكي ان يفهم منه سوى كلمتين اثنتين تتكرران «دهس . . . . وقطعتين ا» . ولما شبح كوروفيف نحيباً رفع رأسه أخيراً عن العائط وتمتم :

- لا ، لم اعد اهتمل ا ساذعب واخط ثلاثانة تلفة مسن  
الوليريان ا - وارذف بعد ان ادار الي بوبلافسكي وجهاً ميللاً  
كله بالدموع : - هذه هي الترامات ا

- العفر ، لكن الست من ايسوق لي - سال مكسيميليان  
اندريلفش وهو يكند ذهنه في جهد ضمن لمعرفة من عشاء يكون  
هذا البكاة العجيب .

- هو ا - اجاب كوروفيف واشمار باسيبه الي القط .  
حلق بوبلافسكي وفي ظنه انه اخط السبع .

وتابع كوروفيف وهو ينخر :

- لا ، لم اعد اهتمل . . . ما ان اتذكر ما حدث : عجلة  
الترام التي تمشي على نفعه . المجلسة الواحدة بعشر بودات  
تقريباً . . . وصوت العظم يتكسر ا لا . لم تعد لي قوة على  
التحمل . انا ذاعب استلقي في سريري لعل النوم يتسني نفسي  
قليلاً . - واختلى من المدخل .

واما القط فتتململ وقفز من الكرسي والتصب على قائمته  
الخلطيتين ووضع يده على خاصرته وفغر شذقه وقال :

- نعم ، انا الذي ارسلت البرقية . ماذا تريد ؟

شعر مكسيميليان اندريلفش غسل الغرر براسه يدور ،  
ويديه ورجليه تنمل ، فسقطت الحبيسة من يده وجلس على  
الكرسي قبالة القط .

- يبدو الي اسالك بلغة روسية . - قال القط بصوت  
جاف :

- ماذا تريد ؟

لكن بوبلافسكي لم يعر جواباً .

- هويتك ا - واقترق القط ومد قائمته المنتفخة .  
استل بوبلافسكي هويته من جيبه وكانها خنجر وهو لا يعي

ولا يرى شيئاً سوى الشراطين المشتملتين في عيني القط .  
تناول القط نظارة ذات اطراف اسود غليظ من الطاولة تحسنت  
المرأة ووضعها على سمعته مما جعله اكثر مهابة ، وانتزع اليوية

من يد بوبلافسكي التي كانت تنمل نظاً .

« ترى هل سيغضي عسل ام لا ؟ » - فكر بوبلافسكي في  
نفسه . ومن بعيد كان يتناهى اليه تشيخ كوروفيف ، وكان

المدخل يعقب برائحة الأثير والواليريان وبرائحة كريمة غريبة  
تبعث على الغثيان .

- ما القسم الذي أصدر هذه الوثيقة ؟ - قال القط وهو  
يعقد في الورقة . ولم يأت جواب .

- القسم ٤١٢ . - قال القط لنفسه وهو يسبح بقالته  
على الهوية التي كان يحملها مقلوبة . - اي طبعاً ! أمرف هذا  
القسم ! هناك يعطون هويات لكل من عب ودب ! أنا ، سئل  
سبيل المثال . ما كنت لأعطي شخصاً مثلك هوية ! ما كنت  
بأعطيهِ مهما كان الأمر ! يكفي أن ألقى على وجهك نظرة حتى  
أرفض على الفور إعطائك هوية ! - وهنا بلغ الاستياء بالقط حداً  
بعده يقلب الهوية على الأرض . ثم أردف بصوت رسي يقول :  
- حظورك الجائزة ملغى . كلف نفسك العودة الى مقر إقامتك ،  
- وزار باتجاه الباب : - أزازيلو !

هرج الى المدخل على صوت نداءه شخص أصعب ضئيل الحجم  
يعرج . ويشد جسمه تريكو أسود . ويلوح وراء سيره الجلدي  
خنجر . له ناب أصغر ولحشاوة على عينه اليسرى .

أحس بوبلافسكي أنه يتأكد يفتنق من قلة الهواء . فنهض عن  
كرسيه وتراجع وهو يضع يده على قلبه .

- ودعه يا أزازيلو ! - قال القط يأمره وخرج مسن

المدخل .

وقال الداخل بصوت أحن خافت :

- بوبلافسكي ، أمل أن يكون كل شيء بات مفهومًا الآن !

هن بوبلافسكي رأسه .

وتابع أزازيلو كلامه :

- عد فوراً الى كييف وابق هناك بسلاحي ولا حركة .

وانزع من منك اي فكرة عن شقة في موسكو . واضح ؟

هذا الرجل الصغير الذي يمسك الرعب القائل في قلبه  
بوبلافسكي بناه وخنجره وعينه العوراء لم يكن يتجاوز بطول  
كثف الاقتصادي . لكنه كان يتصرف بلوة ومهارة ونظام .

كان اول ما فعله انه رفع الهوية عن الأرض . وتناولها  
مكسيميليان اندريفيتش . فأخذها هذا بيد ميتة . ثم رفع  
المسمى أزازيلو الحقيقية بيد . وفتح الباب باخرى . وتاب

ذراع عم بريوز ومضى به الى بسطة الدرج . استند بوبلافسكي الى الجدار . وبدون اي مفتاح فتح ازازيلو الحقيبة وأخرج منها دجاجة مقلية عالية برجل واحدة ملفوفة بحريفة تغطي فيها الزيت ووضعها على البسطة . ثم سحب زوجين من الملابس الداخلية وسير حلقة وكتيباً وحافظة ولفف هذا كله ما عدا الدجاجة بقدمه في دورة السلم وطارت وراء الحقيبة الطرفلة التي سمع دويها وهي ترتطم بالأرض وينطلق ، فيما بدا من الصوت الذي دوى ، غطاؤها .

ثم أمسك اللص الأصهب الدجاجة من رجلها وهوى بها من جانبها المقلطح بثوة مريضة على رقبة بوبلافسكي بحيث انفصل جسمها وبقيت رجلها في يد ازازيلو . كل شيء اختلط وتبلبل في بيت أوبلونسكي ، كما قال بحسب الكاتب المشهور ليف تولستوي . \* وهذا بالضبط ما كان سيتوله في هذه الحالة . نعم ! كل شيء اختلط وتبلبل في عيش بوبلافسكي . لمعت شرارة طويلة أمام عينيه ثم استحوطت أخرى بلون الحداد أطاعت للمحظة نور هذا اليوم الأياري - وطار بوبلافسكي يتدحرج على الدرج وهو يسك هويته بيده . وبلغ الدورة تحطم برجله زجاج النافذة في البسطة التالية واستوى جالساً على الدرجة . وقلبت الدجاجة التي فقدت رجلها حذاء وسلطت في بسطة السلم . وفي طرفة عين المتفر ازازيلو الذي ظل واقفاً في أعلى الدرج وجل الدجاجة ، ودس عظمتها في جيب سترته التريكو الجانبي وعاد الى الشقة وأغلق الباب وراءه بجلبة . في هذا الوقت أخذت تسمع في الأسفل خطوات تصعد الدرج بحذر . عدا بوبلافسكي دورة أخرى وجلس على ديوان خشبي في البسطة والتقط أنفاسه .

توقف قرب بوبلافسكي رجل مسن ذو جسم مفرط في ضلائه ووجه خارق في حزنه ، يراندي بذلة حريرية قديمة ويضع قبعة قاسية من القش لها شريطة خضراء ، وسأله بصوت حزين :

---

\* السطر الأول من رواية وأنا كارينينا ليف تولستوي . المترجم .

- هل تسمح لي ان اسالك ايها المواطن اين الشقة رقم

٢٥٠

- في الاهل ، - اجابه بوبلانسكي بصوت منقطع .

- اشكرك عميق الشكر ، - اجاب الرجل بنفس الصوت

العزيم ، ومضى يصعد الى الاهل ، اما بوبلانسكي فهب من مكانه

وعدا يهبط الدرج .

وهنا ينسور سؤال : الى الشرطة اسرع مكسيميليان

اندريفتس يشكو هؤلاء الاشقياء الذين اعتدوا عليه هذا الاعتداء

الوحشي في وضع النهار ؟ لا ، ايها ، على الاطلاق - هذا امر

يوسعنا تأكيد بكل ثقة . ان تدخل قسم شرطة وتقول لهم ان

قطعة يضع نظارة تصلح الآن بطاقتي الشخصية ، وان شخصاً

يلبس تريكو ويحصل خنجراً . . . لا ، ايها المواطنون ،

مكسيميليان اندريفتس كان بالفعل انساناً ذكياً !

راى مكسيميليان ، وقد بات الآن في اسفل الدرج ، باباً

بمحاذاة المخرج يؤدي الى غرفة صغيرة وكان زجاج الباب

مكسوراً . غبا بوبلانسكي الهوية في جيبه وثقلت حوله عنه يرى

اشياء المقلوبة ، لكن لم يعثر لها على اثر . ودعش بوبلانسكي

نفسه لطاعة ما اصابه من الغم لفقدانها . فقد كانت تشغل باله

الآن فكرة اخرى شائقة ومغرية وهسي ان يتأكد بواسطة هذا

الرجل مرة اخرى مما يدور في هذه الشقة الملعونة . وبالفعل :

بما ان الرجل سأل عن الشقة فعناء انسه ذاهب اليها للمرة

الاولى . وبالتالي فهو واقع مباشرة في ايدي تلك العصابة التي

اتخذت من الشقة رقم ٥٠ وكراً لها . وتملكه

شعور داخلي خفي بان هذا الرجل الصغير لا بد خارج من الشقة

على الفور . وبطبيعة الحال تلاشت في ذهن مكسيميليان

اندريفتس الآن اية نية في حضور اية جنازة لاي قريب ، كما

انه لا زال امامه متسع من الوقت حتى افلاخ القطار الى كييف .

التفت الاقتصادي حوله وغماص في الغرفة الصغيرة . في هذا

الوقت سمع بعيداً في الاعلى صوت باب يصفق . «هاهو ذا

دخل !» - قال بوبلانسكي في سره وقلبه يتكاد يتوقف عن

الخفقان . كانت الغرفة باردة تكيم فيها رائحة الفئران والحزم .

جلس مكسيميليان اندريفتس على جلسة خشبية وقرر الانتظار .



كان الموقع الذي اتخذته مناسباً إذ كان يرى أمامه مباشرة باب  
المخرج الرئيسي السادس .

إلا أنه تعين على مكسيميليان اندريفيتش أن ينتظر أطول  
ما افترض . ولأمر ما ظل الدرج خالياً طول هذا الوقت . كان  
الكيفي يسمع من مكانه كل شيء بوضوح ، وأخيراً اصطفت باب  
في الطابق الخامس ، فحبس بوبلافسكي أنفاسه . نعم ، خطواته .  
«إنه يهبط الدرج» . وتفتح باب في الطابق الأدنى . الخطوات  
القصيرة خفتت . صوت امرأة . صوت رجل حزين . . . نعم إنه  
صوته . . . نطق بكلمات مسموعة قبيل «الركنني من أجل  
السيح . . .» . كانت الآن بوبلافسكي تبرز من الزجاج  
المكسور . والتفت هذه الأذن ضعيفة نسائية . خطوات سريعة  
وخفيفة على الدرج ؛ ولاح ظهر امرأة . خرجت هذه المرأة لتعمل  
علية مشعة من مدخل البناية إلى الفناء . أما خطوات ذلك  
الشخص فقد استأنفت ، «حريب ، إنه يعود أدراجه إلى الشقة .  
هاهو ذا الباب فوق يفتح أ ما العمل . لننتظر قليلاً» .

ولم يطل الانتظار هذه المرة . صوت باب . خطوات  
قصيرة . الخطوات القصيرة خفتت . صرخة يائسة . هواء حار .  
خطوات سريعة متقطعة تهبط ، تهبط ، تهبط .

وكوفي ، بوبلافسكي على انتظاره . فقد هبط الرجل الحزين  
الدرج كالسهم وهو يرسم إشارة الصليب ويضمخ بكلام غير  
مفهوم . وقد طارت قبعته وتبالت وجهه وتحدثت صلته وتبلل  
سرواله تماماً . وأخذ يمشي مقيض الباب وهو لا يدري من خوفه  
كيف يفتح ؛ أيدها إلى الداخل أم إلى الخارج . وأخيراً تمكن  
من الباب وانطلق إلى نور الشمس في الفناء .

وتم لمكسيميليان اندريفيتش ما أراد ؛ لقد تحلق من الشقة  
ومما يدور فيها . بعداً من الغرفة الصغيرة إلى الفناء . وقد  
طارت من رأسه أية أفكار عن المرحوم نسيبه وعن الشقة . كان  
يرتعد من فكرة الخطر الذي يهدده ويهيمس ثلاث كلمات فقط ؛  
«كل شيء مفهوم أ كل شيء مفهوم» . وبعد دقائق كان الياس  
الكهربائي يحمل المخطط الاقتصادي إلى محطة كيف .

أما ما جرى للرجل الصغير أثناء وجود الاقتصادي في الغرفة  
الصغيرة فقصه من أسوأ ما يمكن تصوره . كان هذا الرجل

صاحب البوفيه في «قارييتيه» وكسان اسمه أندري فوكيتش  
سوكوف . أثناء التحقيق الذي جرى في «قارييتيه» ظل أندري  
فوكيتش بعيداً عن كل ما يجري ويحدث ، ولم يلاحظ فيه سوى  
أنه أصبح أشد حزناً مما كان عادةً ، وأنه سأل الساعي كاروبوف  
عن مكان نزول الساحر الزائر .

وهكذا سعد صاحب البوفيه بعد أن افترق والاقتصادي على

بسطه النرج الى الطابق الخامس ورن جرس الشقة رقم ٥٠ .

وفتح الباب فوراً ، لكن صاحب البوفيه ارتعش وتراجع

قليلاً ولم يجسر على الدخول فوراً ، وهذا مفهوم ، فقد فتحت له

الباب فتاة لا يسترها شيء سوى منظر من الدانتيل يشي بالفتوح

والدلال وقوس بيضاء على رأسها ، حسداً الى خلعين ذهبيين في

قدميها . لم يكن يشوب جمال الفتاة شائبة اللهم الا تلك الندبة

الحمرء على عنقها التي قد يرى فيها البعض عيب الفتاة الوحيد .

- تفضل ادخل ما دمت قرعت الجرس ! - قالت الفتاة

وحدجته بعينين خضراوين دامرتين .

تأوه اندريه فوكيتش وغمز عينيه وخطا الى المدخل وهو

يخلع قبعته . في هذا الوقت بالذات رن جرس الهاتف في

المدخل . وضعت الخادمة القليلة الحياء رجلاً على الكرسي ورفعت

الساعة وقالت فيها :

- الوا

لم يعرف صاحب البوفيه أين يوازي عينيه ، فأخذ يميل على

جنبه رافعاً رجلاً ومزلاً أخرى وهو يقول في نفسه : «يا لها من

خادمة هذا الأجنبي ! تلو ! يا لها من فطاعة !» ولكن يتخلص من

هذه الفطاعة أخذ ينظر شزواً الى جانيه .

كان المدخل الكبير نصف المظلم يحوي اشياءً وأتواباً غير

عادية . وهكذا كانت برودة سوداء ذات بطاقة حمراء كالنار ملقاة

على مسند الكرسي ، وشيش طويل ذو مقبض ذهبي لامع على

الطاولة الصغيرة التي تحت المرأة . كما كانت ثلاثة سيوف

أخرى ذات مقابض فضية تنتصب في الركن ببساطة وكانها

مظلات أو مكاييز . وكانت قبعات ذات ريش من ريش النصور

تعمل من قرون الأبل .

- نعم . - قالت الخادمة في الهالسف . - نعم ؟ البارون

متيظل ؟ أسعك . نعم ! السيد الفنان في البيت اليوم . نعم ،  
سيسر برؤيتك . نعم ، ضيوف ... لراك أو جاكيتة سوداء .  
ماذا ؟ حوالي الثانية عشرة ليلاً . - وبعد أن أنهت الغاضمة  
حديثها ، وضعت الساعة والتفتت إلى صاحب البوفيه : - ماذا  
تريد ؟

- أنا بحاجة ماسة إلى مقابلة المواطن الفنان .

- كيف ؟ مقابلته شخصياً ؟

- نعم ، - أجاب السائق بصوت حزين .

- سأبلغه . - قالت الغاضمة في تردد على ما بدا . وشدت

الباب المغلقة إلى مكتب المرحوم برليوز وقالت : - أيها

الغارس . هناك شخص صغير يقول أنه بحاجة إلى سيدي .

- ليدخل . - تنهض من المكتب صوت كوروفيف المظم .

- اصبر إلى غرفة الاستقبال . - قالت الغاضمة ببساطة

وكانها ترلدي ما يرتديه البشر وشدت طرف باب غرفة

الاستقبال ، وغادرت المدخل .

ما إن دخل صاحب البوفيه إلى حيث دعي حتى نسي الأمر

الذي أتى من أجله لشدة ما صعقه أثاث الغرفة . كان ضوء غير

مألوف يشبه ضوء الكنائس يتدفق من ثواند كبيرة ذات زجاج

ملون (وهذه نزوة من نزوات زوجة الصانع التي اختفت دون

أثر) . وفي الوقت القديم الضخم يشعل العطب على الرغم من

هذا اليوم الربيعي الحار . ومع هذا لم يكن الداخل يشعر بأي

حرارة . بل . على العكس . كانت تنفحة رطوبة كرطوبة الآقية .

وامام الوقت كان يجلس على جلد نمر فقط أسود هائل الحجم

وهو يزر عينيه بوداعة أمام النار . كما كانت هناك طاولة أخذت

صاحب البوفيه الورع رعدة لدى رؤيتها : كانت الطاولة منضأة

بديباج كنائسي وعلى الديباج العديد من الزجاجات البطينة التي

يعلوها العفن والغبار . وبين هذه الزجاجات كان يلصق طبق بدا

واضحاً للسر . للحال أنه من الذهب الخالص . وغرب الوقت كان

رجل صغير أصهب يضع خنجراً خلف سيره يشوى قطع لحم على

شيش فولاذي طويل . كان العصير ينظر على النار والدخان يخرج

من المدخنة . ولم تكن غرفة الاستقبال تعبسق برائحة الضواء

وحسب . بل بروائح أخرى قوية لفاذة ومنها رائحة بخور . مما

جعل صاحب اليوفيه الذي عرف بمصرع برليوز ومكان اقامته من  
الصحف يتساءل في سره للوهلة الأولى عما اذا كان هؤلاء يقيمون  
سلاة على نفس المرحوم . لكنه طرد هذه الفكرة من رأسه على  
الورد لسفاهتها الجلية .

وعلى حين فرة سمع صاحب اليوفيه المصعوق صوتاً غليظاً  
تقولاً يقول له :

- اي ، فيم استطيع ان اخذك ؟

وهنا اكتشف الساقى في الظل من كان يطلبه .

كان الساحر الشيطاني متمدداً على ديوان واسع واطرف  
تناثرت عليه المخدات . ولم يكن يستشعر الفنان ، كما هذا  
للساقى . الا ملايس تحانية سود بالاضافة الى خف اسود دقيق  
المقدمة في قدمه .

- آنا . - قال الزائر برارة . - انسا مدير اليوفيه في

مصرح «فاريثيه» . . .

مد الفنان يده التي كانت الاحجار الكريمة تلمع على اصابعها

الى الامام كاتما ليسد فم الساقى وقال بحماسة كبيرة :

- لا . لا . لا . لا . ولا كلمة اخرى ! لا . لن اطعم شيئاً في

فسي من مطعمكم . ايضاً وبأي حال ممن الأحوال ! لقد مرت

البارحة . ايها المحترم . قرب ميسط اليوفيه . ولا استطيع حتى

الآن ان انس لحم الزجر ولا جبن البرينزا . يا عزيزي ! جبن

البرينزا لا يكون بلون اخضر . لا يسسد ان احدهم لفك !

المفترض في جبن البرينزا ان يكسون ابيض . ثم الشاي ! هذا

ليس شيئاً بل فسالة ! لقد رايت بام عيني كيف كانت احدى

عاملاتكم البهولة القذرة تسكب في سناوركم الضخم ماء غير مغلي

من السطل . ومع هذا تابعتم سكب الشاي منه للزيائن . لا .

ايها العزيز . هذا غير معقول !

- اعتذر عن ذلك . - قال اندوي فوكيتش الذي اذعله

هذا الهجوم العيافت . - لكنني لم آت في هذا الامر . ولحسب

الزجر لا شأن له هنا .

- كيف تقول لا شأن له هنا . اذا كان هذا اللحم فاسداً !

- لقد ارسلوا لنا لحماً بطزاجة من الدرجة الثانية .

- هذا هراء ايها العزيز !

- وابن الهراء هنا ؟

- في الطزاجة الثانية - هنا الهراء ، الطزاجة لا تكون الا واحدة - هي الأولى وهي الأخيرة . اما اذا كان لحم الزجر طازجاً من الدرجة الثانية لبعثاء انه لحم فاسد !

- اعتذر . . . - اخذ مدير البوفيه يعتذر ثانية وهو لا يدري كيف يتخلص من هذا الفنان المشاكس .

- لا استطيع ان اعفوك . - اجابه هذا بلهجة حازمة .

- لم أت اليك في هذا الأمر ! - قال صاحب البوفيه وقد بلغ به الارتباك أشده .

- لم تات لي في هذا الأمر ! - قال الساحر الأجنبي

مستغرباً . - واي أمر آخر اذن يمكن أن يسوقك الى هنا ؟ اذا لم تخشى الذاكرة ، فقد عرفت فيمن عرفت من الأشخاص الذين تشبه مهنتك مودة طعام ومشروب للجيش . كان هذا من زمن بعيد . قبل أن تولد . وعسى أي حال أنا مسرور بقدمك . أرازيلو اكرسيّاً صغيراً للسيد مدير البوفيه .

استدار الذي كان يشوي اللحم فروع صاحب البوفيهه بانتيابه . وقدم له بخفة أحد الكراسي الداكنة المصنوعة من خشب البيلوط . اذ لم يكن في الغرفة غير هذا النوع من المقاعد .

- لك عميل شكري . - نطق صاحب البوفيه وتهالك على الكرسي المقدم له فاذا بقائته الخلفية تفرع منقصفة عميل القور . واذا بمدير البوفيه يشهق ويسقط فيشعر بالحم حاد جراء ارتطام مزخرفته بالأرض . كما يصدم في سلوطه كرسيّاً آخر امامه فيريق كاساً ملأى بالنبيذ الأحمر على بطناله .

وصاح الفنان :

- اي . هل رضضت ؟

ساعد أرازيلو مدير البوفيه في النهوض وقدم له كرسيّاً آخر . لكن الساقى امتنع بصوت مغمم بالحزن عن قبول التراج رب البيت خلع سرواله وتجفيفه أمام النار . ولشعوره بهرجابة موقفه . وهو في قميصه الداخلي وردائه البهلين . جلس على مقعد آخر يتخوف وحده .

- أحب الجلوس في المكان الواطر . - قال الفنان . -

فالمسقط من مكان واطرف ليس بهذا القدر من الخطورة . اي ،  
توقفنا عند لحم الزجر اذن ، ياعزيزي ! الطزاجة ، الطزاجة ثم  
الطزاجة هي التي يجب ان تكون شعار كل من يدبر بوفيه .  
اي ، الا ترهب في تلوقي . . .

وهنا لمح في الضوء الأحمر المنبعث من الموقف شيش امام  
عيني صاحب البوفيه . وضع ازازيلو قطعة لحم تنشر في صحن  
ذهبي ورشها بعصير الليمون وقدم شوكة ذهبية بسنين لصاحب  
البوفيه .

- شكراً جزيلاً . . . انا . . .

- لا ، لا ، جرب ا

وضع صاحب البوفيه قطعة صغيرة في فمه من باب الأدب ،  
وادرك على الفور انه يطنخ شيئاً طازجاً جداً بالفعل ، والأهم -  
شيئاً لذيذاً بشكل غير عادي . لكنه كان يفتنق بطنمة اللحم  
المعطرة والغضة التي يعضها ويستقط على الأرض ثانية . فقد  
اقتحم الغرفة طائر كبير داكن ومن بجناحيه صلعة عديسة  
البوفيه ، وحط على رف الموقف قرب الساعة . ولم يكن الطائر  
سوى بومة . « يارب ! » - قال اندري فوكيتش الذي كان عصبي  
المزاج كسائر اقرانه من اصحاب البوقيات في سره . - « ياها  
من شقة ! »

- هل ترهب في كأس من النبيذ ؟ ابيض ، احمر ؟ نبيذ  
أي بلد تفضل في مثل هذه الساعة من النهار ؟

- شكراً جزيلاً . . . لا اشرب . . .

- عبتاً لا تشرب ا هل ترهب في لعبة كعب ؟ ام تفضل  
انواعاً أخرى من اللعب ؟ دومينو ، ورق ؟

- لا لعب ، - اجاب صاحب البوفيه الذي ادركه  
الارهاق .

- امر في غاية السوء . - قال الفنان معلقاً ، - شي ، ما لا  
يومي بالخير يكمن في نفوس الرجال الذين يتعاشون الخمر  
واللعب وعشرة النساء الفاتنات وتبادل الحديث حول طاولة ،  
ناس كهؤلاء ، اما مصايون برض عضال ، أو انهم يفتشون في  
سره من حولهم . وهناك شواذ في الحقيقة . فقد صادفت بين

الذين جلسوا معي وراء النوائد العامرة سافلة عجيبين ! وهكذا ،  
فانا كلني آذان صاغية لسماح ما أتيت فيه .

- تفضلت بالراحة وأتمت حفلة الاعياد خفة وشعرودة . . .

- انا ؟ - صاح الساحر في دهشة . - طشوك . هذا لا

يليق بي !

- العفو . - قال صاحب اليوفيه المبهوت . - ولكن حفلة

السحر الشيطاني . . .

- آ . نعم . نعم ! سأكشف لك سرا يا عزيزي : انا لست

فنانا على الاطلاق . بل رغبت في رؤية الموسكوفيين جميعا ،

وأسهل الأمور ان تفعل ذلك في المسرح . وهامني ذني حاشيتي ،

- واروما براسه نحو القط . - انها هي التسي اقامت هذه

الحفلة . اما انا فجلست اتامل الموسكوفيين وحسب . لا تتغيرن

ملامح وجهك . بل قل لي ما الذي دفعك في هذه الحفلة الى المجيء

الي ؟

- تعرفون . ياسيدي . من بين ما حدث في الحفلة انسه

تطابرت أوراق من السلف . - وهنا خطض صاحب اليوفيه صوته

وتلقت حوله في ارتباك . - وقد تخاطبها الجميع . ومن ثم جاني

شاب في اليوفيه واعطاني تشيرفوتسا فاعذت له ثمانية روبلات

وتصفا . . . ثم جاني آخر .

- شاب هو الآخر ؟

- لا . كهل . ثم ثالث ورابع . وانسا اعيد لهم الياقني .

واليوم اخذت ادقق حساب الخزنة . فاذا بي ارى أوراقا عادية

مقطعة بدلا من الأوراق النقدية . وغرمت اليوفيه بمائة وتسعة

روبلات .

- اي يايا ! - صاح الفنان . - هل اعتقدوا فعلا انها

أوراق نقدية حقيقية ؟ من جهتي لا اظن مجرد ظن انهم فعلوا ذلك

عن وعي .

تلقت صاحب اليوفيه حوله بجانب عينه في كآبة . لكنه لم

ينطق بكلمة .

- انصابون هم اذن ؟ - سأل الساحر ضيئه في قلق . -

امن المعقول ان يكون بين الموسكوفيين لصابون ؟

كان جواب صاحب اليوفيه اهناسمة مرة بحيث ازال كل  
شك : نعم ، يوجد بين الموسكوليين نصابون .  
- هذا شيء ، سائل ! - قال فولند بلهجة سخط ، - انك  
انسان فقير . . . انت بالتأكيد انسان فقير اليس كذلك ؟  
دس صاحب اليوفيه رأسه بين كتفيه بحيث بدا واضحاً انه  
انسان فقير .

- كم لك من الودائع في صندوق التوفير ؟  
طرح السؤال بنبرة تعاطف ، ومسح هذا لا يمكن القول ان  
مثل هذا السؤال كان ليقاً ، وحاد السائل لا يدري ما يقول .  
- مئتان وتسعة واربعون ألف روبل في خمسة صناديق  
توفير . - رد من الغرفة المجاورة صوت مصرصر ، - ومائتا  
قطعة ذهبية من فئة العشرة تحت البلاطة في أرض الغرفة .  
بدا وكان صاحب اليوفيه لصق بكرسيه .  
- لا ، هذا ليس مبلغاً بطبيعة الحال . - قال فولند لضيفه  
بتنازل ، - مع انك ، بالمناسبة ، لست بحاجة اليها . متشى  
سئمت ؟

هذا لاح السخط على وجه صاحب اليوفيه واجاب :  
- هذا امر لا يعرفه احد ، ولا يخص احداً .  
- كيف لا يعرفه احد . - تناهى اليه مرة اخرى نفس  
الصوت الكريه من المكتب ، - او يظننا نظرية نيوتن في المخرج  
ذي العدين اسيومت خلال تسعة اشهر ، في شهر شباط من  
العام القادم من سرطان في الكبد في مشفى جامعة موسكو الاولى ،  
وفي الغرفة الرابعة منه .  
اصفر وجه صاحب اليوفيه .

- تسعة اشهر ، - اخذ فولند بحسب وهو مستغرق في  
التفكير ، - ومائتان وتسعة واربعون ألفاً . . . يعني ، تقريباً  
سبعة وعشرون ألفاً في الشهر ؟ قليل ، لكنه كاف لعيشة  
متواضعة . ثم هناك هذه العشرات الذهبية .  
- لن يستطيع احد فعل شيء بهذه العشرات ، - تدخل  
الصوت ايام باعثاً القشعريرة في اوصال صاحب اليوفيه ، - لما  
ان يموت اندري فوكيتش حتى يهدم البيت وتسلم العشرات الى  
بنك الدولة .



- وأنا الى ذلك لا اصحك بدخول المشفى ، - قال الفنان يتابع كلامه ، - فما جدوى الموت في لفوفة مشفى على صوت اثنين مرضى مينوس منهم وحشرجاتهم ؟ اليس من الأفضل لك أن تقيم وليمة عامرة بهذه السبعة والعشرين الفا تم تتناول اللحم وتنتقل [الى العالم الآخر] على العان الأوتار تحف بك حسناوات نشوانات واصدقاء صاخبون ؟

كان صاحب البوفيه يجلس دون حراك وقد بدت على وجهه علام الشيوخنة : احاطت عينيه حلقات قائمة اللون ، وتهدلت وجنتاه ، وارثعى حنكته .

- لكن الخيال راح بنا بعيداً ، - صاح فولند ، - لنعد الى ما كنا بصدده . ارلى ورفنتك المظروعة .

سحب صاحب البوفيه من جيبه الرزمة بيد مرتعشة وفكها وتجدد . كانت التشيرفوتسكات في قصاصة الجريدة .

- فعلاً ، يا عزيزي ، انت لست في كامل صحتك ، - قال فولند وهو يهز كتفيه .

لهضى صاحب البوفيه عن كرسية الصغير وهو يتنفسم ابتسامة وحشية ، وقال وهو يتلعم :

- و... و... واذا تحولت نانية ...

- هيم... - قال الفنان مفكراً ، - اذاك عد انت الينا .

اهلاً وسهلاً ! لقد سرنا التعرف اليك .

وهنا وثب كوروفيف من المكتب وتثبت بيد صاحب البوفيه واخذ يهزها ويرجوه أن يبلغ الجميع ، الجميع بحياته ، وتترك اندري فوكيتش نحو المدخل وهو لا يعي من أمره شيئاً .

- فيلا ، ودعيه ! - نادي كوروفيف .

ومن جديد ظهرت هذه العازبة الصهباء في المدخل ! التصق صاحب البوفيه بالباب وحسبى : «الى اللقاء» وعضى كالكسكان .

ولما عبط الدرج قليلاً جلس على إحدى الدرجات وأخرج الرزمة يثيقن منها - كانت التشيرفوتسكات في مكانها .

وهنا خرجت من الشقة المظلة على هذه البسطة امرأة تحمل حقيبة يد خضراء . ابتسمت المرأة حين رأت هذا الشخص الجالس على الدرجة الذي يرنو الى التشيرفوتسكات بنظرات بليدة وقالت

في شرود :

- اي بنائة هذه ! وهذا السكران من الصباح . والزجاج  
الذي كسر من جديد . - تم أردفت بهذا أن أمنت أنظر في  
السائق تقبول : - اي ايها المواطنين ، ما اكثر عدد  
التشريفات عندك لو تتقاسمها ! أ ؟  
- وعيني بحق المصيح ، - قال صاحب البوفيه مذعوراً  
ونياً النقود بسرعة . وانفجرت المرأة ضاحكة .  
- اذهب الى الشيطان ، يالك من بغيل ! كنت امازحك . -  
ومضت تهبط الدرج .

نهض صاحب البوفيه ببطء ، ورفع يده يحكم وضع قبعته .  
لكنه سرعان ما ايقن انها ليست على رأسه . كان ابعده ما يكون  
رغبة في العودة . لكنه شعر في الوقت نفسه بالأسف على قبعته .  
تردد قليلاً لكنه عاد مع هذا وزن جرس الشقة :  
- ماذا تريد أيضاً ؟ - سأنته غيلاً اللعينة .

- نسيت قبعتي ، - همس صاحب البوفيه وهو يفرز  
اصبعه في صلعته . واستدلوت غيلاً ، فبصق صاحب البوفيه في  
سره والغضب عينيه . ولما فتحهما كانت غيلاً تناوالة القبعنة  
وشيشاً ذا ملبض قائم اللون .

- ليس لي ، - همس صاحب البوفيه وهو يدلع عصبه  
الشيبي ويرتدي قبعته على عجل .

- اثبت الينا دون شيش حقاً ؟ - قالت غيلاً مندعشة .  
فطمع صاحب البوفيه بشي، ما ، وانطلق يهبط الدرج ، لكنه  
شعر برأسه يضايقه ويدقه زائد ينبعث من اللبنة ، فخلعها  
واطلق صيحة خائفة وهو يفلز من خوفه . كان يمسك بيده  
طاقية بيديه مضمية عليها ريشة ديك باليسة . ورسم اشارة  
الصليب ، وفي نفس اللحظة ماتت الطاقية واستحالت قطعاً صغيراً  
أسود وثب عائداً الى رأس الندي فوكيتش وهرز مغالبه كلها في  
صلعته . اطلق صاحب البوفيه صرخة بالسة واندفع يهبط ،  
بينما قلز التط عن رأسه وراح يصعد الدرج وثباً .

واذ وجد صاحب البوفيه نفسه في الهواء الطلق ، مضى يركض  
الى الباب الخارجى وغادر البناية رقم ٣٠٢ مكرر المسكونة  
بالتشيطين الى الأبد .

أما ما حدث له بعد ذلك فنعرفه معرفة اليقين : فبعد أن

خرج صاحب البوفيه من الطنف التي حوله نظرة وحشية كمن يبحث عن شيء ما ، وفي دقيقة كان على الجانب الآخر من الشارع يدخل سيدلية . وما ان تطلق بهذه الكلمات : «قولي لي مسن فضلك . . .» حتى عثقت المرأة التي كانت تلف وراء البسب : - ايها المواطن ، الا ترى ان واسك كله مجرد ا . . .

بعد خمس دقائق كان صاحب البوفيه قد طعمه رأسه وعرف ان البروفيسورين بيوتادسكي وكوزميسن يعدان افضل اختصاصيين في امراض الكبد . وكان يطير من الفرح حين سأل وعرف ان التريهما ، البروفيسور كوزمين ، يسكن داراً بيضاء صغيرة لا يفصله عنها سوى بناية واحدة . وبعد نحو دقيقتين كان يدخل هذه الدار ذات البناء القديم انما العريخ جناً . ويذكر اندي فوكيتس ان اول ما لقيه في هذه الدار كان امرأة عجوزاً ارادت ان تاخذ منه قبعة . ولكن بما انه تبين ان لا قبعة لديه . فقد انصرفت العجوز عنه وهي تضع قبعا الخالي مسن الأسنان .

وظهرت مكانها قرب امرأة وتحدثت فوس ، كما تبين له ، امرأة متوسطة العمر وقالت له على الفور ان بإمكانه ان يسجل اسمه للثاسع عشر من الشهر ، وليس قبل هذا التاريخ . وأدرك صاحب البوفيه فوراً فيما خلاصه من هذا المازق . فقد التى الى ما وراء القوس حيث كان يجلس في غرفة الانتظار ثلاثة اشخاص نظرة انطلقا التور فيها وهمس :

- مصاب اصابة معينة . . .

وعثت المرأة الراس المنضم في حيرة ، وترددت قليلاً ثم قالت :

- يا العمل . . . - وسحبت لصاحب البوفيه بالعبور الى ما وراء القوس .

وفي اللحظة نفسها فتح باب في الجهة المقابلة ولعبت فيه نظارة انية منعبة ، وقالت امرأة في رداء أبيض :

- ايها المواطنون ، هذا المريض سيدخل دون دور .

وفي لحظة عين وجد نفسه في مكتب البروفيسور كوزمين . ولم يكن في هذه الغرفة المتطاولة شيء مخيف ، مهيب وطبي .

- ماذا اصابتك ؟ - سأله البروفيسور كوزمين بصوت لطيف ، ونظر الى راسه المضطرب في شئ من القلق .
- عرفت لتوي من مصدر متوقف ، - اجاب صاحب البوفيه وهو يسترق نظرة مستوحشة الى صورة فوتوغرافية جماعية خلف الزجاج . - الى ساموت في شباط القادم من سرطان في الكبد . اضرع اليك ان توقف العرض .
- ارتد البروفيسور كوزمين الذي كان جالساً الى الورا ، بفتة ملياً ظهره على مسندة الأريكة القوطي الجلدي العالي .
- عفواً ، لا افهم ما تقول . . . هل كنت عند طبيب ؟ لماذا ضد رأسك ؟
- اي طبيب ذلك ؟ - لو رايت هذا الطبيب ا . . . - وهنا اخذت اسنانه تطلقن لجة . - اما رأسي فلا تهتم به ، ليس له علاقة بالموضوع . دعه وشأه فهو ليس موضوعنا . سرطان الكبد . . . أرجوك ابتفاه .
- لكن عفواً ، من قال لك هذا ؟
- صدقه ، - قال صاحب البوفيه يربوه بحرارة ، - فهو يعرف .
- لا افهم شيئاً ، - قال البروفيسور وهو يهز كتفيه ويتراجع باريكته عن الطاولة . - آني له ان يعرف متسى ستوت ؟ خصوصاً انه ليس طبيبياً ا .
- في الغرفة الرابعة ، - قال صاحب البوفيه .
- وهنا تطلع البروفيسور الى مريضه ، الى راسه والى بتطاله الرطب وقال في نفسه : «هذا ما كان ينقصنا ! مجنون !» وسأله :
- هل تشرب فودكا ؟
- لم اسمها أبداً ، - اجاب صاحب البوفيه .
- وبعد دقيقة كان يشهد مجرداً مسن نيايه على مضجع بارد مغطى بالمشمع والبروفيسور يدلك له بطنه . وينبغي القول هنا ان صاحب البوفيه استرد مرحة الى حد كبير . فقد أكد لسه البروفيسور بشكل قاطع انه في اللحظة الراعنة هل الأفل لا تلاحظ في المريض اي علامة من علامات السرطان . ولكن بما ان الأمر كذلك . . . اي بما ان المريض خائف ، وبما ان أحده

المشعوذين ووجه فمن الضروري اجراء كل التحليلات . . . كان البروفيسور يخط بسرعة على أوراق أمامه وهو يشرح لصاحب البوفيه الى أين عليه ان يذهب ، وماذا عليه ان يحضر . واشتغ هذا كله بتقرير قصير الى البروفيسور يوريسه الاختصاصي في الأمراض العصبية موضحاً للمريض ان اعصابه في غاية الاضطراب .

- كم تأخر يا بروفيسور ؟ - سألته صاحب البوفيه بصوت رقيق راعش وهو يخرج حافظة نقوده السميكة .

- ما تشاء ، - أجابه البروفيسور بصوت مقتضب وجاف . اخرج صاحب البوفيه ثلاثين روبلاً ووضعها على الطاولة . ثم وضع بخفة نجاة . وكأنه يعمس بل خلف قط . عموداً صغيراً ونائماً ملفوناً في ورقة جريدة فوق التشيرفوتستات .

- ما هذا ؟ - سأل البروفيسور كوزمين وقتل شاربته . - لا تأتق منها ، ايها المواطن البروفيسور ، - هس صاحب البوفيه - ارجوك اوقف السرطان .

- اليك هني يذهبك هذا ، - قال البروفيسور بشعور من الاعتزاز بالنفس ، - الأفضل لك ان تهتم باعصابك . غداً عند البول للتحليل . لا تكثر من شرب الشاي وكل دون ملح على الاطلاق .

- حتى الحساء دون ملح ؟ - سأل صاحب البوفيه . - لا تملح شيئاً ، - امره كوزمين .

- ايه ، - هتف صاحب البوفيسه في حزن وهو يروح الى البروفيسور في تائر ويلم عشراته القعبية ويتراجع الى الباب . كان عدد المرضى قليلاً في عيادة البروفيسور هذا المساء . ومع حلول الظلام خرج آخرهم . وألقى البروفيسور وهو يخلص رداءه ، نظرة الى حيث ترك صاحب البوفيه التشيرفوتستات فلم ير اثرأ لها . بل رأى مكانها ثلاث بطاقات من تلك التي تلتصق على زجاجات خمر «ابراودورسو» .

- الشيطان وحده يعلم ما هذا ! - جنم البروفيسور وهو يجر على الأرض طرف رداءه ويتحسس البطاقات ، - انه كما يبدو ليس مصاباً بالهصام وحسب ، بل مصاب ايضاً . لكني لا استطيع ان افهم ما الذي كان يبغيه مني ؟ اطلباً لتحليل

البول ؟ أو : لقد سرق المعاطف ! - وانقطع الى المدخل وهو لا يزال مدخلاً يده في أحد كسي رداًه فقط . وصرخ بصوت نائب من باب المدخل : - كسينيا نيكيتشنا ، انظري ، هل المعاطف كلها موجودة ؟

وتبين ان المعاطف كلها موجودة . لكن لما عاد البروفيسور الى طاولته وقد خلع أخيراً رداءه ، بدأ وكأنها انغرزت قدماء في أرض المكتب قرب طاولته وقد تسمرت حيناء على الطاولة . بحيث كانت البطاقات كان يجلس الآن قط صغير ذو سحنة بالسة يموء فوق صحن حليب .

- ما معنى هذا كله ؟؟ - هذا . . . - وشعر بالبرودة تسري في فذاله .

هرعت كسينيا نيكيتشنا على صرخة البروفيسور الغاقسة والشاكية وهدأت روعه تماماً بقولها ان أحد المرضى لا يد هو الذي تخلص من هذا القط ، وان هذا يحدث كثيراً في عيادات البروفيسورات .

وأردفت كسينيا نيكيتشنا تفسر الأمر :

- فقرأ على الأرجح ، أما عندنا ، فطبعاً . . .

وأخذا يفكران ويخمنان من الذي ترك القط . وأخيراً وقعت الشبهة على العجوز الصابة بفرحة في المعدة .

- هي طبعاً ، - قالت كسينيا نيكيتشنا ، - قالت في نفسها : لا بد أني سأموت بين يوم وآخر ، أما القط فماذا سيحل به ؟

- والحليب ؟ هل جلبته معها أيضاً ؟ والصحن ؟

- جلبت الحليب في قارورة ، وهنا سكبته في الصحن .

- على أي حال غسذي القط والصحن معاً ، - قال البروفيسور وقام بنفسه بتشجيع كسينيا نيكيتشنا حتى الباب ، ولما عاد كان الوضع قد تغير .

سمع البروفيسور ، وهو يعلق رداءه على السمسار ، قهقهة في الفناء . تطلع البروفيسور وانذهل ، إذ رأى سيده لا يستر جسمها الا قبض تمتاز الفناء ركضاً الى الجناح المقابل . كان البروفيسور يعسرف حتى اسم هذه السيدة - ماريسا الكستروفنا ، وكان الشخص الذي يلهله طفلاً .

- ما هذا ؟ - قال كوزمين في الزدراء .

وهنا أخذ الحاكي يصدح وراء جدار مكتبه أي في غرفة ابنته  
بالحان فوكستروت «هليلويه» . كما سمعت في اللحظة عينها  
زقزقة مصفور دوري خلف ظهر البروفيسور . التفت البروفيسور  
فراى مصفورا ضحكا يفلز على طاوخته .

«هيم» . . . ههه . . . - قال البروفيسور يفكر في سره .  
- لقد دخل حين ابتعدت عن النافذة . كل شيء على ما يرام -  
أمر البروفيسور نفسه وقد شعر أن كل شيء ليس على ما يرام  
اطلاقاً . وطبعاً بسبب هذا المصفور الدوري أساساً . وأيقن  
البروفيسور بعد أن تأمل الدوري أنه ليس مصفورا دورياً عادياً  
تماماً . كان مصفور الدوري اللعين يهرج على قائمته اليسرى  
ويتصنع بشكل ظاهر وهو يجرها مختزلاً الخطو . وبإيجاز كان  
يرقص الفوكستروت على انغام الحاكي وكانه سكران يقف عند  
مضرب . تجالفت السدوري قدر ما وسعه وهو يتطلع إلى  
البروفيسور بوقاحة . كانت يد كوزمين على الهاتف . وكان على  
وشك أن يدير قرصه ويسأل خريج دفعته بوريه ويسأله عما  
يعنيه مثل هذا النوع من مصافير الدوري في سنن الستين .  
خصوصاً إذا اقتربت بدوار في الرأس فجأة .

حط مصفور الدوري أثناء ذلك على الدواة التي أتته هدية  
ذوق عليها (لا أمزج) . ثم ارتفع في الهواء واسترخى فيه ثم  
انقض ينقر كأنها ينتقار من فولاذ زجاج الصورة الفوتوغرافية  
التي تمثل الدفعة الكاملة لخريج الجامعة عام ٦٤ ويحطه سخطايا  
ويندفع خارجاً من النافذة . غيصر البروفيسور الرقم الذي كان  
ينوي أن يديره . وبدلاً من الاتصال ببوريه اتصل بمكتب الملق  
وقال لهم أن المتكلم هو البروفيسور كوزمين وأنه يطلب إليهم  
إرسال معلق إليه في البيت فوراً .

علق البروفيسور الساعة واستدار مرة أخرى . وعلى الفور  
أطلق صرخة . كانت تجلس إلى الطاولة امرأة تضع على رأسها  
خماراً من تلك الخمر التي تضعها ملائكة الرحمة . وتحمل بيدها  
حقيبة كتب عليها «معلق» . وأطلق البروفيسور صرخة أخرى بعد  
أن حلق في قنبا : كان رجالياً . مائلاً حتى لأذنها . فيه ناب .  
وكانت عينها ميتتين .

- ساخذ النفود . - قالت المرخصة بصوت وجعالي عميق .  
- فلا جدوى من بقائها هنا مرمية . - وجرقت البطاقات بقاتتها  
التي تشبه قائمة الطائر واخذت تلذّب في الهواء .  
ومرت ساعتان . كان البروفيسور بعدهما يجلس على سريريه  
في غرفة نومه والعلق يتدلى على صدقيه ووراء اذنيه وهل عنقه .  
وعند قدمي كوزمين كان يجلس على لحاف حريري مطرب  
البروفيسور يوربه الاشبب الثمايين وهو ينظر في اشفاق  
وتعاطف محاولاً تعزيته بالقول ان هذا كله ترهات . كان الليل  
قد غمر الناقله .

اما ما حدث بعد ذلك من اشياء غريبة في موسكو تلك  
الليلة فامر لا تعرفه ولن نسمى بالطبع الى معرفته . لا سيما انه  
ان لنا ان تنتقل الى الجزء التالي من هذه القصة الصادقة : فويها  
بنا ايها القارى !



# الجزء الثاني

## الفصل التاسع عشر

### مرغريتا

هيا بنا ايها الكارى! من قال لك ان لا وجود للحب  
الحقيقى . الصادق . الخالد على هذه الارض ؟ فليقطع لسان  
الكاذب الفاجر !

اتبعنى انا . وانا دون سواي . ياكارلى . ارك مثل هذا  
الحب !

لا ! اخطأ المعلم اذآك في المستشفى والليل يعير السى  
منتصفه . اذ قال لايفان والحرارة تملأ قلبه انها نسيته . هذا  
مستحيل . انها لم تنسه طبعاً .

ولتكشف بادى الامر السر الذي لم يرغب المعلم في كشفه  
لايفان . كان اسم محبوبته مرغريتا نيقولايفنا . وكان كل ما  
قاله المعلم فيها للشاعر المسكين حقيقة خالصة .

كانت محبوبته جميلة وذكية كما وصفها . زد على ذلك  
شيئاً آخر وهو اننا نستطيع التاكيد بثقة ان كثيراً من النساء  
كُنَّ على استعداد للتضحية باي شيء . على ان يستبدلن حياة  
مرغريتا نيقولايفنا بحياتهن . كانت مرغريتا . التي لم ترزق  
ولداً .. في الثلاثين من عمرها وزوجة اختصاصى عظيم نجح .  
الى هذا . في التوصل الى اكتشاف بالغ الخطورة بالنسبة  
للدولة . كان زوجها في عز شبابه . جميلاً . طيباً . شريفاً  
وكان يعبد زوجته . وكانت مرغريتا نيقولايفنا وزوجها يشغلان  
بمردعها كل الطابق العلوي من دار رائعة وسط حديقة في احد  
الازقة القريبة من اربات . مكان ساحر حقاً ! ويوسع اي كان  
التيفن ما أقول فيما لو رغب في التوجه الى هذه الحديقة . وما

عليه الا ان يراجعي . فساعطيه العنوان وادله على الطريق  
فالدور لا زالت قائمة الى الآن .

مرغريتا نيقولايفنا لم تكن في حاجة الى مال . مرغريتا  
نيقولايفنا كان في مقدورها ان تشتري كل ما يروق لها . مرغريتا  
نيقولايفنا كانت تصادف بين معارف زوجها اناساً مشيريين  
للإهتمام فعلاً . مرغريتا نيقولايفنا لم تلمس في حياتها وأبور  
الكاز . مرغريتا نيقولايفنا لم تعرف ويلات العيش في شقة  
مشتركة . وباختصار . . . هل كانت سعيدة ؟ لا . ولا ذليلة  
واحدة ! نعم لم تعرف السعادة منذ تزوجت وهي في التاسعة عشرة  
من عمرها ووجدت نفسها في هذه الدار . يا الهي ! يا الهي !  
ما الذي كانت تحتاج اليه هذه المرأة ؟ ما الذي كانت تحتاج  
اليه هذه المرأة التي كان يضطرم في عينيها دائماً بريق غامض .  
ما الذي كانت تحتاج اليه هذه الساحرة المائلة العين قليلاً التي  
كانت تتجمل في الربيع آنذاك بالسنتط ؟ لا اعرف . لا اعرف .  
الظاهر انها كانت تقول الحليقة . فقد كانت في حاجة اليه هو .  
المعلم . لا الى دار على الطراز القوطي . ولا الى حديقة خاصة .  
ولا الى المال . كانت تحبه . وكانت تقول الحليقة . حتى انا  
الراوي الصادق انما المحايد ينقبض قلبي حين افكر فيما  
كابدته مرغريتا حين عادت في اليوم التالي الى شقة المعلم ولما  
تتمكن لحسن الحظ من التحدث الى زوجها الذي لم يعد في الوقت  
المحدد . وعرفت باختفاء المعلم .

وقضت مرغريتا كل شيء . لتعرف عنه شيئاً . لكنها لم  
توصل بطبيعة الحال الى أي نتيجة . اذالك عادت الى دارها  
واستأنفت حياتها السابقة هناك .

- نعم . نعم . نعم . انه الخطأ نفسه يتكرر ! - كانت  
مرغريتا تقول لنفسها في ايام الشتاء وهي تجلس الى الموقد  
وتحدث في النار . - لماذا تركته في تلك الليلة ؟ لماذا ؟ هذا  
جنون ! لقد عدت في اليوم التالي كما وعدته . بشرط لكن الوقت كان  
قد فات ! نعم . عدت متأخرة جداً كذلك التحس من الاولي !  
لم يكن لكلماتها هذه أي معنى بطبيعة الحال . وبالفعل ما  
الذي كان سيغير لو بقيت الى جانب المعلم في تلك الليلة ؟

هل كانت مستفظة فعلاً ؟ بودنا أن نختلف فائلين : «هذا امر مضحك » . لكننا لن نفضل هذا امام امرأة وصلت حافة الياس .  
أضحت مرغريتا نيقولايفنا الشتاء كله في عذابها هذا حتى جاء الربيع . واستيقظت مرغريتا نيقولايفنا في مخدعها الذي يطل منوره على برج دارها ظهيرة ذات يوم . بل ظهيرة ذلك اليوم نفسه الذي ساءه كل هذه الهرج والهرج جراء ظهور الساحر الشيطاني في موسكو . اي ظهيرة يوم الجمعة الذي أعيد فيه عم برييوز الي كييف مطروداً . واعتقل فيه المحاسب وجرت فيه اشياء كثيرة أخرى غير معقولة وفاضلة .

لم تدرى مرغريتا نيقولايفنا الدمع كما كانت تفضل كثيراً بعد استيقاظها لأنها استيقظت برادها احساس مسبق بأن شيئاً ما لا بد سيحدث اليوم . ولخشيتها من أن يزاولها هنا الاحساس اخذت لتؤويه في نفسها وتسيه .

- انى واكلة . بل مؤمنة بأن شيئاً ما سيحدث ا - حسنت مرغريتا تقول لنفسها في مهابة - لا يمكن الا ان يحدث شيء . فهل كتب على الشقاء مدى الحياة ؟ ولماذا ؟ اعترف الي كذبت وخذعت وعشت حياة خاصة اخطيتها عن أهين الناس . ولكن لا يجوز مع هذا أن أعاقب بهذه القسوة . لا بد ان يحدث شيء ما حتماً . لأنه ليس من طبيعة الأمور ان يدوم شيء ما الي الأبد . ثم ان حلمي ينبري بشيء لا بد حاصل . انا متأكدة من ذلك . هكذا كانت مرغريتا نيقولايفنا تهمس لنفسها وهي ترنو الي الستائر الحمر المضمورة بالشمس وترتدي ملابسها في اضطراب . وتمشط شعرها القصير البجعده امام المرآة الثلاثية . كان الحلم الذي رآته مرغريتا هذه الليلة غير عسادي فعلاً . ذلك انها لم تر المعلم في الحلم طوال عذاباتها الشتوية . الا كان يدعها في الليل . ولم تكن تتعذب الا في ساعات النهار . وما هي ذي تراء هذه الليلة في الحلم .

وات مرغريتا في حلمها مكاناً غريباً - مكاناً مهجوراً . كتيباً تظلمه سماء ربيعية مبكرة غائمة . وات هذه السماء الرمادية التي تتراكم فيها قطع الغيوم وفيها سرب صامت من الغربان . وجسراً ملتوياً تحته ساقية يجري فيها ماء ربيعي عكر . وانجاراً كتيبة بالنسبة نصف عازية وحررة وحيدة . وعلى مسافة ابعد -

بين الأشجار ووراء جنيئة - بناء صغيراً من جذوع الأشجار  
التي اعلم امر مطبخ منزل أو حمام أو غير ذلك . كل شيء  
حولك ميت وكثير بحيث يفريك يشفق نفسك على الحورة التي  
قرب الجسر . لا نسمة . لا حركة سحابة . لا حي . مكان لا  
يطاق بالنسبة لكائن حي .

وهنا . تصوروا . يفتح باب هذا البناء الخشبي على  
مصراعية . ويظهر هو منه . انه بعيد الى حد ما . لكنه مرئي  
بجلاء . معزق الثياب لا تدوي ما يلبس بالفضبط . شعيرة  
منعت . ذاته غير مخلوقة . عيناه مريضتان قلقتان . يومئ  
لها بيده . يتأديها . وانطلقت اليه مرغريتا فوق الشوالات  
الصغيرة وهي تكاد تختنق في الهواء الميت . وفي هذه اللحظة  
اذاقت من نومها .

«هذا الحلم لا يعني الا احد امرين . - قالت مرغريتا  
تعاكم الأمور مع نفسها . - فان كان ميتاً وأوما الي فهذا معناه  
انه جاء ياخذني والى ساموت قريباً . وهذا ممتاز لأنه سيوضع  
حداً لعذابي . وان كان حياً فهذا لا يمكن ان يعني الا شيئاً  
واحداً وهو انه يذكرني بنفسه ! انه يريد ان يقول لي اننا  
سنلتقي من جديد . نعم . اننا سنلتقي قريباً جداً .»

ارتدت مرغريتا ملابسها وهي ما زالت على انفعالها .  
واخذت توحي لنفسها ان كل شيء . في الواقع . يسير على نحو  
موفق . وان على الانسان ان يعرف كيف يشتم هذه اللحظات  
الموفقة ويفيد منها . كان زوجها قد سافر في مهمة لمدة ثلاثة  
ايام كاملة . وهكذا تركت وحيدة الى نفسها طول هذه الايام :  
لن يعيقها احد عن ان تفكر فيما يحلو لها . وعن ان تحلم فيما  
يروؤ لها . وكل هذه الغرف الخمس في الطابق العلوي من  
الدار . كل هذه الشقة القميئة بأن تشير الحسد في نفوس عشرات  
الألوف من القلوب في موسكو تحت تصرفها .

الا انها . وقد نالت حريتها لمدة ثلاثة ايام كاملة . لم  
تحتج الضل مكان من شقتها الفاهرة . بل طمت . بعد ان  
تناولت الشاي الي غرفة مظلمة دون نوافذ كانت تحتفظ فيها  
بحفائب واشياء اخرى عشيقه في خزانتين كبيرتين . جلست  
مرغريتا القرفصاء وفتحتم الدرج السفلي لأولاهها . واخرجت من

تحت كومة من القطع الحريرية الشبه الوحيد الثمين في حياتها -  
اليوما قديماً من الجلد البني فيه صورة المعلم الفوتوغرافية  
ودفتر صندوق التوفير يرصيد من عشرة آلاف باسه وبتلات  
وردة يابسة بين صفائح من ورق السجانر وجزءاً من دفتر يحتوي  
ملزمة كاملة مطبوعة على الآلة الكاتبة ومحرقة في طرفها  
السفلي .

عادت مرغريتا نيقولايفنا بهذا الكنز الى مخدعها فثبتت  
الصورة على المرآة الثلاثية ومكثت نحو ساعة واضعة الدفتر  
الذي انسدتته النار على ركبتيها تطلبه وتعيد قراءة ما امسى بعد  
شبوب النار فيه بلا بداية ولا نهاية : « . . . الظلمة الزاحقة من  
البحر الأبيض المتوسط غطت المدينة البيضاء الى قلب الحاكم .  
اختفت الجسور المعلقة التي تصل الهيكل بيرج انطونيو الرهيب ،  
وانهضت من السماء لجة ، وغمرت الآلهة المجنحة فوق ميدان  
الخيول وقصر الجسائية ذا الكوى ، والأسواق والغانات والأزقة  
وبرك الماء . . . غارت اورشليم المدينة العظيمة وكان لسم  
يكن لها وجود . . . » .

كان بود مرغريتا متابعة القراءة ، لكنه لم يكن امامها الا  
هدآب فحفي غير مستو .

طوت مرغريتا نيقولايفنا الدفتر وهي تسبح دموعها ،  
وارتفعت حاملة المرآة التي كانت لعكس صورتها ، وجلست  
هكذا طويلاً لا ترفع عينها عن صورة المعلم . ثم جلست  
دموعها فتهطت وولبت كثرها بعناية وما هي دقائق حتى كان  
مدفوناً تحت خرق الحرير وكان المزلاج يقفل برنين في الغرفة  
المظلمة .

وقبها كانت مرغريتا نيقولايفنا ترتدي معطفها في المدخل  
استعداداً للخروج في زهرة تصيرة ، تقدمت منها خادمتها  
الحسنة ناتاشا تسالها عن الطبق الثاني الذي عليها ان تعدّه ،  
ولما اتاها الجواب ان الأمر سيان ، ارادت ان تسرى عن  
نفسها بعض الشيء . فانخرطت في حديث مع معلمتها وراحت  
تروي لها اشياء التي اعلم بها . مثال ذلك ان احد المشعوذين  
عرض البارحة في احد المسارح ملاعيب يوت لها الجميع ، وانه  
وزع سجاناً على كل واحد من الحاضرين زجاچئين من العطر

الأجناس وجوارب ، وبعد ان انتهت الحفلة خرج الجمهور الى الشارع - وهنأ ، كانوا جميعهم عراة ! ارتدت مارجريتا نيقولايفنا على الكرسي الذي تحت المرأة في المدخل وراحت تلتهق . وهي تقول لها :

- نانايا ! كيف لا تنجليين ! انت فتاة ذكية ، متعلمة ؛ يتقنون في الطواير اشياء ما انزل الله بها من سلطان . وانت ترددين تقولاتهم !

تخرجت وجئنا نانايا بالحجرة واندفعت تعترض فالتفت اليهم لم يكذبوا فيما يروونه ، وانها شخصيا رأت اليوم في محلّ للمواد الغذائية في اربيات مواطنة دخلت المحلّ وحسي تتعلم خفا . وما ان وقلت عند الصندوق تدفع حتى اخشى الخفّ من قدميها ، وبليت حافية ليس لي قدميها الا الجوارب . تصوري ؛ عيون محمقة وعمل كعها خرق . كان الخف مسحوراً ، من تلك الحفلة .

- وضعت الي بيتها هكذا ؟  
- نعم ، هكذا وضعت ا - صاحت نانايا ووجهها يزداد احمراراً من عدم تصديقتها . - وبالإضافة الى ذلك ، ياسيديتي ، لبست الشرطة ليلاً حوالي مائة شخص . لقد خرجت النساء من هذه الحفلة الى شارع تفيرسكايا لا تسترهن الا سراويل قصيرة .

- داريا هي التي اخبرتك بهذا كله طبعاً . - قسالت مارجريتا نيقولايفنا . - لقد لاحظت من فترة طويلة انها كذابة فظيعة .

وانتهى هذا الحديث المضحك بمفاجأة لطيفة بالنسبة الى نانايا . فقد مضت مارجريتا نيقولايفنا الى مقعدتها وعادت تحبل زوجاً من الجوارب وزجاجة كولونيا . وبعد ان قالت لها انها تريد هي الأخرى ان تربيها ملعوباً أهدتها الجوارب وزجاجة الكولونيا شائعة هديتها برجاء واحد - الا تركض نانايا في شارع تفيرسكايا في الجوارب فقط والا تستمع بعد اليوم الى اقوال داريا . وتبادلت سيده البيت وخادمتها القبلات واقتربتا .

كان الباس الكهربائي يضي بها في اربيات وهي ملتقبة ظهرها على مسند مقعد الطري العريج تفكر تارة في شؤونها

وتصبح السمع نادرة أخرى الى ما يتهاوس به مواطنان يجلسان امامها .

وكان هذان يتهاوسان بأمر في غاية السخف وهما يتلفتان بين اللينة والفيئة حولهما خشية أن يسمعها احد . كان الشخص البدين اللحيم ذو العينين الخنزيريتين الجريبتين الجالس قرب الناقله يقول لجاره الصغير انهم اضطروا الى تغطية التابوت بغطاء اسود . . .

- هذا غير ممكن . - عيس الرجل الصغير مبهوتا . - هذا امر لا سابقه له . . . وماذا فعل جيلديبين ؟  
وفي هدير الباص الكهربائي المتصل سمعت الكلمات التالية آتية من الناقله :

- تحقيق جنائي . . . فضيحة . . . بصراحة . شىء غامض !

والثقت مرغريتا نيقولايفنا من هذه المقاطع المتناثرة شيئا ما مترابطة . كان الهمس بين الرجلين يدور حول سرقة رأس شخص متوقفي من التابوت صباح هذا اليوم ! اما من المتولى فلم يذكر الرجلان اسمه . وهذا هو سرّ اضطراب جيلديبين وقتله الآن . وهذان الشخصان اللذان يتهاوسان في الباص الكهربائي على علاقة بالمتوفى المسروق .

- هل يتسع الوقت لشراء زهور ؟ - قال الصغير في قلق .  
- قلت ان حرق الجنة في الثانية ؟

واخيرا ضاقت مرغريتا نيقولايفنا ذرعا بالاستماع الى هذه الترتبة الغامضة حول الرأس المسروق من التابوت . وفرحت لانه آن لها أن تنزل .

وبعد عدة دقائق كانت مرغريتا نيقولايفنا تجلس على أحد المقاعد عند سور الكرملين بحيث يظهر البانيج امامها . كانت مرغريتا نيقولايفنا تزرّ عينيهما من الشمس الساطعة وتتذكر حلما ، وتتذكر كيف ظلمت من عام على وجه الضيف . يوما بيوم وساعة بساعة . تجلس الى لربها على هذا المقعد عينه . وكيف ان الحقيبة السوداء الى جانبها الآن كما كانت اذاك . لكنه . هو . ليس الى جانبها فسي هذا اليوم . ومع هذا كانت مرغريتا نيقولايفنا تتحدث اليه بفكرها : «لماذا كنت

متنبياً فلماذا لا تخبرني ؟ الناس يخبرون عن حالهم . فلماذا لا  
تفعل ؟ ألم تعد تعبني ؟ لا . لا أدري لماذا لا أصدق هذا .  
اذن نليتّ وقتاً . . . أرجوك اذن اطلقني . أعد اليّ أخيراً  
حريتي كي أعيش وأنفس . وأجابت مرغريتا نفسها بالنجابة  
عنه : « انت طليقة . . . انا الذي يقيّدك ؟ » ثم كانت تردّ  
عليه : « لا . ما هذا الجواب ! لا . غيب عن ذاكرتي وسأصبح  
حرّاً » .

كان الناس يسمون بمرغريتا ليقولوا فلانا . وحانت من أحدهم  
الثلاثة اليّ هذه المرأة الأنثوية المليحة مفتونةً بجمالها ووحدها  
وأطلق سعالاً خفيفاً وجلس على طرف المقعد الذي كانت مرغريتا  
ليقولوا فلانا تجلس عليه . استجمع الرجل شجاعته وقال :  
- طمس جميل اليوم بالتأكيد . . .

أثقت عليه مرغريتا نظرة عبّ واقفاً من توجهها وغسادر  
المكان .

«عاك المثال . لماذا طردت هذا الرجل ؟ - قالت مرغريتا  
تحدثت في نفسها ذلك الذي امتلكها - الليل يتملكني . وليس  
في زير النساء هذا شيء قبيح سوى عبارته الغبية تلك  
« بالتأكيد » . لماذا اجلس هنا وحدي كيومة عند حائط ؟ لماذا  
تبدئي الحياة ؟ » .

واستبد بها العزن ونكست رأسها . وهنا دفعها في صدرها  
فجاءت تلك الموجة الصباحية من الترقب والهيجان إتاهما .  
« نعم . لا بد أن يحدث شيء » . ودفعها الموجة ثانية . وهنا  
أدركت أنها موجة صولية . فمن خلال ضوضاء المدينة كانت  
تسمع بوضوح متزايد قرعات طبل لتترب وأصوات أسواق  
ناشرة قليلاً .

وكان أول من ظهر لها شرطي يبضي يخطأ وليدة على جواده  
أمام سياج الحديقة وخلقه ثلاثة من المشاة . ثم شاحنة تحمل  
موسيليين تسير بهبط . ثم سيارة دفن جديدة مكتشوفة تتحرك  
بهبط . وعليها نعش غارق كله في الكاليل الزهور . وعند زوايا  
الصندوق أربعة أشخاص واقفين : ثلاثة رجال وامرأة واحدة .  
واستطاعت مرغريتا . حتى وهي على هذه المسافة . أن تتبين  
في وجوه الواقفين في عربة الدفن الذين كانوا يشيعون القليد



الى متواء الأخير ذهباً غريباً . وكان هذا بادياً بشكل خاص على وجه المرأة التي كانت تقف في الزاوية الخلفية اليسرى . كانت وجهتنا هذه المواطنة الغليظتان أصلاً لزيادة غلاظة كأننا يضغط سرّاً منير في داخلها . وكانت أنوار غامضة تراقص في عينيها الصغيرتين المحمومتين التورمتين . كان يبدو أن ما هو إلا قليل حتى ينفد صبر هذه المواطنة فتغمر باتجاه المرحوم وتقول : «هل رأيتم شيئاً مماثلاً ؟ لغز مرعب حقاً !» وكانت وجوه المشيعين السائرين بهبط خلف حربة الدفن . وهم نحو ثلاثمائة شخص . لا تقل ذهباً عن وجوه أولئك الأربعة .

كانت مرغريتا تتابع الموكب بعينيها وهي تصفي السرى الطبل التركي الكتيب الذي لم يكن يخرج إلا صوتاً واحداً «بومس . بومس . بومس . بومس» تجبو ضرباته في البعيد . وتفكر في نفسها قائلة : «أي جنازة قريبة هذه . . . وأي ملل يعنيه هذا الصوت ! آه حقاً ، انسى على استعداد لأن ارتهن للشيطان على أن أعرف فقط أهو حي أم ميت ! لو أعرف من هذا الذي يدفنون بعنق هذه الوجوه العجيبة ؟»

- برليوز ميخائيل الكستروفوتش . - تردد قريباً صوت رجالي أذن قليلاً . - رئيس هاسوليت .

استدارت مرغريتا ليقولاً لنا مدعوشة . فرأت على مقدمها مواطناً لا بد أنه جلس عليه حين كانت مستغرقة في تأمل الموكب . وارجع القطن أنها في ذهبها طرحت سؤاها الأخير بصوت مسوع .

في هذه الأثناء أخذ الموكب يتوقف قليلاً بين العيسين والحين . إذ لا بد أن اشارات المرور كانت تعيق تحركه .

- نعم . - قال المواطن الغريب متابعاً . - يا لمزاجهم العجيب . يحملون التقليد الى قبره . ولا يفكرون إلا في أمر واحد - أين اختفى رأسه ؟

- أي رأس ؟ - سألت مرغريتا وهي تحدق في هذا الجار غير المنتظر . كان هذا الجار قصير القامة أصهب بل يكاد يكون أحمر . ذا ثوب وقميص منس وهدلة مطبقة جيدة . وخفين لامعين وقبعة عالية . وربطة عنق فاقعة اللون . العجيب فقط

إيه كانت تتدلى من الجيب العلوي لهذا المواطن حيث يضع الرجال عادة مندبلاً أو قلم حبر ، عظمة دجاج معروفة .

- نعم . - تابع الأصهب موضحاً . - اليوم صباحاً سُرِق

راس القنيد من نابوته في صالة غريبيويدوف .

- كيف يمكن لعقل هذا أن يحصل ؟ - سألت مرغريتا

عنو الغاظر . وهي تتذكر في نفس اللحظة الهنس الذي سمعته

في الباص الكهربائي .

- الشيطان يعرف كيف ! - أجاب الأصهب بما يشبه

الوقاحة . - واعتقد ، بالمناسبة . أنه من الأفضل سؤال

بيغيوت عن الأمر . لقد تمت السرقة ببراعة فانتقصة .

بالمضيحة ! والأهم أن لا أحد يلهم فيما تقع هذا الراس ومن

يحتاج إليه .

وعلى الرغم من اشتغال مرغريتا نيقولايفنا بشؤونها وشجونها

أصابها أثاريل هذا المواطن السجول الغربية بالدعشة .

- العلو ، - صاحت فجأة . - أي برليوز هذا ؟ هذا الذي

في جرائد اليوم . . .

- نعم . بالضبط . . .

- هم الأدباء أولئك الذين يسبرون خلف التعش اذن ؟ -

سألت مرغريتا وكثرت فجأة .

- اي ، طبعاً ، الأدباء !

- وتعرفهم بالوجه ؟

- كلهم ، حتى آخر واحد فيهم ، - أجاب الأصهب .

- قل لي ، - كان صوتها الآن خافتاً ، - الا يوجد بينهم

الناقد لانونسكي ؟

- وكيف له الا يكون بينهم ؟ ها هو ذا في طرف الصف

الرابع .

- هذا الأشقر ، ٢٢ - سألت مرغريتا وهي تزرع عينها .

- ذو اللون الرمادي . . . أترين ، لقد وقع عينيه الى

السماء .

- الذي يشبه سمّاً كاتوليكيّاً ؟

- تماماً !

- كفنت مرغريتا ، وقد أخذت تلتفت في وجه لانتونسكي ،  
 عن طرح المزيد من الأسئلة .
- انك ، كما أرى ، تبغضين لانتونسكي هذا . - قال  
 الأصهب وهو يتشم .
- وأبغض لغيره . - أجابت مرغريتا من بين أسنانها .  
 - لكن ليس في الحديث عن هذا أي متعة .  
 كان المركب في هذه الأثناء يوالى سيره ، وكان يتسرع  
 المشاة نقل من السيارات معظمها خالراً .
- طبعاً ، بامرغريتا نيقولايفنا ، أي متعة يمكن أن تكون  
 في هذا ؟
- اتعرفتي ؟ - قالت مرغريتا متدهشة .  
 وبدلاً من أن يجيب خلج الأصهب تبعته وأمسكها بيده  
 الممدودة . «سحنة كسحنة قطاع الطرق تماماً» - قالت  
 مرغريتا في سرها وهي لتصدق في حديثها أين الشارع هذا .  
 - أما أنا فلا أعرفك . - قالت له مرغريتا في جفاء .  
 - من أين لك أن تعرفيني ! ومع هذا أنا مبعوث إليك  
 في أمر .
- شحب وجه مرغريتا وتراجعت .
- كان عليك أن تبدأ من هذا مباشرة ، لا أن تأخذ  
 بالترثرة بأشياء الشيطان يعلم ما هي عن الرأس المقطوع !  
 هل تريد اعتقالي ؟
- لا شيء من هذا . - هتف الأصهب . - لمريرة : ان  
 فتحت في معناه أنني آت لا أعتقل ! انه ، ببساطة ، مجرد أمر  
 أتيت إليك في شأنه .
- لا أفهم شيئاً ، ما هذا الأمر ؟
- التفت الأصهب حوله وقال بسريرة :  
 - أرسلت كي أذهبك لزيارة أحدهم مساء هذا اليوم  
 - ماذا تهذي ، ومن هذا ؟
- اجنبي رفيع الشأن ، - أجاب الأصهب بلهجة تنمسي  
 بظنونة ما يقول وهو يزر عينيه .  
 واستبد بمرغريتا غضب شديد .

- نوع جديد من القوادين ظهر - قوادين على عارضة الطريق . - قالت وهي تهب واقفة لتصرف .  
- هذا هو جزائي على هذه المهمات ا - هتف الأصهب في استيائه . ولمع في اثر مرغريتا التي كانت اولته ظهرها :  
- غيبة ا

- نذل ا - ردت عليه دون ان تلتفت نحوه . وهنا سمعت صوت الأصهب وراء ظهرها :

- . . . الظلمة الزاحقة من البحر الأبيض المتوسط طغت المدينة البليضة الى قلب الحاكم . اختلفت الجسور المحلقة التي تصل الهيكل ببرج انطونيو الرهيب . . . وغارت اورشليم المدينة العظيمة وكان لم يكن لها وجود . . . وهكذا تخوري انت ايضاً بدفترك المحترق ووردك اليابسة ا اجلسي هنا على المقعد وحيدة والخرمى اليه فك اسارك وإزاحة الكابوس عن صدرك والاختفاء من ذاكرتك تماماً ا

عادت مرغريتا الى مقعدها ولسد ابيض وجهها والأصهب يرتو اليها زاراً عينيه .

- لا افقه ما يجري شيئاً . - قالت مرغريتا بصوت خافت . - الأوراق يمكن الوصول اليها . . . واستراق النظر ومعرفة ما فيها . . . ام ان ناناينا وشيت ا ؟ لكن كيف تمكنت من معرفة افكارى ؟ - كانت تلتصية عذاب ترسم على معيهاها .  
واردفت : - قل لي . من تكون ؟ ومن اي مؤسسة انت ؟

- يا للسامة . - غمغم الأصهب واردف يلول بصوت اعلل : - العفو . سبق ان قلت لك اني لا أتبع اي مؤسسة . اجلسي من فضلك .

صعدت مرغريتا للأمر . لكنها سألت مرة اخرى وهي تجلس :

- من انت ؟  
- حسناً . اسمي ازابيلو . مع ان اسمي لا يوصي لك شيئاً .

- قل لي : من اين عرفت بالأوراق وبافكارى ؟  
- لن اجيب . - قال ازابيلو بلهجة جافة .  
- لكن الا تعرف عنه شيئاً ؟ - همست مرغريتا ضارعة .

- لنقل لرضاً انى اعرف .  
- قل لى شيئاً واحداً . ارجوك : احى" هو ؟ لا تعذبنى .  
- اى . حى" . حى" . - اجابها ازاليلو فى غير  
اقبال .

- يا الهى ا  
- ارجوك . دهيك من اى اضطراب او صراخ . - قال  
ازاليلو عابساً .

- العلو . العلو . - غمضت مرغريتا مستسلمة . - لقد  
قضيت منك بطبيعة الحال . لكن لا بد ان توافقنى على انه  
حين تدعى امرأة وحى فى الشارع الى زيارة . . . اؤكد لك انى  
امرأة دون اوهام قديمة . . . - وهنا ظهرت على وجه مرغريتا  
ابتسامة حزينة . - لكننى لم التق باجانب اطلاقاً . كما ليس  
لدى اى رغبة فى الاتصال بهم . . . زد على ذلك زوجى . . .  
مأساتى انى اعيش مع انسان لا احبه . لكننى اعتبر انفساد  
حياته امرأ غير لائق . فانا لم التق منه الا كل خير . . .  
استمع ازاليلو الى هذا الكلام الملكك بملل ظاهر وقال  
لها بصراحة :

- ارجوك الصمت دليقة .

ولزمت مرغريتا الصمت مستسلمة .

- انى ادهوك لزيارة اجنئى مامون تماماً . ولن يدري احد  
بشان هذه الزيارة . هذا امر استطيع ان اخبئه تماماً .  
- ولماذا احتاج الى" ؟ - سألته مرغريتا فى استعظام .  
- مستعرفين فيما بعد .  
- مفهوم . . . ينبغي ان استسلم له . - قالت مرغريتا  
فى سرود .

رد" ازاليلو على قولها بههمة مترفعة واجاب :

- استطيع ان اؤكد لك ان هذا حلم اى امرأة فى العالم .  
- وهنا لوت" سحنة ازاليلو ضحكة . - لكننى ساخيب املك  
اذ اتقول لك ان هذا لن يحدث .  
- من يكون هذا الاجنئى ؟ - هتلت مرغريتا فى حيرتها  
بصوت عال جعل العابرين قرب المقعد يلتفتون اليها . - وما  
تلع ذهابى اليه ؟

انحنى أزازيلو وحسن في اذنها بلهجة ذات معنى :

- التلع كبير جداً . . . مستغلين الفرصة . . .  
- ماذا ؟ - هتلت مرغريتا وقد تكوّرت عينها . - اذا  
هنتك جيداً فانت تلصّح الى انى استطيع معرفة شيء عنسه  
هنا ؟

او ما أزازيلو براسه في صمت .

- انا مستعدة ! - هتلت مرغريتا بصوت قوي وامسكت  
بيد أزازيلو . - مستعدة للذهاب الى حيث تشاء !  
تنفس أزازيلو الصعداء والفرح ظهره على مسند المقعد  
مظلياً بظهره كلمة «نورا» المحفورة على المسند بأحرف كبيرة  
وقال في سخرية :

- ما اصعب النساء ! - هنا دس يديه في جيبه ومدّ  
رجليه بعيداً امامه . - لماذا ارسلت انا في هذه الهبة مثلاً ؟  
لو انى بيقيصوت . . . فهو فائن . . .

- كفى عن تضليلي وتعذيبى بالغازك هذه . - قالت له  
وهي تبتسم ابتسامة مصطنعة مثذلة . . . - انى انسانة نعمة  
وانت تستغل هذا . انى الفوص في قصة غريبة . لكنى اقسام انى  
لا اقدم على ما اقدم عليه الا لانك اغريتنى بكلماتك القليلة  
عنه ! وانى لاشعر بالدوار من كل هذه الامور الغامضة . . .  
- لا حاجة الى اصطناع الاسباب . - قال أزازيلو وهو  
يلوى بوزء . - عليك ان تلهيى موافى انا ايضاً . صلح مدير  
على سحنته او طرد رجل من بيته . او اطلاق النار على شخص  
ما او اى شيء آخر تافه من هذا القبيل هو اختصاصى المباشر .  
اما التحدث الى نساء عاشقات فهذا فوق طاقتى . الم ترى انى  
اجهد في التناك من نصف ساعة كاملة . انههين اذن ؟

- نعم . - اجابته مرغريتا ليقولايها ببساطة .

- تفضلى اذن . - قال أزازيلو واخرج من جيبه علبة  
ذهبية مدورة مدّ بها يده الى مرغريتا ليقولايها وهو يلول :  
- اخطيا بسرعة والا راك المارة . ستكون لك ذات نفع .  
بامرغريتا ليقولايها . لقد شخت كثيراً من الحزن في نصف  
العام المنصرم هذا (لحل دم مرغريتا لكنها لم تفل شيئاً . فيما  
أزازيلو يتابع .) حاولى مساء اليوم في منتصف العاشرة تماماً

ان لدلكي وجهك وجسك كله بهذا الرحم بعد ان تغلعي كل  
ملايسك . ثم المعلي ما تفتانين . انما لا تبتعدي عن الهاتف .  
في العاشرة ساقط بك واقول لك كل ما يلزم . ليس لك ان  
تتهمي بشيء . فهم سيوصلونك الى حيث يجب . ولن يسببوا  
لك أي ازعاج . مفهوم ؟

لزمتم مرغريتا الصمت قليلاً ثم اجابت :

- مفهوم . هذه العلبة من الذهب الخالص . هذا واضح  
من ثقلها . لكن لا بأس . اني ادرك جيداً انهم يرشوننسي  
ويجربونني الى قصة غامضة مريبة سادفح ثمنها غالياً .  
- ما هذا . - قال ازازيلو بصوت كالفحيح . - هل عدت  
ثانية ؟

- لا . مهلاً !

- اميديي الرحم .

تسببت مرغريتا بالعلبة بقوة اكبر وثابت :

- لا . مهلاً . . . اني مدركة لما اقدم عليه . وانني اقدم  
عل أي شيء . بسببه . لانه لم يعد لي في هذا العالم أي أمل .  
لكنني اقول لك انك ستشعر بالخجل ان اهلكنتي ا لعسم .  
بالخجل ! فانا اهلك بسبب الحب ! - ودقت هل صدرها  
ورنت الى الشمس .

- اميديه . - فتح ازازيلو في حلق . - اميديه . وليذهب

هذا كله الى الشيطان ا فليرسلوا بيفيموت ا

- لا . لا . - صاحت مرغريتا صيحة بهت المارة لها -  
انا موافقة عل كل شيء . موافقة عل مهزلة الدالك هذه . موافقة  
عل الذهاب الى حيث يرسلني الشيطان . لكنني لن اميده ا  
- يا ا - عذر ازازيلو فجأة . وجعلت عيناه وهو يحدث  
في سور الحديقة واخذ يشير باصبعه الى مكان ما .

التفتت مرغريتا الى حيث كان ازازيلو يشير باصبعه . فلم  
تقع عل شيء . غير مالوف . فاستندرت اذالك الى ازازيلو علها  
تحظى بتفسير لهذه «البا» السخيفة التي اطلقها . لكنه لم  
يكن هناك من مفسر : فقد اختلى محدث مرغريتا ليقولايفنسا  
الفاطر . اذالك دستت مرغريتا نيقولايفتا يدعا بسرعة في  
حقيبتها . حيث خبئات العلبة الصغيرة قبل صرخة ازازيلو .

وتيقنت من وجودها في مكانها . اذ ان هربت خارجة من حديقة  
الكستروفسكي لا تفكر في شيء .

## الفصل العشرون

### دهان ازازيلو

كان القمر المعلق في كبد السماء المسالية الصافية يلوح  
في ليلة اكتماله من خلال الحصان القيقب . وكانت اشجار القيقب  
والسلط توشي ارض الحديقة بوشى معقد من البقع . ونافذة  
المنور التلائية المرفقة المفتوحة اما السدلة الستائر تشتعل  
بنور الكهرباء المسعور . كانت كل الصابيح مضاءة في مخدع  
مرغريتا نيقولايلنا لتبير الغوضى الكاملة الضاربة اطنابها في  
الغرفة : على السرير فوق اللحاف قصان وجوارب وبياضات ،  
اما الملابس الداخلية المكروسة فكانت ملقاة على الأرض قرب  
علية سجانر مسحوفة من اضطراب . وكانت الاحذية على طاولة  
قرب فتجان قهوة لم ينسرب كله ومنظفة يتصاعد دخانها من عقب  
سيجارة . وعلى مسند الكرسي يتدلى ثوب مهرة اسود . وروائح  
عطور تلوح في الغرفة مستزجة برائحة مكسوة معكاة آتية من  
مكان ما . . .

كانت مرغريتا جالسة امام المرأة وعلى جسدتها العاري يرنس  
استحمام وفي قدميها حذاء اسود من السماء . وامامها الى جانب  
العلية التي اخذتها من ازازيلو سوار من الذهب فيه ساعة  
صغيرة . لم تكن مرغريتا نيقولايلنا ترفع عينيها عن ميساء  
الساعة . وكان يكاد يلمس اليها احياناً ان الساعة تعطلت وان  
عربيها لا يتحركان . لكن عقري الساعة كانا يتحركان وان ببطء  
شديد كانا التصلا بشي . ما . واخيراً [سقط العنقرب الطويل  
على الدقيقة التاسعة والعشرين بعد التاسعة] . دق قلب مرغريتا  
بعنف بحيث لم تستطع تناول العلية على الفور . لكنها تعالكت  
نفسها . وفتحت العلية فرائبها دهاناً دسماً ضارباً الى  
الصفرة . تلوح منه رائحة نباتات مستنقعية كما بها لها . اخذت



مرغريتا شيئاً من الدهان بطرف اصبعها ووضعت على راحتها  
فيلفت انفا بقوة اكبر رائحة من اعشاب المستنقعات والغابات ،  
ثم اخفت تلك به جبينها ووجنتيها . كان الدهان يطلى بيسر  
ثم يتبخر على الفور كما تراه لسرغريتا . وبعد عدة دقائق  
تطلعت مرغريتا الى المرأة ، نسقت العلية من يدها على زجاج  
الصاعة فتسلق . انحضت مرغريتا عينها ثم تطلعت في المرأة  
تالية وانفجرت لكهله .

كان حاجباها المستوفان عند الطرفين بالمقط حتى صارا  
كغيب رفيع قد ازدادا كثافة واراسما قوسين اسودين متساويين  
فوق عينها اللتين تالتت خضرتها . والتفخضن العودي الخفيف  
الذي يقطع اوتية الأنف والذي ظهر اذاك ، في تتحرين الأول حين  
اختفى المعلم ، اختفى دون اثر . كما امتدت الظلال المائلة الى  
الصفرة عند الصدغين والشبكتان الصغيرتان الظاهرتان قليلاً  
عند زاويتي العينين الخارجيتين ، وبشرة الوجنتين تشربت بلون  
وردي متسق ، والجبين بات ابيض ساقياً ، وتصليفة الشعر عند  
الحلاقة انحلت .

كانت تطلتع الى مرغريتا ذات الثلاثين عاماً من المرأة امرأة  
في العشرين من عمرها ذات شعر اسود أجعد بطبيعته مكشورة عن  
استالها من فهية جنونية لهزها .

وما ان شبت فهية حتى انسلت بلفزة واحدة من برنسا  
وخرقت من الدهان القسم الطري ودلكت بلوة جسمها الذي  
سرعان ما تورم واشرق . ثم وفي لحظة هذا صدغها الذي ظل  
يؤلها طول المساء بعد اللقاء في حديقة الكسندروفسكي كانا  
أخرجت من الشيخ ايرة ، واشتدت لخصلات يديها ورجليها وفقد  
جسم مرغريتا وزنه .

ونظت مرغريتا نلعة صغيرة فالذا بها تتدلى على ارتفاع  
يسير فوق السجادة ، ثم اذا بشيء ما يجذبها ببطء الى الأسفل  
فتهبط عليها .

- يا للدهان ! يا للدهان ! - هتلت مرغريتا وهي ترتجى  
في اريكتها .

ولم يغيرها التذليك ظاهرياً وحسب . فقد كانت تشعر الآن  
بالفرح يسود فيها كلها . في كل خلية من خلايا جسدها ، كان

لغات تغز جسدها كله . أحست مرغريتا أنها تحررت ،  
تحررت من كل شيء . وأندرت بوضوح تام . أن ذلك . أنه انها  
حدث لها ما أياها به احساسها المصيق في الصباح . وانها  
تغادر الدار وحياتها السابقة الى الأبد . انها بليت من حياتها  
السابقة تلك فكرة واحدة - أن عليها أن تزدي واجبا واحدا  
اخيرا قبل بداية شيء ما جديد . خارق يجذبها الى الأعلى . الى  
النضاء الربح . فهرعت . هي العارية التي كانت تلتف من حين  
الى آخر في الهواء . من مخدعها الى مكتب زوجها وأشعلت ضوء  
والدلت الى طاولته . وكتبت له بقلم رصاص بخط سريع  
وكبير ودون أي مراجعة الرسالة التالية على ورقة التزهة من  
مفكره :

«صاحني وانسني بأسرع ما يمكن . اني الخالدك الى الأبد .  
للا تبعت عني لأن هذا دون جدوى . لقد أصبحت ساحرة من  
حزني وعن المصائب التي نزلت بي . أن اواني . فالسوداع .  
مرغريتا» .

وطارت مرغريتا بنفس اطمانت تماما عائدة الى مخدعها .  
وهرعت نائنا في اترها تحمل كومة من الأشياء . وللحال تساقطت  
هذه الأشياء كلها . العلاقة الخشبية والتوب التي عليها .  
والمناديل الموشاة بالدمانتيلا . والأحذية الحريرية الزرق العترة  
فوق مشجب الاحذية وحزام الفستان . تساقطت كلها على الأرض  
وبسطت نائنا يديها الطليقتين الآن مشدوحة .

- جميلة . اليس كذلك ؟ - هتفت مرغريتا ليقولايفنا  
بصوت عال مبسوح .

- كيف حدث هذا ؟ - همست نائنا وهي تنكس على  
عقبها . - كيف تعلقين هذا أنت يا مرغريتا ليقولايفنا ؟

- انه الدمان ! الدمان ! الدمان . - أجايت مرغريتا وهي  
تشير الى العلية الذهبية المتلألئة وتتنسى أمام المرأة .

نسيت نائنا التوب المدعوك الملقى على الأرض . وهرعت  
الى المرأة وحملت في بقايا الدمان بعينين لهمتين محسومتين .

وتمتعت شفتاها شيئاً . ثم التفت الى مرغريتا وقالت لها بما يشبه الاجلال :

— الجلد ا جلدك يا مرغريتا نيقولايفنا ا جلدك يشرق . —  
وهنا اخافت من ذعرها فركضت الى التوب ترفعه وتنتفضه .

— دعيه ا دعيبه ا — صاحت مرغريتسا . — ليذهب الى الشيطان . دعى كل شيء ا او بالأحرى لا . خذيه ذكرى لك . خذيه ذكرى . قلت لك . بل خذي كل ما في الغرفة .

وكانما لقدت ناتاشا بعض عقلها . فرت بعض الوقت الى مرغريتا دون حراك ثم تعلقت برقبته واخذت ثقلها وتكسح :  
— كانتا من الأطلس ا انها تشرق ا كانتا من الأطلس ا والحاجبان ا

— خذي كل الملابس . خذي كل العطور . جريها الى صندوقك وخبئها هناك . — صرخت مرغريتا . — انسا ايادك والمجوهرات والا اتهمت بالسرقه .

حزمت ناتاشا ما وقع تحت يدها من الثواب واحذية وجوارب وملابس داخلية ولحاحدوت المخبذ ركضاً .

وفي هذا الوقت انطلقت من نافذة مفتوحة في الجانب الآخر من الزقاق ودوت موسيقى فالس رائع . وسمع لهاك سيارة تقترب من الباب الخارجي .

— لا بد ان يتصل ازابيلو الآن ا — هتفت مرغريتا وهي تصفي الى الفالس المتدفق الى الزقاق . — لا بد ان يتصل ا والأجنبي مأمون . لا خطر منه . نعم . الآن أدركت انه مأمون . فلا عذير السيارة مبتعدة عن الباب . واصطفق باب الحديقة وسمع على بلاط المشى وقع خطوات .

«انه نيقولاي ايغاتوفتشي . اعرفه من خطواته . — قالت مرغريتا في سرها . — ينبغي ان اودعه وداعاً جداً مطمح مطمح» .

ازاحت مرغريتا الستر جاتياً . وجلست على حافة النافذة جنباً . وطولت ركبتهما بيديها . فلمسها ضوء القمر في جنبها الأيمن . ثم رفعت رأسها الى القمر واصطنعت وجهاً حالماً وشاعرياً . دقت الخطوات مرتين أخريين ثم خفت بفتة . تريت مرغريتا قليلاً تستمع بعراى القمر ثم انتهت من قبيل اللياقة

وحولت رأسها باتجاه الحديقة . وبالفعل رأت نيقولاي ايغانوفتش  
الذي كان يقطن الطابق السفلي من الدار نفسها . كان يجلس على  
مقعد . وقد شعره القمر بنوره الساطع . كان كل شيء يدلّ على  
انه رمى نفسه على المقعد بفتة . فقد كانت نظارته الالمانية مائلة  
على رجليه ، وحقيبته مضغوطة بين يديه .

- اي . مرحباً . يا نيقولاي ايغانوفتش . - قالت مرغريتا  
بصوت حزين . - مساء الخير ! اعانده من الاجتماع ؟  
لم يجبهها نيقولاي ايغانوفتش بشيء .

واردفت مرغريتا وهي تمن في الجوز من الشباك المظلم  
على الحديقة :

- اما انا فاجلس وحيدة ، ضجرة كما ترى . انطلق الى  
القمر واستمع الى الفالس .

ومرت مرغريتا بيدها اليسرى على صدرها تسوي خصلة  
شعرها ثم قالت في استياء :

- هذا ليس من الادب في شيء ، يا نيقولاي ايغانوفتش ! فانا  
امراء اولاً واخيراً ! وانها لجلالة حين يتكلمونك ولا تجيب !  
لجاء اطلق نيقولاي ايغانوفتش الذي كان يترى في ضوء  
القمر حتى آخر زر في صدورته الرمادية وحتى آخر شعرة في  
لحيته الصغيرة البيضاء الاسفينية الشكل ضحكة وحشية وهبّ  
واقفاً من مقعده . وبدلاً من ان يخلع ثيابه ، لوح بحقيبته جانباً  
بسبب الارتباك الذي تولاه ليعا يظهر وثني رجله كأنها يستعد  
للرقص .

- آه . يا لك من شخص مملّ . يا نيقولاي ايغانوفتش . -  
تابعت مرغريتا تقول . - وبشكل عام تعرفتكم جميعاً بحيث لا  
استطيع التعبير عن قرني هذا . فانا سعيدة برفاقتكم ! الالهيم  
الى الشيطان !

في هذا الوقت دوى الهاتف خلف ظهرها في مخدعها . فقزت  
من على النافذة ناسية نيقولاي ايغانوفتش وشأنها معه وخطفت  
الساعة .

- ازازيلو . - اناها صوت من الساعة .  
- ايها العزيز . ايها العزيز ازازيلو ! - هتفت مرغريتا .  
- ان الاوان . طيري . - قال ازازيلو في الساعة . وكان

واضحاً من صوته انه استعذب حساسة مرغريتا الصادقة الفرحة ،  
- وعندما تصبحين فوق الباب الخارجى ، صيحي «خفية» ، ثم  
طيري فوق المدينة قليلاً كي تعتادي ومن ثم اتجسي الى الجنوب  
خارج المدينة ، ومباشرة الى النهر حيث ينتظرونك ا

صلقت مرغريتا السحابة ، وهنا تحركت في الغرفة المجاورة  
نسي ، ما خشبي كأنما يحجل وأخذ يخطب الباب . فتحت مرغريتا  
الباب فإذا بالمكنسة تطير الى داخل مخدعها تتراقص وشعراتها  
الى الأعلى . كانت المكنسة تنقر على الأرض بطرفها وترنس  
وتندفع الى الخافذة . زحقت مرغريتا من شدة حماسها ، وولبت  
لمنظر المكنسة . وهنا فقط فطنت الى انها نسيت في هذا الهرج  
والهرج ارتداء ملابسها . فاندفعت الى السرير وخطت أول ما  
وقعت عليه يدها وكان قيصاً أزرق ، فلوححت به كأنه يبرق  
وطارت عبر الخافذة . وازدادت موسيقى الفالس فوق العديسة  
عزفاً .

هبطت مرغريتا من الخافذة ورات نيقولاي ايغانوفتشس على  
المقعد . كان يجلس ، وكأنه لجمد في مكانه ، يسرق السمع ،  
وقد استبد به الدهول . الى الصراخ والجلبة الآتين من المخدع  
المنار في الطابق العلوي .

- الوداع . يا نيقولاي ايغانوفتشس ا - صاحت مرغريتا وهي  
تتراقص أمام نيقولاي ايغانوفتشس .  
تأوه نيقولاي ايغانوفتشس وزحف على المقعد مستنذاً على  
يديه ورامياً حقيبته على الأرض .

- الوداع الى الأبد ا انا طائرة - صاحت مرغريتا بصوت  
تغطي على صوت الفالس . وهنا فطنت الى انها لم تعد بحاجة  
الى قيصها فاطلقت فهتفة شريرة ولطقت رأس نيقولاي  
ايغانوفتشس به ، فهوى هذا من المقعد على بلاط المسطح مبهوراً .  
التفتت مرغريتا لتلقى نظرة أخيرة على الدار التي عانت فيها  
طويلاً المذاب . فرات في النور المتوهج وجه ناتاشا الذي  
شوهدت الدهشة ملامحه .

- الوداع يا ناتاشا ا - صاحت مرغريتا وجذبت المكنسة  
الى أعلى . - خفية ، خفية . - صاحت بصوت أهل من السابق ،  
وراحت تطير بين أغصان القيقب التي كانت تصفع وجهها

مجتازة" الباب الخارجي الى الزقاق . ودوت اترها انعام الثالث  
وقد جن جنونها تماما .

## الفصل الحادي والعشرون

### الطيران

خفية وطليفة ! خفية وطليفة ! قطعت مرغريتا زقاقها طيرانا  
وبلغت زقاقا آخر يقطع الأول بزاوية قائمة . ولي لحظة قطعت  
ايضا هذا الزقاق المرفح المتعرج الطويل الذي تقوم فيه دكان  
المستقات النبط ذات باب مائل يباع فيها الكيروسين بالاكواز  
والمبيدات الحشرية بالزجاجات ، وهنا ادركت انها وان كانت  
غير مرئية وطليفة تماما . الا ان عليها ان تظل عاقلة ولسو  
قليلاً حتى وهي في ذروة تشوها ، اذ كادت تتحطم على مصباح  
قديم مائل في ناصية الزقاق ، لو لم تمكن باعجوبة من كبح  
جسدها واتقائه . وهنا تمسكت مرغريتا بالمكنسة بقوة اكبر  
واستمرت تحلق اتسا ببطء ، اكبر وهي تحديق في الاسلاك  
الكهربائية والياقظات المعللة على عرض الرصيف .

كان الزقاق الثالث يلضي الى ارباب مباشرة . وهنا تعرفت  
على اسرار قيادة المكنسة تماما ، وادركت ان هذه تنصاع لادني  
لمسة يد أو رجل . وان عليها ، وهي تطير فوق المدينة ، ان  
تكون في غاية اليقظة وضبط النفس . هذا الى انه اوضح لها  
تماما ، حتى وهي لما تنزل في الزقاق ، ان المارة لا يرونها ،  
اذ لم يرفع أي منهم راسه ولم يصرخ : « انظر ! انظر ! » ، ولم  
يجلج ، ولم يزعم ولم يغم عليه ولم يطلق لهجات وحشية .  
كانت مرغريتا تطير ببطء شديد دون أي صوت وعمل  
ارتفاع قليل ، على مستوى الطابق الثاني تقريبا . لكنها ، على  
الرغم من تحليتها البطيء ، هلت هفوة بسيطة عند اتصال الزقاق  
باربات المضادة بالانوار الباهرة فارتطمت كنفها بقرص مضاد  
رسم عليه سهم ، ممسا الخشب مرغريتا . فارتقت المكنسة  
المطبعة وتحتت قليلاً ثم انقضت على القرص بغتة وحطمته

بطرف المكتبة شظايا . وتناثرت الشظايا على الأرض في دوي  
فجفل المارة وسمع في مكان ما صغير ، أما مرغريتا فانطلقت تنهله  
بعد تصرفها العابت هذا . «عليّ أن أكون أكثر حذراً في اربيات ،  
- قالت مرغريتا في نفسها ، - فهنا الحابل يختلط بالنابل بحيث  
لا تدري أول الأمر من آخره» . وأخذت تغطس بين الأسلاك .  
وتحتها تسبح اسطح الياصات الكهربائية والياصات والسيارات  
الصغيرة ، وعلى الأرصفة ، كما بدا لمرغريتا من فوق ، تجري  
انهار من القبعات . وكانت تتفرّج من هذه الأنهر سواق تطور  
في الأشغال المضادة للمخازن الليلية . «اي ، ما هذا الخليط  
العجيب ! - فكرت مرغريتا في استياء ، - لا يستطيع الانسان  
ان يشرك هنا» . وقطعت اربيات وحلقت حتى مستوى الطابق  
الرابع وسبحت بقرب انابيب ذات لمعان خاطف على مبنى المسرح  
الذي على الناحية الى زقاق ضيق ذي بيوت شائعة . كانت كل  
النوافذ في هذه البيوت مشرعة ، وكانت تسمع من نوافذها  
موسيقى تنبعث من الراديووات . الفت مرغريتا نظرة على أحدها  
من قبيل الفضول فرات مطبخاً ، فيه واپورا كاز يهدوان على  
الفرن وقربهما تلف امرأتان تحلان ملعتين في ايديهما .  
تتسالمان .

- ينبغي ان تطفئي الضوء وراك في المراضي ، هذا ما  
يجب ان تعرفيه يا بيلاجيا بيتروفنا ، - قالت المرأة التي كانت  
أمامها طنجرة يتصاعد منها البخار ، - والا قد تمنا شكوى  
باخلانك !

- لا ، انت وحدك الفهية . - اجابت المرأة الثانية .  
- كلاكما لهنيم ، - قالت مرغريتا بصوت مرغان وهي  
تنهدوي الى المطبخ من خلال النافذة . التفتت الرائتان  
المتشاحتان على صوتها ، وتجمدتا في مكانهما وملعتاهما  
الوسختان في ايديهما . بسطت مرغريتا يدها بحذر بينهما وأدارت  
عيان الوابورين وأطفاتهما . تاوتت الرائتان وفغرنا فاهيما .  
لكن الملل كان قد أدرك مرغريتا في المطبخ فحلقت مفادرة الى  
الزقاق .

ولفتت انتباهها في آخره كتلعة ضخمة كانت عبارة عن  
بيت من نمانية طوابق أنتهى بناؤه للتو على ما بدا . اتجهت

مرغريتا الى الأسفل ورات ، بعد أن حطت على الأرض ، ان واجهة البيت مزخرفة بالزمرر الأسود ، وان أبوابه واسعة ، وانه يبدو خلف زجاجها سفرة ذات شريط ذهبي متصّب وأزوار يتواب وانه نقش فوق الأبواب بناء الذهب : «بيت الدرامليت» \* .

زرت مرغريتا حينها على الكتابة جاهدة معرفة ما تعنيه كلمة «درامليت» هذه . تايلت مرغريتا مكنتها ودخلت صادمة البواب المدعوش بالسباب ، قرأت على الجدار قرب المصعد الكهربائي لوحاً أسود ضخماً كتبت عليه بأحرف بيض أرقام التلحق واسماء قاطنيها . نادت عن مرغريتا زعقة ضارية مخوفة لدى قراءتها الكتابة التي تتوَج قائمة الاسماء «بيت الكاتب المسرحي والأديب» . فارتفعت قليلاً عن الأرض وأخذت تقرا بينهم الكثر : غوستوف ، فلورانسكي ، كفات ، بيسكودنيكوف ، لاتونسكي . . .

- لاتونسكي ! - زعقت مرغريتا . - لاتونسكي ! نعم انه هو ! هو الذي قضى على العلم . . .

تطلّح يتواب الى اللوح الأسود وقد جمعت عيناه ، بل حتى وهو ينطق من الدعشة ، معاولاً فهم هذا السرّ العجيب : لم زعقت لائحة الاسماء فجأة ، بينما كانت مرغريتا تندفع صاعدة الدرج وهي تردد فيما يشبه النشوة :

- لاتونسكي - ٨٤ : لاتونسكي - ٨٤

هاهو ذا الى اليسار رقم ٨٢ ، وإلى اليمين ٨٢ - في الأعلى إذن ، السر اليسار ٨٤ . هنا ، وهناك ذي البطاقة . «ار . لاتونسكي» .

لفزت مرغريتا مترجلة من مكنتها فأحست ببرودة لطيفة تسري في ثعلبها العارئين من حجارة البسطة . ضغطت مرغريتا زورّ الجرس مرّة وثانية ، لكن أحداً لم يفتح . وأخذت مرغريتا تضغط الزورّ بقوة أكبر وهي تنصت الى الرنين المتواصل المتصاعد في شقة لاتونسكي . نعم ، ينبغي على قاطن الشقة رقم ٨٤ في الطابق الثامن أن يظنّ شاكرًا للمرحوم برليوز حتى آخر

\* كلمة روسية تتألف من الأحرف الأولى لكلمات روسية تعني بيت الكاتب المسرحي والأديب - المترجم -



رمق من حياته أن وليس الجاسوليت وقع تحت عجلات الترام  
وإن ميعاد الجنازة حدد في هذا المساء بالذات . نعم ، كان الناقد  
لاتونسكي محفوظاً . ولقد انقذه حسن حظه من لقاء مرغريتا  
التي انقلبت جنية في يوم الجمعة هذا !

لم يفتح أحد . إذآك اندفعت مرغريتا بكل قوتها تهبط  
وهي تعد الطوابق . ولما وصلت إلى الأسفل مرتت إلى الخارج  
واخذت تتطلع إلى الأعلى وتعد الطوابق وتتيقن من الأسفل  
أيها بالضبط نوافذ شقة لاتونسكي . أنها ، ولا شك ، تلك  
النوافذ الخمس المعتمة عند زاوية البناية في الطابق الثامن .  
وبعد أن تيقنت من الأمر ارتفعت في الجوى ، وما هي ثوان حتى  
كانت تدخل من نافذة مفتوحة إلى غرفة مظلمة يشقها درج طيبق  
مظنن من ضوء القمر . ودارت مرغريتا بها لتلمس ذر  
الكهرباء . وما هي دقيقة حتى كانت الشقة كلها تنسج بالنور .  
كانت المكتسة تنصب في الزاوية . فتحت مرغريتا الباب المؤدي  
إلى المرح . بعد أن تيقنت من خلوة الشقة ، لتتأكد من البطاقة  
التي على الباب . كانت البطاقة في مكانها . نعم . كانت مرغريتا  
حيث ينبغي أن تكون .

يقال إن وجه الناقد لاتونسكي لا يزال يشعب حتى الآن  
حين يذكر ذلك المساء الرهيب . ولا زال هو نفسه يذكر بأجلال  
اسم برليوز حتى الآن . فمن ذا الذي يوسعه أن يدري بأي  
جريمة غامضة وقطيعة كان سينتهي هذا المساء : فعادت مرغريتا  
من المطبخ وفي يديها مطرقة ثقيلة .

كانت يداها ترتعشان من فقاد صبرها . لكن الطائرة العاروية  
غير المرئية حاولت ضبط نفسها وتبين ما تنويه . سدّدت  
بعناية وهوت بالمطرقة على ملابس البيانو فدوت الشقة كلها  
بأول هواء شاك . كانت الآلة الموسيقية البيئية البريفة من طراز  
بيكر تصرخ في عنف وملامها تنكسر ووصلها العظمية لتطير  
في كل الاتجاهات . زعق البيانو وعوى وجسر ورن . وبصوت  
كانه طلقة مسدس تفجر مشهد التنائم العلوي المنقول تحت  
خربة المطرقة . وكانت مرغريتا تنزع الأوتار وتهرسها بالمطرقة ،  
وهي تكاد لا تستطيع سحب نفسها . وأخيراً أدركها التعب  
فانكفات لترمي على الأريكة عثها لتلتقط انفسها .

وفي الحمام ، كما في المطبخ ، كان الماء يهدر بصوت مرعب ، يبدو انه اخذ يسيل على الأرض - قالت مرغريتا في سرها ، وارتدت بصوت مسرع : - لا وقت للجلوس .

كان تيار الماء قد اخذ يتدفق من المطبخ الى السرير ، نهضت مرغريتا لتخط في الماء بقدميها العائيتين وهي تحمل الماء بالسطل من المطبخ الى مكتب الناقد وتصبه في ادراج مكتبه . ثم اندفعت الى مخدع الناقد ، بعد ان عطمت ابواب الخزانة في مكتبه بطرقتها . فحطمت خزانة ذات مرآة وأخرجت منها بدلة الناقد وارتعتها في الحمام . تسم أرافت على السرير المزدوج المنجد تنجيدا فائرا في مخدعه دوارة مليئة بالحرير خطفتها وهي خارجة من المكتب . كان التخريب الذي تقوم به يبحث فيها لثقة خارقة ، على انه كان يبدو لها طول الوقت ان النتائج متواضعة ، ولهذا اخذت تفعل ما يعن لها دون أي تيسر . فشرعت تحطم زهرينات الفيكوس في الغرفة التي كان فيها البيانو . ثم عادت ، دون ان تكمل ما بدأت ، الى المخدع واخذت تمزق ملايات السرير يسكين المطبخ وتحطم الصور المزججة . ولم تكن تشعر بتعب ، بل كان العرق ينصب من جسدها كله .

في هذا الوقت كانت خادمة الكاتب المسرحي كليات تشرب الشاي في مطبخ الشقة رقم ٨٢ الكائنة تحت شقة لاتونسكي مباشرة وهي في حيرة من أمر الضجة والجلبة فوقها . وأخيراً رفعت رأسها الى السقف فرأت فجأة السقف يستبدل بلونه الأبيض لونا أزرق مبيتاً . كانت البقعة تتسع على مرأى منها . وفجأة انتفخت حولها قطرات ، مكنت الخادمة نحو دقيقتين في دهشة من هذه الظاهرة الى ان انهمر من السقف أخيراً مطر حقيقي وأخذ ينقر أرض الشقة . وهنا هبت من مكانها ووضعت تحت خيوط الماء طسناً ، لكن هنا لم يجدها نفعاً . ذلك ان المطر امتد وأخذ يفسر موقد الغاز ، والطاولة التي عليها أواني المطبخ . اذالك اطلقت خادمة كليات صرخة وهربت من شقتها تلتزم المروج ، وللحال راحت وثبات الجرس تتوالى بعنف في شقة لاتونسكي .

- أخذوا يلرعون ، أن لي أن الحادر ، - قالت مرغريتا ،

وركبت المكتسة وهي تنصت الى صوت نسائي يصرخ في ثقب الباب :

- افتحوا ، افتحوا ! افتحي يا دوسيا ! الماء ينزل من عندكم اليس كذلك ! لقد عرفنا ا

ارتفعت مرغریتسا متراً و هویت بضربة على الثريا فتعطم مصباحان منها وتطايرت أواطها في كل جانب . توقف الصراخ في ثقب الباب وسمع ديبب على الدرج . سبعت مرغریتسا من النافذة . ولما صارت خارجها لوحث بالمطرقة تلويحة خفيفة وضربت بها الزجاج . نشج الزجاج وهو شظايا على الجدار الملبس بالحمر كالشلال الى اسفل . وتحوّلت مرغریتسا الى النافذة التالية . كان المارة يتراكمون متفرقين تحتها على الرصيف . وهدوت إحدى السيارتين الواقفتين عند مدخل البناية وانلمت . واجهت مرغریتسا على نوافذ لاتونسكي فسبعت في الهواء الى الشقة المجاورة . وتواتت الضربات واحتلأ الزقاق ريتاً وقطعة . وهرع من المدخل الأول بواب . تطلع الى الأعلى وتردّد قليلاً اذ لم يدر على الفور كما يبدو ماذا عليه أن يفعل . ثم حشا فيه بصافرة وأطلق صفره مسعورة . خلعت مرغریتسا على صوتها آخر نافذة في الطابق الثامن بحاسة خاصة . وهبطت الى الطابق السابع وراحت تعطم زجاجه .

كان البواب ، الذي اخسنته البطالة الطويلة خلف ابواب المدخل الزجاجية . يودع الصافرة كل روجه محتدياً . الى ذلك ، حلو مرغریتسا كأنما يراقبها . كان في فترات توقف مرغریتسا ، حين كانت تطير من نافذة الى أخرى ، يسحب نفساً . ثم يتلفخ وجهه مع كل ضربة من ضربات مرغریتسا ويروح في صفيح ينشق هواء الليل حتى عنان السماء .

وتلوت جهوده مفرونة بجهود مرغریتسا المستشيطة غيضاً بنتائج واسعة . ركب الذعر البيت كله . كانت النوافذ التي لما نزل سليمة تشرع وتظهر فيها رؤوس سرعان ما تختفي . أما النوافذ المفتوحة فكانت ، على العكس ، تنطلق . وفي البيوت المقابلة كانت تبرز في النوافذ على خلفية مضادة أطراف أناس قائمة تحاول أن تلمح لماذا يتكسر الزجاج دونما سبب في بيت «درامليت» الجديد .

كان الناس في الزقاق يهرعون الى بيت «دوامليت» . أما الناس في داخله فكانوا يدهنون على الأذواج حارين دولبا وهي . كانت خادمة كفاتت تصرخ في المهرولين على الفوج أن المساء يفرق شلتهم . وانضمت اليها بعد حين خادمة خوستوف من الشقة رقم ٨٠ الواقعة تحت شقة كفاتت . كان الماء في شقة خوستوف ينهر من السقف ويتسجر في المطبخ والمرحاض . واخيراً سقطت من سقف المطبخ في شقة كفاتت قطعة كبيرة من الملاط فحطمت كل الأواني الوسخة في مطبخه . وانتهت اذاك شأبيب حقيقية من المطر من خلال الشرائح الخشبية المبلتة التي تغطي السقف . اذاك تصاعد الصراخ والصياح على درج المدخل الأول . وألقت مرغريتا نظرة على الناظفة قبل الأخيرة في الطابق الرابع وهي تعبر قريبا فرأت شخصاً وضع على وجهه من ذعره قناعاً فضربت بالمطرقة على زجاج نافذته فأجفلته واختفى من الغرفة .

وانقطع التحطيم الوحشي فجأة . هبطت مرغريتا الى الطابق الثالث وألقت نظرة من الناظفة الجانبية المسدول ستارها الرقيق القاتم . كانت الغرفة مضاءة بضياء ضعيف ذي اياجور . وطفل في نحو الرابعة من عمره يجلس في سرير صغير مشبك الجانبين وهو يرهق السمع في ذعر . ولم يكن في الغرفة أحد من البالغين . اذ انهم جميعاً هربوا من الشقة كما يبدو .

- يكسرون الزجاج . - قال الطفل ونادى : - ماما !

ولم يجب أحد فقال :

- ماما ، انا خائف .

أزاحت مرغريتا الستر ودخلت من الناظفة .

- انا خائف . - كرر الطفل وارتعش .

- لا تخف . لا تخف يا صغير . - قالت مرغريتا وهي

تعاول تلطيف صوتها المجرم المبحوح من الريح . - الاطفال هم

الذين كانوا يكسرون الزجاج .

- بالنقافة ؟ - سأل الطفل وهو يتوقف عن الاتعاد .

- بالنقافة . بالنقافة . - ثلثت مرغريتا على قوله . -

وانت الخف !

- انه سيشتك . - قال الطفل . - عنده نقافة .

- هو طبعاً !

رنا الطفل جانباً في خبت وسأل :

- واين انت يا حالة ؟

- انا لمغير موجودة ، - اجابتها مرغريتا ، - فانت لرانى

في الحلم .

- هذا ما خمنت ، - قال الطفل .

- تمدد ، - امرته مرغريتا ، - وضع خذك على يديك

وسوف اظهر لك في الحلم .

- اظهري لي ، اظهري لي ، - قال الطفل موافقاً وتمدد من

خوره ووضع يده تحت خدّه .

- سأحكى لك حكاية ، - قالت مرغريتا ووضعت يدها

العازة على راسه المصصوص الشعر ، - كانت تعيش في قديم

الزمان خالة ، لم يكن لها اولاد كما لم تشعر يوماً بالسعادة .

بكت الخالة اول الامر تسم تحولت الى انسانة شريرة . . . -

وصمت مرغريتا ثم رفعت يدها عن راس الطفل - كان قد غفا .

وضعت مرغريتا المطرقة على حافة النافذة برفق وانسلت

محلقة من النافذة . كان الهرج والهرج حول البيت على اشدها .

كان الناس يتراكمون على الرصيف المغطى بالزجاج المحطم

ويتصايحون وقد لاح بينهم بعض رجال الشرطة ، وبفتة قرع

جرس واندفعت من ارباب سيارة اطفال عليها سلم . . .

الما لم يعد يعنى مرغريتا ما يمكن ان يحدث بعد هذا ،

فاحسكت خط سيرها كي لا ترتطم بالاسلاك ، وتشبثت بالمكنسة

بقوة اكبر . وفي لحظة كانت تحلق فوق البيت المنكوب . مال

الزقاق الذي تحتها على جانب وغار في الارض ، وبرز بدلاً منه

تحت قدمها حشد من الأسطح تقطعها في زواياها طرقات صغيرة

مشعشة . وعلى حين غرة انسحبت الأسطح من تحتها جانباً

وانطست حلقات الأنوار وامتزجت .

واندفعت مرغريتا اندفاعاً اخرى فاذا بالأسطح كلها تنفرد

في الأرض وتبدو بدلاً منها بحيرة من الأنوار الكهربائية الراضة .

وفجأة ارتفعت هذه البحيرة شاقولياً ثم ظهرت فوق رأس

مرغريتا ، بينما تلالاً القمر تحت قدمها . أدركت مرغريتا انها

انقلبت رأساً على عقب فاستعادت وضعها الطبيعي والتفتت فلما

بالبحيرة لا وجود لها ، وليس خلفها الا حالة وردية في الأفق .

واختفت الهالة أيضاً في ثلثة لرات مرغريتا نفسها وعدها مع القمر الذي يطير الى اليسار من فوقها . كان شعر مرغريتا قد تكوّن كومة واحدة ، وكان ضوء القمر يغسل جسدها مجدداً صوتاً كالصليب . وادركت مرغريتا ، وهي ترى صلبين من الأنوار المتفرقة يندمجان في خطين ناريين متصلين ويختفيان وراسها بسرعة أنها تطير بسرعة جنوبية ، ودهشت كيف لا تنقطع انفاسها .

وما هي الا ثوان حتى توجهت في مكان ما بعيد تحتها في سواد الأرض بحيرة جديدة من الأنوار الكهربائية وتكوّمت تحت قلمي الطائرة ، لكنهما سرعان ما دارت كالدولاب ولحارت في الأرض . ومرت ثوان أخرى فلذا بالظاهرة نفسها تتكرر .

- مدن ! مدن ! - صاحت مرغريتا .

وبعد هذا رات تحتها مرتين أو ثلاثاً سيوناً في غمد سود مكتسوفة يتعكس منها بريق خافت وادركت ان هذه السيوف ليست سوى أهدال .

كانت مرغريتا الطائرة تدير رأسها الى الأعلى واليسار تمتع ناظرها برؤية القمر يشرق فوقها كالسجون مترابعا الى موسكو ، ويلق مكانه في الوقت نفسه على بحر ادعشها بحيث كانت ترى عليه بجلا، تيناً أو حصان بحر داكناً فاضاً موجهاً بوزء المديب الى المدينة المهجورة .

وعنا تملكك مرغريتا فكرة أنها ، في الواقع ، عبثاً تسوق مكتسبتها بهذه السرعة المفرطة ، فهي تحرم بهذا نفسها من تأمل أي شيء على مهل ومن التمتع بطيرانها . وهتف عاتف في داخلها أنهم سينظرونها هناك الى حيث هي طائرة ، وانه لا داعي لشعور الملل الذي تعالیه جراء طيرانها على هذا الارتفاع وبهذه السرعة الجنوبية .

خلضت مرغريتا رأس المكتسبة المتفوش الى الأمام بحيث ارتفع ذيلها الى الأعلى ، وخلضت سرعتها الى حد كبير ، وانحدرت بها باتجاه الأرض . بعث هذا الانزلاق الشبيه بالانزلاق على رلاجة حوائية نشوة فائقة في نفس مرغريتا . ولهدت الأرض الى مرغريتا فتبينت في عاتيك الكتلة السوداء ، العدمية الشكل حتى الآن ، كل ما فيها من أسرار ومواطن جمال في هذه الليلة

المطيرة . كانت الأرض تنضي للقياما ، ورائحة الغابات التي بدأت الخضرة تكسوها تهبّ عليها ، وطارت مرغريتا فوق ضباب يكتنف مرجاً ندياً ثم فوق بركة كبيرة . كانت الضفادع تنضي جوقة واحدة تحتها ، وفي مكان ما في البعيد يهدر قطار لا تدري لم اشجاها هديره . وما هي برهة الا حتى رأت مرغريتا قطاراً يزحف متباطئاً كأنه أسروع وهو يشتر شرراً في الهواء . تجاوزت مرغريتا القطار ومرت فوق مرآة مائية أخرى يسيح فيها تحت قدميها ثمران . ثم هبطت قليلاً واستأنفت طيرانها حتى كانت قدمها للامسان رؤوس اشجار الصنوبر الضخمة .

وانشق الهواء وراء مرغريتا عن صوت عنيف ، سرعان ما اخذ يلحق بها . وشيئاً فشيئاً انضمت ال هدير هذا الشيء المنطلق ككذيفة فقهية نسائية مسبوحة على بعد فراسخ . التفتت مرغريتا فابصرت شيئاً أسود مركباً يلحق بها . كان هذا الشيء يزاد وضوحاً مع اقترابه من مرغريتا وأخيراً لاح لها ان شخصاً ما يطير واكباً ، ثم تبينته تماماً بعد ان أدركها وخلف سرعته . ولم يكن هذا الشخص سوى ناتاشا .

كانت ناتاشا تمتطي ظهر خنزير محصي مكنتز يحضن بحافريه الاماميين طيبة ، ويندق بالخلفيين الهواء بعنف . وهي عارية تماماً وشعرها المنكوش يتطاير في الهواء . كانت نظارة الخنزير التي سقطت عن اذنه تطير الى جانبه على سلك وهي تلمع في ضوء القمر حيناً ثم ينطفىء بريقها ، ولبعته تسقط بين الحين والحين على عينيها . تفرست مرغريتا في الخنزير ملياً وما ان عرفت فيه نيقولاوي ايقانوتش حتى دوت فقهتها فوق الغابة تختلط بفقهة ناتاشا .

- ناتاشا ! - صرخت مرغريتا بصوت ناقب ، - هل طليت نلسك بالدهان ؟

- عزيزتي ! - اجابت ناتاشا وهي ترقط يزعيقها غابة الصنوبر الغافية ، - ياملكتي الفرنسية ، ذلكت صلعتك ايضاً . - اميرلي ! - صرخ الخنزير بصوت باك وهو ينطلق بظلمته خيباً .

- عزيزتي ! مرغريتا نيقولايلنا ! - صاحت ناتاشا وهي تخب الى جانبها ، - اعترف لك اني اخذت الدهان . فتنن ايضاً

لربما ان نعيش ونطير ا اعفريش ياسيدتي . لكني لن اعود .  
لن اعود مهما يكن . آه ما اجمل هذا يا مرغريتا نيقولايفنا ! لقد  
تقدم لي عرض . - واخذت ناتاشا تفرز اصبعها في رقبة  
الخنزير اللاصت في حياء . تقدم لي عرض ! كيف دعوتني .  
٢٢ - صاحت ناتاشا وهي تميل على اذن الخنزير .

- مبهودتي . - ان الخنزير . - لا استطيع مواصلة  
الطيران بهذه السرعة ا قد اغيبح اوراقاً هامة . ناتاليا  
بروكوفييفنا . اني احتج .

- انهب الى الشيطان انت واوراقتك . - صاحت ناتاشا  
وهي تلهقه بوقاحة .

- ماذا تقولين يا ناتاليا بروكوفييفنا ا قد سمعنا احد ا -  
صرخ الخنزير ضارحاً .

وحدثت ناتاشا مرغريتا وهي تطير الى جانبها خيباً بما حدث  
في الدار بعد ان تحدثها مرغريتا نيقولايفنا من الباب .

اعترفت ناتاشا انها لم تمدّ يدها الى اي من الاشياء التي  
اعدتها لها مرغريتا . بل خلعت ملابسها واندفعت الى الدخان  
فدلتك به جسمها على الفور . فحدث لها ما حدث لسيدتها .

وفيما كانت ناتاشا تقف امام المرأة تتحلى جالها السحري  
وهي تلهقه من الفرج . فتسح الباب وتظهر نيقولاي ايفانوفتش  
امامها . كان مضطرباً يمسك بيديه قميص مرغريتا نيقولايفنا

وفيهته وحليته . يهت نيقولاي ايفانوفتش لمنظر ناتاشا . لكنه  
تمالك نفسه بعض الشيء . وقال لها . وقد احمر وجه احمراراً  
شديداً . انه رأى من واجبه لم القميص وحمله شخصياً الى . . .

- وما الذي قاله ايضاً . الوغد ! - زعلت ناتاشا وهي  
تلهقه . - ما الذي قاله . وبما الخرافي ا وبأي نقود متاني ا  
قال ان كلابديا بيتروفنا لن تدري بشيء . قل لي هل اكلت ؟ -

صرخت ناتاشا بالخنزير فما كان منه الا ان اخذ يشيح بوزه  
في حياء وارتيالاً .

وبين الضحك والمعاشية في المخدم طلعت ناتاشا نيقولاي  
ايفانوفتش بالدخان وفطرت فاما من الدعشة . تقلص وجه ساكن  
الطابق السفلي المحترم حتى صار فنتطيسة ونمت على رجليه  
ويديه حوافر . نظر نيقولاي ايفانوفتش الى نفسه في المرأة وخار



خواراً وحشياً يائساً . لكن الوقت كان قد فات . ولي ثوان كان يطير الى الشيطان خارج موسكو وهو ينتحب للسفاته وقد امتطت نائاشا ظهره .

- اطالب باعادة هيتي الطبيعية ! - قبح الخنزير فجاء بصوت مبحوح لا تدري اهو صوت حاقق او ضارح . - انا لست مستعداً للذهاب الى اجتماع غير قانوني ! ومن واجبك يا مرغريتا تقولاي لنا ايلاف خادمك عند حدتها .

- آه . الآن صرت خادمة بالنسبة لك ؟ خادمة ؟ - صرخت نائاشا وهي تفرح له اذنه . - قبي قليل كنت معيودك . الم تدعني هكذا ؟

- فينوس ! - اجاب الخنزير بصوت يالغ وهو يطير فوق ساقية تسلسق بين الحصى . وشجرة جوز اعتزت المصانها لملامسة حوائرها .

- فينوس ! فينوس ! - هتفت نائاشا بلهجة ظفر وهي تضح يداً على خاضرتها وتبسط الأخرى نحو القمر . - مرغريتا . ياملكتي ! توسلني اليهم ان يبقوني جنية . سينظفون مسا تسائين فقد اعطيت سلطانا !

وجامها جواب مرغريتا :

- حسناً . اعدك بذلك !

- شكراً . - هتفت نائاشا ثم صرخت فجاء بعدة وبشيء من الغسم : - هي . هي . هي ! هيئا هيئا ! اسرع ! - ولكرت بكعبيها خاضرتي الخنزير المهزولتين من هذا العدو الجنوني . فوثب هذا بحيث انشق الهواء من جديد . وفي لحظة بدت نائاشا في المقدمة تقطة سوداء سرعان ما تلاشت وذاب عدير طيراتها . وعادت مرغريتا تطير ببطء . كما في السابق . في مكان قفر ومجهول فوق ربي لتالزت فيها صخور علس متفرقة بين اشجار صنوبر ضخمة متباعدة . كانت مرغريتا تطير وتقول لنفسها انها الآن في مكان بعيد جداً عن موسكو على الأرجح . لم تكن المكنتسة تطير الآن فوق رؤوس اشجار الصنوبر بل بين جذوعها التي فضض شعاع القمر احد جوانبها . وانزلق ظل الطائرة الرقيق على الأرض امامها - كان القمر الآن يضيء ظهر مرغريتا . شعرت مرغريتا بلرب المساء وادركت ان الهدف لرب .

انخرجت اشجار الصنوبر وودت مرغرينا يهدوء في الجو من جرف  
جيري . يجري خلفه في الأسفل نهر في الظل . كان الضباب  
معلقاً يتشبث بالشجيرات في أسفل الجرف الشاقولي . هل حين  
كانت الضفة المتأبلة مستوية واطلة . وكانت تنطلق من تحت  
مجموعة يتبحة من الأشجار المتراصة الأطراف عليها السنة صغيرة  
من ناز متلدة . وتتراعى أطراف متحركة . وبدأ لمرغرينا أنها  
تسمع موسيقى متلهفة مرحة تأتيها من هناك . ولها يلقي الضفة  
وعلى مدّ النظر لم يكن يبدو في السهل المنخفض أثر لسكن أو  
أحياء .

فلزت مرغرينا من أعلى الجرف وحيطت بسرعة إلى الماء .  
كان الماء يفرها بعد هذا العدو الجوي . رمت مكنتها بعيداً  
وعدت بكل قولها تلتفت إلى الماء . اخترق جسمها الخفيف الماء  
كأنه السهم وارتفع عمود من الماء حتى كاد يبلغ القمر . كان  
الماء دافئاً كما في حمام . طفت مرغرينا خارجة من الفجة وسبحت  
في النهر وحيدة في الليل حتى الارتواء .

لم يكن يرى أحد على مقربة من مرغرينا . إنما كان يسمع  
على بعد يسير وراء الشجيرات رشاش ماء ونخير . لا بدءاً أن  
أحدكم كان يسمع هناك .

خرجت مرغرينا إلى الضفة النهر . كان جسمها متورداً بعد  
العوم ولم تكن تشعر بأي تعب . فأخذت ترقص على العشب  
الليلي . وفجأة كلفت عن الرقص وارهقت المسح توجساً . صار  
التخير يدنو . وبرز من وراء شجيرات الصنوبر شخص سمين  
عاري يعتمر قبعة حريرية عالية سوداء مائلة على قذالة . وقدماء  
في طين الطين حتى الكعبين بحيث بدأ المستحم وكأنه ينتعل حذاء  
أسود . وكان بإمكان المرء أن يحزر من لسانه وحزقه أنه على  
درجة كبيرة من السكر . الأمر الذي أكدته . بالمناسبة . رائحة  
الكولياك التي أخذت تنبعث من النهر فجأة .

رأى السمين مرغرينا فتلرّس فيها وصرخ في فرح :  
- ما هذا ؟ أهى التي أرى ؟ كلودينا . أحقاً هذه أنت  
أيتها الأرملة التي لا تعرف الغم والكآبة ؟ وانت هنا ؟ - وانطلق  
يعبى ويسلم .

تواجهت مرغرينا وقالت بوقار :

- اذهب الى الشيطان . اي كلودينا انا ؟ انظر مع من تتكلم . - ثم فكرت لحظة واتبعت كلامها بشتيمة طويلة بذينة مما جعل السمين الطائش يقيق من سكره :

- اوي ! - عطف بصوت خافت وارتجف . - سامعيني ايها الملكة الكريمة مارغرا لقد اخطأت والذنب ذنب الكونياك . عليه العنة ! - هنا خرج السمين على ركبته وازاح القبة وانحنى وتمتم كلاماً سخيفاً بالروسية مخلوطة بالفرنسية على عرس دعوي لصديقه جيسار في باريس وعلى الكونياك وعلى انسحاق قلبه جراء خطأ مؤسف .

- لو ترندي سروالك يا ابن الكلب . - قالت مرغريتا وقد رفقت لهجتها .

ابتسم السمين . وقد رأى ان مرغريتا غير غاضبة . ابتسامة فرح عريضة . وانهاها انه انما بدون سروال في اللحظة الرائعة لانه تركه من شرود ذهنه على حافة نهر الاينيسي حيث كان يسبح قبل قليل . وانه سيطير من فوراً الى هناك . وان المسافة من هنا قريبة جداً . واخذ يتراجع التهقري . بعد ان سألها عطشاً ورعايتها . وظل يتراجع حتى زلقت قدمه وسقط على ظهوره في الماء . لكنه احتفظ بابتسامته الانبهار والوفاء على وجه المطوق بلودين صغيرين حتى وهو يسقط في الماء .

اما مرغريتا فقد اطلقت صليراً حاداً وامتلقت صهوة المكتسة التي هرعت اليها وانطلقت تقطع النهر الى الضفة المقابلة المغسورة كلها بنور القمر اذا كان ظل الجبل الجبيري يتصر عنها .  
مما ان لامست قدم مرغريتا العشب البليل حتى دوت الموسيقى تحت اشجار الصفصاف بقوة اكبر . وتطايرت من الشعلة حزمة الشرر مزعردة بحبور اكبر . كانت الضفادع الغليظة الوجوه تجلس في صلين تحت الحصان الصفصاف التي تنالرت عليها الحراط مويرة لطيفة . ظاهرة في ضوء القمر . وتعزف مارشاً حسانياً على مزامير خشبية وهي تنتفخ لانها من مطاط . وكانت هناك حياض متدالية على الحصان الصفصاف امام الموسيقيين تضيء النوتات الموسيقية . وضوء الشعلة يتأرجح على سحن الضفادع .

كان المارش يعزف على شرف مرغريتا وكان الاستقبال الذي

استقبلت به من اعطى الاستقبالات . اوقفت الحوريات الشفافات  
ورقصن فوق النهر . ولوحن لمرغريتا بالأعشاب المائية ،  
وترددت كالانين فوق الضفة الخالية المائلة الى الخضرة لحياتهن  
المسجوعة بعيداً . ووثبت الجنبات العاريات من وراء جذوع  
الصلصاف واصطفن صفاً واحداً ، واخذن ينثين ركبهن منحنيات  
تحية كسيدهات البلاط . ووصل الشخص ذو القدمين العنزيتين  
طائراً . وانكب على يد مرغريتا ثم بسط على العشب حريراً وسأل  
مرغريتا ان كانت الملكة استجبت جيداً بالماء وسألها ان كانت  
تفضل بالاستلقاء قليلاً واخذ قسط من الراحة .

وفعلت مرغريتا كما اشار عليها . وحمل الشخص ذو  
القدمين العنزيتين كاساً من الشمبانيا الى مرغريتا فشربته واحسنت  
بالدفء يسري في قلبها على الفور . واستلصرت مرغريتا عن مكان  
وجود ناتاشا فقيل لها ان ناتاشا فرغت من استحمامها وواصلت  
طيرانها على خنزيرها الى موسكو كي تنبئهم الى وصول مرغريتا  
قريباً . وتساعدهم في اعداد الملابس لها .

ولم يعكر صفو مرغريتا اثناء اقامتها القصيرة تحت شجر  
الصلصاف . الاحادة صغيرة الا دوى في الجو صفيح وهوى في  
الماء جسم اسود يبدو انه قد اخطأ هدفه على نحو فاضح .  
وخلال لحظات كان ذلك السمين ذو اللودين الصغيرين الذي مثل  
ذلك المثول لير الموقف امام مرغريتا على تلك الضفة يقف بين  
يدي مرغريتا . لقد تمكن ، فيما يبدو ، من الوصول الى نهر  
الايبيسي لانه كان الآن يرتدي الفراك . لكنه كان مبللاً من  
رأسه حتى اخصى قدميه . لقد خذله الكونياك ثانية : اراد ان  
يحط على الأرض فاذا به يسقط في الماء . لكنه لم يضيع  
ابتناسه حتى في هذا الموقف المحزن . وافضحت مرغريتا  
الشاحكة المجال له كي يقبل يدعا .

ثم اخذ الجميسع يستعدون للانطلاق . اكملت الحوريات  
ورقصن على ضوء القمر وذهبن فيه . وسأل ذو القدمين العنزيتين  
مرغريتا باحترام عن كيفية وصولها الى النهر ، فقال بعد ان عرف  
بلقوبها على ظهر مكنتة :

- آره . لماذا فعلت هذا . هذا غير مريح . - وفي لحظة  
صنع من عودين هاتفاً مريباً وطلب من شخص ما ان يعت

بسيارة ، الأمر الذي تحقق بالفعل في دقيقة واحدة . فقد سقطت على الجزيرة سيارة كيبك مكتشفة ، إنما لم يكن في متعة القيادة سائق ذو مظهر عادي ، بل غراب قبيح طويل الألف يضع سداً مشتملة والغازين بطرفين متسعين . أخذت الجزيرة الصغيرة تقطر ، غادرت الجنيت وذين في وهج القمر ، والشعلة أرسلت آخر ذبالاتها ، وابتلع الرماد الجمرات الأخيرة .

أركب ذو القوديسن وذو القدمين العنزيثين مرغريتا ، فاستلقت على المتعد الخلفي الواسع . هدرت السيارة ووثبت وحلقت حتى القمر نفسه تقريباً . اختلت الجزيرة واختفى النهر واندمجت مرغريتا إلى موسكو .

## الفصل الثامن والعشرون

### على ضوء الشموع

كان الهدير الرتيب للسيارة المنطلقة عالياً فوق الأرض يهدد مرغريتا ، وضوء القمر يبعث في جسدها دفئاً مخمراً . انخفضت عينها وأسلمت وجهها للريح ، وهي تفكر في غير قليل من العزن في تلك الضفة المجهولة من النهر التي غادرتها ، والتي لن تراها بعد اليوم أبداً كما شعرت . فقد أدركت بعد كل هذه الغوارق والمعجزات التي رأتها في هذا المساء من هو الشخص الذي ستحل في ضيافته ، لكن هذا لم يلزعها . فقد انتزع أمليها في التمكن من استعادة معادتها كل خوف من قلبها ، على أي حال لم يتسن لمرغريتا أن تعلم طويلاً بهذه السعادة . ولستنا ندرى هل ذلك لأن غسراب القيق كان يعرف عمله جيداً أم لأن السيارة كانت جيدة ، إلا أن مرغريتا فتحت عينها بعد قليل فإذا بها لا ترى تحتها ظلام الغابة بل بحيرة مرتعشة من أضواء موسكو . فلك الطائر السائق الأسود العجلة البيضى الأمامية وهو محلّق نسيم هيبك بالسيارة في مقبسة مقفرة ، في منطفة دورغوميلوفو . انزل الغراب مرغريتا ، التي لم تكن تصاله عن شيء ، مع مكنتها قرب إحدى الشواهد وأطلق السيارة باتجاه منحدر وراء المقبرة . وفي هذا المنحدر هوت السيارة في جلجلة

مظيئة وفي أسفلها قضبان . أدى غراب التقيظ النخبة باحترام  
وركب العجلة وحلّق بها مفاغراً .  
وعلى الفور لاحت من خلف إحدى الشواهد بردة سوداء .  
ولمح ناب في ضوء القمر . وتبينت مرغريتا أزازيلو ، ودعاها  
هذا بحركة الي ركوب الكنيسة على حين وثب هو على شيش طويل  
ونجا بسرعة في الجور وما هي الا ثوان حتى كانا يحيطان على  
مقربة من العمارة رقم ٣٠٢ عكسور في شارع سانديفانيا دون أن  
يلحظهما أحد .

عندما عبر الرفيقان الطنف المظلم وهما يتأبطان الكنيسة  
والشيش لاحظت مرغريتا شخصاً يصتمر كيبية وينتعل جزمة عالية  
يبيع فيه وقد أخذناه التريص على ما يبدو . وعلى الرغم من كل  
خفة خطوات أزازيلو ومرغريتا سمع الرجل الوحيد وقعها فانتفض  
في اضطراب دون أن يعرف من صاحب هذه الخطوات .

والتيها بشخص نال يشبه الأول حتى الاعجاز في المدخل  
السادس . وتكررت القصة من جديد . خطوات . . . التفتت  
الرجل وفطّب . وعندما فتح الباب وأطلق اندفع خلف الداخلين  
الخطين . والقي نظرة الى السر لكنه لم ير بطبيعة الحال شيئاً .  
وكان الثالث . وهو نسخة دقيقة من الثاني وبالتالي من

الأول . يتأوب في بسطة الطابق الثالث وهو يدخن سجائر  
ثقيلة . سعلت مرغريتا وهي تعبر قربه فوثب من مقعده  
كالسوسج وأخذ يتلفت حوله في اضطراب . ثم دنا من المرايزين  
وتطلع الى الأسفل . كانت مرغريتا ومرافقها قد بلغا في هذه  
الآناء باب الشقة رقم ٥٠ لكنهما لم يقرعا جرساً بل تسبح  
أزازيلو الباب بفتاحه الخاص دون أي صوت .

أول ما سمعت له مرغريتا كان الظلام الذي وجدت نفسها  
فيه . لم يكن يرى في الشقة شيء وكانها في غرفة تحت الأرض .  
فتشبثت مرغريتا دون أن تعي ببردة أزازيلو خضية أن تعثر .  
لما لمع في مكان بعيد في الأعلى نور فتبدل ضئيل وأخذ يقترب .  
ونزع أزازيلو على الماشي الكنيسة من تحت ابط مرغريتا  
فاختفت في الظلام دون أي صوت . وهنا أخذوا يرقبان درجات  
واسعة صار يبدو لمرغريتا أن لا نهاية لها . والذي بهت له  
مرغريتا هو كيف يمكن لدخل شقة موسكووية عادية أن يتسع

لهذا الدرج غير العادي وغير المرئي الذي تحس به مع ذلك  
احساساً واضحاً . وهنا انتهى الدرج . وأدركت مرغرنا أنها  
تلقف على بسطته . واقترب منها الضوء فزادت مرغرنا وجه رجل  
طويل أسود يحمل بيده القنديل ايتاء وكان بإمكان أي شخص  
ساقه سوء طالعه للاعتقاد بهذا الرجل مصادفة أن يتعرف اليه على  
الفور حتى على لسان الضوء الضئيل المبعث من القنديل . كان  
هذا كوروفيف الذي هو نفسه فالوت .

والحقيقة أن تغيراً كبيراً طرأ على مظهر كوروفيف . فلم  
يكن النور المتغامز ينعكس في نظارة انفية متصدعة أن الألوان لأن  
يرميها في الزبالة من زمن طويل . بل في نظارة منفرجة ، متصدعة  
هي أيضاً في الحقيقة . وكان شاربها الصغيران على وجهه الروع  
ميرومين مدحونين ، أما سواده فيمكن تفسيره ببساطة : ذلك  
انه كان في الفراك ولم يكن يبدو فيه من بياض الآ صدره .  
انحنى المشعوذ أو قالد الكورس أو الساحر أو المترجم أو  
الشیطان لا أعلم من يكون بالفعل . وبالاختصار انحنى كوروفيف  
محبباً ودعا مرغرنا ، وهو يبسط يده التسي لتحل القنديل في  
حركة واسعة ، أن تتبعه واختفى أزازيلو .

وقالت مرغرنا تفكر في سرها : «يا له من مساء غريب .  
كنت التوقع كل شيء ، الا هذا ! اتكون الكهرباء انطقت عندهم ؟  
لكن المغرب هو مقاييس هذه الشقة ! كيف يمكن الشقة  
موسكوفية ان تسع هذا كله ؟ بكل بساطة ، هذا غير ممكن» .  
وعل الرغم من ضآلة الضوء المبعث من قنديل كوروفيف ،  
أدركت مرغرنا أنها في قاعة ضخمة فضيحة والى هذا ذات اعمدة  
ومظلمة تبدو للوهلة الأولى وكان لا نهاية لها . توفس  
كوروفيف قرب ديوان صغير ووضع القنديل على منضدة . ودعا  
مرغرنا بإشارة منه الى الجلوس على حين جلس الى جانبها جلسة  
بهية - مرتلاً المنضدة .

- اسمي لي ان أقدم نفسي . - قال كوروفيف بصوت  
كالصبر . - كوروفيف . يدعشك عسدم وجود النور ، اليس  
كذلك ؟ من باب الاقتصاد كما فكرت طبعاً ؟ لا ، لا ، لا . ليقطع  
أول جلاء تصادفه اليوم رأسى على المنضدة . وليكن واحداً من  
هؤلاء الذين سيكون لهم شرف لثم ركبتيك بعد قليل . ان كان

الأمر كذلك . القضية ببساطة أن السيد لا يحب نور الكهرباء ،  
ولن تشعله إلا في آخر لحظة . إذًا ، صدقيني ، لن يشكو أحد  
من شحها ، بل القول لك : ربما كان من الأفضل أن يكون النور  
القلبي لغزارة .

وقع كوروفييف من قلب مرغريتا موقعاً طيباً ، وعلست  
ثرثرته المرفقة فعل المهدي في نفسها .  
- لا . - أجابت مرغريتا ، - ما يدعشني أكثر من أي  
شيء آخر هو المكان الذي يتسع لهذا كله ، - وبسطت يدها  
مؤكدته بمركتها هذه رحابة القاعة .

ابتسم كوروفييف اهتماماً طليفاً عذبة اعتزت لهاظلال  
في التجاعيد التي عند أنفه فأجاب :

- هذا من أبسط الأمور ! فمن اليسير كل اليسر على من  
له معرفة جيدة بالبعد الخامس أن يوسع مكاناً ما إلى الحد الذي  
يرغبه . والقول لك أكثر من ذلك أنها السيدة المحترمة :  
يستطيع أن يوسعه إلى حدود الشيطان وحده أعلم بها .  
وبالنسبة ، - قال كوروفييف يواصل ثرثرته ، - عرلست  
اتسماً ليس عندهم أي فكرة عن البعد الخامس قطعاً ، بل ليس  
عندهم أي فكرة عن أي شيء ، ومع هذا اجتروا المعجزات من  
حيث توسيع مسكنهم . وعلى سبيل المثال قيل لي أن أحد سكان  
المدينة استلم شقة من ثلاث غرف في «زيملينوي فال» ، وفي  
لحظة حوّلها إلى شقة من أربع غرف بلا أي بعد خامس أو غيره  
من الأشياء التي تجعل البرء يفقد صوابه وذلك بأن قطع إحدى  
الغرف لتصلين بحاجة .

ثم بادل شفته هذه بشفتين مستقلتين في حين مختلفين من  
موسكو : الأولى بثلاث غرف والثانية باتنتين . وهكذا أصبح  
عدد الغرف خمسة كما ترين . ثم بادل شفته ذات الثلاث غرف  
بشفتين مستقلتين كل منهما بغرفتين وهكذا صار يمتلك ست  
غرف ، كما ترين . صحيح أنها موزعة في فوضى كاملة على كسل  
انحاء موسكو لكنها ست تحرف على أي حال ، وكان يستعد للقيام  
بآخر وأروع ضربائه بأن أعلن في الجرائد عن استعداده  
لاستبدال شقة واحدة بخمس غرف في «زيملينوي فال» بسست  
غرف موزعة في انحاء مختلفة من موسكو حين توقف نشاطه فجأة



لأسباب لا دخل له فيها . قد تكون له غرفة الآن . لكنني أجزئ  
على التأكيد لك أنها ليست في موسكو . اليك مثلاً على الدماء .  
وانت تكلمينني على البعد الخامس .

ومع ان مرغريتا لم تلتج لها بكلمة واحدة عن البعد  
الخامس . بل كوروفيف هو الذي كان يشرح لها . الا انها  
اطلقت ضحكات القبضة وهي تستمع الى مقامرات داعية الشفق  
هذا . لكن كوروفيف اودف يقول :

- والان الى المسألة التي تهتمنا . يا مرغريتا نيقولايفنا .  
انت امرأة ذكية جداً . وحزرت بالطبع من هو سيدنا .  
دق قلب مرغريتا وأومأت برأسها .

- تمام . تمام . - قال كوروفيف . - لحسن اعتناء اي  
جعبة او غموض . ان سيدنا يقيم حفلة واقصة كل عام . هذه  
الحفلة تدعى حفلة اكتمال البدر الربيعية او حفلة المائة ملك .  
وما اكثر عدد الضيوف ! - هنا وضع كوروفيف يده على خده  
كأنما سته تؤوله . - على أي حال أمل ان تلتكدي من ذلك  
بنفسك . وهكذا فسيدنا . كما ادركت بالطبع . عازب . وفي  
حاجة الى سيده . - هنا بسط كوروفيف يديه . - ولا بد ان  
توافقي على أنه بدون سيده . . . .

كانت مرغريتا تصفي الى كوروفيف محاولة الا تلتوتها  
كلمة . على حين كانت تشعر بالبرد يدب تحت قلبها ويامل  
السعادة يدبر رأسها .

- والتقليد المتبع يقضي أولاً بان تحمل السيدة اسم  
مرغريتا حتماً . وثانياً ان تكون من أهل البلد . ونحن . كما  
ترين . نطوف البلدان . وفي الوقت الراهن نحن موجودون في  
موسكو . ولقد وجدنا في موسكو عائلة وواحدة وعشرين مرغريتا .  
لكن هل تصدقين . - وهنا خبط كوروفيف على فخذ بياس .  
- ان آيتا متهن لم تناسبنا . واخيراً لولا حقلنا السعيد . . . .  
ابتمس كوروفيف ابتسامة خفيفة معيرة ومال بقاتته فذب  
البرد من جديد في قلب مرغريتا .

- باختصار ! - هتف كوروفيف . - باختصار شديد !  
هل تمنعين في أخذ هذه المهمة على عاتقك ؟  
- لا امانع . - اجابت مرغريتا بحزم .

- انتهى ١ - قال كوروفيف وأردف وهو يرفع القنديل :

- أرجو أن تتبعيني .

ومضيا بين الأعمدة ، وأخيراً وجدا نفسيهما في قاعة أخرى كانت تفرح منها ، لأمر ما ، والحة ليمون قوية ، وتسمع فيها صهبات ، وأحست مرغريتا بشيء يمس رأسها فارتعدت .

- لا تخافي ، - قال كوروفيف يهدئ روعها بلهجة عذبة

وهو يتأبط ذراعها ، - انها من الأعيب بيغموت التي يعدها

للحفلة الراقصة لا أكثر . وبشكل عام أسمح للنسي بأن اتجرا

وانصحك ، يا مرغريتا نيقولايفنا ، الا تخافي أبداً وأي شيء ،

هذا غير معقول ، ستكون الحفلة في غاية الأبهة والروعة ، لا

أظن هذا عنك ، وسترى اشخاصاً كان حجم سلطانهم عظيماً ،

وعظيماً جداً في وقته . لكن يقيناً ما ان تفكري في مدى ضالة

امكاناتهم بالمقارنة مع امكانات من في الشرف ان أكون احد افراد

عاشيته حتى يبدو لك أمرهم مضحكاً بل أكاد أقول محزناً . ثم

انك انت نفسك تحلمين دماً ملكياً في عروقتك .

- ولماذا أحلم دماً ملكياً ؟ - همست مرغريتا في ذمير وهي

تلتصق بكوروفيف .

- آه ، يا ملكيتي ، - يبق كوروفيف مداعباً ، - مسائل

الدم أصعب المسائل في عالمنا ؛ وإذا مسا أتيج لنا ان نسال

بعض جدات جداتنا ، خصوصاً اللواتسي اشتهرن بوداعتهن ،

لتكشفت لنا اسرار مذهلة يا مرغريتا نيقولايفنا المحترمة ؛ ولن

أجاب الصواب وانسا اتكلم في هذا ان أذكر دسة الورق

المخلوطة خلطاً قريباً . هناك أشياء تبطل فيها تماماً الحواجز بين

الفئات والطبقات وحتى الحدود بين الدول ، وآية ذلك ان احدى

ملكات فرنسا التي عاشت في القرن السادس عشر كانت ستفهل

أشد الدهول فيما اعتقد ، لو قيسل لها اني ، بعد مرور هذه

السنوات الطويلة ، سامسك بفراخ حديدة حديدة حديدة

حديدتها القاتنة وأدور بها في قاعات الحفلة الراقصة في موسكو .

ولكن قد وصلنا ؛

وهنا نلح قنديله فاخطفى من يده ، ورات على الأرض أمامها

شريط ضوء تحت باب مظلم . وطرق كوروفيف هذا الباب برفق

فاضطربت مرغريتا بحيث اصطكت أسنانها وسرت القشعريرة في

ظهرها . وفتح الباب فإذا هي بغرفة غير كبيرة . فيها سرير واسع من خشب البلوط عليه شراشف ومعدة قفوة مكرمشة مكرومة بعضها فوق بعض . وأمام السرير طاولة من خشب البلوط ذات قوائم مخلورة وعليها شمعدان ذو تعشيقات عملي شكل قوائم طيور ذات مغالب . وفي هذه القوائم الذهبية السبع كانت تحترق شمسوع فليظة . وكانت على طاولة صغيرة . بالإضافة الى ذلك . رقعة شطرنج عليها قطع رائعة الصنع . وعلى سجادة صغيرة رثة متعد واطى . كما كانت هناك طاولة ثانية عليها كأس ذهبية وشمعدان صنعت عروسة على شكل امام . كانت رائعة الكبريت والقطران تلوح في الغرفة . والظلال المنبعثة من الشمعدانين تتصالب على أرضها .

وعلى الفور تبينت مرغريتا بين الحاضرين أرازيلو الذي كان الآن يلبس الفراء ويقف عند مسند السرير . ولم يعد أرازيلو في زيمه هذا يشبه قاطع الطريق الذي ظهر لمرغريتا في حديقة الكسندروفسكي . بل انحنى يحيي مرغريتا في كياسة بالغة . وكانت تجلس على السجادة الصغيرة عند السرير ساحرة عارية - غيلا ايهاها . تلك التي أربكت صاحب اليونيه المحترم في فارينتيه ذلك الأرباك العظيم . والتي أجفلها الديك لحسن الحظ في ليلة حطلة السحر العروفة . وحسب تحرك في المئلاة شيئاً يتصاعد منه بخار كبريتي .

وبالإضافة الى هؤلاء كان في الغرفة قطّ اسود هائل الحجم يجلس على كرسي عال أمام طاولة الشطرنج وهو يتقبض بقائمه اليمنى على حصان الشطرنج .

نهضت غيلا وانحنت محيية مرغريتا . ووثب القط من كرسية الى الأرض وفعل مثلها وهو يخلق بلانته الخلفية اليمنى فسقط الحصان على الأرض وزحف القطّ يبحث عنه تحت السرير .

تبينت مرغريتا المتجمدة من الخوف هذا كله بصعوبة بالغة من خلال الظلال الماكرة التي كانت الشموع ترسلها . فقد كان نظرها منشداً الى السرير الذي كان يجلس عليه ذلك الذي كان ايفان المسكين يقنعه قبل حين في بتريرشين برودي ان الشيطان غير موجود . غير الموجود هذا بالذات كان يجلس على السرير . وانعلقت بوجه مرغريتا هينان . اليمنى تنطلق من قاعها

شراة ذهبية تنفذ الى اعق اعماق النفس ، واليسرى فارسية  
وسوداء. تشبه قلب اميرة ، او تشبه فوحة بشر لا قرار لها  
تضج بشتر انواع الظلام والاضحاح . كان وجه فولند عاتلاً  
وزارية فيه اليمى مشدودة الى اسفل ، وعلى جبينه الاصمغ  
العالي انحطرت غضون عميقة بموازاة حاجبيه المديين ، وبشرة  
وجهه ذات سعة كانتا لفته الشمس وأحرقته الى الابد .

كان فولند مشدداً على السرير لا يستر لحيه الا قميص نوم  
طويل قذر ومرفق في كتفه اليسرى ، وقد طوى رجلاً عارية تحت  
وعد الأخرى أمامه على المقعد . وكانت غيلاً تدخن ركبة وجلسه  
السمر هذه يدعان مدخن .

وتبينت مرغريتا أيضاً غسل صدر فولند الأجرد المكشوف  
جلاً من حجر داكن رائع الصنع مربوطاً بسلسلة ذهبية نقشت  
على ظهره كتابة . وكان ينصب الى جانب فولند على السرير  
مجسم غريب للفكرة الأرضية على قاعدة تقيسة . كان الجسم  
مضاء من أحد جانبيه وكان يبدو كأنه حي .

استمر الصمت بضغ ثوان . «انه يدوسني» - قالت مرغريتا  
في نفسها وهي تحاول بجهد ارادي إيقاف الرعدة في قدميها .  
وأخيراً تكلم فولند وهو يتشمم بما جعل عينه التي تلتحج  
الشرر وكان تبدو وكأنها اشتعلت قال :

- احبيك ايها الملكة ، وأرجو ان تعطيني على لباسي  
البيتي .

كان صوت فولند من الالغاضض بحيث بدا في بعض كلامه  
وكانه يعشج .

تناول فولند من على السرير شيئاً طويلاً وانحنى وحرك  
الشيئ تحت السرير وقال :

- اخرج ! الجولة الغيت . قدمت اليها ضيفة .  
- ولا باي شكل . - صغر كوروفيف بقلسق فوق اذن  
مرغريتا وكانه ملثث :

- ولا باي شكل . . . - قالت مرغريتا .  
- سيدي . . . - نفع كوروفيف في أذنها .

- ولا باي شكل ، سيدي ، - أجابت مرغريتا بصوت  
خافت لكنه واضح بعد ان تماكنت نفسها ، ثم ابتسمت

وإردت : - أرجوك الا توقف اللعبة . واعتقد ان السجلات المتخصصة في الشطرنج ستدفع اموالاً لا بأس بها فيما لسو تمكنت من نشرها .

تنتج أزازيلو بصوت خافت محبباً . بينما رنا فولند الى مرغريتا بتعجب وقال كأنما يوجد ملاحظة لنفسه :

- نعم . كوروليفيف عمل حق ! ما الحرب خلط الأوراق !  
العم !

يسط يده وارمأ الى مرغريتا . دنت منه وهي لا تحس بالأرض تحت قدميها العائيتين . فوضع يده الثقيلة كالعجسر والساخنة في الوقت نفسه كالتار على كتف مرغريتا وشدّها اليه واجلسها فربه على السرير وقال :

- بما انك عمل هذا القدر من اللطف الساحر . ومن ناحيتي

لم اكن اتوقع منك شيئاً آخر . اسمحي لي برفع الكلفة بيننا .

- ثم انحنى ثانية على طرف السرير وصاح : - هل ستستسر هذه المهزلة تحت السرير طويلاً ؟ اخرج ايها البهلول اللعين !

- لا أستطيع ان أخرج على الحصان . - ردّ القط من تحت

السرير بصوت مخنوق ومصطنع . - لقد نطّ الى مكان ما ولا

القي امامي الا ضفدعة .

- الا تظن نفسك في ساحة معرض ؟ - سأل فولند

متظاهراً بالاستياء . - لم يكن هناك اي ضفدعة تحت السرير !

رد هذه الغزعبلات الرئيسية للاربيتيه . اذا لم تظهر امامي في

الحال . ستعترك مستسلاً ايها الهارب اللعين !

- لن استسلم مهما يكن من أمر . ياسيدي ! - زعمني

القط وهو يخرج في اللحظة ذاتها من تحت السرير قابضاً بقالته

على الحصان .

- اقدم لك . . . همّ فولند يقول . لكنه قاطع نفسه

وقال : - لا . لا أستطيع ان أرى هذا البهلول ! انظروا الى ما

حوّل اليه نفسه تحت السرير .

كان القطّ الملتوث بالغيار يلف في هذه الأثناء على قائمته

الخلفيتين وهو ينحنى محبباً مرغريتا . كان يضع الآن على عنقه

ربطة عتق بيضاء للفراخ على شكل علسة . وعلى صدره نظارة

متفردة تسائية لؤلؤية مربوطة بسير صغير ، كما ظل شاربيته  
بالذهب .

- ماذا أرى ! - صاح فولند ، - لماذا ذهبت شاربيته ؟  
وأي شيطان دعاك الي وضع ربطة العنق وانت لا ترتدي حتى  
سروالاً ؟

- لا يفترض في القبط ان يرتدي سروالاً ، يا سيدي ، -  
اجاب القبط بوقار عظيم ، - واخى ان تأمرني ، بعد هذا ،  
بالتعال جزمة . القبط الذي ينتعل جزمة لا يوجد الا في  
الحكايات ، يا سيدي . لكن هل رايت يوماً شخصاً في حفلة  
راقصة دون ربطة عنق ؟ ومن جهتي ليست لدي أية نية في ان  
اظهر في موقف مضحك واعرض نفسي لشرط طردة اكل مناسا  
يزمن نفسه بما يستطيع . واعتبر ان ما قلته ينطبق على  
التقارة ايضاً يا سيدي !

- وشاربيك ؟ . . .

- لا أدري ، - اجاب القبط يعترض بصوت جاف ، -  
لماذا كان بإمكان ازابيلو وكوروفيف وهما يحلفان ذنبيهما  
اليوم ان يرشاهما بسحوق ابيض ، وفيه هذا المسحوق الفضل  
من الذهب ؟ لقد رشقت مسحوقاً على شاربي ، هذا كل ما في  
الامر ! لو اني حلفت ذنبي ، لكنت هذه مسألة اخرى ! القبط  
الحليق - بشاعة ما بعدها بشاعة بالفعل ، هذا امر انا مستعد  
للاعتراف به الف مرة . لكنني ، بشكلى عام ، - وهنا ارتعش  
صوت القبط من الاستياء ، - ارى انه توضع امامي عراقيل لا  
معنى لها ، وبالتالي ارى نفسي امام مسألة خطيرة : هل احظر  
الحفلة ام لا ؟ ماذا تقول في هذا يا سيدي ؟

وانتفخ القبط من الحيف اللاحق به بحيث بدا ان ما هي الا  
ثانية حتى يتفجر .

- آه ، يا للماكر ، يا للماكر ، - فقال فولند وهو يهز  
رأسه ، - كلما كان موقفه ميئوساً منه في جولة شطرنج ، ياخذ  
يشغلنا بكلامه وكأنه احط دجال غسل الجمر ، اجلس فوراً  
وكف من هذا الهنر .

واجاب القبط وهو يجلس :

- سأجلس ، لكنني اعترض على قولك الأخير . فكلامي ليس

هذرا عن الاطلاق كما تفضلت وقلت في حضرة السيدة . يسر  
سلسلة محكمة الحلفاء من القياسات المنطقية ، جديرة بان  
يعرف قدرها ائمة مثل سيكست امبيركوس ومرسيان كاييلا  
وحتى ارسطو نفسه .

- كس ملك بالشاء . - قال فولند .

- حاضر . حاضر . - ود القظ واخذ يحدق في رقعة  
الشرطنج من خلال نظارته .

وأردف فولند موجهاً كلامه الى مرغريتا :

- وهكذا ياسيدتي اقدم لك حاشيتي . صاحب العائلات  
هذا هو القظ بيغيموت . ازاليلسو وكوروفيف سيق لك ان  
تعرفت اليهما . وهذه خادمتي فيلا اقدمها لك . انها فارسة  
وثيبة وما من خدمة يعسر عليها تقديمها اليك .

ابتسمت فيلا الحساء وهي تحول الى مرغريتا عينيهما  
الضراوين دون ان تنرفق عن غرف الدخان براحتها ووضعه على  
ركبة فولند .

- هذه هي حاشيتي كلها . - قال فولند منهيأ لتقديمه  
وقطب حاجبيه الاضغطت لحيلا بقوة خاصة على ركبته . -  
المجروعة كما ترين قليلة . مختلطة وبسيطة . - ثم صمست  
واخذ يقطب امامه الجسم المصنوع بمهارة بحيث كانت  
المحيطات الزرق تتحرك عليه والقبعة على القطب تبدو حليلية .  
متجعدة ومثلجة .

في هذه الاثناء كانت البليلة تنتشر فوق رقعة الشرطنج .  
كان الملك الذي بلغ به الازلياك اشده يراوح برقانه الأبيض  
في الربيع راحاً يديه في ياس . وتلانة من البيادق البيض  
المرتفعة حامل المزوس المستطيلة ينظرون في حيرة الى ضابط  
يلوح بسيفه الطويل ويشير الى امام حيث كان يرى في العريين  
المتجاورين . الأبيض والأسود . فارسان اسودان من فرسان  
فولند على حصانين جامحين يحفران العريين بحوافرها .

وانار اهتمام مرغريتا ودعشتها البالغين ان قطع الشرطنج  
كانت حية .

رفع القظ النظارة عن عينه وداسع ملكه برفق من ظهوره .  
فاغلى هذا وجهه بين يديه في ياس .

- الأمر سيء ، أيها العزيز بيغيوت ، - قال كوروفيف بصوت خافت ساخر .
- الوضع خطير ، لكنه غير ميئوس منه إطلاقاً ، - رد بيغيوت . - زد على ذلك أنني واثق تماماً من النصر النهائي ؛ يكفي أن نحلّل الموقف بروية .
- وداح يجري تحليله هذا على نحو قريب إلى حد ما ، وعلى وجه الضبط أخذ يفصل سبحانه ما ويفسر ملكه .
- لن ينللك أي شيء ، - قال كوروفيف ملاحظاً .
- أي ، - صاح بيغيوت ، - تطايرت الببغاوات كما

تنبأت !

- وبالفعل سمع في مكان ما في الجهد تصفيق اجنحة عديدة ، واندفع كوروفيف وأزازيلو إلى الخارج .
- لياخذكم الشيطان اتم وغزعبلات حلاتكم الرافضة ! - دهم فولند دون أن يرفع عينيه عن الجسم أمامه .
- ما إن اختفى كوروفيف وأزازيلو حتى اشتد تمزج بيغيوت واتصل ، وأخيراً حزر الملك الأبيض ما يراد منه ، فنزع رداءه فجأة ، وألقاه على الربيع ، وعمداً هارباً من رقعة الشطرنج ، التي الضابط الرداء الملكي الرمزي عليه ، واتخذ مكان الملك ، وعاد كوروفيف وأزازيلو .
- اكاذيب كالعادة ، - دهمهم أزازيلو وهو ينظر إلى بيغيوت شزراً .

- تهايا لي أي سمعت أسوانا ، - أجاب القط .

- أي ، الام سيستمز هذا ؟ - سال فولنسه ، - كمن ملك بالشاء ؟

- الأرجح أنني أخطأت السمع ياسيدي ، - قال القط . - ليس هناك شيء اسمه كمن ملك بالشاء ، ولا يمكن أن يكون شيء كهذا .

- أكرر : كمن ملك بالشاء .

- سيدي ، - رد القط بصوت مصطنع يشن بالقلق ، - لقد بلغ منك الأعياء أشده ؛ ليس هناك شيء اسمه كمن ملك بالشاء .



- الملك في الربيع ج - ٢ - قال فولاند دون ان ينظر الى رقعة الشطرنج .
- سيدي ، الذعر يملكني ، - ان القط وهو يرسم علامات الذعر على سحنته . - لا وجود للملك على هذا الربيع .
- ما هذا ؟ - سال فولاند في ذهول واخذ يحدق في الرقعة حيث كان الضابط الواقف في مربع الملك يشيح بوجهه ويغطيه بيده .
- آه ايها النذل ، - قال فولاند في شرود .
- سيدي ! الي احكم مجدداً الى المنطق . - قال القط وهو يضم فمته الى صدره . - اذا كان اللاعب يكتس الملك بالثناء بينما الملك غير موجود على رقعة الشطرنج اطلاقاً اعتبر الشاء باطلاً .
- هل تستسلم ام لا ؟ - صرخ فولاند بصوت رهيب .
- اسمح لي بقليل من التفكير ، - اجاب القط في استكانة ، واستند مرفقيه الى الطاولة ودس اذنيه بين قائميه واخذ يفكر . فكر القط طويلاً وقال اخيراً : - استسلم .
- القتل للسائل العنيد ، - هس ازابيلو .
- لكني استسلم ، استسلم ، - قال القط ، - وما كنت لاستسلم الا لاني لا استطيع اللعب في هذا الجو من الاضطهاد الذي يخلقه الحاسدون ! - ونهض فتسللت قطع الشطرنج الى عليتها .
- جان الوقت ياغيلا ، - قال فولاند ، وللحال اختفت لبيلا من الغرفة . - لقد اشتد على السم رجل ، وهناك فجاء هذه الحفلة الرائعة .
- هلاً تسبح لي ؟ - سألته مرغريتا بصوت خافت .
- رنا فولاند الى مرغريتا متفحصاً وقرب اليها ركبته .
- كان السائل الساخن كسائل بركاني يلمع يدي مرغريتا ، لكن مرغريتا كانت تحاول ، دون ان يتلظظس لها وجه ، الا تسبب له ألماً وهي تدلك ركبته .
- وقال فولاند دون ان يرفع عينيه عن مرغريتا :
- يؤكد المقربون انه الرومانيزم ، لكن براودي شيك كبير في ان ساحرة فائقة تعرفت اليها عن كذب عام السف

وخمسة وواحد وسبعين في جبال بروكين في قسم الدراسات  
الدينامية هي التي تركت في هذا الألم في ركبتى للذكرى .  
- آه ، هل هذا معقول ؟ - قالت مرغريتا .

- بسيطة . بعد ثلاثمائة عام أو نحو ذلك سيزول الألم .  
لقد نصحت بتناول العديد من الأدوية ، لكنني لا ألت كما في  
القديم اتبع وسائل جدتي . لقد خلقت لي العجوز النجسة جدتي  
اعتباطاً مدعشة ا وبالمناسبة قولي لي هل تتألمين من شيء ؟  
تري هل تعالين من حزن يسبب لك حيالك أو من كآبة ؟

- لا ياسيدي ، لا أعاني شيئاً من هذا . - أجابت مرغريتا  
النيهة . - والآن ، وأنا في ضيافتك ، أشعر آني في حالة  
جيدة تماماً .

- الدم مسألة عظيمة . - قال فولند بصوت مرح دونياً  
سبب ظاهر وأردف : - أرى أن مجسمي يشير اهتمامك .

- طبعاً . طبعاً . فانا لم أرى في حياتي شيئاً كهذا .  
- انه شيء جيد . فانا ، اذا شئت الصراحة ، لا أحب  
أخبار الراديو ، إذ تضيعها دائماً فتيات يلفظن أسماء الأمكنة  
بطريقة غير منظومة . بالإضافة الي ان لثنتين معلودات اللسان  
قليلاً . كانما يتم اختيارهن هكذا عن قصد . وعلى هذا فمجسمي  
أروع وأنسب . لاسيما انه تلزمني معرفة الأحداث بدقة . هل  
ترين مثلاً قطعة الأرض هذه التي يغسل المحيط جنبها ؟ انها  
الآن تطفح بالنار . لقد بدأت الحرب هناك . واذا قرئت نظرك ،  
بإمكانك أن تري حتى التفاصيل الصغيرة .

انعتت مرغريتا فوق المجسم فرأت ان مربع الأرض السبع  
ونلوان بألوان متعددة وتحول الي ما يشبه خريطة تائلة . ثم  
رأت عليه شريط نهر وقربه بلدة أما البيت الذي كان يحجم  
الحنصة فقد كبر حتى صار يحجم علبة الكبريت . وفجأة ودون  
أي صوت تطاير سطح هذا البيت في عمود من الدخان الأسود  
وهوت جدرانه بحيث لم يبق من العلبة ذات الطابقين الا كومة  
جداً صغيرة يتصاعد منها دخان أسود . وقرئت مرغريتا عينها  
أكثر فتيهنت شكلاً تسائياً صغيراً مطروحاً على الأرض والسى  
جانبه طفل صغير ميسوط اليدين في بركة من الدم .

- انتهى كل شيء . - قال فولند وهو يتسهم . - لم  
يشمن له الوقت حتى يخطره . عمل ابادونا \* لا غبار عليه .  
- ليس بودي ان اكون الى الجانب الذي يقف ابادونا  
ضده . - قالت مرغريتا . - لكنه الى جانب من ؟

- بقدر ما استرسل في الحديث معك . - رد فولند  
بلفظ . - ازداد اقتناعاً بذلك البائع . وساططسك على  
الغور . انه نادر المثال من حيث عدم تمييزه . ولهذا فهو يتعاطف  
مع الجانبين المتحاربين بشكل متساو . وعلى هذا تكون النتائج  
بالنسبة للجانبين مساوية دائماً . ابادونا ! - نادى فولند  
بصوت غير عال . فظهرت من الجدار هل الغور هيئة شخص  
تحيل يضع نظارتين سوداوين . والسبب ما أحدثت هاتان  
التنظارتان في قلب مرغريتا تأثيراً قوياً بحيث أطلقت صرخة  
خافتة ودستت وجهها في رجل فولند . - الا هذات . - صاح  
فولند . - ما اشد توتر اعصاب الناس في هذه الايام ! -  
وردت بقوة على ظهر مرغريتا بحيث تد عن جسدها كله وتلين .  
- الا ترى انه يضع نظارات ! ثم انه لم يحدث ابداً ان ظهر  
ابادونا امام اي كان قبل الاوان ولن يحدث . ثم اني . اخيراً .  
هنا . وانت في ضياعتي ! اردت فقط ان اريك !  
كان ابادونا يقف دون حراك .

- هل من الممكن ان يطلع نظارتيه لثانية ؟ - سألت  
مرغريتا وهي تلتصق بفولند وترتعش انما من الغضول هذه  
الحررة .

- هذا بالذات امر غير ممكن . - اجاب فولند برزانة  
ولوح بيده لبادونا الذي اختلف على الغور . - ماذا تريد ان  
تقول يا ازابيلو ؟

- اسمح لي ياسيدي ان اقول لك ان عندنا غريبين :  
عادة حسناء تتشجع وتتوسل ان ندمها مع سيدتها . ومعها .  
وأرجو العفوة . خنزيرها .

- الحسنات يتصرفن تصرفات غريبة . - لاحظ فولند .  
- انها ناتاشا . ناتاشا . - صاحت مرغريتا .

\* ملك الصوت . المخرج .

- حسناً ، دعها مع سيدتها ، أما الخنزير فالطباخين !  
 - للذبح ؟ - صاحت مرغريتا مذعورة ، - خنانسك  
 ياسيدي ، انه نيقولاى ايفالونتش ، جارنا في الطابق السفلى .  
 لقد حدث خطأ ، فقد طلته بالدهان . . .  
 - طوك ، - قال فولند ، - من فكر في ذبحه ولمساذا  
 نذبحه ؟ ليجلس مع الطباخين ، هذا كل ما في الأمر ! فانا لا  
 استطيع ، كما لا بد تدركين ، السماح له بدخول قاعة  
 الاحتفال !  
 - طبعاً . . . - اودف اوزيلو تم اعلن : - منتصف  
 الليل يقترب ياسيدي .  
 - آ ، حسناً ، - قال فولند ثم توجه بالكلام الى مرغريتا  
 يقول : - تفضلي اذن ! واشكرك سلفاً ، لا تنذهلي ولا تخافي  
 شيئاً ، لا تشربين الا الماء والا اصابتك الاسترخاء والوهن  
 وسات حالك ، ان الازوان !  
 نهضت مرغريتا عن السجادة ، وهنا برز كوروفيف في  
 الباب فجأة .

## الفصل الثالث والعشرون

### حفلة راقص كبرى عند الشيطان

كان منتصف الليل يقترب ، وكان عليهم ان يستعجلوا .  
 ولم تكن مرغريتا ترى الأشياء ، ان راتها ، الا بشكل غامض .  
 وتذكر مرغريتا فيما تذكر شموغا وحوضاً من حجر كريم ، ولما  
 صارت مرغريتا في قاع هذا الحوض صبت عليها غيلا وناناشا  
 التي كانت تساعدنا سائلاً ساخناً كثيراً واحمر . احست  
 مرغريتا بطعم مالح على شفتيها وأدركت انهما غسلتها بالدم .  
 وابدل بالرهاء الدسوي رداء آخر كثيراً شفافاً وودياً فشعرت  
 مرغريتا من عطر الورد يدور في رأسها ، ثم أقيت مرغريتا على  
 مخدع بلوري واخذت تدلك حتى درجة اللعمسان بأوراق خضر  
 كبيرة . وهنا انسل القف واخذ يساعدنا ، جلس الرقصاء

عند قدمي مرغريتا وأخذ بذلك كعبيها وكأنه يدهن جزءاً على قارعة الطريق . ولم تعد مرغريتا تذكر من الذي صنع لها من بثلاث الوردة الشاحبة حذاء . ولا كيف شدّ هذا الحذاء تلقائياً بإيزيم ذهبي . وجذبت قوة خلية مرغريتا ووضعتها أمام المرآة . فلبس في شعرها تاج ملكي من الماس وظهور كوروفيف من مكان ما . وعلق على صدر مرغريتا صورة كلب صغير أسود في إطار بيضوي الشكل . مربوط بسلسلة ثقيلة . انقلبت هذه الزينة على مرغريتا . إذ أخذت السلسلة تعقر رقبتها وعتقتها . والصورة تعني قاتمها . لكن شيئاً آخر هوّض مرغريتا عن كل هذه المنفصات التي سببتها السلسلة والكلب الأسود هو الاحترام الكبير الذي أخذ كوروفيف وبيغيموت يعاملانها به .

- بسيطة . بسيطة . بسيطة - لمعلم كوروفيف عند باب الغرفة ذات الحوض . - لا طرفة من ذلك . لازم . لازم . لازم . واسمعي لي أيتها الملكة إن أسدي لك نصيحة أخيرة . ضيوفنا متنوعون . آه ما أشد تنوعهم . لكن أيتاك . أيتها الملكة مارغر . وتفصيل أحدهم على الآخر ! وإذا لم يعجبك أحد . . . أدرك جيداً أنك لن تبدي بطبيعة الحال هذا على وجهك . . . لا . لا . حتى التفكير في هذا غير جائز ! سيلاحظ في اللحظة عينها . عليك أن تحببه . إن تحببه أيتها الملكة . وسيمود هذا على سيدة الحفلة بأعظم النفع ! وشي آخر : لا تغفلي أحداً حتى بابتسامة صغيرة . وإذا لم يكن لديك وقت لتبادل كلمة فأقله التفاتة طفيفة ! أي شيء . يحلو لك إلا عدم الاكترات . فهذا يسقهم ويضئهم . . .

وهنا خطت مرغريتا برفقة كوروفيف وبيغيموت من غرفة الحوض إلى ظلمة دامسة .

- أنا . أنا . - همسي اللط . - أنا سأعطي الإشارة !  
- مينا . - أجاب كوروفيف في العتمة .

- الحفلة الراقصة ! - أزل القط أزيزاً حاداً فأطلقت مرغريتا على الفور صرخة . وانقضت عينها على لوان . سقطت الحفلة عليها فوراً في شكل نور . ومع النور صوت ورائحة . وراة مرغريتا . التي كان كوروفيف يتأبط ذراعها . تنفّسها في نهاية استوائية . كانت البهقاوات ذات الصدور الحمر والذبول الخضمر

تضجبت بالتيارات المتسلسلة وتنتظ عليها وتصرخ بصوت داء :  
«كم انا سعيدة !» . لكن الغابة انتهت بسرعة . وللحال اختفى  
جوعها الخالق الأشبه بجوع الحمام وحلّت محلّه برودة قاسية  
الخطلة ذات الأعمدة المصنوعة من حجر لمتاع ضارب الس  
الصفرة . وكانت هذه القاعة كالأغابة خالية تماماً الا من زوج  
عراة يلفون عند الأعمدة دون حراك . مصويين الرؤوس بعصاهات  
فضية . وغشيت وجوههم المنفصلة سمرة داكنة رمادية حين دخلت  
القاعة طائرة مرغرينا وحاشيتها التي انضم إليها في مكان مسا  
ازازيلو . وهنا ترك كوروفيف ذراع مرغرينا وحسن :

- على الموسن مباشرة !

وانتصب أمام مرغرينا جدار غير عال من الموسن الأبيض .  
ورأت مرغرينا خلف الجدار انواراً لا عدّها لها في اياجسورات  
صغيرة وامامها اناس يرتدون الفراك بصدرهم البيض واكتافهم  
السود . الا انك أدركت مرغرينا مصدر اصوات الخطلة . انهال  
عليها حدير الأيقاق كما انتصب عليها صوت الكمادات المنطلق  
من تحت هذا الهدير كانه الدم . كانت الاوركسترا المكونة من  
لحو مائة وخمسين شخصاً تعزف البيولونيز .

لما رأى الشخص ذو الفراك المنتصب عالياً أمام الاوركسترا  
مرغرينا شحّب لونه وابتسم . وبتلووية مفاجئة من يده انفض  
الاوركسترا كلها وظلّت الاوركسترا . وحسن واقفة . نظرت  
مرغرينا بالأحمان دون ان تنقطع الموسيقى لحظة واحدة . وأدار  
الرجل المنتصب فوق الاوركسترا ظهره للعازفين ورسم انحناءة  
عجيبة باسطة يديه على اتساعهما فلوّحت له مرغرينا بيدها  
مبتسمة .

- لا ، هذا لا يكفي . لا يكفي . - حسن كوروفيف : -  
لن ينام طول الليل . اهتفي له : «احبيك ياملك القالس !» .  
وهللت له مرغرينا ما قاله لها كوروفيف ودعشت لصولها  
العلان كصوت الجرس يعلو على عواء الاوركسترا . ارتعش الرجل  
من سعادته . ووضع يده اليسرى على صدره . بينما استعسر  
يلتوح بعصاه البيضاء للاوركسترا بينما .

- لا يكفي ، لا يكفي . - حسن كوروفيف . - انظري  
الى اليسار . الى عازفي الكمان الأوائل وأومئي بحيث يحس كل

واحد منهم أنك عرفته شخصياً . فليس هنا إلا انهر عسازي العالم . اومني الى هذا الذي خلف النصفة الأولى - انه فيبتان . هكذا . ممتاز . تابعي الآن .

- من قاله الاوركسترا ؟ - سمالت مرغريتا وهي تبتعد في الهواء .

- يوهان شتراوس . - صاح القط . - ولاعلقى مسن رقبتي في العديفة الاستوائية على نباتات متسلقة ان عزفت في اي حيلة وفي اي وقت اوركسترا مثل هذه الاوركسترا ا انا الذي دعوته ا ولاحظوا ان احداً منهم لم يعرض ولم يرفض . ولم تكن في القاعة التالية اعمدة . بل ارتفعت مكانها جدران من الورود الحمر والوردية والبيضا والبيضا الحليب من جهة . وجدار من الكاميليا اليابانية من جهة اخرى . وبين الجدران كانت الفسيفساء تتدفق بالماء السلسق . والشامانيا تفور فقاعات في ثلاثة احواض اولها ينسجى شفاف . وثانيها من الياقوت الاحمر وثالثها بلقوري . وكان زئوج في عصابات حمر لمانية يمدون الى جانبا ويملأون بمفارقهم القضية كزوساً مسطحة من الاحواض . وتبين لها في جدار من الورود شق . وعلى المسرح الذي في الشق شخص يراك احمر له ذيل كذيل السنويز يرفي ويزيد . وامامه يدوي جاز دويتا لا يطاق . وما ان رأى قائد الجاز مرغريتا حتى تقوس ظهره ومست يسداء الأرض . ثم انتصب وصاح بصوت قاقب :

- هيلولوبا !

وضرب على ركبته مرمة . وعلى ركبته الأخرى مرمة اخرى بحيث تصالبت بداء . وخطف من يدي العازف الذي على طرف صنجا وضرب به العمود .

وجل ما راته مرغريتا وهي تبتعد في الهواء ان قائد الجاز البارح الذي كان ينازل البولوليز التي كانت تنفخ في شهر مرغريتا . كان يهوي بالصنح على رؤوس عازفي الجاز . وان هؤلاء يشنون ارجلهم في دعر مصطنع يبعث على الضحك .

واخيراً خرجوا طائرين الى البسطة حيث كان كوروفيف قد استقبلها في الظلام وهو حامل قنديله كما عدست . كان النور المتدفق من عتاليد العنب البلورية يعنى الآن الأبهصار على هذه

البسطة . ووضعت مرغريتا في مكان ما سرعان ما تبين لها أن تحت يدها اليمرى عموداً واطناً من الجبست .  
- بوسحك وضع يديك على العمود اذا سمعت حائلتك كثيراً .  
- همس كوروفيف .

والقى شخص ما اسود البشرة وسادة مطرزة بكلب ذهبي تحت قدمي مرغريتا . فثقت ركبتيها ووضعت قدمها اليمنى على السادة متصاعاً لا يدري لم تتيبها . حاولت مرغريتا تلخص ما حولها . فرأت كوروفيف وازازيلو منتصبين الى جانبها في وضع استعراضي . وإلى جانب ازازيلو ثلاثة شبان ذكرها شيء ما فيهم تذكيراً غامضاً بأبادونا . وشعرت مرغريتا ببرودة تلمس ظهرها . التفتت فرأت خيرة تندفق من الجدار العمري الذي خلفها في نسيش . وتصب في حوض متجدد ؟ واحست مرغريتا بشيء دافئ . وكث الشعر عند قدمها اليمرى - كان حسنا بغيرهوت .

كانت مرغريتا على علوة . وكان يمتد من تحت قدميها الى الأسفل درج ضخم فخم مفروش بالسجاد . وفي الأسفل . الذي بدا لمرغريتا بعيداً جداً كأنها كانت تنظر على نحو مقلوب بالمنظار . واث غرفة البوابين الهائلة بوقدما الهائل الحجم الذي تستطيع شاحنة بحمولة خمسة اطنان ولوج شدقه الأسود البارد بكل يسر . كان المرح ورفرة البوابين المغموران بضوء يولم العيشين خاليين . وكانت الأبواب تتناهى الى سمع مرغريتا من بعيد الآن . وهكذا ظلوا دون حراك حوالي الدقيقة .

- لكن أين الضيوف ؟ - سألت مرغريتا كوروفيف .  
- سيحضرون أيتها الملكة . سيحضرون للحال . ولن يكونوا بالتقليبين . والحق أفضل قطع الخشب على استقبالهم على البسطة هنا .

- قطع الخشب امر يسير . - تلكف القطر الهسبار الكلام . - أما أنا فعل استعداد لأن اعمل جانياً في ترام . فليس في العالم كله اسوأ من هذا العمل .

- يجب أن يكون كل شيء جاهزاً قبل الوقت . انتهت الملكة . - قال كوروفيف وعينه تلمع من خلال نظاراته المشققة . - فليس ما هو اسوأ من وضع الضيف الذي يصل



قبل غيره ، وياخذ يسرى هنا وهناك وهو لا يدري ماذا يفعل ، بينما تأخذ زوجته الشرعية الشريسة في تقريره همساً على وصولهما قبل الآخرين . ان حلات كهذه يجب رميها في بلاعة القاذورات ايها الملكة .

- في بلاعة القاذورات بالتحديد ، - قال القطب منياً .

- لم يبق حتى منتصف الليل الا اكثر من عشر تون .

- اردف كوروفيف . - حان الافتتاح .

بدأت هذه التواني العشر طويلة جداً لمرغريتا ، واعلمها انقضت ولم يحدث شيء . وفجأة دوى شيء ما في الموقد الضخم في الأسفل وانسلت منه مشنقة يتأرجح عليها جنسان نصف متلفت . واخذت هذا الجنان من المشنقة وهوى على الأرض ، فوثب منه للحال شخص طلعة أسود الشعر يرتدي فراكاً ويستعمل حذاء لناعاً . وعدا من الموقد تابوت صغير نصف متعفن . فطار فطاره وخرج منه جنان آخر . وهروا الرجل الطلعة الى الجنان في تادب وكياسة ومدّ اليه يده ليتأبطها ، فاستحال الجنان الثاني امرأة عازية حركة لتنتقل حذاء أسود وتضع ريشاً أسود على رأسها ، واسرع الاثنان ، الرجل والمرأة ، يصعدان الدرج .

- انهما اول القادمين ، - عتف كوروفيف . - السيد

جك وزوجته . اقدم اليك ايها الملكة واحداً من اكثر الرجال اثارة مزيف تلود عتيد . وخائئ ، لكنه خيماوي \* لا بأس به .

- واردف كوروفيف يهمس في اذن مرغريتا : - اشتهر بأنه دس السم لعشيقه الملك . وهذا لا يحدث لأي كان انظري ما اوسه ا

كانت مرغريتا التي شحب لونها تنطلق الى الأسفل فافسرة الفم وقد رأت المشنقة والتابوت يخفقان في باب جانبي مسن غرفة البوابين .

- اني احد المعجبين بك كل الاعجاب . - صرخ القطب في

وجه السيد جك الذي كان يصعد الدرج .

في هذا الوقت بدأ خارجاً من الموقد في الأسفل هيكل انساني

\* مشغل بالكيمياء القديمة . المترجم .

ميتور الراس واليد وسلط على الأرض واستعال الى رجل في  
الفراخ .

كانت زوجة السيد جاك تجتر الآن على ركبتيها امام مرغريتا  
وتقبل ركبتيها وهي شاحبة الوجه من الاضطراب .

- ايها الملكة . - ضعفت زوجة السيد جاك .

- الملكة معجبة بك كل الاعجاب . - هتف كوروفيف .

- ايها الملكة . . . - قال الرجل الوسيم السيد جاك

بصوت منخفض .

- نعم معجبون بك كل الاعجاب . - عرى القط .

كان الشبان مرافقو أزاليلو يدفعون الآن جانباً السيد

جاك وزوجته وهم يبتسمون ابتسامات لا حياة فيها انما ودودة

الى حيث كزوس الشامانيا التي يسكنها الزوج في ايديهم .

وكان يصعد المراج عمواً رجل وحيد يلبس الفراخ .

- الكونت روبرت . - هس كوروفيف لمرغريتا . -

لا زال مثيراً للاهتمام كما في السابق . ارجسو ان الت نظرك

ايها الملكة الى امر مضحك : نحن هنا امام حالة عكسية :

هذا الكونت كان عشيق الملكة ودمس السم لزوجته .

- يسرنا حضورك . ياكونت . - صاح بيغيموت .

وخرجت من الموقد الواحد اثر الآخر ثلاثة توابيت وهي

تتمزق وتفتتح . ثم خرج في الرها شخص ما في رداء اسود طعنه

شخص تلاء خارجاً من الشفق الاسود يسكن في ظهرو . وسعدت

في الأسفل سرعة مكتومة . وهوول من الموقد جثمان منفسخ

تماماً . انحضت مرغريتا عينيها . فاذا بيد تمتد الى انفسها

بزجاجة ملح ابيض . بدأ لمرغريتا ان هذه يد ناتاشا . واخذ

الدرج يغص بالوافدين وهم كل درجة من درجاته رجال بالفراخ

يمدون من بُعد متشابهين كل الشبه ومعهم نساء عاريات لا

تتميز الواحدة من الأخرى الا بلون الريش على راسها ولسون

حناتها .

واقتربت من مرغريتا متعشرة في مشيتها سيدة تلبس جزمة

خشبية خربية في رجلها اليسرى . ذات عينين مسيلتين على

طريئة الراهيات . لعيلة . متواضعة تربط لأمر ما عتقها بعصابة

خضراء عريضة .

- من هذه الخضراء ؟ - سألت مرغرنا أيتها .

- انها واحدة من اعظم السيدات سعراً وشأناً . - همس كوروفيف . - اسمي لي ان اقدمها لك : السيدة توفانا . كانت لها شهرة خارقة في اوساط صبايا نابولي الفانسات . وكذلك بين نساء باليرمو ولا سيما اللواتي ضمن أزواجهن : لقد يحدث . ايها الملكة . ان تضيق المرأة بزوجها .

- نعم . - اجابت مرغرنا بصوت هموس وهي تبسم في آن لاثنتين من اصحاب الفراكات كانا يتحنيان الواحد اثر الآخر امامها ويقبلان ركبتيها ويدعا .

- نعم هكذا اذن . . . . - تمكن كوروفيف من الهمس لمرغرنا والسياح في الوقت نفسه لاحدم : - ياخضرة الدوق . - كاس شمبانيا ! لك اعجابي ! هكذا اذن كانت السيدة توفانا تتعاطف مع النساء الثمعات وتبيمن الماء في زجاجات . وكانت الزوجة تسكب من هذا الماء في حساء زوجها . فكان هذا يتناول حساءه ويشكر زوجته على لطفها وهو على غير ما يرام . والحقيقة انه ما كانت تمرّ عدة ساعات حتى يشعر الزوج بحضن شديد . ليستلقي في سريريه وما هو الا يوم حتى تكون الثابولانية الحسنة التي اطعمت زوجها الحساء حرة طليقة كنسمة الربيع . - وما الذي في قدمها ؟ - سألت مرغرنا وهي لا تملك تقدم يدها للضيوف اللاحقين بالسيدة توفانا التي تعرج . - ولماذا هذا الاضرار في عتقها ؟ اليس عتقها كامدا ؟

- لك اعجابي . ايها الأمير ! - عتق كوروفيف وهمس في الوقت نفسه لمرغرنا : - عتق رائع لكننا اصبحت بمكروه في السجن . في قدمها . ايها الملكة . جزمة اسبانية \* . اما الشريط فاليك السبب : عندما عرف السجانون ان حوالي خمسمائة رجل من الأزواج الذين اسى اختيارهم غادروا نابولي وباليرمو الى الأبد . خنقوا في سورة فضجهم السيدة توفانا في السجن .

- ما اسعدني ايها الملكة السوداء ان يتساح لي هذا الشرف الرفيع . - همست توفانا كالراحيات وهي تحاول الركوع

\* احدى ادوات التعذيب . المترجم .

على ركبتيها لكن الجزمة الاسبانية كانت تضايقتها . فساعدها  
كوروليف وبيغيموت على النهوض .

- وانا في غاية السرور . - اجابتها مرغريتا وهي تمد  
يدها لآخرين .

كان تيار من الناس يصعد الآن في المدرج . ولم تعد مرغريتا  
ترى ما يجري في غرفة البوابين . كانت ترفع يدها وتلخصها  
بصورة آلية وتبتسم للضيوف كاشفة بصورة رتيبة عن أسنانها .  
كان يخيم على جو البسطة هدوء . ومن قاعات الرقص التي  
غادرتها مرغريتا كانت تسمع موسيقا وكانها من صوت البحر .  
- اما هذه فامرأة مملحة . - لم يكن كوروليف يمس  
الآن . بل يتكلم بصوت عال ليقينه ان أحدا لن يسمعه في هذا  
الهدوء . - انها تعبد حفلات الرقص ولا زالت تعلم بان تشكو  
متدبها .

والتفت مرغريتا بعينها بين الصاعدين تلك التي انسار  
اليها كوروليف . كانت امرأة شابة في نحو العشرين من عمرها  
ذات قوام خارق الجمال . انما كانت عينها قلقتين لجوجتين .  
- اي مندبل هذا ؟ - سألت مرغريتا .

- عيّنت لها خادمة . - قال كوروليف موضحاً . - وهما  
ذي منذ ثلاثين سنة تضع لها المندبل على المنضدة أثناء الليل .  
وما ان تصحو ، حتى يكون المندبل جاهزاً . ولقد احرقت في  
المولد ورمته في النهر . لكن هذا لم ينفعها .

- اي مندبل ؟ - همت مرغريتا وهي ترفع يدها  
وتلخصها .

- ذو الكنار الأزرق . القصة انها . حين كانت تعمل في  
المقهى . ناداهما صاحب المقهى الى المستودع . وبعد تسعة  
أشهر ولدت غلاماً فضت به الى الغابة وحضت فيه بمندبل  
ودنته في التراب . وقالت في المعركة انه لم يكن لديها مسا  
تعلم به وليدها .

- واين صاحب هذا المقهى ؟ - سألت مرغريتا .

- ايها الملكة . - صرّ القط من تحت . - اسمي لي  
ان أسألك ما شان صاحب المقهى هنا ؟ فهو لم يخفق الطفل  
في الغابة !

فرزت مرغريتا أطاغر بسرهما العادة في أذن بيغيموت ، دون  
أن تتوقف عن الابتسام وهزّ يديها ، وهصت تقول له :  
- إذا سمحت لنفسك بالتدخل مرة أخرى في الحديث أيها  
الوليد . . .

صاى بيغيموت بطريقة لا تتناسب وجوّ الحفلة الراقصة  
وقال بصوت أجش :

- أيتها الملكة . . . ستورّم أذني . . . لماذا تفسد  
الحفلة بأذن مثورة ؟ . . . كنت أتكلم قانونياً . . . ومن وجهة  
نظر القانون . . . ساخرس ساخرس . . . أحسبي أنني لست  
قطاً بل سمكة . انما دعي أذني . . .

أفلتت مرغريتا أذنه ، فاذا بالعينين اللجوجتين المطوويتين  
أمامها .

- اني لسعيدة ، أيتها الملكة سيده الحفل ، أن أكون من  
المدعوين إلى الحفلة الكبرى القادمة بمناسبة اكتمال البقر .  
- وأنا مسرورة برؤيتك ، - أجابتها مرغريتا ، - مسرورة  
جداً . هل تحبين الشبانيا ؟

- ما الذي تفضلين بعله أيتها الملكة . - صاح  
كودروفيف بصوت يانس انما لير مسجوع في أذن مرغريتا ، -  
سيحصل توقف بسبب الإزدحام .

- أحبها . - قالت المرأة بضراعة . وفجأة راحت تردّد  
بشكل آلي : - فريدا ، فريدا ، فريدا ! اسمي فريدا أيتها  
الملكة .

- اشربي اليوم حتى تسكري يا فريدا ولا تفكري في شيء .  
- قالت مرغريتا .

مدّت فريدا كلتا يديها إلى مرغريتا ، لكن كسودروفيف  
وبيغيموت أمسكها برشاقة خارقة من ذراعها وامحت بيسن  
الجمهور .

كان المدعوون يتدفقون من الأسفل صقوا وكانهم يهاجمون  
البسطة التي تقف فيها مرغريتا . كانت الأجساد النسائية  
العارية تصعد بين رجال بفراكات ، وكانت تغمر مرغريتا أجساد  
سمر وبيض وسود وبلون حب البن . وفي الشعور الصهب  
والسود والكستنائية والشقر كالكتان وفي النهار الضو . كانت

الأحجار الكريمة تتلأأ وتتراقص شررها . وكانت الأزوار الماسية تلمع نوراً على الصدور لكان أحدهم وش صفوف الرجال المهاجرة بفطرات من الضوء . كانت مرغرينا تحس في كل ثانية الآن بلمسة الشتاء على ركبتيها . وتعدّ في كل ثانية يدها إلى الأمام للتقبل . وقد شدّ وجهها بقناع تحية جامد .

- لك اعجابي . - كان كوروفيف يشدو . - لك اعجابنا . لك اعجاب الملكة .

- لك اعجاب الملكة . - كان أزازيلو يردد بصوت أخن وراء ظهرها .

- لك اعجابي . - كان القط يهتف ورائها .

- المركيزة قتلت أباه وأخويها واختيها بالسمّ بسبب الأارت ! - لعظم كوروفيف . - لك اعجاب الملكة ! السيدة ميتكينا . آه . ما أجملها ! لكنها عصبية قليلاً . ماذا دهاها حتى أحرقت وجه خادمتها بذكوات الشعر ! طبعاً . في ظروف كهذه قد يحدث ذبح ! لك اعجاب الملكة ! ابنتها الملكة ثانية انتباه : الإمبراطور رودولف ساحر وخيميائي . خيميائي آخر سنلق . آه . هاهي ذي ! يا للمخاور الرائع التي أقامت في ستراسبورغ ! لك اعجابنا . الخياطة الموسكوفية . نحن جميعاً نعجب لخيالها التي لا ينقذ . كانت تدير دار أزياء وفكرت في أمر مضحك بشكل غريب : نظمت تلبين صغيرين مدورين في الجدار . . . .

- وكانت السيدات يعلمن بهذا الأمر ؟ - سألت مرغرينا .

- كلهن دون استثناء كن يعرفن . - أجاب كوروفيف .

- لك اعجابي . وهذا الشاب ابن العشرين تميز بنزواتسه الغريبة منذ صباه . كان حالماً وغريب الأطوار . ولقد أحبت إحدى الفتيات قباها لبيت دعاة .

كان النهر يتدفق من الأسفل . ولم تكن ترى لهذا النهر نهاية . إذ كان نبعه الذي هو الوعد الضمير لا يتفك بظفه . مرّت ساعة على هذا المتوال وأعطبتها الثانية . وهنا أخذت مرغرينا تلاحظ أن سلسلتها أضحت أثقل مما كانت . وأن شيئاً ما تحريماً حدث ليدها أيضاً . فقبل أن ترتفعها ارتست على وجه مرغرينا ساعات الألم . لم تعد ملاحظات كوروفيف الطريفة

تسلي مرغريتا . وغابت الفروق بين الوجوه المنغولية الحول  
العيون والوجوه السود والبيض اذ كانت تقرب في بعضها البعض  
أحياناً . وصار الهواء بينها لسبب ما يهتز ويتدفق . وغز الم  
حاد يد مرغريتا اليمنى فجأة كأنه وغز ابرة . فاطبقت أسنانها  
ورضعت مرفقها على منضدة . وتناهر اليها من القاعة التي خلفها  
عنيف كما لو أنه صادر عن ارتطام أجنحة جدران . فأدركت ان  
جحافل المدعوين التي لم يسمع بعينها من قبل ترقص . وبدأ  
لمرغريتا انه حتى الأرض المرمرية والنيسفانية والبلورية في  
هذه القاعة الغريبة تنبض نبضات منتظمة .

لم يعد يعني مرغريتا شيء من أمر فاي قيصر كاليغولا ولا  
ميسالينا . كما لم يعد يعينها شيء من أمر الملوك والدوقات  
والفرسان والمنتشرين وداسئات السموم والمشوقين والقوادات  
والسجانيين والمحتالين في القمار والجلادين والمخبرين والغولة  
والمجانين والوشاة ومطسدي الأخلاق العامة . اختلطت أسماؤهم  
كلها في رأسها . وذابت الوجوه كلها في جبلة واحدة ضخمة .  
ولم يستقر في ذاكرتها على نحو موجه الا وجه عالونا سكوراتوف  
المطوق فعلاً بلحية نارية . كانت رجلا مرغريتا تنقصان .  
وكانت تخشى أن تنهر دموعها في أي دقيقة . وكانت الفصح  
الآلام تلك التي كانت تعانيها من ركبتها اليمنى التي كالسوا  
يلتصونها . فقد انتفخت وازرق جلدها على الرغم من أن يد  
ناتاشا ظهرت عدة مرات لمرب هذه الركبة وهي تمسك اسفنجة  
وتمسحها بشيء ما زكي الرائحة . ومع انقضاء الساعة الثالثة  
تطلعت مرغريتا الى الأسفل بعينين غاض فيهما الأمل نهائياً  
واعترزت جدل : كان سيل الضيوف يفيض .

- قوانين حفلات الرقص واحدة . ابتها الملكة . - هيس  
كوروفيف . - الآن سنبدا السجدة بالهبوط . أقسم أننا نصير  
الدقائق الأخيرة . هامس ذي جناحة من عريدي بروكن . أنهم  
يصلون دائماً آخر الجميع . نعم . أنهم هم بالذات . فسولان  
سكيران . . . فقط ؟ آه . لا . هناك شخص آخر . لا اثنان  
قط .

كان آخر مدعوين يصعدان الدرج .  
- ومن هذا الجديد ؟ - قال كوروفيف وهو يزر عينه من

وراء بقدر نظارته ، - آه ، نعم ، نعم . لقد زاره أزازيلسو  
مرّة ، وعمل كأس من الكونياك نصحه بطريقة يتخلص بها من  
شخص كان يخشى كثيراً أن يفضحه . وكان أن نصح أحد معارفه  
التابعين له أن يرش جدران المكتب بالسم .

- وما اسمه ؟ - سألت مرغريتا .

- آه ، الحليفة اني انا نفسي لا اعرف حتى الآن . -

اجاب كوروفيف . - ينبغي ان نسأل أزازيلسو .

- ومن الذي معه ؟

- انه اكثر تابعيه اخلاصاً واستعداداً لتنفيذ أوامره . لكما  
اعجابي ا - صرخ كوروفيف لآخر الصاعدين .

خلا العرج . فانتظروا قليلاً من قبيل العيطة . لكن احداً  
لم يخرج من الحوقد .

وفي ثانية ، ودون أن تعري كيف حدث هذا ، وجسدت  
مرغريتا نفسها في تلك الغرفة ايّاماً ذات الحوض . وهناك  
انخرطت فوراً في اليكاء من ألم يدها ورجلها وتساءلت على  
الأرض . لكن غيلاً وثامناً سحبتها من جديد الى تحت دوش  
الدم وهما تواسياتها . وذلكما جسهما من جديد فهدّبت ليهما  
الحياة نالية .

- علينا ايضاً ، ايها الملكة مارغو ، - همس كوروفيف  
الذي ظهر فجأة الى جانبها . - علينا أن نطوف القاعات كلها  
كي لا يشعر الضيوف أنهم اهلوا .

وحلقت مرغريتا خارجة من الغرفة ذات الحوض . كانت  
فرقة جاز من القروود قد جنّ جنونها تعزف الآن في المكان الذي  
كانت اوركسترا ملك القالس تعزف فيه . اي على المسرح الذي  
وراء السوسن ، وكانت غوربلا ضخمة ذات فودين اشعنين تحمل  
بوقاً في يدها تلقد اللرقة وهي تتراقص في تناقل . وفي صف  
واحد جلس اناس غامضات ينظفون في ابواق لاسعة ، وقد اعتلت  
اكتافهم قروود شامباتزيه مرحة تعزف بالهارمونيكسا ، وكان  
النجان من قردة الهامادريلا بليديهما اللتين تشبهان لينة الأسد  
يعزفان على البيانو . لكن صوت البياتوهات كان يضيع في فصف  
وأزيز ودوي السكسوفونات والكمانات والطبول التي في قوائم



الغبونات والمنفريلات والقشش \* . وعلى أرض القاعة البلورية كانت أعداد لا تحصى من الأزواج . بدت وكأنها اندمجت بعضها في بعض . تدور في خفة ودقة نبعثان على الدعشة في اتجاه واحد كأنها جدار مرصوص مهددة بسحق كل ما يعترض سبيلها . وكانت فراشات لامعة حية نفوس وتظفر فوق رؤوس الجحافل الراقصة . والزهور تتساقط متناثرة من السقف . وحين كانت الكهرباء تنطفئ . كانت تيجان الأعمدة تشتعل بألوان مؤلفة من العباب وبسوح الهواء بأضواء مستنقعية .

ثم وجدت مرمرينا نلسها في حوض هائل الأبعاد محاط بأعمدة . كان نيتون أسود عملاق يطفئ من شدقه تياراً وردياً عريضاً . ومن الحوض تنبعث رائحة شمباتيا مخدرة . هنا كان يسود لهو لا كلفة فيه . كانت السيدات ينزعن أحذيتهن ويناولن حفانينه اليدوية لمرافقيهن أو الزوج الساعين حولهن والمتأنف في أيديهم وعن يتضاكنن ويلقنن بأنفسهن في الحوض وأيديهن ممدودة الى الأمام متصايحات فتتصاعد من الحوض اعمدة من الزيد . وكان قاع الحوض البلطوري يضيء بنسور سفلي يخترق سماكة الخمر فتبدو فيه الأجسام الضخية العائنة . وكنّ ينجن من الحوض وعنّ ثملات تماماً . وكانت قهلبهاهن ترنّ وتدوي تحت الأعمدة كما في حمام .

ووسط هذا الهرج والمرج لم يعلق في ذاكرة مرمرينا الا وجه نسائي تمل تماماً ذو عينين فارغتين من أي معنى . لكنهما في فراغهما ضارعتان . وتذكرت كلمة واحدة : - فرمبا ! أخذ رأس مرمرينا يدور من رائحة الخمر . وازادت ان تغادر حين بدأ القط في الحوض قفزة استوقفت مرمرينا . كان بيغيوت يباشر حركات سحر عند شدق نيتون . والمعال انسحبت كتلة الشمباتيا في نثيش وجلبة من الحوض . بينما أخذ نيتسون يفر . موجة ذات لون اصفر فاتم . ولم تكن تلك الموجة بالمتلانة ولا بالراقية . واطلقت السيدات زعيقاً وولولة :

- كونيكا ! - واندفعن عن حوالي الحوض يخشطن خلف الأعمدة .

\* وكلها انواع من الفردة . المترجم .

وفي ثوان امتلا الحوض ، فقلب القبط في الهواء ثلاث قلبات  
وهوى في الكونيك المشاوح . ثم خرج منه وهو يزفر وينغر  
وقد اهتلت ربطة عنقه وضيق الطلاب الذهبي عن شاربيه ونظارته  
الانفية . ولم يجسر على الاحتذاء ببيغموت الا امرأة واحدة هي  
الغياطة المكاراة اياها ومراقها وهو شاب خلاصي نكرة . فقد  
كذب كلاهما بنفسه في الكونيك ، وهنا تابط كوروفيف ذراع  
مرغريتا والمادرا المستحمين .

وبدا لمرغريتا انها تطير فوق مكان رات فيه جبالا من  
المحار في برك حجرية هائلة ، ثم طارت فوق ارض قاصدة  
زجاجية تتلذ تحتها اثن جهنمية يسعى بينها طهاة بيض  
جهنميون . ثم رات في مكان ، وهي لما تعد لطفه شيئا ، انبية  
معتة تضيء فيها فتاديل وتقدم فيها فتيات لحما ينش على حجر  
حام ، والناس يشربون من اكواز كبيرة نخيها . ثم رات دبة  
بيضا تعزف على الهارمونيك وترقص رقصة كمارينسكايا على  
السرحة . وسندرا مشعوذا لا يحترق في نار المسوفد . . .  
والمرأة الثانية اخذت فواحا تتلاشى .

- الجولة الأخيرة ، - هس لها كوروفيف مهوما . -  
وبعدنا نحن طلقاء .

ووجدت مرغريتا نفسها مع كوروفيف في قاعة الرقص من  
جديد . انما لم يكن احد يرقص فيها الآن ، بل كان الضيوف  
يتجهرون بصاغات لا عدد لها بين الاعمدة مغلين وسط القاعة .  
ولم تدر مرغريتا من الذي ساعدها في ارتقاء منصة ظهرت في  
وسط هذا الخلاء . ولما ارتقت المنصة سمعت ، لدهشتها ،  
الساعة تدق في مكان ما منتصف الليل الذي كانت تحسب انه  
قات من فترة طويلة . ومع آخر دقة من دقائق ساعة لا تدوي  
صدرها هبط الصمت على جماهير الضيوف . الا ان رات مرغريتا  
فولند من جديد . كان يسير في رفقة ابادونا وازازيلو وبضعة  
آخريين اشياء ابادونا ، سود وفي عز الشباب . وتبيئت مرغريتا  
الآن مقابل منصتها منصة اخرى اعدت لفولند . لكن هذا لم  
يستخدمها . وادعس مرغريتا ان فولند كان في ظهوره العظيم  
الآخر في حفلة الرقص بالنظر نفسه الذي كان فيه في مقدمه :  
نفس القبيص الرقيق اللذ كان يتدلى على كتفيه ونفس

الخطّ الليلي المهترى في قديمه . كان فولند يمسك شيئاً بيده . لكنه كان يستخدم هذا الشيء المسلول عصا يتكئ عليها . توقف فولند . وهو يهرج . قرب منصته . وللحال مثل ازازيلو أمامه يحمل طبقاً . ورات مرغرينا على هذا الطبق رأساً انسانياً مقطوعاً ذا اسنان امامية مهشمة . كان الصمت الكامل لا زال مطبقاً لم يقطع الا مرة واحدة رنين بعيد . غير مفهوم في مثل هذه الظروف . كما يحدث أحياناً مثله في المدائن الرئيسية للبيوت .

- ميخائيل الكسنندروفنتس . - توجه فولند الى الراس بصوت خافت . فالتفت جفون الكليل . ورات مرغرينا على الوجه الميت . وقد سرت فيها الشعوريرة . عيين حيتين متلفتتين بالهم والالم . - لقد تحقق كل شيء اليس كذلك ؟ - تابع فولند وهو يرتو الى عيني الراس . - الراس قطعته امرأة . والاجتماع لم يعقد . وانا اميش الآن في شقتك . هذا واقع . والواقع اعند شيء في الحياة . انما ما بهننا الآن شيء آخر وليس هذا الواقع الذي تحقق . لقد كنت دائماً ذاهية متحمساً لتلك النظرية التي تقول ان الحياة في الانسان تتوقف بعد قطع الراس . وانه (أي الانسان) يتحول الى رماد ويعود الى العدم . ويسرني الآن ان اقول لك في حضرة ضيوني . وان كانوا هم انفسهم برحماً مائلاً على نظرية اخرى تماماً . ان نظريتك جديرة بالاعتبار وذاكية . وبالنسبة . كل النظريات متعادلة . وبينها نظرية تقول ان الانسان يعطى على قدر ايمانسه . الا فليتحقق ذلك ! انك تعود الى العدم . ويسرني ان اشرب من الكاس التي تتحول اليها نغب الوجود . - ورفع فولند شيئه . وهما اسودت فروة الراس وتقلصت وسقطت قطعاً قطعاً واختفت العينان وما عثمت مرغرينا ان رات على الطبق حبيبة ضاربة الى الصفرة ذات عيين زهرديتين واسننان لؤلؤية تلف على قائمة من الذهب . وارفع لغطاء الحبيبة على المنضلة .

- حالا . ياسيدي . - قال كوروفيف وقد لاحظ نظرة فولند المتسائلة . - سيمثل أمامك حالا . واني لأسبح في صمت القيور هذا صرير عذائه المصنوع ورنين الكاس التي

وضمها على الطاولة بعد أن شرب منها الشامبانيا لأخر مرة في حياته . هاهو ذا !

ودخل القاعة ضيف جديد وحيد متوجهاً الى فولند . لم يكن الضيف الجديد يتميز عن الضيوف العديدين الآخرين من الرجال الا بشيء واحد : كان الضيف الجديد يترنح ، بالمعنى الحرفي للكلمة ، من الاضطراب ، الأمر ، الذي بدأ واضحاً عليه حتى من بعد . كانت تلمح حمر تتوقد في خديه ، وعيناه تتراكضان في مسجريهما في قلق كامل . كان الضيف مدعوهاً ، بل في غاية الدهشة وهذا أمر طبيعي تماماً : فقد أدهشته كسل شيء ، وفي المقام الأول بطبيعة الحال لياس فولند .

الا ان الضيف استقبل بلطف فائق .  
- آ . أيها البارون ميغل العزيز ، - توجه فولند بابتسامة ودء الى الضيف الذي اتعدت عيناه لوق جبينه . اسم أردف متوجهاً الى ضيوفه : - اني لسعيد بأن اقدم لكم البارون ميغل الميجل الذي يعمل في لجنة التشيليات دليلاً للأجانب ومعرفنا لهم بعالم العاصمة .

وهنا جئت مرغريتا لأنها عرفت فجأة ميغل هذا . اذ سبق لها ان صادفته عدة مرات في مسارح موسكو ومطاعمها ، «ماذا . . .» قالت مرغريتا في نفسها . - «هو ايضاً توتي ؟» لكن الأمر توضع للحال ، اذ تابع فولند ولما تقارقه ابتسامة العبور :

- كان البارون العزيز من اللطف بحيث انه ما ان عرف بوصولي الى موسكو حتى اتصل بي هاتفياً يعرض خدماته في مجال اختصاصه أي في التعريف بعالم العاصمة . وبطبيعة الحال اسعدني ان ادعوه اليّ .

وفي هذا الوقت رأت مرغريتا أزازيلو يتناول كوردونيف الطبق الذي عليه الجبجة .

- آه ، بالمناسبة يا بارون ، - قال فولند خاطباً صوته فجأة بشكل حميمي ، - سرت اقاويل عن حبك المفسرط للمعزفة . وقيل ان حبك للمعزفة المقرون بميلك للكلام ، الذي لا يقل عن حبك للمعزفة شأنًا أخذ بلغت الانتباه . والى ذلك انفلتت من الالسة الشريرة كلمة : «اشرف وجاسوس» ، وفوق

هذا وذلك هناك من يرى أن هذا سيؤدي بك الى نهاية محزنة فيما لا يزيد عن شهر . ولهذا ، فلنكن نوقر عليك هذا الانتظار المضني ، قرروا مساعدهتك مستفيدين من كونك طلبت بنفسك استضافتك ، وليس لك من نهاية سوى التخلص والتخلص على كل ما يمكنك أن تتخلص وتخلص عليه .

صار البارون اشدّ شحوباً من ابادونا التي كان بطبيعته مرطاً في شحوبه . ثم حدث شيء جدّ غريب . ظهر ابادونا امام البارون وخلع نظارته لثانية . وفي اللحظة عينها برق شيء ما في يدي ازازيلو . وصفتق شيء ما كأنه تصفيق كف ، وأخذ البارون يسقط على ظهره ، وانجس الدم الثاني من صدره ولحق نحيبه المنشتر وجاكيته . وضع كوروفيفف كأساً تحت التيار الدافق وملأها وقدمها الى فولند . كان جسد البارون الذي فارقه الحياة الآن ملقى جثة هامدة على الأرض .

- في صحتكم ، ايها السادة ، - قال فولند بصوت خافت ، ورفع كأسه وقرب منها شفثيه .

اذاك حدث تحول : فقد اختفى القميص المرصع والحذاء المبهري ، وبدأ فولند في رداء أسود وشيش من الفولاذ على فخله . دنا فولند من مرغريتا بسرعة وقدم اليها الكاس وقال بشيرة امرأة :

- اشربي ا

دار رأس مرغريتا وترنحت ، لكن الكاس باتت عند شفثيتها . وهست اصوات لم تدر اصوات من في كلتا اذنيها :

- لا تخافي ايها الملكة . . . لا تخافي ايها الملكة ، الدم غار في الأرض من وقت بعيد . وهناك ، حيث سلفج . تنسو الآن عناقيد عنب .

جرعت مرغريتا جرعة دون أن تفتح عينيها . فسرى في عروقها تيار عذب وأحست بطنين في اذنيها . بدا لها انها تسمع صياح ديكه يهزم الأذان ومارشاً يعزف في مكان ما . اخذت حشود الطيورى تفقد هينتها . وتحلل اصحاب الفراكات والنساء جميعاً حتى صاروا رماداً . وشمل التحلل امام عيني مرغريتا القاعة التي خبئت عليها رائحة القبور . انهارت الاعمدة وانطلقت الأنوار وانكشف كل شيء . وتلاشت الفسيفسايات والموسن

والكاميليا . ولم يبق من هذا كله إلا ما كان سابقاً - غرفة الاستقبال المتواضعة التي كانت لزوجة الصالح . وشريط من الطور . ينسل من باب مفتوح قليلاً عليها . وفي هذا الباب المفتوح قليلاً دخلت مرغريتا .

## الفصل الرابع والعشرون

### انتقال المعلم

بدا كل شيء في مطعم فولند كما كان قبل الحفلة الراقصة . كان فولند يجلس بتقصيه الداخلي على السرير . إلا أن غيلاً لم تكن تلك رجله . بل كانت تضع العشاء على الطاولة حيث كانوا يلعبون الشطرنج . وكان كوروفيف وأزاييلو جالسين إلى الطاولة بعد أن خلعا فراكيهما . وقد اتخذ القط الذي لم يرغب في التخلي عن ربطة عنقه . مع أن هذه استحالته خرقه في منتهى القذارة . مكانه إلى جانبيهما بالطبع . اقتربت مرغريتا من الطاولة وهي تترنح . واستندت إليها . إذك أوما فولند إليها كما في المرة الأولى وأشار إليها بالجلوس إلى جالبه .

- ماذا هل العيون كثيراً؟ - سألتها فولند .

- أو . لا ياسيدي . - أجابت مرغريتا أنها بصوت يكاد لا يسمع .

- نوبليس أوبليج \* . - لاحظ القط وسكب لمرغريتا سائلاً شيئاً في كأس .

- أفودكا هذه ؟ - سألت مرغريتا بصوت ضعيف .

نظّ القط على الكرسي استياء .

- العطر أيتها الملكة . - قال بصوت مبجوح . - أسمع

نفسى بأن أسكب فودكا السيدة ؟ أنها كحول خالصة !

ابتسمت مرغريتا وحاولت أن تبعد الكأس عنها .

- اشربي دون خوف . - قال فولند . وللحال أمسكت

\* بنفسى اشرف اومى بالفرنسية في الأصل . - المخرجم .

مرغريتا الكاس بيديها . - اجلسي يا غيلا . - امر فولند هذه وتوجهت الي مرغريتا يوضح الامر : - ليلة اكمال البهر ليلة عيد . وانا اتعشى فيها مع نخبة قليلة من المقربين والخدم . وهكذا قولي لي . كيف احوالك ؟ كيف سارت هذه العطلة الرائعة المرحقة ؟

- بشكل مذهل ! - وروزر كوروفيف ، - الجميع مسحورون ، عاشقون ، مسحوقون ، ولشد ما كان فيها من الكياسة والبراعة ومن الفتنة والسحر !

رفع فولند كاسه في صمت وقمخ بها كاس مرغريتا . فشربت هذه كاسها في استسلام وفي روعها ان اجلها آت مع الكحول . انها لم يحدث لها ما يزعم . لقد سرى دفء حي في بطنها . وترعها شيء ما بلطف في قذالها . وعادت اليها قواها كما لو انها استيقظت بعد نوم طويل منشط . واخست الي ذلك بجوع شديد . واشتد اوار جوعها حين تذكرت انها لم تتناول شيئاً منذ صباح الامس واخذت تلتهم الكافيار بنهم . قطع بيغيموت قطعة اناناس ورش عليها ملحاً وقليلاً واكلها ثم كرخ كاسة اخرى من الكحول بفتوة صفق لها الجميع . وبعد الكاس الثانية التي شربتها مرغريتا ازدادت شموع الشمعدانات اشتعالاً والنار في الموقد لها . لم تشعر مرغريتا باي ثمل . كانت . وهي تلتقط اللحم باسنانها البيض . تتلذذ بالعصارة المنسابة منه . وتتنظر في الوقت نفسه الي بيغيموت وهو يطلي السحار بالغرول .

- ضح فوكة قليلا من العنب . - قالت غيلا بصوت خفيض وهي تذكر القط في جنبه .

- ارجو الا تعلميني . - اجاب القط . - لقد جلست الي موائد كثيرة . لا تلقني ، جلست كثيراً !

- آه . ما الطغ العشاء هكذا . قرب موقد . ببساطة . - امر كوروفيف . - هل نطاق ضيق . . .

- لا . يا قانوت . - قال القط معترضاً . - لعللات الرقص سحرها وشأتها .

- لا سحر فيها ولا شان . وهذه الديبة الحقايد . وهذه النور في البار كادت تسبب لي بزئيرها صداعاً . - قال فولند .

- سمعاً وطاعة ياسيني . - قال القط . - اذا كنت ترى ان ليس لهذه الحفلات شأن فانا على استعداد للاخذ بهذا الرأي فوراً !

- اتتبه ! - كان جواب فولند .  
- كنت اعرج . - قال القط في خضوع . - اما النمرور تسامر بشواتها .

- النمرور لا تزكك . - قالت ليليا .  
- انظرتين ذلك ؟ اسمعوا اذن . - ردّ القط وراح يروي لهم .

وقد زرّ عينيّه من فرط النشوة . كيف ظلّ تسعة عشر يوماً يهجو الصحراء والشمس الوحيد الذي كان يلتفت به هو نعم نعم قتله . اصغى الجميع باهتمام الى هذه القصة المسلية . وما انتهى من روايته حتى هتف الجميع بصوت واحد :

- كذب !  
- اطرف ما في هذه الكذبة انها كذب من اول حرف فيها حتى آخره . - قال فولند .

- هكذا اذن ؟ كذب ؟ - صاح القط نظن الجميع انه سيأخذ في الاحتجاج . لكنه لم يقل الا شيئاً واحداً . وقاله بصوت خافت :

- التاريخ سيحكم بيننا .  
- وانت قل لي . - قالت مارغو التي دبت فيها الحيوية بعد الفودكا . - هل قتلته رمياً بالرصاص . هذا البارون سابقاً ؟

- طبعاً . - اجاب ازازيلو . - وكيف لا اقتله ؟ يجب قتله حقاً .

- كم كنت مضطربة ! - هتفت مرغریتسا . - لقد حدث هذا بشكل غير متوقع .

- ليس في هذا شيء غير متوقع . - قال ازازيلو معترضاً بينما اخذ كوروليفيف يعول ويثن :

- وكيف لا يضطرب الواحد منا ؟ انا نفسي ارتعدت فرائصي ا يوم . واذا بالبارون يسقط على جنبه !

- وانا كنت اصاب بالهستيريا - اضاف القط وهو يلحس ملعقة الكافيار .

- الشيء الذي لا اهمه هو التالي : - قالت مرغریتسا



والشرارات الذهبية المتطايرة من البلّور لتوابل في حينها . -  
الم يكن يسمع من الخارج صوت الموسيقى ، وبشكل عام  
ضوضاء هذه الحفلة وجلبتها ؟

- بالطبع لم يكن يسمع أي شيء . ابتها الملكة . - قال  
كوروفيف يشرح . - يجب أن ينظم الأمر بحيث لا يسمع  
شيء . نعم يجب اعداده بدقة .

- طبعاً ، طبعاً . . . ولكن ذلك الشخص الذي كان على  
الدرج . . . عندما كنا نمرّ مع أزابيلو . . . والشخص الآخر  
الذي كان عند المدخل الخارجي . . . اظن انه كان يراقب  
شفتكم . . .

- صحيح ، صحيح ! - صرخ كوروفيف . - صحيح ،  
ابتها العزيزة مرغريتا نيلولايفنا ! انك تؤكدين شكوكي . نعم ،  
كان يراقب الشقة . انا نفسي كنت اعتقد انه بروفيسور ذاهل  
او عاشق قابع على الدرج ، لكن لا ، لا ! كان شيء ما يخزني  
في قلبي ! آه ! كان يراقب الشقة ! والشخص الآخر الذي عند  
المدخل ايضاً ! وذاك الذي كان واقفاً عند باب اللناء ايضاً !

- وماذا لو اتوا لامتناحلكم ؟ - سألت مرغريتا .  
- سيأتون بالتأكيد . ابتها الملكة الغائبة . بالتأكيد ! -  
اجاب كوروفيف - قلبي ينبئني انهم سيأتون . لكن ليس  
الآن . انما في الوقت المناسب سيأتون . لكنني اظن انه لن  
يحدث شيء مثير .

- آه ، لقد ما اضطربت حين سقط هذا البارون ، -  
قالت مرغريتا التي كانت لا تزال تعاني على ما يبدو من منظر  
القتل الذي تشاهده لأول مرة في حياتها . - لا بد انك  
تسدّد بشكل جيد ؟

- بشكل مناسب . - اجاب أزابيلو .  
- من بعدكم خطوة ؟ - طرحت مرغريتا على أزابيلو هذا  
السؤال لغير الواضح تماماً .

- هذا يتوقف على الهدف وعلى الأداة . - اجاب أزابيلو  
بلهجة من يحاكم الأمور . - ان تصيبي زجاج النافذة لاتونسكي  
بمطرقة غير ان تصيبيه في قلبه .

- في القلب ا - صاحت مرغريتا والسبب ما وضعت يدها  
على قلبها . - في القلب ا - كررت بصوت اصم .  
- من يكون النافذ لاتونسكي هذا ؟ - سال فولند وهو  
يظرف بعينه باتجاه مرغريتا .

اطرق ازابيلو وكوروفيف وبيغيموت رؤوسهم فيما يشي  
بالخجل بينما اجابته مرغريتا وقد احمرّ خداهما :  
- هناك نافذ بهذا الاسم . واليوم مساء غربت شفتيه  
كلها .

- عجبا ! ولماذا ؟  
- دمرّ معلماً ، ياسيدي .  
- ولماذا كللت نفسك هذا العمل ؟  
- باذنك ياسيدي ، - صاح القط مفتطحاً وهو يشب من  
مكانه .

- اجلس انت ، - ثمغم ازابيلو وهو ينهض ، - انا  
بنفسي سأذهب الآن . . .  
- لا ا - صاحت مرغريتا ، - لا . اتوسل اليك ياسيدي .  
لا داعي لهذا .

- كما تشائين . كما تشائين ، - اجاب فولند فعاد  
ازابيلو الى مكانه .

- اين توفلنا اذن ايها الملكة الغالية مارغو ؟ - قال  
كوروفيف ، - آ . نعم ، القلب . انه يستطيع اصابة القلب ،  
- واردف وهو يمدّ اصبعه الطويلة نحو ازابيلو ، -  
يستطيع ، حسب الرغبة ، اصابة أي من اذيني القلب أو أي  
من البطيئين .

ولم نلهم مرغريتا ما قاله فوراً ، ولما فهمت هتفت في  
دهشة :

- لكننا محجوبة ا  
- ايها الغالية ، - صرّ كوروفيف ، - هنا بيت الصيد ا  
وهنا كل النكهة ا فاي شخص يستطيع ان يصيب هدفاً مكشوفاً ا  
وأخرج كوروفيف سبعة يستولي من درج الطاولة وتاولها  
الى مرغريتا وطلب اليها ان تشر بظفرها على احدى النقط .

فاشرت مرمرينا على النقطة العليا التي في الزاوية اليمنى . ثم  
أخفت غيلا الورقة تحت الوسادة وصاحت :  
- جاهز !

أخرج أزازيلو ، الذي كان يجلس مولىً الوسادة ظهره  
مستنداً أسود من جيب سروال فراكه ، ووضع فوهته على كتفه  
وأطلق النار دون أن يلتفت نحو السيرير مما أثار ذعراً جديداً  
في نفس مرمرينا . وأخرجت سبعة المستوني من تحت الوسادة  
التي تثبتها الرصاصة فإذا بالنقطة التي اشترت عليها مرمرينا  
منقوبة .

- ما كنت لأرغب في أن التقى بك وفي يدك مسدس . -  
قالت مرمرينا وهي ترمو إلى أزازيلو في دلال . فقد كانت تكن  
عاطفة خاصة لمن يزدون عملاً ممتازاً .

- أيتها الملكة الغالية . - أزم كوروفيف . - أنا لا  
أصبح أحداً بالالتقاء به حتى وإن لم يكن معه أي مسدس .  
وكلمة شرف من قائد كورس سابق أن لا أحد سيهتني ممن  
يلتقي به .

كان القط يجلس مقلباً حاجبيه أثناء تجربة التسديد . لكنه  
أعلن فجأة :

- اتعهد بأن أحطم هذا الرقم القياسي !  
ورد أزازيلو بأن زمجر . لكن القط كان عنيداً وطلب  
مسدسين لا مسدساً واحداً . أخرج أزازيلو مسدساً ثانياً من  
الجيب الخلفي الثاني لسرواله وقدمه مع المسدس الأول إلى هذا  
الدمى المفرود وهو يلوي فيه في احتقار . واشتر على قطعتين .  
أدار القط ظهره إلى الوسادة وأخذ يستعد . وطال استعداداه  
في حين جلست مرمرينا سادة أذنيها بأصابعها وهي تنظر إلى  
البومة الغافية على رف الموقد . وأطلق القط الرصاص من  
كلا المسدسين فتعالى على الفور زعيق غيلا . بينما سلطت البومة  
قتيلة من على الموقد وتوقفت الساعة المحطية . انشبت فييلا  
التي كان الدم يسيل من أحد ذراعيها أظفارها في شعر القط .  
ورد القط بأن تشبت بشعرها فإذا بهما يلتحمان حتى صارا  
كالكرة وأخذا يتدحرجان على الأرض . فسقطت إحدى الكؤوس  
عن الطاولة وتحطمت .

- ابعادوا عنى هذه الشيطانة المسعورة ! - ان القط  
وهو يحاول التخلص من غيلا التي كانت تجلس فوقه . ولحقوا  
بين المتعاركين . تم تلخ كوروليف على اصبح غيلا المصوبة  
قالت .

- لا استطيع ان اسدد حين يتكلمون قربي ! - صرخ  
بيديوت وهو يجهد في اعادة خصلة ضيقة من شعره الى مكانها  
على ظهره .

- اراهن . - قال فولند وهو يتسم لمرغريتا . - انه  
فعل ما فعل عمداً ، فهو يسدد بشكل جيد .

تصالح غيلا والقط وتبادلا الثقبات عربون تصالحهما . ثم  
اخرجت الورقة من تحت السدنة وجرى التأكد منها فلم توجد  
فيها نقطة مصوبة الا نقطة ازازيلو . . - هذا غير ممكن . - قال  
القط مؤكداً وهو يحدق في الورقة من خلال ضوء الشمعدان .  
كان العشاء البهيج مستمراً . كانت الشموع تسلوب في  
الشمعدانات ودف ، جاف عطر يتبعث من الموقد وينتشر موجات  
في الغرفة . وتسلق مرغريتا التي شبعت شعور بالغبطة . كانت  
ترنو الى العلفات الزرق المتبعثة من سيجار ازازيلو لسبح  
بانجاء الموقد . والتقط يلتقطها بطرف الشيش . ولم تكن تشعر  
بأي رغبة في مفارقة المكان ، مع أن الوقت صار في حسابها  
متأخراً . فهو يقترب من السادسة صباحاً كما تشير كل الدلائل .  
واستقلت مرغريتا فترة صمت فتوجهت الى فولند وقالت في  
وجل : - لعله أن الأوان . . . الوقت صار متأخراً .

- الى أين انت مسرعة ؟ - سألها فولند بأدب ، انصا  
بشرى من الجلاء بينما لزم الآخرون الصمت متظاهرين بالانشغال  
بعلفات دخان السيجار .

- نعم . أن لي ان اذهب . - كرتت مرغريتا وهي مرتبكة  
اشد الارتباك مما رأت حولها ، والتفتت كأنها تبحث عن طرحة  
أو بردة . اذ اخذ عريها يضايقها فجأة ، ونهضت مسن وراة  
الطاولة ، فتناول فولند رداء الرث الملوث من على السرير  
واقام كوروليف على كتفها .

- اشكرك ياسيدي . - قالت مرغريتا بصوت يكاد لا  
يسمع وانطلعت الى فولند في تساؤل ، فرداً هذا عليها بابتسامة

مهذبة وغير مكرثة . وللحال احسنت مرغريتا بتكآبة سوداء .  
تعتقد عند قلبها . شعرت انها خدعت . فلم يكن احد . على ما  
يبدو . ينتهيا لمكافاتها على كل خدماتها في الحفلة . كما لم  
يطلب منها احد البقاء . والى هذا خالجهما شعور واضح ككل  
الوضوح انه لم يعد لها مكان تذهب اليه . احسنت بسورة داخلية  
من اليأس حين التمت في خاطرهما فكرة عابرة ان لا مفر من  
العودة الى دارهما . فهل عليها اذن ان تطلب بنفسها كما زينت  
لها ذلك ازابيلو في حديقة الكسندروفسكي ؟ لا . لن افضل  
مهما يكن من امر» . - قالت لنفسها .

- اتشى لك كل خير ياسيدي . - قالت بصوت مسموع  
بينما كانت تقول في نفسها : «الخروج من هنا بأي ثمن . ثم  
اذهب الى النهر وانحرق نفسي فيه» .

- حلا جلست . - قال لها فولند بلهجة امرأة فجأة .  
تغير وجه مرغريتا وجلست . - لعليك تودين قول شيء عند  
الوداع ؟

- لا . لا شيء ياسيدي . - اجابت مرغريتا في كبرياء .  
- وفوق ذلك فانا على استعداد للقيام عن طيب خاطر بما يعولكم  
اذا كنتم لا زلتهم في حاجة الي . فانا لم اتعب على  
الاطلاق . بل تسليت كثيراً في الحفلة . ولو امتدت الحفلة  
اكثر من ذلك . لما تواليت عن تقديم ركبتي برضى ليقبلها آلاف  
المستوقين والقتلة . - كانت مرغريتا تنظر الى فولند كما من  
خلال فضاوة وقد امتلات حينها بالدعوى .

- صحيح ! انت محقة تماما . - صرخ فولند بصوت مدور  
ومرهب . - هذا ما يجب فعله !

- هذا ما يجب فعله . - رددت حاشية فولند كرجس  
الصدى . وتابع فولند يقول :

- كنا نخشرك . لا تطلبى ابدا اي شيء . ابدا اي  
شيء . لاسيما ممن هم اقوى منك . فهم انفسهم سيعرضون .  
وهم انفسهم سيمطون كل شيء . اجلسي ايتها المرأة العزيزة  
النفس ! - ونزع فولند الرداء الثقيل عن مرغريتا فلذا بها جالسة  
الى جانبه على السرير نائبة . - وهكذا يا مارغو . - تابع فولند  
مرغريتا لهجته . - ماذا تريدن لئلا قبولك ان تكوني سيده

الحفلة اليوم عندي ؟ ماذا ترغيبين لقاء بقائك طول هذه الحفلة عارية ؟ بماذا تملئين ركبتيك ؟ ما هو الضرر الذي لحق بك من ضيوري الذين دعوتهم الآن بالمشتوقين ؟ قولي ا قولي على الفور دون عجل الآن : فانا الذي أعرض عليك .

رق قلب مرغريتا وتنهت تنهيدة عميقة واخذت تفكر .

- هيا . بعبارة أكبر ا - قال فولند مشجعاً . - حركي خيالك . احلزيه ا فان رؤية قتل هذا البارون السافل وحدها جديرة بأن يكافأ عليها الانسان لا سيما اذا كان هذا الانسان امرأة . هيا ا

انحسبت انقاس مرغريتا . وازادت الاطشاء له بتلك الكلمات العزيزة المكنولة في صدرها . حين شحبت فجأة وفجرت فاعا وحملت : «فريدا ا فريدا ا فريدا ا - صرخ صوت ملحاح وضارح في اذنيها . - اسمي فريدا ا» - فقالت مرغريتا وهي تعثر في كلامها :

- بمقدوري اذن ان اطلب شيئاً واحداً ؟

- بل ان تأمري . تأمري . ياسيدي . - اجاب فولند وهو يتنسم بشفهم . - ان تأمري بشي واحد ا  
آه . ما كان اشد براعة فولند ووضوحه في تأكيد كلمتي مرغريتا نفسها «شيء واحد» وهو يكررها الرها ا  
تنهدت مرغريتا مرة أخرى وقالت :

- اريد ان يكفروا عن مناولة فريدا المنديل الذي خنقت به طفليها .

رفع القبط عينيه الى السماء . وارسل تنهيدة صاخبة . لكنه لم يقل شيئاً . الا ذكر . على الأرجح . اذنه التي فسركت في الحفلة الراقصة .

وهنا قال فولند وهو يتنسم :

- بما ان امكانية اخذك وشوة من هذه الحفلة فريدا لغير واردة اطلاقاً بطبيعة الحال . والا تناقري هذا وكرامتك الملكية . فاني حائر فيما علي فعله . وقد لا يكون امامي الا امر واحد ا  
ان اجسح خرقاً . واسد بها كل شقوق مفدعي ا

- عم تتحدث ياسيدي ؟ - قالت مرغريتا مبهوتة بعد ان سمعت هذه الكلمات غير المفهومة فعلاً .

- اوافقك تماماً على ما قلت ياسيدي . - تدخل القبط في الحديث . - الخرق بالضبط . - وضرب بقائمه على الطاولة في انفعال .

- اني اتكلم على الرحمة . - قال فولند يوضح كلامه دون أن يرفع عينه النارية عن مرغريتا . - فهي تستعمل أحياناً بشكل غير متوقع وبخدر من اضيق الشقوق . ولهذا أنا اتكلم على الخرق .

- وأنا ايضاً اتكلم على الشيء نفسه ! - هتف القبط ولتحن عن مرغريتا تحسباً لأي طاري، وقد نظى اذنيه الحادتين بقائمتيه المطلبتين بدهان وردى اللون .  
- أخرج من هنا . - قال له فولند .

- أنا لم أشرب القهوة بعد . - اجابه القبط . - فكيف اخرج ؟ أمن المعلول ياسيدي أن يفرز نداءك في هذه الليلة البهيجة الى صنفين ؟ بعضهم من الصنف الأول وبعضهم الآخر من طزاجة من درجة ثانية كما عبّر صاحب البوقيه البهيجل الكتيب ؟  
- انرس . - قال له فولند آمراً . ثم استدأر الى مرغريتا وسأها :

- انت ، كما فعل كل الدلائل ، انسانية ذات طيبة نادرة ، انسانية ذات اخلاق رقيقة اليس كذلك ؟

- لا - اجابته مرغريتا بقوة . - أعرف انه يمكن التكلم معك بصراحة وبصراحة فقط ، ولهذا سأكلّمك بصراحة : انسي انسانية طائفة وما رجوتك في أمر فريدا الا لأنني علمتها في ساعة طيش بأمل قوي . انها تنتظر ياسيدي . وهي تؤمّن بقدرتي . فاذا ظلمت على انخداعها بن وخيبة املها في ساجد نفسي في موقف فظيح . ولن تعرف نفسي الراحة طول حياتي . ليس في اليد حيلة . ما كان كان !

- ٢ . - قال فولند . - هذا مفهوم .

- هل ستفعل هذا إذن ؟ - سألته مرغريتا بصوت خافت .  
- ولا ياي حال من الأحوال . - اجابها فولند . - المسألة . ايها الملكة العزيزة ، انه وقع هنا التباس طفيف . كل هيئة يجب أن تهتم بأمورها . وأنا لا انكر أن امكاناتنا عظيمة الى حد

ما . بل انها اعظم بكثير مما يفترضه بعض ذوي النظر غير  
البعيد جداً . . .

ولم يتمالك القط المحتز ، على ما يبدو ، بهذه الامكانيات ،  
نفسه فقال يتدخل في الحديث : - نعم ، اعظم بكثير .

- اخرس . تبا لك ! - قال له فولند ، واستأنف مرجها

كلامه الى مرغريتا : - اقول لك ببساطة : ما معنى ان افعل  
شيئاً يفترض في هيئة اخرى ، كما قلت لك . ان تفعله ؟

وبناء عليه ان الفعل هذا بل افعله انت بنفسك .

- وهل يكون لي ما اريد ؟

ومن ازلزلو مرغريتا بنظرة ساخرة من عينه الحولا ، وقتل  
راسه الاسهب خلية ونغر .

- الا فعلت ا ف ا - غمغم فولند ودور الجسم واخذ  
يتأمل نقطة صغيرة عليه كان مشغولاً بها ايضاً اثناء حديثه

مع مرغريتا على ما يبدو .

- حيا : يا فريدا ! - اوما كوروفيف .

- فريدا ! - صرخت مرغريتا بصوت حاد .

انفتح الباب وخطت الى الغرفة امرأة مشتعلة التمسر ،  
عارية ، ذات عينين مجنونتين انما دون اي اثر من آثار الشلل .

وبسقت ذراعها المرغريتا فقالت لها هذه يجلال :

- لقد فخر لك . لن يعطوك المئبدل بعد اليوم .

اطلقت فريدا صرخة وخرت على الارض على وجهها وانبطحت  
على شكل صليب امام مرغريتا . اوما فولند بيده فاخنت فريدا

عن الأنظار .

- اشكرك ، ووداعاً ، - قالت مرغريتا ونهضت .

- ما رايتك يا بيفيموت ، - قال فولند - لن تاخذ بصرف  
انسان غير عملي في ليلة عيد ، - والتفت الى مرغريتا وقال :

- وعليه فهذا ليس في الحساب ، فانا لم افعل شيئاً . مسالدا  
تريدن لنفسك ؟

وان الصمت . ولم يقطعها الا كوروفيف الذي صمى في اذن  
مرغريتا :



- ايها الدونا الناسية ، اصحك ان تكوني اعقل هذه  
 المرة ، والا قد تضيق القرصة !  
 - اريد ان يعاد اليّ الآن ، وفي هذه الثانية ، عشيتي ،  
 المعلم . - قالت مرغريتا ومسح التشنج وجيها .  
 وهنا هبت على الغرفة ريح بحيث ترائص لهب الشموع في  
 الشعدانات بعنف ، وانفجرت الستارة الثقيلة على النافذة ،  
 واغلتج الشباك على مصراعيه فكشف في العلاء البعيد عن بسدر  
 كامل ، لكنه لم يكن بعد الصباح ، بل بدر منتصف الليل .  
 وامتد من حافة الشباك الى الأرض متدبيل ضارب الى الخضرة من  
 ضوء الليل ، وفي هذا الضوء ظهر ضيف ايفان الميليسى ، ذلك  
 الذي دعا نفسه المعلم . كان في ثياب المستشطر من رداء وظف  
 وطافية سوداء لم تكن تفارقه أبداً . كان وجهه غير المحلوق  
 يرتعش مكثراً ، وعيناه نظران في دعر المجنون الى السوار  
 الشموع بينما كان التيار القمري يظلي ويفور حوله .  
 وهزته مرغريتا على القور ، فندت عنها انة وضربت كفاً  
 بكفّ وهزمت اليه . قبلته في جبينه وفي شفطيه وأصفت خدما  
 بخده الضانك وانهرت دعوتها التي حبستها طويلاً على وجيها .  
 ولم تنبس الا بكلمة واحدة مكررة ايها بلا معنى :

- انت . . . انت ، انت . . .

دفعها عنه قليلاً وقال بصوت عميق :

- لا تبكي يامارغو ، لا تعذبيني . انا مصاب بعرض خطير .  
 - قال المعلم وأمسك بحافة النافذة كأنما يتحفر للوثوب عليها  
 والهرب ، وكشّر عن أسنانه وهو يحقق في الجالسين وصرخ  
 قائلاً : - انا في حالة مخيفة يامارغو ! لقد بدأت اهلوس من  
 جديد .

كانت العبرات تخنثها ، وكانت تهبس له وهبسي تخصّ  
 بكلماتها :

- لا ، لا ، لا تخف انا معك . انا معك ا

ودفع كوروفيف الى المعلم خلسة وبخفة كرسياً ، فنهالك  
 هنا عليه ، في حين ارتمت مرغريتا على ركبتيها وأسندت رأسها  
 الى جنب العريض وسكنت . ولم تلاحظ مرغريتا في اضطرابها  
 ان هربها انتهى فجأة ، وانها ترندي الآن برودة حريرية سوداء .

ونكس المريض رأسه واخذ يمدق في الأرض بعينين هابستين  
مرضتين .

- نعم . - قال فولند بعد فترة صمت . - لقد دمروا  
تماما . - ثم أمر كوروفيف قائلا : - أيها الفارس ، اعط هذا  
الإنسان شيئاً يشربه .

وتوسلت مرغريتا إلى المعلم بصوت راعش :

- اشرب ، اشرب . هل أنت خائف ؟ لا ، لا ، صدقتي ؛  
إنهم سيساعدونك .

أخذ المريض الكأس وشرب ما فيها . لكن يده ارتعشت  
لنظمت الكأس المارغة ونحطمت عند قدميه .

- هذه بشرى خير ! هذه بشرى خير ! - همس كوروفيف  
يقول لمرغريتا . - انظري ، بدأ يعود إلى رعيه .

وبالفعل لم تعد نظرة المريض تنضح بالوحشية والقلق كما  
كانت من قبل .

- اهذه أنت حقاً ، يامارغو ؟ - سأل الضيف التمري .

- لا يكن لديك أي شك ، أنا هي . - أجابته مرغريتا .  
- اعطه أيضاً ! - أمر فولند .

بعد أن أتى المريض على الكأس الثانية شعنت عيناه بالحياة  
والطنة .

- تمام ، الآن وضع آخر . - قال فولند وهو يزد هيبته .  
- فلتتحدث إذن ، من أنت ؟

- أنا الآن لا أحد . - أجاب المعلم ولوى فيه في ابتسامة .  
- من أين أنت قادم الآن ؟

- من مستشفى المجانين . أنا مصاب بمرض نفسي . -  
أجاب القادم .

ولم تتحمل مرغريتا وقع هذه الكلمات فأجهشت في البكاء  
ثانية . ثم مسحت دموعها وصاحت :

- كلمات فظيعة ! كلمات فظيعة ! إنه معلم ياسيدي ، وأود  
أن ألفت نظرك إلى ذلك . أيرته ، فهو جدير بهذا .

- هل تعرف مع مَنْ تتكلم الآن ؟ - سأل فولند القادم .  
- وفي حضرة مَنْ تكون ؟

- اعرف . - أجابه المعلم . - ذلك الفتى الذي اسمه

ايضان بيزدومني كان جاري في مستشفى المجانيين . وقد حدثني  
عنه .

- وكيف لا ، وكيف لا ، - ومدّ فولند ، - كان من دواعي  
سروري أن التقيت بهذا الشاب في بتريشيني برودي . كاد يودي  
بقلبي انا وهو يبرهن لي اني غير موجود ! لكن أنت هل تصدق  
اني انا هو ؟

- لا بدّ من التصديق . - اجاب القادم . - لكنه سيكون  
ادعى للراحة كثيراً بطبيعة الحال اعتبارك وليد الهلوسة . -  
واردق على الفور يقول مستدركاً : - العفو .  
- لا بأس . ان كان هذا ادعى للراحة فاعتبرني كذلك . -  
اجاب فولند بأدب .

- لا ، لا ، لا . - قالت مرغريتا في ذعر وهي تهز المعلم من  
كتفيه ، - فق الي نفسك ! انه هو بالفعل الذي امانك !  
وتدخل القطّ هنا ايضاً :

- وانا اشبه هلوسة فعلاً . لاحظوا منظري الجانبي في ضوء  
القمرة . - وهنا انسلّ الى وسط العمود القمري واراد أن يقول  
شيئاً . انا طلب اليه ان يصمت فأجاب : - حسناً ، حسناً ،  
صامت . احسبوني هلوسة صامتة ، - وصمت .

- قل لي لماذا تسميك مرغريتا المعلم ؟ - سآله فولند .  
ابتسم المعلم ابتسامة ساخرة وقال :

- ضحك انساني يُعْتَزَّر . فهي تقدّر أكثر مما ينبغي تلك  
الرواية التي كتبتها .

- عم تتحدث الرواية ؟

- عن بيلاطس البنطي .

وهنا اهتزّت السنة الشموع من جديد وتراقصت ، وارتجت  
الأواني على الطاولة . واطلق فولند ضحكة مرعدة . لكنها لم  
تخفّ أحداً كما لم يدعس لها احد . واخذ بيغيوت لأمر ما  
يصلّق .

- عم ، عم ؟ عمّن ؟ - قال فولند وقد كفّ عن الضحك .  
- الآن ؟ هذا مدخل ! ألم تجد موضوعاً آخر ؟ هاتِ القسي  
نظرة . - ومدّ فولند يده باسماً راحتها الى الأعلى .

- ليس بوسعى ان اعطيكها مع الأسف . - قال المعلم ،  
- لاني احرقها في الوقد .

- العفو ، لا استطيع ان اصدقك ، - اجابه فولند ، -  
هذا مستحيل ، المخطوطات لا تحترق . - ثم التفت الى بيغيوت  
وقال له : - هينا يا بيغيوت ، هات الرواية .

وتب اللط للحال عن الكرسي فرأى الجميع انه كان يجلس  
عل رزمة سمينة من المخطوطات . وقدم اللط الى فولند النسخة  
العليا منها وهو ينحنى له ، فيما اخذت مرمرينا وعشنة ، فصرخت  
وهي تكاد تبكي من اضطرابها :

- هاهو ذا المخطوط اهاهو ذا !  
واندفعت الى فولند وأردفت في النهار :

- يالك من كلي القدرة ، يالك من كلي القدرة !  
تناول فولند النسخة المقدمة له فقلجها ووضعها جانباً

وشخص بصره الى المعلم في صمت ودون ابتسامة . فشببت  
هذا كآبة وقلق لا يعرف كتهما . فنهض عن الكرسي واغسل  
بمصر يديه ويغضم وهو ينتفض متوجهاً الى البدر البعيد :

- حتى في ضوء القمر ليلاً لا اجد الراحة . علام اللامى ؟  
ايتها الآلهة ، ايتها الآلهة . . .

شببت مرمرينا برداء المستشفى وانكبت عليه واخذت هي  
ايضاً تغضم وقد خنتها الدموع والكآبة :

- يااللهى ، لم لم يسعفك الدواء ؟  
- بسيطة ، بسيطة ، بسيطة . - همس كوروفيف وهو

يتلوى حول المعلم ، - بسيطة بسيطة . . . كأس صغيرة  
اخرى ، وانا ايضاً كأس من باب المشاركة .

لمزت الكأس وتلاوات في ضوء القمر ، واسعفته هذه  
الكأس . اجلس المعلم في مكانه ، وشامت في وجهه المريض  
أمارات الهدوء .

- الآن صار كل شيء واضحاً ، - قال فولند وتلوى  
المخطوط باصبعه الطويلة .

- واضحاً تماماً ، - ثنى اللط تاسياً وعده بان يكون  
علوسة صامتة ، - الآن بات الخط الرئيسى لهذا الكتاب واضحاً

لي كل الموضوع . ماذا تقول يا أزازيلو - أردف متوجهاً الي  
أزازيلو المعتصم بالصمت .

وأجابته هذا بصوت أخن :

- اتقول : الأفضل لو أماتوك غرقاً .

- كن رحيماً ، يا أزازيلو . - أجابه القطب - ولا ترح  
لسيدي بهذه الفكرة . والا ، صدقتي ، ظهرت لك في مثل هذا  
الثوب القمري كالمعلم السكين . وأومات اليك ودهونك ان  
تتبعني . فالام ستصير يا أزازيلو ؟

- اي مرغريتا . - تدخل فولند في الحديث من جديد . -  
تكلمني أخيراً ، فولي ماذا تريد مني ؟

برقت عيننا مرغريتا وتوجهت الي فولند تفاشده متوسلة :

- هل تسمح لي ان اتهاوس معك ؟

أوما فولند براسه . وانكبت مرغريتا تهمس في اذن المعلم

شيئاً وسمع المعلم يقول لها :

- لا ، فاق الوقت . لم اعد اريد اي شيء في الحياة الا

ان اراك . لكنني اتضحك مرّة اخرى : دعيني ، والا هلكت  
معي .

- لا ، لن ادعك . - اجابته مرغريتا وتوجهت الي فولند

تقول : - ارجو ان تعيدنا من جديد الي التبو الذي في الزقاق  
في لربات ، وان يضيء الصباح وان يعود كل شيء الي ما كان  
عليه .

وهنا ضحك المعلم وضم اليه رأس مرغريتا بشعره الأجدد

المحلول من فترة طويلة وقال :

- آه . لا تسمح الي ما تقوله هذه المرأة السكينة . بما

سيدي . في هذا التبو يعيش شخص آخر من فترة طويلة ،  
وبشكل عام لا يحدث ان يعود كل شيء الي ما كان عليه . -

ورضع خده على رأس صديقتة وعانقتها وأخذ يغمم : - مسكينة ،  
مسكينة . . .

- تقول : لا يحدث ؟ - قال فولند . - هذا صحيح .

لكننا ستحاول . - ونادى : - أزازيلو !

وللحال هوى من السلق على الأرض مواطن مدعسول ولي

حالة تقرب من الجنون لا يستر جسده الا ملايشه الداخلية .

لكنه ، لأمر ما ، كان يعمل في يده حفيظة ويضع على رأسه  
 كبة . فترعد هذا الشخص من خوفه واقص على الأرض .  
 - موفاراتش ؟ - سال أزازيلو السائق من السماء .  
 - الوييزي موفاراتش ، - أجاب هذا وهو يرتجف .  
 - انت الذي قدمت شكوى على هذا الانسان بأنه يحتفظ في  
 بيته بكتابات ممنوعة بعد أن قرأت مقالة لاتونسكي في روايته ؟  
 - سأل أزازيلو .

ازرق وجه المواطن الهابط فجأة وترقرقت عيناه بدموع  
 الندم .

- كنت تريد الانتقال الى شقته ؟ - سأل أزازيلو بصوت  
 اغتر حائل فصر الامكان أن يكون ودياً .  
 سمع في الخرفة فبيع قطعة مفيظة ، وانتضت مرغريتا على  
 الوييزي موفاراتش واتشبت اظافرهما في وجهه وهي تزحف ؛  
 - خذ ، خذ من الحورية ا  
 وكان ارتياك .

- ماذا تفعلين يا مارغو ؟ - صرخ المعلم بصوت موجه ،  
 - لا تملطي نفسك بالعار .

- أحتج ، هذا ليس مشيئاً ا - زعجر اللط .  
 وجذب كوروفيف مرغريتا جانباً .  
 - الحقت بالشفقة حماماً ، - صرخ موفاراتش المدعى  
 واسنانه تصطك ، وأخذ يهذي في رعب ؛ - تكليس وحده . . .  
 زاج . . .

- حسن انك بنيت للشفقة حماماً ، - قال أزازيلو محبباً ،  
 - فهو بحاجة الى حمام ا - وصاح ؛ - خارجاً ا  
 واذا بقوة خفية للقلب موفاراتش وأسا هل عقب ولطفي به  
 من الشائفة المفتوحة في مخدع فولته .  
 حلق المعلم وهمس ؛

- بل هذا عمل اعجب ما رواد ايفان عنه من اعمال ا -  
 وتلفت حوله وهو في غاية الذهول ، ثم قال أخيراً للقط ؛  
 - علماً أنت . . . حضرتك . . . وتودد كيف يخاطب القط ،  
 أحييفة الألفة او الاحترام ، - حضرتك الذي ركب الترام ؟  
 - نعم ، انا هو . - أكد القط الذي أطربه هذا الاطراء .

وأخاف : - لطيف منك أن تخاطب قطاً بمثل هذا الاحترام .  
فالتقط لا تخاطب عادة إلا بصيغة الألفة مع أنه لم يحدث أبداً  
أن شرب قطاً كاساً مع أحد .

- لا أدري لماذا يبدو لي أنك لست قطاً تماماً . - اجاب  
المعلم في تردد . ثم أردف مخاطباً غولته بوجل : - وعمل آية  
حال سيتعرضون لي في المستشفى .

- لماذا يتعرضون لك ! - قال كوروفييف مطمئناً فلماذا  
باوراق وكتيبات بين يديه . - هل هذه بطاقتك المرضية ؟  
- نعم .

كذف كوروفييف البطاقة المرضية في الموقد . وقسال في  
رضي : - لا انسان حيث لا وثيقة . أو ليس هناك سجل  
مؤجركم ؟ - نعم ، هو .

- من المسجل فيه ؟ الويزي موغارتش ؟ - ونسخ  
كوروفييف على صفحة قائمة القاطنين تحتة : - وهكذا لم يعد له  
وجود . وأرجو أن تلاحظ أنه لم يوجد من قبل قط . وإذا ما

استغرب المؤجر قل له انه رأى الويزي هذا في حله .  
موغارتش ؟ من يكون موغارتش هذا ؟ لم يوجد ايضاً شخص  
بهذا الاسم . - وهنا تبيخر السجل المربوط بخيط بين يدي

كوروفييف الذي أردف : - هذا السجل أصبح الآن في درج المؤجر .  
- صحيح تماماً ما قلته من انه لا وجود للانسان حين لا  
تكون هناك وثيقة . قال المعلم مشدوهاً بدانة عمل كوروفييف .

انا الآن بالذات غير موجود لأنه ليست لدي وثيقة .  
- العلو - صرخ كوروفييف . - ما هذه الا هلوسة ،  
فها هي ذي وثيقتك . - وتناول المعلم الوثيقة . ثم أدار عينيه

وحسن في اذن مرغريتا بعدوبة : - وهامو ذا ما تملكين .  
يامرغريتا نيقولايفنا . - وتناول مرغريتا دفتر المحروق الأطراف  
والوردة اليابسة والصورة الفوتوغرافية ثم دفتر التوفير بحرص

شديد وهو يقول لها : - عشرة آلاف كما أودعتها ، يا مرغريتا  
نيقولايفنا . نحن لا نلزمنا مال الغير .  
- لتبيس فوانمي قبل أن أمدها الي مال الغيسر . -

هتف القبط منتلفاً في غرور وهو يرفض على الحقيقة حتى  
يستطيع حشر كل نسخ الرواية المشؤومة فيها .

- وهذه وليقتك أيضاً ، - تابع كورونيف وهو يناول  
مرغريتا الوثيقة ، ثم التفت الى فولند ببلغة باحترام قائلاً : -  
هذا كل شيء ، ياسيدي !  
- لا ، ليس كل شيء ، - اجابه فولند وهو يرفع عينيه عن  
المجسم ، - أين تأمرين ان ابدؤ حاشيتك ياسيدي العزيزة ؟  
انا شخصياً لست بحاجة اليها .  
وهنا هرعت ناتاشا داخلة من الباب المفتوح وهي عارية كما  
كانت ، وبسطة يديها وصاحت تقول لمرغريتا :  
- رافقتك السعادة ، يا مرغريتا نيقولايفنا ! - واومأت  
برأسها الى المعلم ثم التفتت الى مرغريتا تالية تقول لها : -  
كنت اعرف كل شيء عن زيارتك له .  
- الخادعات يعرفن كل شيء ، - لاحظ الخط ورفق قائمته  
بحركة ذات معنى ، - وانه لمن الخطا ان نظن انهن صيادات .  
- ما شأنك يا ناتاشا ؟ - سألها مرغريتا ، - هودي الى  
الدار .

- يا روجي يا مرغريتا نيقولايفنا ، - قالت ناتاشا بضراعة  
وغرقت على ركبتيها ، وأشارت بطرف عينها الى فولند ، -  
تومئني اليهم كي يبقوني ساحرة ، - لا اريد العودة الى الدار  
بعد الآن ! ولا اريد ان اتزوج مهندساً ولا فنياً ! السيد جاك  
تقدم مني بالراحة بعرض زواج ، - وهنا بسطت كفاها المقبوضة  
وأرنتها قطعاً نقدية ذهبية .

التفت مرغريتا الى فولند في نظرة متسائلة فهز هذا رأسه  
بالإيجاب ، اذ ان ارتمت ناتاشا على عنق مرغريتا وقبيلتها قبيلات  
مدوية وأطلقت صيحة انتصار وانطلقت في الجو من الفانلة .  
وظهر نيقولاي ايفانوفتش حيث كانت ناتاشا ، كان قد  
استعاد ظهوره الانساني السابق ، لكنه في غاية التجهّم بل لعله  
كان على شيء من الغيظ .

- هاكم من اطلق سراحه بسرور بالغ ، - قال فولند وهو  
ينظر الى نيقولاي ايفانوفتش باشمزاز ، - بل بسرور مفرط  
لشدة ما هو زائد هنا .  
وقال نيقولاي ايفانوفتش وهو يلقي حوله نظرات وحشية انما  
بشدة شديد :



- أرجوكم رجاء حاراً اعطاني شهادة تبين مكان تعطيشي الليلة السابقة .
- لماذا ؟ - سأله القبط بصراحة .
- كي أقدّمها إلى الشرطة وإلى زوجتي ، - قال نيقولاي ايغانوفتش بلهجة حازمة .
- نحن عادة لا نعطي شهادات ، - أجاب القبط مقتضباً جبينه . - لكن لأجلك لا بأس ، تعطيك استثناء .
- ولم يكن نيقولاي ايغانوفتش يفتق من ذمّوله حتى كانت غيلاً العارية تجلس وراء الآلة الكاتبة والتقط يملي عليها :
- أشهد أن حامل هذه الوثيقة نيقولاي ايغانوفتش أمضى الليلة المذكورة في الحفلة الراقصة التي أقيمت عند الشيطان . وقد استقدم إلى هناك كواسطة نعل . . . اقتحم قوساً ياغليلاً ! واكتفى بين القوسين «خزير» ، التوقيع بيغمسوت .
- والتاريخ ؟ - صأى نيقولاي ايغانوفتش .
- نحن لا نضع تواريخ . الوثيقة ذات التاريخ ستصبح لالغية . - أجاب القبط ووقع بسرعة ، ثم استخرج من مكان ما خاتماً ، وحسب الأصول نفع عليه وطبع على الوثيقة «مدفوعة الأجر» وسلمها إلى نيقولاي ايغانوفتش . وللحال اختفى هذا دون أن يترك أثراً ، وظهر مكانه شخص آخر غير متوقع .
- ومن هذا أيضاً ؟ - سأل فولند بتأفف وهو يحجب يده ضوء الشموع عن عينيه .
- نكس فارينوغا رأسه وتهد وقال بصوت خفيض :
- أعيدوني إلى بيتي . فإنا لا يمكننا أن نكون مصاص دماء . في تلك المرحلة كنت أودي وغيلاً بحياتكم ويمسكي ! أنا لست سفاهاً متعطشاً للدم . اطلقوا سراحي !
- بماذا يعني ؟ - سأل فولند عابس الوجه ، - من ويمسكي هذا ؟ وما هذا الهذر ؟
- لا تكلف نفسك عناء ياسيدي . - قال أزازيلو وخاطب فارينوغا قائلاً : - لا داعي للوقاحة على الهاتف . لا داعي للكذب على الهاتف . مفهوم ؟ ألن تعود إلى ذلك ؟
- اختلطت الأشياء في رأس فارينوغا من الفرح واشرق وجهه ، وتمتم وهو لا يعي ما يقول :

- والله . . . يعني . . . أريد أن أقول فطام . . . بعد  
الغداء حالاً . - وضمّ فارينوخا يديه إلى صدره وتطلّح إلى  
أزازيلو في ضراعة .

- حسن ، هيا إلى بيتك ، - اجابه هذا ، وذاب فارينوخا ،  
- والآن دعوني جميعكم وحدي معهما ، - أمر فولند وهو  
يشير إلى المعلم ومرغريتا .  
ولقد أمر فولند في التوجّ واللحظة . وبعد فترة صمت توجه  
فولند بالكلام إلى المعلم .

- هكذا إذن ، تريد العودة إلى القبر في لوجات ؟ ومن ذا  
الذي سيتابع الكتابة ؟ والأحلام والآلهام ؟  
- أحلامي ضاعت والآلهام أيضاً ضاع ، - اجاب المعلم .  
- لا شيء حولي يعني الآلهام ، - ووضع من جديد يديه على  
رأس مرغريتا ، - لقد حظوني ، ولقد مللت وأريد العودة إلى  
القبر .

- وروايتك ؟ وبيلاطس ؟  
- اعقتها روايتي هذه ، - اجاب المعلم ، - فقد عانيت  
منها أكثر مما ينبغي .

- أتوسل إليك ، لا تتكلم هكذا ، - قالت مرغريتا بصوت  
حزين ، - لماذا تعذبني هكذا ؟ انت تعرف أنني أردت عملك  
هذا حياتي كلها ، - وأضافت مرغريتا متوجهة إلى فولند : -  
لا تصع إلى ما يقوله ياسيدي ، فهو في غاية الاعياء .  
- لكن الا يجب أن تصور شيئاً ما ؟ - قال فولند ، -  
إذا كنت انتهيت من الحاكم ، فأبدأ بتصوير الوبيزي هذا على  
الأقل .

ابتسم المعلم :

- لا بشيرونيكوما لن تطيع هذا ، ثم ان هذا غير شائق .  
- وم ستعيش الآن ؟ في هذه الحالة ستضطر إلى التسوّل .  
- عن طيب خاطر ، عن طيب خاطر ، - اجاب المعلم  
وجذب مرغريتا إليه وطقق كتفها وأضاف : - ستعود إلى  
رشدك وتنتفختي عنى . . .  
- لا اظن ، - قال فولند من بين أسنانه وأردف : -

هكذا اذن ، الشخص الذي كتب قصة بيلطس الينطلي يعود الى  
القبو بقصد الأتزواء هناك قرب المصباح والعيش في فقر مدقع .  
تحدثت مرغريتا عن المعلم قليلاً وقالت بحراوة بالغة :  
- املت كل ما في وسعي ، وهمسست في أذنه بأشد الوعود  
المغراء ، لكنه رفضها .

- اعرف تماماً ما همسست له ، - ردّ فولند ، - لكنه ليس  
أشدّها مغراء ، - ثم ابتسم وخاطب المعلم قائلاً : - دعني  
أقول لك ان روايتك ستحول لك مفاجآت أخرى .

- هذا محزن جداً ، - أجاب المعلم .  
- لا ، لا ، هذا غير محزن ، - قال فولند ، - لن يحدث  
أي شيء مخيف ، والآن يا مرغريتا نيقولاً لفلان كل شيء جاهز .  
هل لك طلب آخر ؟

- ماذا تقول يا سيدي ، ماذا تقول !  
- خلي اذن مني للفكرى ، - قال فولند وأخرج مسن  
لحم الوسادة حدود فرس ذهبية صغيرة مرصعة بالألماس .  
- لا ، لا ، لا ، ما الداعي !

- أتريدين مناقشتي ؟ - تسائل فولند مبتسماً .  
وضعت مرغريتا الحدود في فوطاة اذ لم يكن ليردتها جيب  
ولفتها . وهنا راح مرغريتا أمر . فقد التفتت الى الناظفة التي  
كان المرمر يلعب فيها وقالت :

- الشيء الذي لا انبهه . . . انا ما زلتنا في منتصف  
الليل مع انه حان للصبح ان ينجلي من فترة طويلة !  
- يعلو ايطالة ليلة العيد قليلاً ، - أجاب فولند ، -  
حسنًا ، امشي لكما السعادة .

مدّت مرغريتا الي فولند كلتا يديها فيما يشبه الدعاء .  
لكنها لم تجرؤ على الاقتراب منه وهتفت بصوت خافت :  
- الوداع ! الوداع !

- الى اللقاء ، - قال فولند .  
وخرجوا ، مرغريتا في بردتها السوداء والمعلم في ثياب  
المستشفى ، الى المرمر الذي في شقة زوجة الصالح حيث كانت  
لضيء شعة وتنتظرهما حاشية فولند ، وعندما مضيا خارجين  
من المرمر كانت فيلا تحمل الحقيبة ولها الرواية وتروى مرغريتا

يقولاننا الصغيرة بينما كان التطف يساعدها . وعند باب  
الشقة المني كوروليف محبباً واختفى . بينما مضى الأخرى  
يشجون مرهريتا والمعلم . كان الفوج خالياً . وبين اجتازوا  
بسطة الطابق الثالث سمع صوت ارتطام خفيف . لكن أحداً لم  
يعره اهتماماً . وعند باب المدخل الخارجي السادس تلخ أزابلو  
لغة قوية في الهواء . وما إن خرجوا إلى الفناء الذي لم ينفذ إليه  
ضوء الشمس حتى رأوا في المدخل المستوف شخصاً يعتمر كيبية  
ويشعل جزمة وهو قائم نوم الأموات على ما يبدو . كما رأوا  
سيارة سوداء كبيرة مقلقة الأنوار تلف في مدخل البناية ومن  
خلال زجاجها الأمامي يلوح طيف غراب .

كانوا يتأهبون لصعود السيارة حين أطلقت مرهريتا في  
ياس صيحة خافتة :

- يا الهي ! أضعت الحدة .

اسعدا . - قال أزابلو . - وانتظراني . سأعود فور

تبيين الأمر . - وعاد أدراجه .

وهاكم هذا الأمر : قبل فترة وجيزة من خروج مرهريتا  
والمعلم وتشييعهما . خرجت إلى الفوج من الشقة رقم ٤٨ الكالفة  
تحت شقة زوجة الصانع امرأة يابسة العود تحمل صفيحة وحقيبة  
يدوية . ولم تكن تلك المرأة سوى أنوشكا . تلك التي أراقت  
الزيت . لسوء حظ بريوز . عند باب الحديقة يوم الأربعاء .  
لم يكن أحد يعرف . ولعلك أن تعرف أحد قط . ماذا كانت  
تشتغل هذه المرأة في موسكو . ولا ما كانت تتعیش . كل ما  
كان يعرف عنها أنه كان بالإمكان مشاهدتها يومياً . وهي تحمل  
أما صفيحة أو حلية يدوية . وأما صفيحة وحلية يدوية معاً .  
في دكان بيع مشتقات النفط أو في السوق أو عند البوابة أو  
على درج . إنما كانت تشاهد أغلب الأحيان في مطبخ الشقة رقم  
٤٨ حيث كانت تسكن أنوشكا هذه . وإلى هذا كله ولحق هذا  
كله كان من المعروف أنه ما إن توجد أنوشكا في مكان أو تظهر  
فيه حتى تجلجل فيه فضيحة . زد على ذلك أنها عرفت بين الناس  
باسم «الطاهون» .

ولسبب ما كانت أنوشكا الطاهون تنهض باكراً جداً في  
العادة . أما اليوم فقد أطلقها شيء ما أبكر من عادتها . في بداية

الساعة الأولى ليلاً . دار في الباب المطناح وبرز ألف أنوشكا أولاً . ثم برزت فيه أنوشكا كلها . وما أن صلقت ورامها الباب وأخذت تنهيا للتحرك إلى مكان ما . حتى انفتح الباب في البسطة العليا في دويّ وتدحرج شخص ما على الدرج دافعاً أنوشكا وقاذفاً بها جانباً بحيث اصطدم قفاها بالجدار .

- إلى أين دفع بك الشيطان في سروالك الداخلي وحده ؟ -  
ولدت أنوشكا وقد أمسكت بلفافها . لكن أجابها الرجل ذو العينين المضطتين الذي لم يكن عليه إلا ثيابه الداخلية وكبيرة وفي يده حقيبة بصوت وحشي ناعس :

- مسخن الماء ! الزجاج ! التكلّيس وحده كم كلف ! -  
وجاز بعد أن استعير : - هياً خارجاً ! - وهنا انطلق ولكن لا ليكمل طريقه إلى الأسفل بل صاعداً الدرج إلى حيث الناقلة التي حطّم الاقتصادى زجاجها برجله . ومن هذه الناقلة طار إلى الفناء وساقاه إلى الأعلى . ونسيت أنوشكا حتى قفاها ، فتأوهت واندفعت إلى الناقلة . انبطحت على بطنها على البسطة وأطمت برأسها لتتطلع إلى الفناء وهي تتوقع أن ترى على الأسفلت المضاء بمصباح الفناء الرجل ذا الحقيبة محطماً ومشرفاً على الموت . لكنه لم يكن على الأسفلت في الفناء شيء من هذا إطلاقاً .

يبنى افتراض وهو أن هذه الشخصية الغريبة والناعسة انطلقت من البيت معلقة كالطائر دون أن تترك أثراً . وسبت أنوشكا إشارة الصليب وقالت في نفسها : « نعم ، بالفعل الشقة رقم ٥٠ ليس عبثاً ما يقول الناس ! نعم يالها من شقة ! »

وما كادت تقول في نفسها ما قالتها حتى اصطفت الباب ثانية في الأعلى واندفع شخص آخر هايطاً . التصقت أنوشكا بالجدار وراحت مواطناً محترماً إلى حدّ ما . ذا لحية صغيرة لكنه ذو وجه يشبه سحنة الخنزير قليلاً فيما بدا لأنوشكا . يمرق بمحاذاتها . ويطارد البناية كالأول تماماً من الناقلة دون أن يتوي هو الآخر أن يتحطم على الأسفلت . كانت أنوشكا قد نسيت الآن الهدف من خروجها . فجمدت في مكانها على الدرج ترسم إشارة الصليب وتتاوه وتحدث نفسها .

وبعد فترة قصيرة اندفع يهبط الدرج شخص ثالث دون

لعبة . ذو وجه مدور حليق يرتدي قميصاً واسعاً والنسل  
كسابقه طائراً من النافذة .

يجب الاعتراف لأوشكا بأنها كانت محبة للمعرفة ولهذا قررت  
التريث قليلاً لعلك تحدث خوارق جديدة . وبالفعل فتح الباب  
في الطابق الأعلى من جديد . واخذت تهبط الدرج سلمة كاملة .  
أما ليس ركضاً . بل في مشية عادية كما يسير باقي الناس .  
أسرعت أوشكا تتبعد عن النافذة وتهبط الدرج إلى بابها . فتحت  
الباب بسرعة واختبأت خلفه . ولعبت في الشق الذي تركته  
أوشكا عين تتعرق فضولاً .

كان يهبط الدرج بخطوات مترعة شخص لم تثيين بالضبط  
إن كان مريضاً أم لا . لكنه كان شخصاً غريباً . صاحب اللون  
ذا لعبة نامية يضع طاقة صغيرة سوداء ورداء غريب الشكل .  
تسككه من يده بعناية سيده في رداء أسود كما بدأ لأوشكا في  
تصف العتمة المخيمة . كانت السيدة حافية القدمين أو لعلها  
كانت تتنعل حذاء شفافاً . رؤسها كان اجنبياً . ومزقاً تماماً .  
تفر ما اتفه الحذاء وما فيه بالمقارنة مع مسا ثرى السيدة  
عارية ! نعم . الرداء ملقى مباشرة على جسم عار ! «بالها من  
سلفه ! كانت نفس أوشكا تتهلل منتشية مسبقاً بما ستخبر به  
فما الجيران .

وكانت تتبع السيدة المرتدية هذه الأردية الغريبة سيده  
أخرى عارية تماماً تحمل بيدها شنترة صغيرة . وال جانب الشنترة  
يسعى قط أسود هائل الحجم . فركت أوشكا عينها وهي تكاد  
تص . بصوت مسخوخ .

وكان يسير في مؤخرة الركب شخص اجنبي ضئيل الحجم  
يعرج قليلاً ذو عين عوراء لا يلبس جاكيتة بل صدرية قراش  
بيضاء مع ربطة عنق . و تجاوزت الجماعة كلها أوشكا هابطة  
الدرج . وهنا سمع صوت شيء يسقط على البسطة . تريتت  
أوشكا حتى خفت الأقدام وانسلت كالحية من خلف الباب .  
ودفعت الصفيحة عند الجدار وانبطعت على بطنها على البسطة  
واخذت تبهت بيديها . فإذا بها تلعبان على فوطة فيها شيء ثقيل .  
واتعلقت عينها فوق جبينها من الدهشة حين طالت الصرة .  
قربت أوشكا الكثر التعيين حتى عينها تماماً . وتوقفت هاتان

العينان بنار ذلّية تماماً . وعصفت الأفكار براسها كالانصار :  
«لا رأيت ولا عرفت ا . . . الى ابن اخي ؟ أم اتصرها الى  
اجزاء ا . . . الأحجار يمكن اتزاعها . . . وبيعها حجراً حجراً طوراً  
في سوق بيتروفكا وطوراً في سوق سمولنسكي . . . ولا عين  
رأت ولا أذن سمعت ا » .

حيات انوشكا اللقية في عيها وخطفت الصفيحة وعزمت على  
التسلل ثانية الى شقتها مزجلة جولتها في المدينة . حين انصب  
امامها دون أن تفري كيف ومن أين ذلك الشخص اثناء ذر  
الصدر الأبيض الذي لا يرتدي جاكيتة وهمس قائلاً :  
- هاتي الحدوة والفوطه .

- اي حدوة وفوطه ؟ - سألت انوشكا التي كانت تجيد  
التصنع . - الست سكراناً ايها المواطن ؟

ويبدن صليحتين كصلاية دريزين الياس . وباصابع باردة  
كبرودته ضغط الرجل ذو الصدر الأبيض على حلق انوشكا دون  
أن ينهس بكلمة . بحيث حبس الهواء عن صدرها . وسلطت  
الصفيحة من يد انوشكا على الأرض . وبعد أن أبلى الأجنبي  
الذي دون جاكيتة انوشكا دون هواء بعض الوقت . فك أصابعه  
عن عنقها . عبت انوشكا بعض الهواء وابتنست للول :

- آه . الحدوة . لحظلة ! هذه هي حدوتك اذن ؟ نظرت  
فإذا هي في فوطه . . . التفتتها عبداً كي لا ياخذها أحد وانك  
عليها السلام !

بعد أن تناول الأجنبي الحدوة والفوطه . اخذ ينحن محبباً  
وهو يخفق بقدميه . ويشد على يدها بقوة ويشكرها بحرارة  
بتعابير ذات لكمة أجنبية صارخة :

- اشكر لك معروفتك عميق الشكر يامدام . هذه الحدوة  
عزيزة على نفسي كذاكري . واسمحي لي أن أقدم لك مائتي روبل  
لكاء احتفاظك بها . - وأخرج من جيب صدرته مائتي روبل على  
القرور وناولها انوشكا .

ولم يكن من انوشكا الا انها أخذت تصرخ وابتنساعتها تعرض  
وتعرض :

- آه . شكراً جزيلاً ا ميرسي . ميرسي ا

عيط الأجنبي الكريم قلبية الدوج بخطوة واحدة . لكنه صرخ  
من الأسفل قبل أن يختفي نهائياً . أنا دون لكثة هذه المرة :  
- وانت ايها العجوز الشنطة . اذا وجدت مرة أخرى شيئاً  
ليس لك . سلبيه الى الشرطة ولا تخشيه في عيبك !

أما أوشكا التي أحست بطنين وضوضاء في رأسها من كل  
هذه الأحداث التي تجري على الدوج فاستمرت تصرخ طويلاً  
بفعل العطالة : - ميرسي ! ميرسي ! ميرسي ! - بينما لم يعد  
للأجنبي من أثر من فترة طويلة .

ولم يعد من أثر للسيارة في الغناء . فبعد أن أعاد أزابيلو  
هدية فولند الى مرغريتا سألتها ان كانت مرتاحة في مقعدهما  
وودعهما وتبادلت غيلاً ومرغريتا قبلات وبتانة وانعرت القف على  
يدنها مقبلاً . ولوح المشيعون بأيديهم للمعلم المتهاك في  
مؤخرة السيارة دون حياة وحرارة . كما لوأخوا للغراب . وسبحوا  
للحال في الهواء معتبرين أن لا ضرورة لأن يكلفوا أنفسهم عناء  
صعود الدوج . أشعل الغراب مصابيح السيارة وحض خارجاً بها  
من البوابة مجتازاً الرجل النائم نوم الأموات في الطنف . وضاعت  
انوار السيارة الكبيرة السوداء وسط الأضواء الأخرى في شارع  
سادوقايا الساحر والصاحب .

وبعد ساعة وفي نهر بيت صغير في احد أزقة لوبات . وفي  
الغرفة الأولى حيث كان كل شيء كما في السابق قبل تلك الليلة  
الخريفية المربعة من ليالي العام الماضي . كانت مرغريتا تجلس  
الى طاولة مغطاة بسماط مغطى قرب مصباح ذي واقية وقربه  
آنية صغيرة من سوسن الوادي منخرطة في بكاء خافت من الصدمة  
والسعادة اللتين عاشتهما . كان الدفتر الذي شوهته النار ملقى  
أعابها . في حين ارتفعت الى جانبها رزمة الدفاتر السالبة . كان  
البيت سامناً . وفي الحجرة الصغيرة المجاورة كان المعلم يفض  
في نوم عميق متهدداً على الديوان ومغطى بثوب المستشفى  
وكان تنفسه منتظماً هادئاً .

وبعد أن ارتوت مرغريتا بكاء . أمسكت الدفاتر السالبة  
وراحت تبحث فيها حتى وجدت المكان الذي كانت تريد قراءته  
قبل لقائها بأزابيلو عند جدار الكرملين . لم تكن مرغريتا تشعر  
برغبة في النوم . فأخذت تمسح على المسطوح بلفظ كما يمسح



على قطة محبوبة وتقلبه بين يديها وتفحصه من كل جوانبه متوقفة عند صفحة العنوان تارة فاتحة المخطوط من آخره تارة أخرى . وفجأة دهستها فكرة مريضة أن هذا كله سحر في سحر . وإن الدفاتر ستختفي الآن من أمام عينيها . وأنها ستجد نفسها في مدهما في دارها وأنه لا مناص لها بعد أن تستيقظ من أن تمضي وترمي بنفسها في الماء . لكن هذا لم يكن إلا آخر فكرة مريضة تراودها . لم يكن إلا صدى الألام الطويلة التي كابدها . لم يختلف شيء . وفولند الكلي القدوة كان بالفعل كلي القدوة . وكان بإمكان مرغریتا أن تجلس قمر ما يحلو لها حتى ولو إلى طلوع الفجر تقلب صفحات الدفاتر وتأملها وتلثها وتعيد قراءة هذه الكلمات :

- الظلمة الزاحفة من البحر الأبيض المتوسط غطت المدينة البغيضة إلى قلب الحاكم . . . نعم الظلمة . . .

## الفصل الخامس والعشرون

### كيف حاول الحاكم انقاذ يهوذا الذي من قيرياحا

الظلمة الزاحفة من البحر الأبيض المتوسط غطت المدينة البغيضة إلى قلب الحاكم . اختفت الجسور الععلقة التي تصل الهيكل ببرج الطونيو الرهيب . وانهمرت من السماء لجنة وهمرت الألهة المجنحة وميدان الخيل وقصر الجسمانية ذا الكوى والأسواق والغانات والأزقة وبرك الماء . . . غارت اورشليم المدينة العظيمة وكان لم يكن لها وجود . انهمت الظلمة التي روحت كل شيء في اورشليم وتغومها كل شيء . كانت سحابة سوداء غربية تملك التي اندفعت من البحر في نهاية هذا اليوم . الرابع عشر من شهر نيسان الربيعي .

جثمت الغيمة بكرشها على الجبل الاقارع حيث كان الجلادون يطعنون المحكومين على عجل . وجثمت على الهيكل في اورشليم . وزحطت في تيارات دخانية من الربوة التي ينتصب عليها ونهمرت الجزء السفلي من المدينة . كانت تتسلل من التوافد والسوق

الناس من السوارع الملتوية الى بيوتها . لم تكن الغيمة تتعجل  
سب ماها . بل كانت تسخر بضولها فقط . فما ان كانت هذه  
الكتلة الدخانية السوداء تفتت نارها . حتى كانت كتلة الهيكل  
العظيمة بقبتها المحرقة الالامنة تشمخ في السماء خارجة من  
الظلمة الحالكة . لكن بريلها كان يغرب في لحظة ويغرق الهيكل  
في لجة الظلام من جديد . وبه الهيكل من الظلام وسلط فيه  
عدة مرات . وكان سقوطه يفتن في كل مرة بدوي الكارثة .

وكان يصيغ انوار اخرى واعنة يستنهض من اللجة قصر  
هيرودس العظيم القائم على الرابية الغربية مقابل الهيكل . فكانت  
التنايل الذهبية العور الرهيبية ترتفع في الجو باسطة ايديها  
الى السماء . لكن النار السماوية كانت تختفي من جديد . وكانت  
قصبات الرعد تعيد الاصنام الذهبية الى الظلام .

وانهزت شأبيب المطر فجأة . واستحالت العاصفة الرعدية  
اعصاراً . وفي نفس المكان الذي تحدث فيه الحاكم والكاهن  
الاعظم عند الظهر قرب المقعد الحريري في الحديقة لتصفت شجرة  
سرو كالعصا بصوت كقصف المدفع . وتطايرت الورود المقطعة  
واوراق المغنوليا والاصحان الصغيرة والحصى مختلطة يرذاذ  
المطر والبرد الى الشرفة ذات الاعمدة . كان الاعصار يسوم  
الحديقة العذاب .

في هذا الوقت لم يكن تحت الاعمدة الا شخص واحد . وكان  
الحاكم هذا الشخص .

لم يكن يجلس الآن على الأريكة . بل كان يضطجع على متكأ  
امام طاولة واطمة صفت عليها المأكولات ودورق الخمر . وفي  
الطرف الاخر المقابل من الطاولة متكأ آخر خال . وكانت تنبسط  
عند قدميه بركة حراء كالها من دم . لم تسمع آثارها وتزك .  
وتتناثر شظايا دورق محطم . كان الخادم الذي يمد المائدة  
للحاكم قبل العاصفة قد ارتبك لسبب ما من نظراته المصوبة اليه  
واضطرب خوفاً من ان يكون اساء الى الحاكم في امر . فاستبد  
بالحاكم غضب شديد وحطم الدورق على الأرض المقطعة  
بالمسيف . وهو يقول :

- لماذا لا تنظر الى وجهي حين تناولني شيئاً ؟ اتكون  
سرقاً شيئاً ؟

استحال وجه الأفريقي الأسود بلون الرماد ، ولاح في عينيه  
وعب قائل ، فارتعد وكاد يحطم دورقاً ثانياً ، لكن غضب الحاكم  
زأبلة لسبب ما بسرعة كما ركبته ، والدفع الأفريقي يجمع الشظايا  
ويسهح البركة ، لكن الحاكم لوّح بيده فخرج العبد خارجاً وبقيت  
البركة .

والآن أثناء الانحصار كان الأفريقي يختبئ قرب الحراب ،  
حيث تمثال امرأة بيضاء عارية حانية الرأس ، خائفاً في أن من  
الظهور أمام الحاكم في وقت غير مناسب ومن التخلّك عن الظهور  
أمامه لحظة يستدعيه .

كان الحاكم المستلق على مكتبه في نصف العتمة التي  
اشاعتها العاصفة الرعدية يسكب الخمر لنفسه في كأس ،  
ويشربها في جرعات طويلة ، وهو يمدّ يده إلى الخيزن من وقت  
لآخر فيكسره ويبلعه قطعاً صغيرة ، ويصنّ المحار ويلوك  
الليمون ثم يعود إلى الشرب .

ولولا هدير الماء ، ولولا زمزعات الرعد التي كانت تهدّد ،  
قيماً بدا ، باقتلاع سطح القصر ، ولولا نقر البرد الذي كان  
يطرق بشدة على درجات الشرفة ، كان بالإمكان سماع الحاكم  
يقضم معدّناً نفسه . ولو أن الارتعاش المتقطع من ناز السد ،  
استحال ضوياً متصلاً ، لاستطاع الملاحظ أن يرى أن وجه  
الحاكم بعينه المحمرتين من أرق الليالي الأخيرة ومن الخمر يتم  
عن نفاذ الصبر ، وأن الحاكم لا ينظر قط إلى الوردتين  
البيضاوين الغارقتين في البركة الحمراء ، بل يتحوّل بوجهه  
باستمرار إلى الحديقة في مواجهة رذاذ المطر والرمل ، وأنه ينتظر  
شخصاً ما ، ينتظره بفارغ صبر .

ولم يمض إلا وقت يسير ، حتى أخذت كثافة الغشادة  
المائية تكفّ أمام عيني الحاكم ، إذ دبّ الوهن في الانحصار رغم  
عنفه . فلم تعد الأنصان تطلق وتساخط ، وتباعدت زمزمة  
الرعد والتماعثات البرق . لم يعد يسبح فوق أورشليم الآن  
لقاب بنفسجي ذو حانية بيضاء ، بل غيبة رمادية عادية متخلّكة .  
كانت العاصفة الرعدية تندفع الآن باتجاه البحر الميت .

وعنداً بالإمكان الآن تمييز صوت المطر وصوت الماء المتدفق  
في الميازيب ثم على تلك الدرجات التي مضى عليها الحاكم ظهراً

لاعلان الحكم في الساعة . واخيراً سمعت سلسلة القسقية المختوفة حتى الآن . واشرفت الدنيا من جديد . وظهرت في الغشاوة الرمادية الهاربة الى الشرق نواقل ذرق .

وهنا تنامت الى سمع الحاكم من بعيد اصوات ايوان واهنة ورنع وضع منات من الحوائج تشق اليه طريقها من خلال صوت المطر اللليل . تحرك الحاكم لدى سماعه هذه الاصوات ودهت الحياة في وجهه . كانت الكتيبة السورية تعود ادراجها من الجبل الاثري . وكانت تجتاز الآن . فيما يظهر من اصواتها . الساعة ذاتها التي اعلن فيها الحكم .

واخيراً سمع الحاكم الخطوات التي طال انتظارها . وصعدوا متتالفاً على الدوح المؤدي الى الحديقة العلوية امام الشرفة مباشرة . اشرب الحاكم بعنفه ولعت عيناه بالفرح .

وبدا بين الاسدين الحرمرين رأس داخل قلنسوة اولاً ثم شخص مبلل تماماً في برودة ملتصقة بجسده . ولم يكن هذا الشخص الاً ذلك الذي نهامس والحاكم في غرفة التصرف العاتمة قبل اعلان الحكم . والذي جلس على الكرسي الثلاثي القوائم أثناء تنفيذ وهو يلعب عصاه .

اجتاز الرجل ذو القلنسوة ارض الحديقة دون أن يتبين البرك التي فيها وداس الشرفة السيفسالية . وقال بصوت عالٍ لطيف وهو يرفع يده :  
- اميناتي للحاكم بطول العمر والسعادة . - كان القدام يتكلم باللاتينية .

- ايها الالهة ! - صاح بيلاطس . - ليس هناك من خيط واحد جاف على جسبك ! اي اعصار كان ؟ آ ؟ ارجوك ان تدخل على القور جناحي . وتشكرتم بتغيير ملايسك .

نزع القدام قلنسوته عن رأس مبلل بالماء تماماً وشعره ملتصق بجبينه . وبعد أن رسم على وجهه الحليق ابتسامة متأدبة أخذ يعتذر عن تغيير ملايسسه مؤكداً ان المطر لا يمكن أن يزدية .

- لا اريد ان اسمع الى شيء مما تقوله . - اجاب بيلاطس وصلق بيديه . وبهذا استقدم خدعه المتوارين عنه . ثم امرهم بالاعتناء بالقادم ومن ثم لتقديم طعام ساخن على القور . ولم

يلزم القادم الى الحاكم كي يجلف شعره ويفتر ملامسه وحذامه ،  
وباختصار كي يرتب نفسه ، الا القليل من الوقت ، وسرعان ما  
يبدأ على الشرفة في خف جاف وفي برودة عسكرية جافة قمرزية  
وشعر مسوكي .

في هذا الوقت عادت الشمس الى اورشليم ، واخذت ، قبل  
ان تغادر وتغرق في البحر الأبيض المتوسط ، ترسل اشعة الوداع  
الى المدينة البهيمية الى قلب الحاكم ، وتلعب درجات الشرفة .  
دبت الحياة كاملة في المسقية واخذت تسفسق ببله قوتها ،  
وحطت الحمام على الحصى وراحت تهدل وتوثاب فوق الأضنان  
المكسرة وتنفق شيئاً ما في الرمل الرطب . كانت البركة الحمراء  
قد مسحت والشظايا رفعت والبخار يتصاعد من اللحم على  
المائدة .

- كلي آذان صافية لما يأمر به الحاكم ، - قال القادم وهو  
يدنو من الطاولة .

- لن تسمح مني شيئاً قبل ان تجلس وتتناول بعض  
الخمير ، - اجاب بيلاطس بلطف واثار الى المتكا الآخر .  
استلقى القادم فسكب له احد الخدم خمرأ حمرأ كثيفة ،  
وعلا خادم آخر كأس الحاكم وهو ينحني فوق كتفه في حلو .  
وصرف هذا خادميه بإشارة منه . وفيما كان القادم يشرب ويأكل ،  
كان بيلاطس يرشف الخمير ويلقي بين الحين والحين نظرة الى  
ضيفه بعينين تصف مغطستين . كان الرجل الذي مثل بين يدي  
بيلاطس شخصاً في متوسط العمر ذا وجهه مدور جداً لطيف  
وأنيق وأظف لحيم وشعر يتعطر بتعدد لونه ، لكنه الآن وقد  
جف وبدأ اشقر ، وكان من الصعب على المرء تحديد جنسيته .  
ولعل الشيء الأساسي الذي كان يميز وجهه هو تعبير العيبة  
الذي كانت عيناه تشبهانه بالمناسبة ، والأصح القول ليس  
عينية ، بل طريقة القادم في النظر الى معدته . كان في العادة  
ينبت عينيه الصغيرتين تحت جفنين مغططين وغريبين قليلاً  
كأنهما متلفخان . اذالك كان ينور من اشعتي هالين العينين مكر  
لا يتم عن سر . ويجب الافتراض ان ضيف الحاكم كان ميلاً  
للفكاهة . لكنه كان أحياناً يطرد هذه الفكاهة المشعة من شفي  
عينيه فيفتح جفونه على اتساعها ، ويحدق في معدته بفتة ويعناد

كانه يريد ان يثبني بسرعة لطفة خفية على الف معدته . لكن هذا لم يكن يستمر الا لحظة . تعود جفونه بعدها لتنتطبق وتضيق عن شقين . وتعود الطيبة والطفنة الماكرة تشرقان منهما .  
 لم يرفض القادم كأساً ثانية من الخمر . والتهم بطع محارات وراق بعض الخضار المسلوقة واكل قطعة لحم بلنذة ظاهرة .  
 وراح . بعد ان شبع . يطري الخمرة :  
 - كريمة ممتازة . ايها الحاكم . الا تكون «فاليرنو» ؟  
 - لا . انها «تسيكوبا» . عمرها ثلاثون سنة . - اجابه الحاكم بلفظ .

وضع الضيف يده على قلبه . ورفض تناول شيء آخر واعلن انه شبع . الا انك ملا بيلاطس كأسه فتبعه ضيفه . وسكب الجليسان بعض الخمر من كأسيهما على قصعة اللحم وقال الحاكم بصوت عال وهو يرفع كأسه :  
 - نخبنا . ونخبك ايها الليصر . يا اب الرومان ياخير الناس واعزهم .

واتيا على ما في كأسيهما من الخمر . ثم رفع الاثريقيان المأكولات عن المائدة ولم يبقيا الا على الفواكه والدوايق . ومرت أخرى صرف الحاكم خادميه باشارة منه وبات وحده مع ضيفه تحت الأعمدة .

- اي . - قال بيلاطس بصوت خفيض . - ما الذي يمكنك ان تقوله لي عن الحالة النفسية السائدة في هذه المدينة ؟  
 وحول بصره الى اسفل . وراء مدرجات الحديقة . حيث كانت الأعمدة والأسطح المستوية المذهبة بأشعة الشمس الأخيرة في الرق الأخير من توهجها .

- اعتقد ايها الحاكم ان الحالة في اورشليم باتت مرضية .  
 - بحيث يمكن التأكيد ان الاضطرابات لم تعد تنهدنا ؟  
 - لا يمكن الاعتماد على شيء في هذه الدنيا اللهم الا على جبروت ليصر العظيم . - اجاب الضيف وهو يرنو الى الحاكم برفة .

- الا فلتنتعه الآلهة بالعرم الجديد والسلام العام . -  
 تابع الحاكم مزيداً على الفور وصمت قليلاً ثم أردف : - تعتقد انك بإمكان سحب القوات من المدينة ؟

- اعتقد بإمكان سحب كتبية الصاعقة . - اجاب الضيف  
واضاف : - لا بأس في أن تقوم باستعراض في المدينة لدى  
مقادرتها .

- فكرة ممتازة . - قال الحاكم محبباً . - بعد غد أمر  
بسحبها ثم الحاضر انا أيضاً . وانضم لك بنادية الالتي عشر اليها  
وبارواح اجدادنا اني على استعداد للتخلي عن الكثير كي انقل  
هذا اليوم قبل الغد .

- او لا يحب الحاكم اورشليم ؟ - ساله الضيف بلطف .  
- حنانيك . - هتف الحاكم وهو يبتسم . - لا يوجد على  
الارض مكان اشد كآبة من هذا المكان ا ناهيك عن الطبيعة ا  
اني امراض في كل مرة يترتب على القدوم الى هنا . لكن هذا  
ليس الا نصف المصيبة . وهذه الاعياد - من سحرة ومشعوذين  
وقطعان حجاج . . . متصبون متصبون ا وهذا المسيح الذي  
اخذوا يتولعون سجيله فجاء هذا العام كم كلتنا وحده ا في كل  
دقيقة وانت تتوقع ان تصبح شاهداً على سفك شنيع للدماء .  
وطول الوقت اعسادة ترتيب القوات وقسرات الاخباريات  
والوشايات . وتصلها على الاقل ضحك ا لا بد ان توافقني على  
ان هذا سهل ا آه . لولا خدمة الاميراطور ا . . .

- نعم . الاعياد هنا ثقيلة الرطاة . - قال الضيف موافقاً .  
- ارتب من صميم قلبي في انتهاء هذه الاعياد سريعاً . -  
اردف بيلاطس بلوة . - فأتمكن اخيراً من العودة الى قيصرية .  
هل تصدق ان بناء هيرودمس الهدياني هذا . - ولوج الحاكم  
بيده على طول رواق الأعمدة بحيث اتضح انه يتكلم عن النصر .  
- هل تصدق ان هذا البناء يلعب بعقلي فعلاً . اني لا أستطيع  
التوهم فيه . العالم لم يعرف هندسة بناء الحرب من هذه الهندسة .  
لكن لتعد ال سزوتسا . - اولاً فراقان الملعون هذا لا يقللك  
أمره ؟

وهنا صوب الضيف نظره الخاصة الى حد الحاكم . لكن  
هذا كان يرنو بعينين تقيضان بالملل الى البعيد متطياً ومتعلاً  
ذلك الجزء من المدينة المنهسط امامه والمنطفيء في ساعة  
الضيغ . وانطلقات نظرة الضيف ايضاً وانسدلت بظوته .  
- لا بد ان فراقان اصبح الآن مأموماً كالاحمل . - قال

الضيف وظهرت الغضون على وجه المدور . - اذ يصعب عليه  
التحرك الآن .

- الا انه اصبح جداً مشهور ؟ - لاحظ بيلاطس مبتسماً في  
سخرية .

- الحاكم كعادته يمدك المسائل بدقة !  
- وعلى أي حال ، - لاحظ الحاكم مهتماً ، وارتفعت الى  
الاعين اسبحة الطويلة الرقيقة يخالفها ذي الحجر الأسود . -  
يترتب . . .

- او ، بوسع الحاكم ان يكون على يقين من ان فرطان لن  
يخطو خطوة واحدة دون مراقبة ما دعت في اليهودية .  
- الآن انا مطمئن النفس ، كما اكون ، بالنسبة ، مطمئناً  
دائماً حين تكون هنا .

- الحاكم في غاية الطيبة !  
- والان ارجوك ان تحدثني عن تنفيذ الحكم . - قال  
الحاكم .

- وما الذي يثير اهتمام الحاكم بالضبط ؟  
- ألم تجر من قبل الجمهور محاولات للتعبير عن الاستياء ؟  
هذا هو الشيء الرئيسي بطبيعة الحال .  
- لا ، اطلاقاً . - اجاب الضيف .

- ممتاز . وانت بنفسك تأكدت من حدوث الوفاة ؟  
- بوسع الحاكم ان يكون واثقاً من هذا .  
- قل لي ايضاً . . . هل عرضتم عليهم شراياً قبل صلبهم ؟  
- نعم . لكنه . - وهنا انفض الضيف عينيه . - لكنه  
رفض ان يشرب .

- من الذي رفض ؟ - سأل بيلاطس .  
- عفوك ايها التواي ! - هتف الضيف ، - اتراني لم اذكر  
اسمه ؟ العا نوصري .

- بالمجنون ! - قال بيلاطس مكثراً لسبب ما ، واخترج  
تحت عينه اليسرى عرق ، - يموت من حروق الشمس . لماذا  
يرفض ما هو من حله قانوناً ، وبأي عبارات ورفض ؟  
- قال - اجاب الضيف وهو يفضض عينيه من جديد . -  
انه شاكر ولا يتهم احداً في قتله .



- يتهم من ؟ - سال بيلطس بصوت خافت .
- هذا ما لم يقله أيها الوالي .
- ألم يحاول التبشير بشي، ما في حضرة الجنود ؟
- لا ، أيها الوالي ، كان مغللاً في كلامه هذه المرة . الشيء الوحيد الذي قاله انه يعتبر الجبن واحدة من أخطر التناقض الإنسانية .
- وما المقصود بهذا القول ؟ - سمع الضيف صوتاً متهدجاً بفتنة .
- هذا ما تعذر فهمه . كان يتصرف على نحو غريب ، كميده دائماً على أي حال .
- وما وجه الغرابة ؟
- كان يحاول طول الوقت ان يسترق نظرة الى هيني هنا أو ذاك من المحيطين به ، وكان يبتسم طول الوقت ابتسامة ذاهلة .
- وماذا هناك أيضاً ؟ - سال الصوت المبحوح .
- لا شيء .
- نظر الحاكم الكاس وهو يملأها لنفسه خيراً ، وبعد ان أفرغها قال :
- الموضوع هو التالي : على الرغم من أننا لا نستطيع ان نجد - في الوقت الراهن على الأقل - أي متعاطف معه أو أي تابع له . إلا انه لا يجوز لنا الاطمئنان مع هذا الى عدم وجودهم إطلاقاً .
- كان الضيف يصفى باهتمام حاني الراس . وأردف الحاكم يقول :
- وهكذا ، وتحسباً من أي مفاجآت ممكنة أرجو ان تمحو من وجه الأرض فوراً ودون أي ضجة أجساد الحكوميين الثلاثة كلهم وتدفعها سراً وفي صمت كي يختفي أي أثر لهم .
- سمعاً وطاعة ، أيها الوالي . - قال الضيف وتنهض : -
- اسمح لي بالانطلاق فوراً نظراً لصعوبة الأمر وخطورته .
- لا ، بل امكث قليلاً . - قال بيلطس مستوقفاً ضيفه بإشارة منه . - هناك موضوعان آخران . الثاني ان خدماتك

الجليلة في عملك الشاق هذا بوصفك رئيس الجهاز السري لدى  
حاكم اليهودية تتيح لي فرصة لطيفة لا بلاغ روما بالأمر .

هنا تورّد وجه الضيف فتهبط والحنى للحاكم وهو يقول :  
- جلّ ما افعله اني ازدي راجس في خدمة الامبراطور !

وتابع الوالي :

- بودي ، فيما لو عرض عليك النقل من هنا مع ترقيع ،  
ونفس النقل والبقاء هنا . فانا لا اود الاختراق عنك مهما يكن .  
وليكانتوك بأي طريقة اخرى يرونها .

- تسعدني الخدمة تحت امرتك ايها الوالي .

- وهذا من دواعي سروري البالغ . والان الى الموضوع  
الثالث وهو يتعلق بهذا الذي اسمه . . . يهوذا الذي من  
قبريافا .

وهنا صوب الضيف نظراته الخاصة الى الحاكم ، وسرعان ما  
اطفاها كما هو مفروض .

وتابع الحاكم كلامه ، وهو يخفض صوته :

- يقال انه قبض مالاّ فيما يبدو لقاء استقباله هذا  
الفيلسوف المجنون في بيته هذا الاستقبال الحافل .  
- سيقبض . - قال رئيس الجهاز السري بصوت خافت  
مصححاً .

- وهل المبلغ كبير ؟

- هذا ما لا يستطيع احد ان يعرفه . ايها الوالي .

- حتى انت ؟ - قال الوالي معبراً باستفراجه عن اطرائه  
الضيف .

- حتى انا للأسف . - اجابه الضيف بهدوء . - لكنني  
اعلم علم اليقين انه سيستلم هذه النقود اليوم مساء . فقد  
استدعي اليوم للحضور الى قصر قيافا .

- آه . يا لهذا المعجز القيريافي الجشع . - لاحظ الحاكم  
وهو يتسّم . - انه عجوز اليس كذلك ؟

- الحاكم لا يخطئ ابداً . لكنه اخفا هذه المرأة . -  
اجاب الضيف بادب ولطف . - القيريافي ليس الا شاباً .

- عجيب ! هل تستطيع اعطائي اوصافه هل هو متعصب !  
- لا . لا . ايها الحاكم .

- حسن . وهل هناك شيء آخر ؟
- وسيم جداً .
- وماذا أيضاً ؟ هل لديه شهوة ما ؟
- من الصعب أن تعرف الجيبس بدقة في هذه المدينة الضخمة . أيها الوالي . . .
- لا ، لا . يا أفرائي لا تقلق من شأن أفضالك ا
- لديه شهوة واحدة . أيها الحاكم . - وتوقف الضيف هنيهة ثم أردف : - شهوة المال .
- وماذا يعمل ؟
- رجع أفرائي عينيه إلى الأعلى وفكر قليلاً وأجاب :
- يعمل في محل صرافة لدى أحد التجار .
- حسن ، حسن . - وهنا صمت الحاكم وتلفت حوله لعل " أحداً على الشرفة " ثم قال بصوت خافت : - الموضوع أنني تلقيت اليوم معلومات تفيد أنه سيذهب هذه الليلة .
- وهنا لم يسدد الضيف نظراته إلى الحاكم وحسب . بسل ثبثها عليه قليلاً ثم أجاب :
- لقد بالغت في أفرائي أيها الحاكم . وفي رأيي أنني لا أستحق معرفة هذه المعلومات . فهذه المعلومات ليست متوفرة لدي .
- أنت جدير بأسمى المكافآت . - أجابه الحاكم . - لكن لدي معلومات من هذا القبيل .
- هل لي أن أتجراً وأسأل عن مصدر هذه المعلومات ؟
- اسمح لي إلا أقول لك شيئاً الآن . لا سيما إن هذه المعلومات عارضة وغامضة وغير موثوقة . لكن من واجبي أن أحسب لكل شيء حساباً . هذا ما تفرضه عليّ وظيفتي . وأكثر من ذلك عليّ أن أصفق احساسي الداخلي . فهو لم يخدعني أبداً . أما معلوماتي فتفيد بأن أحد أصدقاء الغا نورسري السريين الذي أسخطته خيانة هذا الصراف البشعة يسعى للاتفاق مع شركائه الآخرين على قتله الليلة . أما النقود التي تسلبها هذا لقاء خيانتهم فسياخذونها ويمنونها خفية عند باب الكاهن الأعظم مع وريقة تحمل هذه الكلمات : «أميد لك النقود الملعونة ا» .
- لم يعد رئيس الجهاز السري يرمي الوالي بنظراته المباشرة .

- بل واصل الاستماع زلماً عينيه الى ما يقوله بيلاطس . وكان بيلاطس يتابع كلامه :
- تصوّر ، هل سير الكاهن الأعظم يتلقى هدية كهذه في ليلة العيد ؟
- لا ، لن يصرّ وحسب ، - اجاب الضيف وهو يبتسم ، - بل ارى ، ايها الحاكم ، أن هذا سير فضيحة ضخمة .
- وانسا من رايتك ، ولهذا السبب ارجوك الاهتمام بهذا الموضوع ، اي اتخاذ كل الاجراءات الكفيلة بالمحافظ على حياة يهوذا الذي من قير يافا .
- سينقله امر الوالي ، - قال اخراي ، - لكن بودي ان اطمئن بال مولاي ، لفكرة هؤلاء الأشرار صعبة التنفيذ جداً ، تصوّر فقط ، - هنا استدار وهو يتكلم واردف : - ملاحظته وطعنه ثم معرفة كمية النقود التي قبضها ثم التعاقب لاعادة المال الى قيافا ، وهذا كله في ليلة واحدة ؟ واليوم بالذات ؟
- ومع هذا سيذهبونه اليوم ، - كرّر بيلاطس في اصرار ، - انزل لك : هذا شعوري الباطني ا لم يحدث ان خدعني ، - وهنا سرت في وجهه موجة تشنج ، وفرك يديه قليلاً .
- سحاً وطاعة ، - اجابه الضيف بلهجة انصياع ونهض وانتصب ، وسأله بصوت صارم : - سيذهبونه اذن ايها الوالي ؟
- نعم ، - اجابته بيلاطس ، - والامر كله معتود هل ادانك الذي هو منار اعجاب الجميع .
- سوى الضيف سيره الثقيل تحت البردة وقال :
- متشرف ، المنى لك طول العمر والسعادة .
- آه ، - صاح بيلاطس بصوت خافت ، - كنت انسى تماماً ا فانا مدين لك ا . . .
- تولت المعشة الضيف .
- لا ، لست مديناً لي بشيء ايها الحاكم .
- كيف ؟ الا تذكر جمهور الشحاذين لدى دخولهم اورشليم . . . كنت اريد القاء بعض النقود اليهم ، ولم اكن احمل شيئاً ، فاخذت منك . . .
- ايها الحاكم ، هذا امر تافه !

- ومن الواجب تذكر التوافه .

وهنا استدار بيلاطس وتناول البردة الملقاة على الأريكة خلفه وأخرج من تحتها كيساً جديداً ومدّ به يده إلى ضيفه . فانحس هذا وهو يتناوله وخباء تحت بردته .

- أنا في انتظار تقريرك عن الدفن . - قال بيلاطس . - وكذلك تقريرك عن قضية يهوذا الذي من قيريناغا اليوم ليلاً . التسمعي يا أفراني . اليوم . سأصدر الأمر للحرس بايلاطي فور حضورك . أنت في الانتظار !

- مشرف . - قال رئيس الجهاز السري . واستدار وعطى عن الشرفة . سمعت شخصيته وهو يعبر فوق زمل العديقة البيلكل . ثم سمع وقع جزمته على المرمر بين الأسود . ثم اختفت سائقاء تجسه وأخيراً اختفت قلسوته . هنا فقط رأى الحاكم أن الشمس اختفت وإن الغسق قد حلّ .

## الفصل السادس والعشرون

### الدفن

لعل الغسق هو الذي كان السبب في تغير مظهر الحاكم هذا التغير العاد . بدأ وكأنه شاخ في لحظات واحدودب ظهره . تاهيك عن الاضطراب الذي أخذ يضيغ في كيانه . فلقد التفت مرة حوله . ولأمر ما ارتعد بعد أن ألقي نظرة على الأريكة الخالية التي كانت البردة ملقاة على مستندها . كانت ليلة العيد تقرب . وكانت أطراف المساء تلعب لعبتها . والأرجح أنه تهاها للحاكم المشعب أن شخصاً ما يجلس في الأريكة الخالية . وبدرت عن الحاكم علامة تغاذل وخور : فلقد نظس البردة ثم ألقاها مكانها وأخذ يعدو في الشرفة جيئةً وذهاباً . وهو يترك يديه تارة ويهرع إلى الطاولة ويتشيت بالكاس تارة أخرى . أو يتوقف ويأخذ في التخديق في فسيلساء الأرض ببلاهة تارة تالفة وكانه يجهد في قراءة كتابات ما عليها .

كانت المرة الثانية التي تتولاه فيها الكتابة هذا اليوم . كان

الحاكم يترك صدغه ، الذي لم يبق فيه من الألم الصباحي الجهنمي الا ذكرى قليلة موجسة قليلاً ، محاولاً ادراك سبب آلامه النفسية . وسرعان ما أدرك السر . لكنه حاول تخداع نفسه . كان واضحاً له كل الموضوع انه قصر اليوم تقصيراً لا سبيل الى تداركه . وانسه يريد الآن التعويض عن تقصيره بالفعال ناهية . صغيرة . والأهم من هذا وذلك انها أفعال متأخرة . وكان خداعه لنفسه ينلخص في محاولته الايعاء لنفسه واقناعها بأن أفعاله هذه ، الحالية المسائية ، لا تقل أهمية عن الحكم التي نطق به صباح اليوم . لكن الحاكم لم يلق في محاولته الا القليل القليل من النجاح .

توقف عند أحد المنعطقات بقية وصفر . واستجاب لهذا الصغير المنطلق في الخسوف نجاح متخلص . ووثب من الحديقة الى الشرفة . كلب ضخم مرهف الأذنين ذو شعر رمادي وطوق ذي حلقات مذهبة .

- بنفا ! بنفا ! - نادى الحاكم بصوت واهن .

سبّ الكلب على قائمته الخلفيتين ، بينما ألقى الأماميتين على كتفي صاحبه بحيث كاد يوقعه أرضاً ولحسه في خدّه . وجلس الحاكم على الأريكة . اذاك ألقى الكلب عند قدمي صاحبه وهو يمدّ لسانه ويلهث لهاثاً متواصلًا . كانت الفرحة التي في عينيه تعني ان العاصفة الرعدية ، وهي الشرء الوحيد في الدنيا التي كان الكلب الشجاع يخافه ، قد انتهت . وانه هنا الآن من جديد . مع الشخص الذي كان هو . ابي الكلب . يحبه ويحترمه ويعتبره أقوى من على وجه الأرض وسيد كل البشر . والذي بفضلله كان الكلب يعتبر نفسه كائنًا متميزًا . وفيهناً . لكن الكلب أدرك على الفور بعد ان ألقى عند قدمي صاحبه . وحتى دون أن ينظر اليه . بل وهو يتطلع الى الحديقة التي يهبط المساء عليها . ان مكروهاً حلّ بصاحبه . ولهذا غير وضعه . فنهض ودار حول صاحبه ووضع قائمته الأماميتين ورأسه على ركبتي الحاكم ملوثةً بذلك أطراف برداته بالرمل المبلل . كانت تصرفات بنفا تعني . على الأرجح . انه يواسي صاحبه . وانه على استعداد لمواجهة المصيبة معه . وقد حاول الاغراب عن هذا المعنى بنظرته التي كان يسددها من طرف خلفي اليه وبأذنيه

الرهفيتين المنتصبتين . هكذا استقبل كلاهما ، الكلب والرجل المتحابان ، ليلة العيد على الشرفة .

في هذا الوقت كان ضيف الحاكم منهكاً في سمر دانب . فبعد أن غادر المدرج العلوي للحديقة التي أمام الشرفة ، عبط إلى المدرج التالي وانعطف يمينا واتجه إلى التكنات الثانية على أرض القصر . في هذه التكنات بالذات كانت المائتان اللتان قدعتا مع الحاكم إلى اورشليم في العيد تنزلان ، وكذلك العرس السري للحاكم الذي كان تحت إمرة هذا الضيف . مكث الضيف في التكنات بعض الوقت - لا أكثر من عشر دقائق - وببعض هذه الدقائق العشر خرجت من فناء التكنات ثلاث عربات محملة بأدوات حفر وبرميل ماء ، يرافلها خمسة عشر فارساً في برد ومادية . خرجت العربات برفقة هؤلاء الرجال من القصر عبر البوابة الخلفية ، واتجهت إلى الغرب وعبرت باباً في سور المدينة وانطلقت في طريق فرعي إلى طريق بيت لحم أولاً ، ثم مضت فيه شمالاً حتى بلغت مفترق الطرق الذي عند باب حلرون ، وعنده تحركت في طريق يافسا ، تلك التي مرّ فيها موكب المحكومين ظهراً . في هذا الوقت كان الظلام قد اطبق ، وظهر القمر في الأفق .

ما إن غادرت العربات مع مرافقها القصر ، حتى غادره ضيف الحاكم على ظهر جواد وقد ارتدى ثوباً يونانياً داكناً مهترناً . ولم يتوجه الضيف إلى خارج المدينة ، بل إلى داخلها . وبعد قليل كان من المسكن رؤيته يندو من قلعة انطونيو الثانية في الشمال بجوار الهيكل الكبير مباشرة . ولم يمكث الضيف في القلعة سوى وقت يسير أيضاً ، بات بعده في القسم السفلي من المدينة - في شوارعها الملتوية والمتشابكة ، ولم يصل الضيف إلى هنا على جواد ، بل على بعل .

عثر الضيف الذي كان يعرف المدينة جيداً على الشارع الذي يحتاجه يسير . وكان اسمه الشارع اليوناني ، إذ كانت تقوم فيه بعض الدكاكين اليونانية ، ومنها واحد يتاجر بالسجاد . عنه هذه الدكان بالذات أوقف الضيف بطله وترجل عنه وربطه إلى حافلة عند الباب . كان الدكان مطلقاً ، فوالج الضيف من باب صغير إلى جانب مدخل الدكان فإذا به في فناء مرّبع صغير محاط

بغناير . وفي الغذاء انعطف الضيف عند زاوية فوجد نفسه عند شرفة حجرية لمنزل يعرف فيها اللباب . تلفت الضيف حوله : كان الظلام يخيم على المنزل كما على العناير إذ لم يكن أحد اشعل فيها النور بعد . وغادى الضيف بصوت خفيض :

- نيزا !

صرّ الباب على ندائه هذا . وظهرت على الشرفة في نصف العتمة المسائية امرأة شابة دون ثياب . انحنت المرأة فوق درابزين الشرفة وهي تتحدث في قلق متعرجة لمعرفة القادم . ولما عرفت انتمست له بوجه . وهزّت رأسها ولوّحت بيدها . - هل انت وحدك ؟ - سأل أفرانسي باليونانية بصوت خافت .

- وحدي . - همست المرأة في الشرفة . - لقد غادر زوجي صباح اليوم الى ليصرية . - وهنا حانت من المرأة التفتاة الى الباب وأضافت هامسة : - لكن الخادمة في البيت . - وأشارت اليه بما معناه «ادخل» . تلفتت أفرانسي حوله ووضع قدمه على الدرجات الحجرية . وبعدما اختفى هو والمرأة داخل المنزل . ولم يضر أفرانسي عند هذه المرأة سوى وقت جدّ قصير - لا أكثر من خمس دقائق على ابعد تقدير . غادر بعده المنزل والشرفة وأسدل قلمسوته على عينيه وخرج الى الشارع . كان الناس قد أخذوا في هذا الوقت يشعلون المصابيح في البيوت . وكان زحام ما قبل العيد لا يزال عظيماً جداً . وضاع أفرانسي على بطله في تيار الراكبين والراجلين . اما خط سيره التالي فلا يعرفه أحد .

أخذت المرأة التي نادىها أفرانسي باسم نيزا تغير ملامحتها بعد ان بقيت وحدها . وكانت الى هذا على عجلة عظيمة من أمرها . لكنها لم تشعل مصباحها ولم تناد خادمتها على الرغم من الصعوبة الكبيرة التي كانت تعاليتها في البحث عما تحتاجه في الغرفة المظلمة . ولم يُسمع صوتها في البيت الا بعد ان أخذت أحبها ووضعت على رأسها ثياباً داكنة .

- اذا سأل عني أحد ، قولي له اني خرجت لزيارة ايتانتا .  
وسمعت دعدمة العجوز تقول في الظلمة متبرمة :  
- لزيارة ايتانتا ؟ آه من ايتانتا هذه ! ألم يشعلك زوجك



من الذهاب إليها ؟ فوأده صاحبتك هذه إياتنا لا بد أن أخبر  
زوجك . . .

- كفى ، كفى ، كفى ، أخسى ، - ودت ليزا وانسلت  
من البيت كالطيف ، سمع وقع خفّ نيزا على بلاط الفناء الحجري  
واغلقت الغامرة باب الشرفة برمة وغادرت نيزا منزلها .

في هذا الوقت بالذات خرج شباب من باب بيت حطير تطلّ  
مؤخرته على الزقاق ونوافذه على الفناء وعلى في زقاق متعرج  
من أزقة المدينة السفلى يهوي بدرجاته إلى أحد برك المدينة .  
كان الشاب ذا لحية صغيرة مخلوطة بعناية ، وشملة بيضاء نظيفة  
تشدل على كتفيه ، وقميص أزرق جديد ارتداء خصيصاً للعيد  
تشدل شراياهته إلى أسفل وسندل جديد يرسل صريراً . كان  
الشباب الوسيم الألقى الألف الذي أخذ زينته استعداداً للعيد  
الكبير يحضي بهمة متجاوزاً السابلة المرعفين إلى مائدة العيد  
في بيوتهم . وينظر إلى التوائف تضيء الواحدة إثر أخرى . كان  
الشباب يحد الخطأ في الطريق المعادي للسوق والمؤدي إلى قصر  
رئيس الكهنة قيانا القائم عند أسفل التلة التي عليها الهيكل .  
وكان يمكن رؤيته بعد قليل يلج بوابة قصر قيانا ، ثم ما  
يلبت أن يفادوه بعد فترة أخرى .

بعد زيارة القصر الذي تأججت فيه المصاييح والمشاعل  
ودّبت فيه حركة العيد وجلبته ، مضى الشاب بنشاط أوفر  
وبهجة أكبر ، عائداً أدراجه إلى المدينة السفلى . وفي تلك الناحية  
أيّامها ، حيث كان الضارح يندمج في ساحة السوق ، أدركته  
في الزحام والغليان امرأة خفيفة رشيقة تسير بخطوات مترافضة  
وتضع نقاباً أسود يغطي عينيها . ولما حاذت هذه المرأة الشاب  
رفعت النقاب قليلاً فوق عينيها لحظة ، وصوّبت إلى الشاب  
نظرة . لكنها لم تبصره الخطو . بل حنته كأنها تحاول التواري  
عمن كانت تتجاوزوه .

لم يلاحظ الشاب هذه المرأة وحسب ، لا . بل عرفها . وإذا  
عرفها ارتعد وتوقفت متبعاً أيّامها نظره في حيرة ، وانطلق من  
فوره يلحق بها . أدرك الشاب المرأة بعد أن كاد يرمي أرضاً  
غابر سبيل يجعل جثة في يده وتناداها وهو يلهث من الانفعال :

- نيزا !

التفت المرأة ووزرت عينها ، في حين ارتسخت على وجهها علامات طيق بارد ، واجابت باليونانية :

- آه ، هذا أنت يا يهوذا ؟ لم اعرفك على الفور ، وعلى أي حال ، لا بأس ، هذا قال حسن ، فعندنا أن الذي لا تتعرف عليه يصبح شيئاً . . .

وسأل يهوذا همس متقطع خشية أن يسمعه المارة ، وقد اخذ قلبه ينطش من الاضطراب كعصفور تحت ثياب أسود :

- إلى أين لظمين يا نيزا ؟

- وما يعنيتك هذا ؟ - اجابت نيزا وهي تبطش الخطر وترمق يهوذا بنظرة كبر .

اذك رثت في صوت يهوذا نبرة طفولية وهمس في ارتباك :

- كيف لا يعينني ؟ لقد انفقنا . . . اردت أن اعرج عليك ، لقد ظلت انك ستمكتين في البيت طول المساء .

- آه ، لا ، لا ، لا . - اجابت نيزا ومطت شفقتها السفل بنزوة بحيث بدا ليهوذا أن وجهها ، وهو أجمل وجه رآه في حياته ، ازداد جمالاً . - لقد تولاني الضجر ، عندكم عيد ، لماذا تتريدني ان افعل ؟ الجلوس على الشرفة والاستماع الى تنهداتك ؟ والخوف الى هذا من أن تغير الخادعة زوجي ؟ لا ، لا ، لهذا لمرت الضي الى الضاحية لأستمع الى صوت العنادل .

- الى الضاحية ؟ - سألها يهوذا في حيرة ، - ووجدك ؟

- وجدت طبعاً ، - اجابت نيزا ،

- اسمعي لي بعراقتك ، - رجاها يهوذا مبهور الأنفاس ، كان مضطرب الفكر وقد نسى كل شيء في هذا الوجود وأخذ ينظر بعينين ضارعتين في عيني نيزا الزرقاوين اللتين بدتسا الآن سوداوين .

لم تجب نيزا بكلمة وحشت الخطأ .

- لماذا تصمتين يا نيزا ؟ - سأل يهوذا بصوت شاك وهو يترقب خطواته على خطوها .

- إلى أشعر بالملل معك ؟ - سألت نيزا لجة وتوقفت . وهنا بلغت القبيلة في انكار يهوذا أشدها .

- لا بأس ، - قالت نيزا أخيراً بصوت ارتق ، - هيأ بتسا .

- أين ، أين ؟

- مهلاً . . . لنضى الى هذا الغناء ونلتق . فانا اخاف ان يراني احد من المعارف فيقال عنى بعدئذ انى كنت مع عشيقي على قارعة الطريق .

وهنا اختفى اثر نيزا ويهوذا من السوق . اذ باتا يتهاसान في زاوية احد الافنية المطلمة .

- انذهب الى بستان الزيتون . - همست نيزا تقول له وهي تسدل النقاب على عينيها وتولي ظهرها لرجل يدخل الغناء المظلم وهو يحمل سطلاً . - الى الجسمانية . وراء نهر قدرون . الهمت ؟

- نعم ، نعم ، نعم .

- سامضى امامك . - اردفت نيزا . - لكن اينك ان تسير خلفي . بل ابتعد عني . سامضيك . . . وعندما تعبر مجرى السيل . . . هل تعرف أين المغارة ؟

- اعرف . اعرف . . .

- اصعد بسحابة معصرة الزيتون ثم انعطف الى المغارة . ساكون هناك . انما اينك ان تنضي ورائي فوراً . اصبر وانتظر قليلاً هنا . - وخرجت نيزا من الغناء وكأنها لم تتبادل ويهوذا كلمة .

ترىث يهوذا بعض الوقت واقفاً في مكانه وحده وهو يحاول استجماع افكاره المشتتة . وكان من بين هذه الافكار كيف سيفسر قيابه عن مائدة العيد عند اهله . وقف يهوذا واخذ يذكر في كذبة . لكنه في اضطرابه لم يجد ولم يعد شيئاً كما يجب . وحصلته قدام خارج الغناء دون ارادته .

ولير الآن طريقه . فلم يعد يتدفع الى المدينة السفلى . بل عاد ادراجه باتجاه قصر قيافا . كان يهوذا يرى الآن ما حوله بشكل فائق . كان العيد قد دخل المدينة . لم تعد الأنوار وحدها تلمع في نوافذ البيوت حول يهوذا . بل كانت التسابيح تسمع فيها ايضاً . وكان آخر المتخلفين يستحثون حبيهم ويسوطنوا ويصرخون فيها . كانت قدام يهوذا تحملاته عظيمة . فلم يلاحظ كيف مرقت الى جانبه أبراج قلعة انطونيو الرهيبة المفضاة بالطحلب . ولم يسمع هدير الأبواق في القلعة . ولم يهر الدورية

الرومانية الراكبة التي ترفع مشعلاً ينشر طريقته بضوء مطلق أي  
التياء . وما إن اجتاز يهوذا القلعة حتى التفت ورأى شمعدانين  
هائلين يعمل كل منهما خمس شمعات فضيخان على علو شاهق  
فوق الهيكل . لكن حتى هذان الشمعدانان لم يتبينهما يهوذا إلا  
بإهام . فقد بدا له أنه اشتعلت فوق اورشليم عشرة قناديل  
ذات مقابيس غارقة تضاهي ضوء القنديل الوحيد الذي يعلو  
شينا فضيخاً فوق اورشليم - القنديل القمري . لكن يهوذا كان  
الآن في شغل شاغل عن كل ما حوله . إذ كان يتدفع الى باب  
الجمسانية ليطأ المدينة بأسرع ما يمكن . وكان يبدو أنه  
تلوح أمامه بين ظهور العارة ووجوههم قامة مترالصة . وأنها  
تتودع ورائها . لكن هذا لم يكن إلا خداعاً . إذ كان يهوذا يدرك  
إن نيزا سبقته مسافة كبيرة . ومرّ يهوذا بدكاكين الصرافة  
وانتهى أخيراً الى باب الجمسانية . لكنه اضطر مع هذا الى التوقف  
هنا . وهو يحترق من جزمه ولهفته . إذ كانت تعبر البوابة الى  
المدينة شمال وفي اثرها الدورية السورية العسكرية التي لعنها  
يهوذا في سرته . . . .

لكن لكل شيء نهاية . كان يهوذا المثلهف خارج سور  
المدينة الآن . رأى يهوذا عن شماله مقبرة صغيرة نصبت قربها  
بضع خيام مخططة للحجاج . قطع يهوذا الطريق الأضيق المسور  
بضوء القمر واندفع الى نهر قدرون كي يقطعه . كان الماء يفرفر  
بهدهد تحت قدمي يهوذا . قطع يهوذا النهر قفزاً من حبر الى  
حبر ووصل أخيراً الى الضفة حيث الجمسانية . رأى بلرح عظيم  
إن الطريق هنا فوق البساتين خالية . وعلى مسافة غير بعيدة  
ترامت له بوابة بستان الزيتون نصف المحطمة .

أدهشت يهوذا بعد جوف المدينة الخائض الرائحة المخدرة  
المشجعة من هذا الليل الربيعي . إذ كانت موجات من روائح  
الأس والاكاسيا تتدفق من مروج الجمسانية خلال أسيجة  
البستان .

لم يكن أحد يحرس البوابة . ولم يكن أحد يقف فيها .  
وبعد دقائق كان يهوذا يحث الخطا تحت الظلال الغامضة لأشجار  
الزيتون الضخمة الكثيفة الأعصان . كان الطريق يؤدي الى الجبل .  
وكان يهوذا يصعد فيه وهو يلهث . وكان يخرج من الظلمة بين

الحين والحين الى سجاييد قمرية موشاة ذكرته بالسجاييد التي  
كان يراها في دكان زوج نيزا الغيور . وبعد قليل لاحت من  
يسار يهوذا فوق المرح مصفرة الزيت يرحاها الثقيلة واكرام  
يراميل . لم يكن في البستان احد . لقد انتهى العمل عند السيف  
ولم تكن في البستان نامة الا اجواق العنادل تغرد وتصعب لولي  
راس يهوذا .

كان هدف يهوذا قريبا . وكان يعرف انه لن يلبث ان يسمع  
من بينه في الظلام همس الماء المتساقط يخفوت في المطارة .  
وهذا ما حدث : سمعه . وسرت في الجو بعض البرودة .  
اذاك ابدا الخطر ولادى بصوت خفيض :

- نيزا !

وانسلخ عن جذع الزيتون الضخم بدلا من نيزا طيف رجل  
قصير القامة عريض المنكبين وقفز الى وسط الطريق . ولسع  
شيء ما في يده وسرهان ما خيا .

ارتد يهوذا الى الخلف بعنف وصاح بصوت واهن :

- آه !

وسدّ رجل آخر عليه الطريق .

وسأل الرجل الذي كان أمامه :

- كم قبضت الآن ؟ قل اذا كنت تريد الابقاء على حياتك !

انبعث بصيحه امل في قلب يهوذا فصاح في ياس :

- ثلاثون تيراادواخا ! ثلاثون تيراادواخا ! كل ما

استلمته معي هنا . هاهي ذي النقود . خذوها لكن هبوني  
الحياة .

وفي لحظة خطف الرجل الذي في الامام كيس النقود من يدي  
يهوذا وفي اللحظة عينها لمعت وراء ظهر يهوذا سكين كالبرق  
وهوت تحت لوح عظم العاشق . اتلف يهوذا الى الامام مطوئا  
يديه باصابعهما المتقلصة في الهواء . ولقنى الرجل الاملسي  
يهوذا بسكينه وخرزها حتى ملبسها في قلب يهوذا .

- نيب . . . زا . . . - اتتم يهوذا بصوت ليس صوته

العالي الصافي المألوف . بل بصوت خفيض لائم . ولم يصدر عنه  
بعد هذا أي صوت . فقد هوى جسده بعنف ارتجت له الارض .

الآنك ظهر على الطريق شخص ثالث . وكان هذا الشخص يرتدي برودة ذات قلنسوة .

- لا تتلصق . - امرهما الشخص الثالث . وضع القاتلان حافظة النقود مع التخاصة التي اعطاها ايّاهما الشخص الثالث ضمن قطعة جلد ولقأها بخيط . ثم دس الشخص الثاني الصرّة في عيبه وانطلق القاتلان يفتادوان الطريق باتجاهين مختلفين . وسرعان ما ابتلعتهما الظلمة بين اشجار الزيتون . أمّا الشخص الثالث فقد جلس الفرصاء قرب القليل وألقى نظرة على وجهه . وفي الظل بدا الوجه ابيض كالحوار وذا جمال ملهم . وخلال ثوان خلا الطريق من أي حي . كان الجسم الهامد الأتفاس ينطرح على الأرض مبسوط اليدين ويطن قدمه اليسرى يلقح في رقعة مقبرة بحيث كان كل سير من سيور صندله يرى بوضوح .

في هذا الوقت كان بستان الزيتون يصيح ككسه بتفريد العنادل . ولا يعرف أحد المكان الذي اتجه اليه قاتلا يهودا . أما طريق الشخص الثالث ذي القلنسوة لمعروف . فقد العطف عن الطريق الى دغل من اشجار الزيتون متوجهاً الى الجنوب . تسلق سور البستان البعيد عن الباب الرئيسي وعند زاويته الجنوبية بالضبط حيث كانت حجارته العلوية تتساقط . وما لبث ان صار على ضفة قدرون . فغاص في الماء وغاض فيه قليلاً . الى ان رأى على بعد منه طيفي حصانين وهيئة بشرية الى جانبهما . كان الحصانان يقفان هما ايضاً في مجرى النهر . وكان الماء يتدفق ويغسل حوافرهما . امتطى ماسك الخيل أحد الحصانين . وثب الرجل ذو القلنسوة الى ظهر الثاني . ومضيا هويتا في مجرى الماء . وكانت خشخشة الحصى تسمع تحت حوافر الحصانين . ثم خرج الفارسان من الماء الى الضفة الأورشليمية وساروا بخطوات وثيدة بسحاذاة سور المدينة . وهنا افترق الرجلان . عدا ماسك الخيل الى الأمام وتوارى عن الأنظار . في حين أوقف الرجل ذو القلنسوة حصانه . وترجل عنه في الطريق العالية . ونزع برودته وقلبها على لقأها وأخرج من تحتها حوذة مطلطة دون ريش ولبسها . وثب الآن الى ظهر الحصان شخص في لباس عسكري يتنقل سيف قصير على وركه . شد الفارس زمام الجواد الجموح فانطلق هذا خبيباً يعض فارسه فوق ظهره خضاً . ولسم بعد

الطريق الآن طويلاً ، فقد اقترب الفارس من بوابة اورشليم الجنوبية .

كان نور المشاعل الللق يتسراقص ويتواهب تحت قوس البوابة . وكان جنود الحراسة التابعون للحملة الثانية من فرج الصاعقة يجلسون على مقاعد حجرية يلعبون بالكعب . وما ان راوا العسكري القادم حتى هبوا واقلين فلوّح لهم العسكري بيده ودخل المدينة .

كانت المدينة مفعورة بالوزار العيد ، وكانت شعلات الصاييح تتارجح في كل النوافذ ، وكانت الصاييح تتردد من كل مكان ذائبة في جوق واحدة غير متناسقة . وكان بإمكان الفارس وهو يتطلع أحياناً الى النوافذ المطلّة على الطريق أن يرى الناس جالسين الى مائدة العيد وقد وضع عليها لحم العازر وكزوس للخمرة بين أطباقٍ بأعشاب مرّة . كان الفارس يجتاز في خيب غير عجل شوارع المدينة السفل الغالية الى قلعة انطونيو وهو يصغر الخيبة هادئة ويرنو من أن لاخر الى الضمعدانين ذواتي الانوار الخمس التي ليس لها مثيل في العالم والتي استغر لهيبتها فوق الهيكل ، او الى القمر المعلق اعلى من الضمعدانين .

لم يكن قصر هيرودس العظيم يشارك اقل مشاركة في احتفالات ليلة الصبح . كانت الأنوار مضادة في غرف القصر الاضافية المطلّة على الجنوب حيث استغر ضباط الكتيبة الرومانية وقائد الفوج . هنا كنت تشعر ببعض الحركة والحياة . اما القسم الامامي من القصر حيث كان ساكن القصر الأسير والوحيد الحاكم . فهذا كله ، بأعمدته وتماثيله الذهبية ، كانا عمى تحت ضوء القمر الذي كان في أوج سطوعه . هنا داخل القصر كان الظلام والصمت يسودان . ولم يكن الحاكم ، كما قال لافراني ، يرغب في الدخول الى هناك ، الى الداخل . امر بأعداد سرير له على الشرفة ، في نفس المكان الذي تناول فيه غداءه وأجرى فيه التحقيق صباحاً . استلقى الحاكم على المشكا الذي اعد له . لكن النوم لم يرغب في القدوم اليه . كان القمر المكشوف يتدلى عالياً في السماء الصافية . ومكث الحاكم ساعات لا يرفع طرفه عنه .

في منتصف الليل تقريباً أشفق النوم على الوالي أخيراً .

تتأهب في تشنّج ، ثم فك أزرار بردائه وخلعها ونزع السير ذا  
السكين الفولاذية العريضة المصمّدة المشدود الى قميصه ووضعها  
على الأريكة قرب المتكا وخلع صندله وتمدّد . وعمل القدر ارتقى  
بنفا سريره وتمدّد الى جانبه واضعاً رأسه الى جانب رأسه .  
والمنض الحاكم عينيه أخيراً بعد أن وضع يده على رقبة الكلب .  
إذاك فقط لفأ الكلب أيضاً .

كان المتكا غارقاً في نصف عملة . وقد حجبها أحد الأعمدة  
عن القمر . إنما كان يمتد من درجات الشرفة الى الحرير شريط  
قصري . وما إن فقد الحاكم صلته بما يوجد حوله في الواقع ،  
حتى تحرك في الطريق الحنير وعطى فيه صاعداً الى القمر مباشرة .  
بل انه الفجر ضاحكاً في تومه من السعادة لشدة ما كان كل شيء  
رائعاً وفريداً في الطريق الأزرق الشفاف . كان يضفي برفقة بنتا  
والى جانبهما الفيلسوف المتشرد وكانا يتناقشان في أمر ما بالغ  
التعقيد والأهمية . على أن أحداً منهما لم يكن في وسعه التغلب  
على الآخر في هذا النقاش . لم يكونا يتفقان على شيء . ولهذا كان  
حديثهما شيئاً يوجه خاص لا ينضب معيته . وبطبيعة الحال بدأ  
حكم الموت الذي نفضت اليوم سوء فهم خالصاً . فهاموا ذا الفيلسوف  
الذي اختلق شيئاً على هذا القدر من الخرق كقولك ان كل الناس  
طيبون يسير الى جانبه وهذا يعني انه حي . وبالطبع سيكون  
أمراً عظيماً جداً حتى مجرد التفكير انه بالإمكان قتل رجل كهذا .  
لم ينفذ أي حكم بالموت الا . لم ينفذ ا هاكم سرّ روعة هذه  
الرحلة صعوداً على سلم القمر .

كان لديه من وقت الفراغ قدر ما يحتاج . والعاصفة لن  
تهب الا عند المساء والجبين واحدة من أظلم النقائص دون  
شك . هكذا قال يشوع الفأ توصري . لا أيها الفيلسوف . اني  
اعترض : الجبن أظلم تقيصة .

هناك على سبيل المثال حاكم اليهودية حالياً . وقائد الفرقة  
سابقاً . فهو لم يجين إذاك في وادي العطارى حين كاد الجرمانيون  
المسعودون يمزقون قائل الجرذان الجبار . لكن عفوك أيها  
الفيلسوف ! احققاً بإمكانك الافتراض . وانت ما عليه من ذكاء .  
ان حاكم اليهودية مستعد ان يلغى على مركزه ومستقبله بسبب  
شخص أجرم في حق القيصر ؟



- نعم ، نعم ، - كان بيلاطس يشن وينسج في نومه .  
مستعد ، لا شك في ذلك . في صباح هذا اليوم لما يكن  
مستعداً . أمّا الآن ليلاً ، بعد أن زان كسل شيء وولاه .  
تستعد أن يقضي عليهما . سيقدم على أي شيء . كي ينقذ  
من الموت طبيياً وحالاً مجنوناً لم يأت أي ذنب !

- من الآن ستكون معاً على الدوام . - قال له في نومه  
الفيلسوف المشرد الممزق الثياب الذي لا يدري أحد كيف  
اعترض سبيل الفارس ذي الرمح الذهبي . - حيث الواحد لا يد  
أن يكون الآخر ! ما إن يذكروني حتى يذكروك ، أنا اللقيط  
المجهول النسب وانت ابن الملك المنجم وابنة الطحان الحسان  
بيلا .

واخذ بيلاطس يرجوه في الحلم :

- وانت لا تنسني ، بل اذكرني أنا ابن المنجم .  
واذ ضمن بيلاطس لنفسه ايمانه موافقة من اليانس المسافر  
معه الذي من انصارية . اخذ حاكم اليهودية الظالم يبكي وبضحك  
في نومه من فرحة .

كان هذا كله شيئاً جميلاً . الأمر الذي جعل استيقاظ الوالي  
اكثر سوءاً . زجر ينفا على القصر ، فغار الطريق الأزرق المتزلق  
كأنه مدحول بزيادة أمام الوالي . فتح هذا عينيه وكان أول ما  
ذكره أن تنفيذ حكم الموت قد تم . وكان أول ما فعله الوالي  
انه تشبث بحركة مألوفة منه بطوق ينفا . ثم اخذ يبحث بعينين  
مريضتين عن القصر فرأى انه حال قليلاً واكتسى لبالسة من  
الغصة . ونوره يسالط ضوءاً مزعجاً قلقاً مترالصاً أمام عينيه  
على الشرفة . كان في يد قائد المائة قاتل الجرذان مشعل متاجج  
ومسغتم . وكان حامله يرمق بغوف وحقق الوحش الخطر المتحيز  
للاقتضاض .

- لا تمسه ياينفا - قال الحاكم بصوت مريض وسهل ثم  
أردف وهو يحس وجهه من اللهب بيده : - وحتى في المساء وفي  
ظوه القصر لا أجد الراحة . اينها الآلهة ! ووظيفتك انت أيضاً  
كريمة يامارك فانت تشوه الجنود . . .

كان مارك يحدق في الحاكم في دهشة عظيمة . فتاب هذا الى

رشده . وقال كي يحمر اثر الكلمات الغارقة التي صدرت عنه  
بتأثير العلم :

- لا تزعل يا قائد المائة ، اعود فاقول ان موقفي اسوأ .  
ماذا تريد ؟

- قدم اليكم قائد الحرس السري . - قال مارك يهدوء .  
- ادعه ، ادعه . - امر الحاكم وهو ينظف حلقه بسعلة .  
واخذ يتلمس صندوقه بقميصه الحافيتين . تراص الذهب على  
الاعمدة وصل كعب قائد المائة على الفسيفساء . وخرج الى  
الحديقة .

- حتى في ضوء القمر لا اجد الراحة . - قال الحاكم لنفسه  
وهو يصر اسنانه .

وظهر على الشرفة مكان قائد المائة وجل يرتدي قلنسوة .  
- لا تسنه يا بنغا - قال الحاكم بصوت خافت وشد على  
فم الكلب .

وقبل ان يبدأ أفراخي كلامه التلت حوله كعادته وانسحب  
الى الظل ثم قال بصوت خافت بعد ان تأكد ان لا غريب على  
الشرفة سوى بنغا :

- ارجو لتديسي الى المحاكمة ايها الحاكم . لقد كنت على  
حق . فانا لم استطع حماية يهودا الذي من قيربانا . فقد قتل  
طعنا بالسكاكين . ارجو لتديسي الى المحاكمة وقبول استقالتي .  
بدا لأفراخي ان أربع عيون تنطلع اليه : عينا كلب وعينا  
فأب .

وأخرج أفراخي كيس نفود متحرفاً من الدم المتخثر ومهزواً  
بختمين من تحت قميصه .

- هذا هو الكيس الذي رماه القنلة بما فيه من نفود في  
بيت يدريس الكهنة خلصة . والدم الذي على هذا الكيس هو دم  
يهودا من قيربانا .

- طريف ، كم فيه ياترى ؟ - سأل بيلاطس وهو ينحني  
نحو الكيس .

- ثلاثون ثيرانداخما .  
لاحت على وجه الحاكم ابتسامة ساخرة وقال :  
- قليل .

لزم افرائي الصمت .

- اين القتييل ؟

- هذا ما لا اعرفه . - اجاب الرجل الذي لا يفارق قلنسوته  
ابداً بوقار هادئ . - اليوم صباحاً نبدا البحث .  
ارتعد الحاكم وترك شريط سنده الذي تآبى على الربط باي  
شكل من الاشكال .

- لكنك تعرف بالتأكيد انه قتل ؟

وتلقى الحاكم الجواب القاسي التالي على سؤاله هذا :  
- اني اعلم في اليهودية من خمس عشرة سنة ايها الحاكم .  
بدأت عملي في عهد فاليريوس نراتوس . وليس من الضروري  
ان ارى الجنة حتى اتقول ان صاحبها قتل . وما انا ذا الخول لك  
ان من كان يدعى يهوذا الذي من مدينة قيريافا قتل طعناً بالسكين  
من ساعات .

- اعلموني يا افرائي . - قال بيلاطس . - فانا لم استيقظ  
من نومي كما يجب ولهذا قلت ما قلت . نومي سيء . - وهنا  
ابنسم الحاكم ابتسامة ساخرة . - وارى دائماً في نومي شعاع  
القر . تصور كم هذا مضحك . كاني اتفزه في هذا الشعاع .  
وهكذا يودي ان اعرف تخميناتك في هذه القضية . اين تستعد  
للبحث عنه ؟ اجلس . يا وليس الجهاز السري .

اتحنى افرائي ودفع الأريكة الى مقربة من السرير وجلس  
مصلصلاً بسيفه .

- استعد للبحث عنه على مقربة من معصرة الزيتون التي  
في بستان الجسمانية .

- حسن ، حسن . ولماذا هناك بالذات ؟

- في تصوري ايها الوالي ان يهوذا لم يقتل في اورشليم  
نفسها . ولا في مكان بعيد عنها ، بل قتل في ضاحيتها .  
- اني اعتبرك واحداً من أبرز خبراء مهنتك . لا اعرف على  
اي حال كيف الحال في روما . اما في مستعمراتها فلا تد لك .  
افصح . ما سبب تصورك هذا ؟

وقال افرائي بصوت خافت :

- لا استطيع ان افترض في اي حال من الاحوال ان يكون  
يهوذا قد وقع في ايدي اشخاص مشبهين داخل تخوم المدينة !

ففي الشارع لا يمكن القتل خفية . اذا كان يجب استدرجه الى  
قبو ما . لكن رجالي بحثوا عنه في المدينة السفل كلها . وكان  
من المفروض ان يجده لسو كان موجوداً هناك . لكنه ليس  
موجوداً في المدينة وهذا امر استطيع ان اؤكد لك  
سحته . ولو قتل بعيداً عن المدينة . لما كان لهذه الرزمة من  
النقود ان تلقى في قصر رئيس الكهنة بمثل هذه السرعة . لقد  
قتل على مقربة من المدينة . وقد استطاع الذين قتلوه استدرجه  
الى هناك .

- لست ادرك كيف تمكنوا من ذلك .

- نعم . ايها الحاكم . انها اصعب مسألة في القضية كلها .  
حتى اني لا اعرف ان كنت سأوفق في حلها .

- شيء ملفت فعلاً ! انسان مؤمن يفاضر في ليلة العيد الى  
خارج المدينة لسبب مجهول متخليساً عن مائدة الفصح ويقتل  
هناك . من الذي استطاع ان يفريه وكيف اغراه ؟ ألم تفعل هذا  
امرأة ؟ - سأل الحاكم فجأة كمن اشرق عليه الهام .

واجاب اغرائي يهدوء والزان :

- ايها الحاكم . هذه الامكانية غير واردة اطلاقاً .

علينا ان نذكر تفكيراً منطقياً . من له مصلحة في قتل يهوذا ؟

حاليون متشردون . حلقة مما لم يكن فيهم او فيها اي نساء

اصلاً . كي يتزوج الانسان . ايها الحاكم . تلزمه نقود . وكي

ينجب تلزمه ايضاً نقود . ولكن كي يذبح شخص ما شخصاً آخر

بمساعدة امرأة تلزمه كمية ضخمة من النقود . ومثل هذه النقود

لا يمتلكها اي متشردين . ليس للمرأة ضلع في هذه القضية

ايها الحاكم . بل اقول اكثر من هذا : ان تفسيراً كهذا للجريمة

لا يمكن ان يساعد الا في طمس آثارها واماقة التحقيق وارباكها .

- ارى انك على حق تماماً يا اغرائي . - قال بيلاطس . -

وانا لم اسمح لنفسي الا باهداء رأيي .

- وهو رأي خاطئ للأسف . ايها الحاكم .

- ما العمل . ما العمل إذن ؟ - هتف الحاكم وهو يتحدث

في وجه اغرائي بضول شديد .

- اعتقد ان المسألة مسألة النقود ايهاها .

- فكرة رائعة ! لكن من الذي كان يمكنه ان يعرض عليه النقود مساء خارج المدينة ، ومقابل أي شيء ؟  
- آه ، لا ايها الحاكم ، الامر ليس على هذا النحو . لدي فرضية واحدة ، واذا ثبت بطلانها ، فقد أعجز عن ايجاد أي تفسير آخر ، - والحنى افرائي مقترباً من الحاكم اكثر ، وحسب يقول له : - اراد يهوذا ان يخبرني ، نقوده في مكان معزول لا يعرفه احد سواء .

- تفسير ذكي جداً . هكذا جرى الامر على ما يبدو . الآن فهمتك : لم يخبره أشخاص ، بل افكاره هي التي أخبرته . نعم ، نعم ، هكذا كان .

- نعم ، هكذا . كان يهوذا شكوكاً ، وكان يريد اخفاء نقوده عن أعين الناس .

- نعم ، قلت اذن في الجسمانية . اما لماذا تنوي البحث عنه هناك بالذات فامر اعترف اني لا افهمه .

- آه ، ايها الحاكم ، هذا ايسر مما في الامر . لا احد يخبرني ، نقوده على قارعة الطريق في مكان مكتشوف وخاو ، ويهوذا لم يكن على طريق حروف ولا على طريق فيبانيا . من المفروض اذا أنه كان في مكان محمي معزول ومشجر . هذا في منتهى البساطة . وبما أنه لا يوجد في ضواحي اورشليم مكان كهذا الا الجسمانية ، فهو لم يبتعد عن اورشليم كثيراً .

- انتعشتي تماماً . وما العمل الآن ؟

- سأبدأ في البحث فوراً عن القثلة الذين تعقبوا يهوذا الى خارج المدينة ، ثم اسلمت نلسي بعد ذلك الى المحكمة ، كما ابلغتك .

- لماذا ؟

- لقد فاجب عن أعين حرس في السوق مساء بعد خروجه من قصر فيافا . لست اذكر كيف حصل هذا ، ففي حياتي كلها لم يعرّ بي شيء كهذا . لقد وضع تحت المراقبة فور انتهاء حديثنا . لكنه في منطقة السوق انتقل الى مكان ما وقام بحركة تحلقت قريبة بحيث اختفى اثره .

- حسن . لكنني أعلن لك اني لا ارى ما يدعو الى تقديمك الى المحاكمة . فانت فعلت ما في استطاعتك ، ولا احد على هذه

الأرض . - وهنا لاحظ اهتمامه على وجه الحاكم . - يوسع أن يفعل أكثر مما فعلت . عاقب المخبرين الذين أضاعوا يهودا . لكنني احذرك مع هذا : لا أريد أن يكون العقاب قاسياً على الأطلاق . فنحن ، أخيراً ، فعلنا كل شيء لرعاية هذا اللثيم ا

1 . نسيت أن أسألك . - قال الحاكم وهو يمسح جبينه . - كيف تمكتوا من رمي النقود في قصر قيافا ؟

- كما ترى أيها الحاكم . . . الأمر ليس معقداً بشكل خاص . لقد غير المنتقمون إلى مؤخرة قصر قيافا حيث الزقاق يشرف على الفناء الخلفي ورموا النقود عبر السور .

- مع القصاص ؟

- تماماً كما افترضت أيها الحاكم . وبالمناسبة ، - هنا نزع المراني الختم عن الرزمة وأرى بيلاطس محتواها .

- العلو . ماذا تفعل يا مراني ، لا بد أن الاختام اختام

الهيكل ا

- ليس على الحاكم أن يشغل فكره بهذه المسألة . - اجاب المراني وهو يطوي الرزمة .

- انكون كل الاختام منك ؟ - سأل بيلاطس وهو يتلجر ضاحكاً .

- هذا هو الاحتمال الوحيد الممكن . ولا آخر سواء . - اجاب المراني بصوت قاس لا اثر للضحك فيه .

- انصوب ما حدث عند قيافا .

- نعم . أيها الوالي . لقد اتار هذا اضطراباً كبيراً . وقد استدعيت اليهم على الفور .

حتى في نصف العتمة السخيمة كان يرى كيف كانت عينسا بيلاطس تيرقان .

- هذا طريف . طريف . . .

- أجرؤ على الاعتراض فأقول أيها الوالي ان هذا لم يكن على شيء من الطرافة . بل انها قضية متعبة ومملة ان أقصى الحدود . عندما سألتهم ان لم يندفع لأحد في قصر قيافا مال ، قبل لي بشكل قاطع ان هذا لم يحدث .

- هكذا اذا ؟ اذا لم يندفع لأحد منهم مال فبعناه انه لم يندفع . وهذا ما يزيد في صعوبة القبض على القتل .

- صحيح تماماً ما تقوله أيها الوالي .
- إي المراني ، سأقضي لك بفكرة راودتني الآن فجأة :
- الآ يكون يهودا هذا قد انتحر ؟
- آه ، لا أيها الحاكم ، - اجاب المراني وهو يتراجع في كرسية الى الوراء من فرط الدهشة ، - العفو ، لكن هذا امر غير محتمل على الاطلاق !
- آه ، في هذه المدينة كل شيء محتمل ! واني لمستعد على المراجعة بأن اشاعات من هذا القبيل منتشرة في المدينة كلها في وقت جد قصير .
- هنا رشق المراني الحاكم بنظراته وفكر قليلاً واجاب :
- هذا ممكن أيها الحاكم .
- لكن الحاكم ، فيما بدا ، لم يكن يستطيع التغلبي عن مسألة مقتل هذا الشخص من قيريافا ، مع أن كل شيء صار واضحاً ، فسأل بلهجة من يعلم :
- وددت لو رأيت كيف قتلوه .
- قتل بمهارة فائقة ، أيها الوالي ، - اجاب المراني ، وهو يلقى على الحاكم نظرة مشوبة ببعض السخرية .
- من أين لك أن تعرف هذا ؟
- تفضل والى نظرة على الكيس أيها الحاكم ، - اجابه المراني ، - اؤكد لك أن دم يهودا تدفق كالتيار ، لقد نهيا لي أن أرى قتل في حياتي أيها الحاكم !
- لن يتنهض اذا بطبيعة الحال ؟
- لا أيها الحاكم ، سينهض ، - اجاب المراني وهو يتسم ابتسامة فلسفية ، - عندما يفتح فواله بوق المسيح الذي ينتظره الجميع هنا ، أما قبل هذا فلن يتنهض !
- كلني يا المراني ، هذه المسألة بالث واضحة ، فلننتقل الآن الى الدفن .
- لقد دفن الصلوبون ، أيها الحاكم .
- آه يا المراني ، تقديمك الى المحاكمة جريمة ، فانت جدير باسم المكافات ، كيف تمّ الدفن ؟
- وشرح المراني يروي للحاكم فقال انه في الوقت الذي كان يهتم هو شخصياً بفضيحة يهودا ، بلغت وحدة الحرس السري

بقيادة مساعده التلة حين حلّ المساء . فلم تعثر على احدى الجثث  
على قماتها .

ارتعد بيلاطس وقال بصوت اجش :

- آه . كيف لم افطن لهذا ؟

- لا يستاهل هذا قلقك ايها الحاكم . - قال افراني وتابع  
روايته . - رفع رجال الوحدة جثتي ديسماس وهيستاس اللتين  
قاتت الطيور الجارحة عيونهما والاندعوا من فورهم يبحثون عن  
الجثة الثالثة . وسرعان ما وجدوها . احدهم . . .  
- متى اللاوي . - قال بيلاطس بلهجة الحرب الى التاكيد  
منها الى التساؤل .

- نعم . ايها الحاكم . . .

كان متى اللاوي مشتتاً في مفارقة على السطح الشمالي من  
الجبل الاثري ينتظر اطياف الظلام . وكان معه جسد يشوع  
الغانوسري العاري . حين دخل رجال الحرس المغارة وهم يرفعون  
المشاعل . تملكك اللاوي ياس وحقق فاخذ يصرخ بأنه لم  
يقترف اي جريمة . وان لأي شخص الحق . حسب القانون . ان  
يدفن مجرماً نكته فيه الحكم اذا شاء . وقال متى اللاوي انه لا  
يريد الاقتران عن هذا الجسد . كان في نهاية الانفعال وكان يطلق  
كلاماً لا ترابط نفسه . يتوسل تارة . ويتوعدّ ويلعن تارة  
أخرى . . .

- وما كان منهم الا أن القوا القبض عليه ؟ - سأل  
بيلاطس في تعجب .

- لا . ايها الحاكم . لا . - اجاب افراني بلهجة مطمئنة  
تماماً . - لقد تمكنوا من تهدئة خاطر هذا المجنون الواقع بعد  
أن اوضحوا له أن الجثة ستدفن .

هذا اللاوي بعد أن استوعب ما قيل له . لكن اعلن انه  
لن يبرح مكانه . ويرغب في المشاركة في الدفن . قال انه لن  
يغادر حتى ولو اخلوا بدموحته . بل انه عرض عليهم سكنين خبز  
كان يحملها لهذا الغرض .

- وهل طردوه ؟ - سأل بيلاطس بصوت مشتتق .

- لا . ايها الحاكم . لا . لقد سمع له مساعدي بالمشاركة  
في الدفن .



- اي مساعدتك كان يشرف على العملية؟ - سال بيلاطس .  
- تولمائي . - اجاب افرائي واضاف في قلق : - السراء  
اقترف خطأ ؟

- تابع . - اجابه بيلاطس . - لم يحدث اي خطأ . بل  
على العموم أنا الذي بدأت اتخطئ يا افرائي . فانا ، كما يبدو ،  
اتعامل مع شخص لا يخطئ ابداً . وهذا الشخص هو انت .  
وضعوا مني اللابري مع الجثث الثلاث في حربة ، وخلال ساعتين  
بلغوا نجاً مطلقاً الى الشمال من اورشليم . وهناك عمل رجال  
الوحدة بالتناوب مدة ساعة على حفر حفرة عميقة ، دفنوا فيها  
المصلوبين الثلاثة .

- مجردين من الثياب ؟

- لا . ايها الحاكم ، فقد اخذت الوحدة معها قمصاناً لهذا  
الغرض . كما وضعت في اصابع المدفونين خواتم : بحزب واحد  
ليشوع ، وبحزبين لديمستاس وبثلاثة لهيستاس . وقد اخذت  
الحفرة وطمرت بالحجارة . وتولمائي يعرف العلامة المميزة .

- آه . لو كان بإمكانني ان اتوقع هذا ا - قال بيلاطس  
وهو يقطب جبينه . - كان يلزمني ان ارى مني اللابري  
هنا . . .

- انه هنا ، ايها الحاكم .

اتسعت حدقتا بيلاطس وتطلع الى وجه افرائي بعض الوقت  
ثم قال ما يلي :

- اشكرك على كل ما قمت به في هذه القضية وارجو ان  
تبعث الي بتولمائي غداً وان تعلمه مسبقاً اني راض عنه . اما  
انت يا افرائي ، - وهنا اخرج الحاكم من جيب زنتاره الملقى  
على الطاولة خاتماً وتاوله رئيس الحرس السري قائلاً : - فارجو  
ان تثقله مني للمذكرى .

انحنى افرائي وتمتم :

- انه لشرف عظيم لي . ايها الحاكم .

- ارجو ان تمنح الوحدة التي قامت بالدفن مكافآت . وان  
تسجل توبيخاً بحق المخبرين الذين تركوا يهودا بفلت من بين  
ايديهم . اما مني اللابري فالي به على الفور . فانا بحاجة الى  
تفاصيل في قضية يشوع .

- سمعاً ايها الحاكم . - ردّ افرائي واخذ يتراجع  
ويبتغي . اما الحاكم فصلى براحة وصاح :

- الى هنا ! لتديلاً الى رواق الأعمدة !

كان افرائي ينسحب الى الحديقة حين لاحظ في ايدي الخدم  
خلف ظهر بيلاطس الأنوار ، فاذا هي ثلاثة شمعدانات توضع  
على الطاولة امام الحاكم . فتراجع الليل المظلم الى الحديقة كأنما  
أخذه افرائي معه . وظهر على الشرفة بدلاً من افرائي شخص  
غريب . صغير ونحيل . الى جانب قائد المائة العليل . والنقط  
هذا نظرة الحاكم فتراجع الى الحديقة فوراً واختلس .

كان الحاكم يدرس الشخص القادم بعينين تهمتين يفشاهما  
قليل من الدهر . هكذا ينظر الانسان الى شخص سمع عنه كثيراً  
وفكر فيه . وما هو ذا يظهر امامه أخيراً .

كان القادم في نحو الأربعين من العمر أسود اللون ذا ثياب  
مزقة جنباً الوحل عليها . ينظر كالذئب شزواً . وباختصار كان  
كزيب المنظر . أقرب ما يكون الى شعالي المدينة الذين يتزاحم  
الكثيرون منهم على مدرجات الهيكل أو في أسواق القسم السفلي  
من المدينة . الصاخب والقذر .

استمر الصمت طويلاً . ولم يفرقه الا التصرف الغريب  
لهذا الساق الى بيلاطس . فقد تغير لون وجهه وترشح . ولو لم  
يتشبث بيده الوسغة بطرف الطاولة لهوى على الأرض .

- ماذا دهالك ؟ - سأل بيلاطس .

- لا شيء . - أجاب عن اللوي وقام بحركة من ابتلع  
شيئاً . فقد انتفخت رقبته التحيلة العارية الوسغة ثم تقلصت  
من جديد .

- ما الذي دهالك . اجب . - كرر بيلاطس .

- تعبان . - اجاب اللوي وتطلع الى الأرض في تجهم .

- اجلس . - قال بيلاطس وأشار الى الأريكة .

لقى اللوي على بيلاطس نظرة ارتياح . واتجه الى الأريكة  
ونظر بطرف عينه في دعر الى مساندها الذهبية وجلس . انما  
ليس على الأريكة بل على الأرض .

- قل لي . لماذا لم تجلس على الأريكة ؟ - سأل  
بيلاطس .

- اني ورسخ ، وسالونها ، - قال اللاوي وهو يحق في الأرض .

- سيدعون لك طعاماً الآن .

- لا اريد ان آكل ، - اجاب اللاوي .

- لماذا الكذب ؟ - سأله بيلاطس بصوت خافت ، - انت

لم تاكل طول النهار وربما اكثر . حسناً ، لا تاكل . اني استدعيتك لتريني السكين التي كانت معك .

- انتزعتها الجنود مني حين ادخلت هنا ، - اجاب اللاوي

واضاف في تهيم : - اعدما الي ، ينبغي ان اعيدها الي صاحبها ، فانا قد سرقها .

- لماذا ؟

- لافتح الحبال ، - اجاب اللاوي .

- مارك ا - صاح الحاكم ، فظهر قائد المائة تحت

الاعمدة ، - هات السكينة .

اخرج قائد المائة من احد جرابيه الحلقين على زئار

سكينة قنطرة لتطبخ الخبز وتاولها الحاكم وانسحب .

- متى اخذتها ؟

- محلّ لبيع الخبز عند بوابة طرف ، الى الشمال فور

دخولك المدينة .

تأمل بيلاطس لصلها العريض وتلمسه باصبعه ليري ما اذا

كان حاداً ، ثم قال :

- لا تعلق بشأن السكين ، ستتم اعادتها الي المحلّ . اما

الآن فيهمتي امر آخر : ارنى الوثيقة التي تحملها معك والتي

سجلت فيها كلمات يسوع .

رمق اللاوي بيلاطس بنظرة كراهية وابتسم ابتسامة تليظ

بالشر بحيث مسخت ملامح وجهه مسخاً .

- تريد ان تسلبني ايّاهما ؟ وهي آخر ما املك ؟

- لم اقل لك سلّمها لي ، - اجاب بيلاطس ، - بل قلت

ارنيها .

مدّ اللاوي يده خلف عنقه واخرج لفافة من ورق الرق .

تناولها بيلاطس وفضهها ونشرها بين الاضواء واخذ يدرس

العلامات العبرية القليلة الواضحة مضيئاً عينيه . كان بيلاطس

يشعر بصعوبة في فهم هذه السطور الملثوية فكان يزرّ وينحني  
إلى ورق الرق ويمرّ بيده على السطور . ونجح أخيراً في تبيين  
إن الكتابة عبارة عن حلقة غير متراصة من اقوال مانورة ومن  
تواريخ وملاحظات حول الحياة اليومية ومقتطفات شعرية . وقرا  
بيلاطس شيئاً : «لا وجود للسموت . . . الباحة اكلفنا بواكير  
الربيع اللذيذة . . .»

كان بيلاطس يصر عينيه مكثراً من نوتره وكان يقرا :  
«سنرى نهر مياه الحياة الصافي . . . سننظر البشرية إلى الشمس  
من خلال بلنور شفاف . . .»

وعندما ارتعش بيلاطس . فقد فك في السطور الأخيرة من  
الرق الكلمات التالية : «لا تليصه أكبر من الجبن» .

طوى بيلاطس الرق . وتاوله اللاوي بحركة عنيفة .

- غدا . - قال . وأردف بعد صمت قصير : - إنك محب  
للكتب كما أرى ولا معنى أن تكون . أنت الوحيد . في تياب  
رثة تهيم دون ملجأ . عندي في قيصرية مكتبة كبيرة . وأنا على  
درجة كبيرة من الغنى وأريدك أن تعمل عندي . سننظم أوراق  
البردي وتحفظها . وسوف تشجع وتكتسى .

نهض اللاوي وأجاب :

- لا . لا أريد .

- لماذا . - سأله الحاكم وقد اكفهر وجهه . - إلا  
سنلظني . أم تراك تخافني ؟

شوحت الابتسامة التي لفيض بالشرب وجه اللاوي وقال :

- لا . بل لأنك أنت ستخافني . فلن يسهل عليك بالحركة  
أن تنظر في وجهي بعد أن قتلته .

- أخرس . - أجابه بيلاطس . - غدا نقوداً .

هز اللاوي رأسه بالرفض بينما تابع الحاكم كلامه :

- اعرف أنك تحسب نفسك تلميذاً ليشوع . لكنني أقول  
لك أنك لم تفقه شيئاً مما عليك . إذ لو كان الأمر كذلك .  
لأخفت مني شيئاً ما بالتأكيد . واعلم أنه قال قبل موته أنه لا  
يتم أحداً . - هنا رفع بيلاطس أصبعه في حركة معبّرة . وكان  
وجه بيلاطس يخلج . - ولكن هو نفسه أخذ أي شيء حتماً

انت قاسي القلب ، اما ذاك فلم يكن قاسياً ، ال أين تنوي الذهاب ؟

اقترب اللاوي من الطاولة فجاء واستند اليها بكلتا يديه وحس للحاكم وهو يحدق فيه بعينين مشتعلتين :

- اعلم ايها الزوالي اني لا يتد ساقتل شخصاً في اورشليم .

وبودي ان اقول لك هذا كي تعلم ان اراثة الدماء لن تتوقف .

- انا ايضاً اعرف انها لن تتوقف ، - اجابه بيلاطس ، -

وكلماتك هذه لم تدعشنني . انت تريد ان تقتلني طبعاً ؟

- لن اقلح في قتلك ، - اجاب اللاوي مكثراً ثم مبتسماً .

- لست على هذه الدرجة من الغباء كي امنيّ النفس بذلك .

لكنني ساقتل يهوذا الذي من قيريافا ، وساكرس لهذه القضية ما

تبقئ من حياتي .

هنا بدت الغبطة في عيني الحاكم ، فاوام الى متى اللاوي

باسمعه ان يدور منه وقال :

- لن تفلح في هذا ، فلا تشغل بالك بهذا الامر . لقد قتل

يهوذا هذه الليلة .

وثب اللاوي متراجماً عن الطاولة وهو يتلفت حوله بوحشية

وصاح :

- من الذي فعل هذا ؟

- لا تكن غيبوراً ، - اجاب بيلاطس وهو يكثر وفرك

يده ، - اخشى ان يكون له مؤيدون غيرك .

- من الذي فعل هذا ؟ - كرر اللاوي في همس ، واجابه

بيلاطس :

- انا الذي فعلت هذا .

فغر اللاوي فاه ، ورسم الحاكم بنظرة وحشية ، فقال هذا :

- ما فعل قليل بالطبع ، ومع هذا فانا الذي فعلته -

واضاف : - والآن هل ستأخذ شيئاً ؟

فكر اللاوي قليلاً ، واخذت قنانه تلين ، ثم قال اخيراً :

- مني لي بقطعة من الرق الصافي :

ومرت ساعة من الزمن ، بعدها لم يكن اللاوي في قصر

الآن لم يكن يفرق صوت المسحر الا وقع خطوات الحرس

الخافت في الحديقة ، كان القمر قد بهت بسرعة ، وكانت ترى

على الطرف الآخر من السماء نقطة مائلة الى اليباض هي نجمة  
الصبح . كانت القناديل قد انطفأت منذ فترة طويلة طويلة .  
وكان الحاكم مستلقياً على متنكته ، واضعاً يده تحت خده يغط  
في نوم لا يسمع معه صوت نفسه . والى جانبه ينام بنغا .  
هكذا استقبل فجر الخامس عشر من نيسان حاكم اليهودية  
الغاس بيلاطس البنطي .

## الفصل السابع والعشرون

### نهاية الشقة رقم ٥٠

حين بلغت مرغريتا آخر كلمات الفصل « . . . هكذا استقبل  
فجر الخامس عشر من نيسان حاكم اليهودية الغاس بيلاطس  
البنطي » اطلّ الصباح .

كانت تسمع في فناء البيت اصوات العصافير وهي تدير بين  
القصان الخلاف واليزفون حديثها الصباحي المرح والصاحب .  
نهضت مرغريتا من أريكتها وتمطت . ولم تشعر الا الآن كم  
كان جسدها محطماً وكم كان بوجها أن تنام . ومن الجديس  
بالملاحظة هنا ان نفس مرغريتا كانت مطمئنة ككل الاطمئنان .  
فانكارها لم تكن مشوشة ولم يكن يروعها بتاتا انها اطمئت  
الليل على نحو خارق للطبيعة . ولم تكن ذكرياتها عن الليلة  
التي قضتها في ضيافة الشيطان . ولا عن عودة المعلم اليها  
بمعجزة لا تدري كنهها . ولا عن انبعاث الرواية من الرماد . ولا  
عن وجودها من جديد في مكانها السابق من القبو في الزقاق  
والتي طرد منه الواشي الويزي مولفارتش تبعث في نفسها  
الاضطراب . وباعتصار لم يسبب لها تعرفها بفولند اي ضرر  
نفس . كان كل شيء كما لو ان هذا ما كان يجب أن يكون .  
قضت مرغريتا الى الغرفة المجاورة وتيفت من ان المعلم ينام  
لوماً عميقاً وهادئاً واطقات مصباح الطاولة غير اللازم وتمددت  
عند الحائط المقابل على دهبان صغير مغطى بملاعة قديمة  
مزقة . وبعد دقيقة كانت تغط في النوم . ولم تر أي أحلام في

ذاك الصباح . كانت الغرف في القبر صامتة ، وكانت شمسق  
البنابة الأخرى كلها صامتة ، وكان الهدوء على الزقاق المقطع  
مغيباً .

أنا في هذا الوقت ، أي فجر السبت ، لم يعرف طابق كامل  
في إحدى المؤسسات الموسكوفية طعم النوم . كانت نواظف  
المطلة على ساحة كبيرة مفرشة بالأسفلت ، تقطعها جبهة  
وذهاباً سيارات خاصة تنقلها بمكانتها ببطء وازين ،  
تندلق بانوار تخترق نور الشمس الطالعة .

كان الطابق كله مشغولاً بالتحقيق في قضية فولند ،  
وظلت الصايح مضادة في مكاتبه العشرة طوال الليل .

وتحديداً ، كانت القضية قد انضحت من يوم أمس ، من  
يوم الجمعة ، حين ترتب الحساق مسرح «فارييتيه» اثر اختفاء  
ادلرته وقلب مختلف القبايح التي حدثت مساء أثناء حفلة السمر  
الشيطناني الشهيرة . أما القضية هنا انه ظلت ترد الى الطابق  
الساهر طوال الليل ودون توقف معلومات جديدة .

والآن كان على هيئة التحقيق في هذه القضية الغريبة التي  
تفوح منها رائحة شيطانية ظاهرة مزوجة بغزبهلات تنويهم  
مفناطيسي ويجرائم جنائية واضحة تماماً ان تربط بين كل هذه  
الأحداث المتنوعة والمعقدة التي جرت في أماكن متفرقة من  
موسكو في كتلة واحدة .

وكان أركادي أبولونوفتش سيمبلياروف رئيس لجنة  
السميات أول من ترتب عليه الحضور الى الطابق يقف الساهر  
المشعشع بالكهرباء .

ففي يوم الجمعة بعد الغداء رن في شقته الكائنة في بنابة  
قرب جسر كامنتي جرس الهاتف ، وطلب صوت رجالي التحدث  
الى أركادي أبولونوفتش . اجابت زوجة أركادي أبولونوفتش  
التي تناولت السماعة بنهم ان أركادي أبولونوفتش منحرف  
الصحة ، وانه استلقى ليرقد قليلاً ولا يستطيع الوصول الى  
الهاتف . الا ان أركادي أبولونوفتش اضطر مع هذا الى المجيء  
الى الهاتف . اذ اجاب الصوت الذي في الهاتف ، رداً على سؤال  
الزوجة عن المكان الذي يطلب منه أركادي أبولونوفتش . فذكر  
باختصار مصدر المخابرة .

- ثانية . . . على الفور . . . دقيقة . . . - تمثت زوجة  
وليس قسم السمعيات المعروفة بمعرفتها ، وانطلقت كالسهم  
الى مخدمها تنهض اركادي ابولونوفتش من المضجع الذي كان  
متهدداً عليه وهو يعاني عذابات جنسية من تذكره حلقة الأمس  
وقضيحة الليل التي راقت طرد ابنة اخيه الساراتوفية مسن  
الثقة .

والحقيقة ان اركادي ابولونوفتش صار قرب الهاتف ، وهو  
يلفّ واحد في رجله اليسرى ويلايمسه الداخلية ، لا في ثانية ولا  
حتى في دقيقة بل في ربع دقيقة وتمتم فيه :  
- نعم ، هذا الأ . . . سامع ، سامع . . .

كانت زوجته التي نسبت خلال هذه اللحظات كل الجرائم  
البشعة المتلبس فيها اركادي ابولونوفتش المسكين ضد  
الاخلاص الزوجي تمدّ وجهها المنعور من باب المرآة وتلوح  
بالخف الآخر في الهواء وتهمس :

- اليس الخف ، الخف . . . ستصاب رجلك بالبرد . . .  
- بينما كان يعضم في الهاتف وهو يشيح عنها برجله الحافية  
ويرميها بنظرات وحشية :

- نعم ، نعم ، نعم ، كيف لا ، فاهم . . . خارج حالا .  
قضى اركادي ابولونوفتش المساء كله في ذاك الطابق عينه  
الذي يجري فيه التحقيق ، كان الحديث ثقيلًا ، بل كان الحديث  
من اكراه ما يكون ، ذلك انه اضطر الى التحدث بصراحة كاملة لا  
عن هذه الحلقة البشعة ولا عن الخصام في لوج المسرح وحسب ،  
وانما ، وبطريق العرض ، عن كل ما كان ضرورياً بالفعل : عن  
ميليسا اندييلنا بوكوباتكو التي في شارع ايلوخوفسكايا ، وعن  
ابنة اخيه التي من ساراتوف ، وعن اشياء اخرى كثيرة كان  
الحديث فيها بسبب لاركادي ابولونوفتش ألا ما لا توصف .

ومن البدهي ان شهادة اركادي ابولونوفتش الانسان  
المنحصر والمتقف الذي شهد الحلقة البشعة والذي وصف على  
نحو رائع ، بوصفه شاهداً ذكياً ومختصاً ، الساحر الغامض نفسه  
الذي يضع القناع ومساعدته التذليل ، والذي تذكر على نحو  
رائع ان كنية الساحر هي فولند بالضبط ، دلعت بالتحقيق  
خطوات هامة الى الامام ، فقسند أدت مقارفة شهادة اركادي



أبولونوفتش بشهادة أشخاص آخرين ومنهم بعض السيدات اللواتي لحق بهن مكره بعد العظة (تلك التي في نياها الداخلية البنفسجية والتي صنعت ريبسكي ، وأخرى كثيرات للأسف) والسامى كاربوف الذي أرسل إلى الشقة رقم ٥٠ في شارع سادوفايا - أدت هذه المقابلة فوراً إلى تحديد المكان الذي يجب البحث فيه عن مصدر كل هذه المغامرات .

حطرت هيئة التحقيق إلى الشقة رقم ٥٠ أكثر من مرة ، ولم تكف بعلاقتها بعناية متناهية ، بل تقرت عيانتها وتفحصت مداخنها وبحثت فيها عن مخاير سرية . إلا أن كل هذه الإجراءات لم تزد إلى أي نتيجة ، ولم تفلح الهيئة في أي من مداخلاتها للشقة في العثور على أي كان . مسح أنه كان مظلوماً تماماً أن شخصاً ما موجود في الشقة على الرغم من أن كل الأشخاص المفروض أن لهم علاقة بالفنانين الأجانب الذين يحضرون إلى موسكو أكدوا بشكل حاسم وقاطع أن لا وجود في موسكو لساحر شيطاني باسم فولند ولا يمكن أن يكون له وجود .

وبينما فهو لم يسجل اسمه في أي مكان لدى وصوله ، ولم يقدم لأحد جواز سفره أو أية أوراق أو اتصالات أو عقود . كما أن أحداً لم يسمع عنه شيئاً ؛ مدير البرامج في لجنة العروض التمثيلية كيتايتسيف اتسم الخلف الأيمان بأن ستيوفا ليخوديف المختلفي لم يرسل إليه أي برنامج لأي عرض لأي شخص اسمه فولند للمرافقة عليه ، وأن أحداً لم يتصل به هاتفياً ويعلمه أي شيء بخصوص وصول فولند هذا . ولذا فهو أي كيتايتسيف لم يفهم ولم يعرف كيف استطاع ستيوفا أن يسمح بهذا العرض . وعندما قيل له أن أركادي أبولونوفتش رأى هذا الساحر في العظة ، ما كان من كيتايتسيف إلا أن بسط يديه ورفع عينيه إلى السماء . وكان يمكن للمرء أن يرى من عينيه ويقول بثقة أن كيتايتسيف نقي كالبلنور .

وبروخور بيتروفتش رئيس اللجنة الرئيسية للعروض نفسه . . .

وبالمناسبة ، فقد عاد إلى بدائه فور دخول الشرطة إلى مكتبه للفرح أنا ريتشاردوفنا الجنوني ، والعبيرة العظيمة لرجال الشرطة الذين أزعجوا عبثاً . وبالمناسبة أيضاً : بعد أن عاد بروخور

بيترفنش الى مكانه والى بدائه الرمادية المقلدة حين لعبياً  
كاملاً كل القرارات التي اعتمدها البذلة في فترة غيابه القصير .  
... هكذا ان لم يكن بروغسور بيترفنش يعرف بأي  
شكل من الأشكال شيئاً عن أي شخص اسمه فولند .

نعم، مناف للعقل حقاً : آلاف المشاهدين وكل الجهاز  
الاداري في «فاربيتية» ، وأخيراً سيميلياروف أركادي  
ايولونوفتش ، وهو من أوسع الناس علماً وثقافة ، وأوا هذا  
المسرح كما رأوا مساعديه عليهم اللعنة ثلاثاً ، ومع هذا ، لا  
يوجد أي احتمال للعبور عليهم في أي مكان . فليم الأمر لو  
سحتم بالسؤال : هل انتسقت الأرض وابتلعته فور انتهاء حفلته  
الجمعة تلك . أم انه لم يحضر الى موسكو إطلاقاً كما يزكسد  
اليعض ؟ إذا سلطنا بالفرضية الأولى ، يكون قد أخذ معه وهو  
يختفي كل ادارة «فاربيتية» دون شك ، وإذا سلطنا بالفرضية  
الثانية ، الا تكون ادارة المسرح المنحوس قد اختفت من موسكو  
دون أثر بعد أن اقدمت على عملها الثامن (تذكروا النافذة  
المحطلة في المكتب وسلوك تورايرين ا)

وينبغي انصاف رئيس هيئة التحقيق . فقد نشر على ريمسكي  
المختفي بسرعة مذهلة . كان يكتفيهم ان يقارنوا سلوك  
تورايرين قرب موقف سيارات الأجرة الذي قرب السينما ببعض  
التواقيت ، ومنها مثلاً وقت انتهاء العرض ومتى كان يوسع  
ريمسكي ان يختفي بالضبط ، حتى يبرقوا الى لينينغراد .  
ويجاءهم الجواب بعد ساعة (مع حلول مساء الجمعة) انه عثر على  
ريمسكي في الحجرة رقم ٤١٢ في فندق «استوريا» ، في الطابق  
الرابع بجوار الغرفة التي نزل فيها مدير ديبرتوار أحد مسارج  
موسكو الزائرة آنذاك . أي في تلك الحجرة ايضاً المفروشة  
بأثاث ازرق رمادي مطعم بالذهب والمتصلة بعمام رائع كما هو  
معروف .

والتي القبض على ريمسكي المختفي، في خزانة الملايس في  
الحجرة رقم ٤١٢ في فندق «استوريا» وتسم استجوابه فوراً في  
لينينغراد نفسها . ثم وردت الى موسكو بريقة تفيد ان المدير  
المالي لفاربيتية بدأ في حالة احتيال وأنه لا يجيب على الأسئلة أو  
لا يرد الإجابة عليها بأجوبة واضحة وأنه لا يطلب الا شيئاً

واحداً : ان يخبثوه في حجرة مصفحة ويقيموا عليه حراسة مسلحة . وجاءهم امر موسكو برقياً بان يحضروا ويمسكي الى موسكو تحت الحراسة . وهكذا غادر ويمسكي مساء الجمعة الى موسكو بقطار الليل وتحت الحراسة المطلوبة .

وعند مساء يوم الجمعة نفسه وقعوا على آثار ليخوديف . فقد أرسلت الى كافة المدن برقيات تسال عن ليخوديف . وجاءهم من يالطا جواب بان ليخوديف كان في يالطا وانه غادرها بالطائرة الى موسكو .

الشخص الوحيد الذي لم يعثر له على اثر كان غارينونا . انتقلت اخبار المدير المسرحي الشهير الذي تعرفه موسكو كلها .

وكان على هيئة التحقيق ان تهتم خلال ذلك باحداث في اماكن اخرى من موسكو . خارج مسرح «فارييتيه» . ومنها ذلك الحادث الغريب الذي جرى للموظفين الذين اشهدوا «البحر الجيد» (وبالمناسبة نجح البروفيسور سترافنسكي في ساعتين في اعادتهم الى حالتهم الطبيعية عن طريق زرقات تحت الجلد) ، وللأشخاص الذين قدموا لأشخاص آخرين أو مؤسسات أشياء الشيطان يعلم ما هي تحت اسم نقود . وكذلك مع الأشخاص الذين لعق بهم الأذى من جراء ذلك .

لكن اكرم هذه الحوادث ، كما هو واضح طبعاً ، وانضجها واصعبها على الحل كان حادث اختطاف رأس الأديب الرحوم برليوز من نعشه مباشرة في قاعة غريبويدوف الذي جرى في وضع النهار .

كان يعمل في التحقيق اثنا عشر رجلاً . وكانوا يعملون ، كما لو بالصنارة ، الحلقات اللعينة لهذه القضية المعقدة المتشعبة في انحاء موسكو كلها .

احد المحققين حضر الى مستشفى البروفيسور سترافنسكي وطلب اليه قبل كل شيء تقديم قائمة بأسماء الأشخاص الذين دخلوا مستشفاه خلال الأيام الثلاثة الأخيرة . وبهذا الشكل عشر على تيكانور ايفانوفتش بوسوي ، وهريف الحفلات المسكين الذي قطع رأسه . وعلى أي حال كان اعتماد المحقق بهذين الشخصين قليلاً ، اذ بات من اليسير اثبات انهما كانا ضحية نفس العصابة

التي يرتسها هذا الساحر الغامض . لكن ايفان نيقولايفتش  
يزيدونى آثار اهتمام المحقق البالغ .

الفتح باب لفرقة ايفان رقم ١١٧ مع حلول مساء الجمعة  
وولجها شاب مدور الوجه هادى رقيق العاشية لا يشبه بتاتاً  
المحقق ، مع انه كان واحداً من أفضل محققى موسكو ، فرأى في  
الحرير شاباً شاحب الوجه ضامره ، ذا عينيّن تقراً فيهما غياب  
الاهتمام بما يجري حوله ، عينيّن مصوّبتين الى مكان ما بعيد  
لوق ما يحيط بالشباب تارة ، والى داخل الشاب نفسه تارة  
أخرى .

قدم المحقق نفسه بودّ ، وقال انه عرّج على ايفان  
نيقولايفتش ليتحدثا قليلاً فيما حدث أول البارحة في بتريرشين  
برودي .

ما كان أشدّ زهو ايفان لو حضر اليه المحقق قبل هذا  
الوقت . ولتقل ليلة الأربعاء حين حاول ايفان بحماسة وصخب  
ان يستمع الى قصته عن بتريرشين برودي ! وهامو ذا حله في  
المساعدة على القبض على المستشار قد تحقق . لم يعد بحاجة  
للبحث عن أحد والاتصال به ، بسبل أنواع شخصياً اليه ،  
وبالضبط للاستماع الى روايته عما حدث يوم الأربعاء مساء .  
لكن ايفان تليّن تغيراً تغيّراً كاملاً مع الأسف خلال العدة التي  
انقضت على مصرع برليوز . كان مستعداً للاجابة بطيب خاطر  
وبإدب عن اسئلة المحقق كلها ، لكنك كنت تستشعر اللامبالاة  
في نظرة ايفان كما في نبرات صوته ، إذ لم يعد مصير برليوز  
يعنيه .

قبل وصول المحقق لغا ايفان وهو مستلقى نعرت امام عينيه  
بعض الرزى . وهكذا رأى المدينة الغربية ، الفاضة ، غير  
الموجودة ، ذات الكتل العمودية والأعمدة المتأكلة والأسطح  
المتوهجة في ضوء الشمس ، وقلعة الطويلو السوداء الكثيصة  
والناسية ، ذات القصر القائم على الرابية الغربية الفارق حتى  
السقف تقريباً في خضرة العديلة الاستوائية بثمانيه البرونزية  
الشرجة في شمس المغيب فسوق هذه الخضرة ، ورأى المنات  
الروحانية المتمنطلة بدروعها تضيء عند اسوار المدينة القديمة .  
وظهر امام ايفان في غلوه شخص متجمّد في أريكة ، حليق

الذقن ذو وجه أصفر مضني ، شخص في بردة بيضاء ذات بطانة  
عراء ، يعدق في الحديقة الغناء والغريبة بكسره وبغيفظ وراي  
ايفان رابية صفراء ، جرداء ليس فيها الا اعمدة جرداء عليها  
عوارض خشبية .

أما ما حدث في بتريشيني برودي فلنسم بعد يشير اهتمام  
الشاعر ايفان بيزدومني .

- قل لي ، يا ايفان نيقولايفتش ، انت شخصياً كم كنت  
بعيداً عن الباب الدوار حين هوى برليوز تحت الترام ؟  
ولأمراً طافت بشفتي ايفان ابتسامة لامبالية تكاد لا تلتقط  
واجاب :

- كنت بعيداً .  
- وذو الربعات ذاك هل كان قرب الباب الدوار ؟  
- لا ، كان يجلس على المقعد غير بعيد منه .  
- هل تذكر جيداً انه لم يدن من الباب الدوار لعطسة  
سقوط برليوز ؟

- اذكر ، لم يدن . كان يجلس متهاكاً على نفسه .  
كانت هذه الأسئلة آخر أسئلة المحقق . فقد نهض بعدها  
ومد يده الى ايفان وتمنى له التماثل العاجل للشفاء وأحرب عن  
أمله في عودته الى قراءة أشعاره قريباً .

- لا ، - اجاب ايفان بصوت منخفص ، - لن أصود الى  
كتابة الشعر .

ابتسم المحقق بأدب ، ومسح لنفسه بالاعراب عن يقينه ان  
الشاعر في حالة وهم نفسي خفيفة ، وان هذه الحالة سرعان ما  
تزول .

- لا ، - رد ايفان وهو ينظر لا الى المحقق بل الى  
البعيد ، الى السماء المتطفنة ، - هذه الحالة لن تزول أبداً ،  
الأشعار التي كتبها سيئة ، والآن أدركت هذا .

خرج المحقق من عنده ايفان محملاً بمعلومات بالقيمة  
الأهمية . ونجح التحقيق أخيراً باتباعه خيط الأحداث من آخره الى  
أوله في الوصول الى مصدر كل الأحداث ، لم يعد المحقق يشك  
في ان هذه الأحداث بدأت من مقتل برليوز في بتريشيني برودي .  
وبالطبع لم يكن ايفان ولا هذا الشخص ذو الربعات هما اللذان

دفعاً رئيس هاسوليت العائر الحظ تحت هربات الترام . ممن  
التاحية المادية . الفيزيائية ان شتم . لم يسهم احد في سقوطه  
تحت العجلات . لكن المعلق كان على يقين بان يوليوز رمسى  
تغسه تحت الترام (او هوى تحته) وهو في حالة تنويم  
مفناطيسي .

نعم . باتت المعلومات المتوفرة غزيرة . واضحى معروفاً  
من يجب القبض عليه والمكان الذي يقبض فيه عليه . لكن  
المشكلة انه تعذر بأي شكل من الأشكال تنفيذ عملية القبض .  
لا بد من ان تكرر ان شخصاً ما كان متواجداً في هذه الشقة  
الملعونة ثلاثاً . الشقة رقم ٥٠ . هذا امر لا شك فيه اذ كانت  
هذه الشقة ترد أحياناً على المغايرات الهاكيبية بصوت رنان  
تأوة . اخن تأوة أخرى . وكانت تأوة الشقة تفتح أحياناً . بل  
اكثر من ذلك تسمع منها اصوات حاك . ومع هذا فلي كل مرة  
كانوا يتوجهون اليها . لم يكن يعثر فيها على أي كان . ولقد  
داهموا اكثر من مرة . وفي اوقات مختلفة من الليل والنهار . بل  
اكثر من ذلك كانوا يحملون معهم شبكة وهم يبحثون في زوايا  
الشقة . كانت الشقة مشبوهة فيها من زمان ولم تقتصر الحراسة  
على الطريق المؤدي الى الغناء عبر الفسحة عند العتبة . بل على  
المدخل الخلفي ! وفوق هذا وذلك وضعت حراسة على السطح  
قرب المداخل . نعم . كانت الشقة رقم ٥٠ تعابهم . ولم يكن  
يوسعون فعل أي شيء .

وامتد الأمر على هذا النحو حتى منتصف ليلة الجمعة السبت  
حين اتجه البارون ميغل بمهاية الى الشقة رقم ٥٠ بصفة ضيف  
وهو يرتدي ثوب السهرة وحذاء لمتاعاً . سُمع كيف ترك  
البارون يدخل الشقة . وبعد عشر دقائق بالضيظ داهموا الشقة  
دون أي احتياط . لكنهم لم يجدوا اصحابها وحسب . بل انهم لم  
يعثروا ايضاً . وكان هذا امراً في منتهى الغرابة . على أي امر  
للبارون ميغل .

وكما قلنا اذن . امتد الأمر على هذا النحو حتى فجر  
السبت . وهنا انضمت الى المعطيات السابقة معطيات أخرى  
جديدة وهامة جداً . فقد حطت في مطار موسكو قادمة من القرم  
طائرة ركاب بستة مقاعد . نزل منها في عداد الركاب الأخرين

راكب غريب . كان شاباً يعلو وجهه الشعر بوحشية . لم يفصل من نحو ثلاثة أيام . ذا عينيّن ملتھيتين ومدفورتين . لا يحصل أي حناب ويرتدي ثيابه على نحو غريب . كان يعتمر باياخا . ويلقي عباءة لبادعل قميصه الليلي وينتعل خفاً جلدياً ليلياً جديداً أزرق اشترى حديثاً . وما ان ابتعد عن السلم الذي كانوا يهبطون منه من قمرة الطائرة حتى الترب منه بعضهم . كانوا بانتظار هذا المواطن . وما هي الا فترة قصيرة حتى كان مدير «فارييتيه» الذي لا ينسى ستيبان بولغانوفتش ليخوديف يمثل أمام لجنة التحقيق . وافضى المدير امامها بمعلومات جديدة بات واضحاً منها ان فولند تسلسل الى «فارييتيه» تحت هيئة فنان بعد ان توّم ستيوبا ليخوديف ثوباً مغناطيسياً ثم تمكن بطريقة ما ان يلقي بستيوبا هذا على بعد عدد الله يعلم كم هو من الكيلومترات من موسكو . ازدادت المعلومات اذن . لكن هذا لم يخفف من صعوبة القضية . بل لعلها زادتها صعوبة . ذلك انه اضحى واضحاً ان التمكن من شخص كهذا يقدم عمل عمل كهذا الذي أصبح ستيبان بولغانوفتش ضحيته لن يكون يمثل هذه السهولة . وبالمناسبة وضع ليخوديف في زنازاة أمينة بناء على طلبه . ومثل أمام لجنة التحقيق فاريتغا الذي اعتقل للحال في سقته التي عاد اليها بعد غياب مجهول استمر حوالي الیومين .

وعمل الرغم من العهد الذي قطعته المدير الاداري على نفسه لازازيلو بالاً يكتب . فقد بدأ من الكذب بالضبط . وعمل أي حال يجب الا نقسو في لومه كثيراً . لقد حرّم عليه ازازيلسو الكذب والتجالف بالهاتف . هذا صحيح . لكن المدير الاداري يتحدث الآن دون مساعدة هذا الجهاز . كان ايفان سافيليفتش يصرّح . وهو يشرّد بعينيه . انه جلس نهار الخميس في مكتبه . وشرب حتى ثمل . ثم مضى الى مكان ما . لكن الى أين لا يذكر . وفي مكان ما آخر شرب «ستاركا» . لكن أين لا يذكر . وفي مكان آخر ترمّغ تحت سياج ولكن أين لا يذكر ايضاً . انما حين قيل للمدير الاداري انه يتصرفه الغبي والاخرق هذا يعيق التحقيق في هذه القضية الهامة . وانه سيحاسب على هذا بالطبع . بعد هذا

• لقاء راس فوقاسية من القرو . المترجم .

تقط اغد فارينوخا ينتحب ، وهمس بصوت راعش ، وهو يتلفت حوله . انه انما يكذب من خوفه فقط ، من خشيته انتقام عصاية فولند التي وقع في يدعا وانه يظللب ، يتوسل ، يتعطش ان يوضع في غرفة مصفحة ويحكم الاغلاق عليه .

- تيا للشيطان ! لقد استهوتهم هذه الحجرة المصفحة ، -  
وعدم احد المحققين .

- لقد روتهم هؤلاء الاوغسار - قال المحقق الذي زار ايفان .

هذوا من روع فارينوخا فمر ما استطاعوا ، وقالوا له ان باستطاعتهم ان يحوه بدون اي غرفة فاضح للرجال انه لسم يشرب ستاركاه عند السياج ، وان الذين ضربوه كانوا اثنين احدهم ذو ثاب واصهب والثاني بدين . . .

- آه ، يشبه القط ؟

- نعم ، نعم ، نعم . - همس المدير الاداري وهو يتجهد من الخوف ويتلفت حوله كل ثانية ، وانضى بتفاصيل اخرى عن المامته ما يقارب اليومين في الشقة رقم ٥٠ بصفة خفاش دليل عصايات كاد يتسبب في مصرع المدير المالي ريمسكي . . .

في هذا الوقت ادخل ريمسكي الذي احضر بقطار لينينغراد الا ان هذا المعجز الانسيب المرعش مسن الخوف ، والمثقل نفسيا ، الذي كان يصعب حل الرء ان يعرف فيه المدير المالي السابق ، لم يرد قول الحقيقة باي لمن ، واظهر بهذا الخصوص عنادا شديدا . فقد أكد ريمسكي انه لم يشاهد اي فتاة اسمها غيلا في مكتبه ليلا ، كمنسا لم يشاهد فارينوخا ، وكل ما في الامر انه شعر بدوار وسافر وهو في حالة فقدان الوعي الى لينينغراد . ولا حاجة الى القول ان المدير المالي المريض انفس شهادته يطلب وضعه في حجرة مصفحة .

التي القبض على اوشكا حين كانت تحاول تسليم عاملة الصندوق في مخزون كبير في ارباب ورقة مسن فئة العشرة دولارات . واستمع المحققون باهتمام الى قصة اوشكا وعن الناس المتطايرين من نافذة البيت الذي في سادوفايا ، وعن الحدود التي التقطتها من الأرض لتصلها الى الشرطة على حد قولها .



- هل كانت الحفوة من الذهب ومرصعة بالماس فعلاً ؟ -  
سألوا أنوشكا .

- هل لي الا اعرف الماس . - اجابت أنوشكا .

- لكن هل اعطاك التشيرفوتسكات كما تقولين ؟

- هل لي الا اعرف التشيرفوتسكات . . .

- حسناً . في اي وقت تحولت الى دولارات ؟

- لا اعرف شيئاً عن الدولارات . ولم ار اي دولارات .

- صرخت أنوشكا بصوت حاد . - هذا حقنا . اعطيننا

مكالمة . . . ولريد أن نشتري بها قماشاً . . . - وهنا اخذت

تيلوس من أنها غير مسؤولة عن ادارة البناية التي اسكنت في

الطابق الخامس قوة شريرة جعلت الحياة مستحيلة . . .

هنا هنز المعلق قلعه في وجه أنوشكا دليل ضيقه وضيق

الآخرين الشديد بها وبهراتها وكتب لها اذناً بالانصراف غسل

ورقة خضراء . واختلت أنوشكا من العيش لفرح الجميع .

وتلاها رتل كامل من الناس ومنهم نيقولاي ايفانوفتش الذي

لم يعتقل الا بسبب غياب زوجته الفيور التي ابلغت الشرطة عند

الفرج باختفاء زوجها . ولم يدعش ليقولاي ايفانوفتش الشرطة

كثيراً حين وضع امامهم على الطاولة الوثيقة التبريجية بانة امضى

الوقت في حفل راقص عند الشيطان . ولتسد جانب نيقولاي

ايفانوفتش الحقيقة الى حد ما . وهو يروي لهم كيف حمل خادمة

مرغريتا نيقولايفنا العارية على ظهره في الهواء الى مكان ما بعيد

على النهر لتستحم وعما سبق هذا من ظهور مرغريتا نيقولايفنا

متجردة من ثيابها في النافذة . وعلى سبيل المثال لم ير نيقولاي

ايفانوفتش ضرورة أن يذكر أنه اتى الخدع وهو يحمل قميصاً

داخلياً في يده ولا أنه دعاً ناتاشا بليونس . فناتاشا حسب

روايته هي التي خرجت طائرة من النافذة وامتنطه وسحبته

خارج موسكو . . .

وقال :

- كنت واقعاً تحت الضغط فاضطرت الى الانصياع . -

ثم انهى تقولاته برجاء الا تحاط زوجته علماً بكلمة ما قال .

الامر الذي واعد به .

ومكنت شهادة نيقولاي ايفانوفتش المحققين من تقرير ان

مرغرينا نيقولايفنا وخادمتها فاقاشا اختلفتا دون ان تتركا اثراً .  
واخذت الاجراءات للقبض عليهما .

وهكذا التزم صباح يوم السبت بتحقيقات لم تتوقف ثانية .  
في هذا الوقت كانت تظهر في المدينة وتنتشر اشاعات غير  
معلومة وكان القدر القليل من الحقيقة يوشى بازهر انواع  
الكلب . قيل انه اقيمت في «فارييتيه» حفلة جرى بعدها الفسا  
مشاهد الى الشارع كما ولدتهم امهاتهم . وانه درهت مطبعة  
اوراق نقدية مزيفة ذات طابع سحري في شارع سادوفايا . وان  
عصابة مجبولة انتظفت خمسة من مسؤولي قطاع الترفيهيات .  
وان رجال الشرطة القوا القبض عليها للحال . واشياء اخرى  
كثيرة مما لا نود حتى ترديده .

خلال ذلك كان الوقت يقترب من الظهر . اذ ان رن الهاتف  
في مكان التحقيق . وجاءت الاخبار من سادوفايا ان الشقة  
المعينة ابدت من جديد علامات تدل على الحياة فيها . وقيل ان  
نواقلها تفتح من الداخل . وكانت تنبعث منها اصوات بيانو  
وغناء وانهم راوا قفاً اسود يجلس على حافة النافذة  
ويتشمس .

وفي حوالي الساعة الرابعة من هذا اليوم الحار خرجت مجموعة  
كبيرة من الرجال في لباس مدني من ثلاث سيارات على مسافة  
بعيدة بعض الشيء من البناية رقم ٣٠٢ كورر في شارع  
سادوفايا . وهنا توزعت المجموعة الكبيرة الى مجموعتين  
صغيرتين اجتازت احدهما طيف العمارة والقناة الى المدخل  
الرئيسي السادس مباشرة . بينما فتحت الثانية باباً صغيراً مسرراً  
في العادة يؤدي الى المدخل الخلفي . واخذت المجموعتان ترقبان  
درجين مختلفين الى الشقة رقم ٥٠ .

في هذا الوقت كان كوروفيف وازازيلو يجلسان في لفرة  
الشام ويوشكان على الانتهاء من تناول اطورهما (وتجدر الاشارة  
الى ان كوروفيف كان يرتدي لباسه العادي وليس فراك الاحتفال) .  
وكان فولند في المذبح على عادته . اما القط فلم يكن احد يعرف  
مكانه . ولكن اذا حكمنا من قرعة الطائر والليل المتبعنة من  
المطبخ . كان بإمكاننا الافتراض ان بيغيموت هناك بالتحديد  
يأثر حياقات على عادته .

- ما هذه الخطوات على الدرج ؟ - سأل كوروفيف وهو يلعب معلقة الصغيرة في فنجان القهوة .

- انهم آتون للقبض علينا . - اجاب ازازيلو واثى على قدح من الكولياك .

- اي ، اي . - كان جواب كوروفيف .

كان صاعد الدرج الرئيسي قد بلغوا في هذه الأثناء بسطة الطابق الثالث . حيث كان الثمان من عمال التمديدات الصحية يعالجان ماسورة التدفئة البخارية . وتبادل الصاعدون وهامسلا التمديدات نظرة ذات معنى .

- جميعهم في البيت . - همس أحد العمال وهمسوا بطرق بمطرفته على الماسورة .

اذاك شهر السائر في المقدمة من تحت مغطاه مسدداً اسود . واخرج آخر الى جانبه رزمة مفاتيح مشتركة . ووسوماً كان المتجهون الى الشقة رقم ٥٠ مجهزين كما يجب . كان في جيوب اثنين منهم شباك حريرية دقيقة سهلة النضر . وفي جيب آخر وهن وفي جيوب سادس اقنعة من الشاش وقوارير كلوروفورم .

وفي تانية فتح باب الشقة رقم ٥٠ الرئيسي وصار كسل القادمين في المدخل . بينما اظهر الباب المصطك في المطبخ ان المجموعة التانية القادمة من المدخل الخلفي وصلت في وقتها ايضاً .

في هذه المرة كان النجاح . وان لم يكن النجاح الكامل . بادياً للعيان . فلى لمح البصر انتشر الرجال في كل الغرف لكنهم لم يعثروا على أحد . انما اكتشفوا في غرفة الطعام بقايا فطور تخطى عنه اصحابه للتو كما يبدو . كما راوا فوق الوجدان الذي في غرفة الاستقبال قطعاً اسود ضخماً يجلس قرب دورق بلوري ويمسك بقالمتيه وابوراً .

تأمل مقتحمو غرفة الاستقبال هذا القط فترة طويلة نسبياً وهم غارغون في صمت تام .

- اي . . . رالع حقاً . - همس احد الداخلين .

- اني لا اعيت ولا امس احداً . بل اصلح الواپور . -

قال القبط وهو يزوي ما بين حاجبيه بعداء . - كما اعتبر من واجب تسيهكم الى أن القبط حيوان قديم لا يمسي .  
- عمل متلفن بشكل خارق . - همس أحد الداخلين بينما قال آخر بصوت عال ويروضح :

- اي . ايها القبط الناطق الذي لا يمسي تفضلك الى هنا .  
نشرت الشبكة المريرية وشبّت . لكن الذي اتى بها انطا هدفة لدهشة الجميع التامة . ولم يعلق بها الا الدورق الذي تحطم على الفور مجدداً وثبتاً قوياً .

- خسرت ! - زار القبط . - اورا ! - وهنا وضع الوابور جانياً واستل من خلف ظهره براوننغ وسدده الى الحرب رجل واقف قربه . وضمت نار في يد الرجل قبل أن يتمكن القبط من اطلاق ناره . ومع طلقة الماوزر هوى القبط من الوجان وقد سقط البراوننغ من يده ورعى الوابور .

- انتهى كل شيء . - فقال القبط بصوت وان وانطرح بفنور في بركة الدم . - ابتمدوا عنى تانيسة . دعوني اودع الارض . آه يا صديقي ازاويلو ! - ان القبط ودعه ينزف . - اين انت ؟ - وصوب الى باب غرفة الطعام عيينين منطقتين . - لم توب الى نجدتي في معركة غير متكافئة . لقد تغلّبت عن بيغموت المسكين وقضت عليه كأساً من الكويك الفذيسد لعل ! ولكن ما العمل . ليكون موتي وزراً ينقل ضميرك اما انا فامسي لك ببراوننغي . . .

- الشبكة . الشبكة . الشبكة . - تعالست الهيمات المضطربة حول القبط . لكن الشيطان وحده يعلم لماذا علقت الشبكة داخل جيب احدكم ولم تخرج .

- الشيء الوحيد القادر على انقاذ قبط مصاب بجرح قاتل هو جرعة بنزين . . . - قال القبط والصق فيه بالثقب المدور الذي في الوابور مستغلاً ارتباك من حوله وذهولهم وروى جوفه بالبنزين . وللحال توقف النزف تحت قائمته العلوية اليسرى . فوثب حياً ونشيطاً والتلفظ وايوره ووضع تحت ايده ولفس عائداً الى الوجان . وهناك أخذ يتسلق الجدار مزمزماً اورانه وما هي الا تاليتان تقريباً حتى كسان يجلس على المرز معلمي فوق الداخلين .

وفي لحظة تشبثت يديان مستارة النافذة ولزعتها مع الانخيز  
فتدفقت الشمس الى الغرفة الظليلة . لكن لا القط الذي يرى ،  
احتياالا وانصباً ولا الوابور لم يستطع . بل تمكن القط على نحو ما  
ان يندفع في الهواء دون ان يتخل عن الوابور ويلتزم الى تريا  
معلقة في وسط الغرفة .

— سئلاً ! — تعالت الصيحات من الأسفل .

— ادعوكم للمبارزة ! — زعجر التوسط وهو يطير فوق  
رؤوسهم جيلة وذهاباً على التريا المترافضة . وهنا ظهر  
البراونينغ من جديد في قالمته . في حين ركز الوابور بين شعاب  
التريا . وسدّد القط وفتح عليهم النار وهو يطير كالعروبى  
فوق رؤوس القادمين . هنّ الدويّ الشقة وتناثرت على الأرض  
شظايا بلورية من التريا وتصدعت العرأة على الموقد على شكل  
نجيبات وتعال غبار الجصّ وتقاوت غسل الأرض الغرايطش  
الفارغة وانلجر زجاج النواقل وأخذ الوابور الذي أصيب بطلقته  
ينثت بنزينا . لم يعد الآن مجال للتفكير في الأساك بالقط  
حياً . فأخذ القادمون يردون عليه بطلقات معكبة ومسعورة  
يسددونها من الماور الى رأسه والى بطنه والى صدره والى  
ظهره . وألقى صوت الرصاص الذعر على الأسفلت الذي في  
الكناء .

لكن اطلاق الرصاص هذا لم يستمر الا فترة جد وجيزة أخذ  
بعدها يهدأ شيئاً فشيئاً . والعجيب هنا ان اطلاق الرصاص هذا  
لم يسبب للقط ولا للقادمين اي اذى فلم يخرج احد مسن  
المعركة مقتولاً او حتى مجروحاً . بل خرج الجميع منها . بمن  
فيهم القط . سالمين تباراً . وبغية التعقق من هذا الأمر نهائياً  
أفرغ احد القادمين خمس رصاصات في رأس الحيوان اللعيب  
فردّ عليه القط بغلة ونشاط بهسط كامل . وكانت النتيجة  
كسابقتها . ولم يحدث هذا في الرجال اي اثر . كان القط يهتز  
في التريا التي كانت تلويحاتها تتضائل شيئاً فشيئاً وهو ينثت  
لامر ما في لوحة البراونينغ ويهبط على قائمته . وكانت الدعشة  
والدمول الكاملان يتعقدان على أوجه الرجال الواقفين تحت في  
صمت . فقد كانت العرأة الوحيدة . ان لم تكن واحدة مسن  
المرات القلائل . التي كان فيها تبادل الرصاص غير مجد . كان

بإمكانهم الإفتراس ، طبعاً ، بأن يراوننخ القط مسدس لعية ،  
أما ماوردت القادمين فسلا يصح فيها هذا القول بحال مسن  
الأحوال . أما أول جرح أصيب به القط ، وهذا أمر من الواضح  
أنه لم يكن فيه مجال لأي شك ، فلم يكن ، كشراب البنزين ،  
إلا شدة وتظاهراً حقيقياً .

وجرت محاولة أخرى للإسك بالقط ، فالتقى الوحق لكنته  
على باحدى الشحعات وانقطعت الثريا . فأحدث سقوطها على  
الأرض دونياً هنز أركان النهاية كلها فيما بدا ، لكن هذا كله  
كان عيناً في عيب . فقد انهمرت الشظايا على الحاضرين ، بينما  
طار القط وحط عالياً تحت السقف على التسم العلوي من إطار  
مرآة الموقد المعلق باللصق . لم يكن في نيته الركون إلى  
الفرار ، بل على العكس انطلق في الحديث مرة أخرى وقد شعس  
أنه في مكان آمن نسبياً وقال من عليانه :

- لا أفهم على الإطلاق أسباب معاملتي بمثل هذا  
العنف . . .

وهنا قاطع هذا الكلام من بدايته صوت خفيض ثقيل أتى من  
مكان مجهول :

- ما الذي يجري في الشقة ؟ انكم تشوشون على عمل .  
وردت عليه صوت آخر أخن كريمة :  
- انه يغير صوت طبعاً ، لياخذ الشيطان .  
وقال صوت ثالث مرتجج :  
- سيدي ، اليوم السبت ، الشمس تنحدر إلى المغرب ،  
أن الأوان .

- اعدوني ، لا أستطيع متابعة حديثي معكم . - قال القط  
من على المرأة ، - أن الأوان . - وقذف مسدسه البراوننسخ  
وحطم لوحين من زجاج النافذة ثم رش بنزيناً ، فاشتعل البنزين  
بنفسه ونسب مرسللاً موجة من الذهب ارتفعت حتى السقف .  
اندلعت النار بشكل غير مالوف ، بسرعة وعنق لا يعهدان  
حتى في نار البنزين وفودها . لقد أخذ الدخان يتصاعد من ورق  
الجدوان على الفور واحترقت ستارة النافذة الرمبية على الأرض ،  
وأخذت اطارات النوافذ المحطمة تدعرج ، ونهباً القط وعاء ، ووثب  
من المرأة إلى حافة النافذة واختفى خلفها مسج وابوره ، ودوت

طلقات في الخارج . كان الرجل الجالس على درج الاطباء الحديدي الواقع على مستوى نوافذ شقة زوجة الصالح هو الذي اطلق النار حين اخذ القط يطير من حافة نافذة الى اخرى متوجهاً الى ماسورة تصريف الماء الركنية في البيت المبني على شكل حرف تون (ن) . هذه الماسورة التي تسلكها الى السطح .

وهناك ايضاً اطلق عليه النار الحرس القائمون على مراقبة المداخن ولكن دون جدوى مع الأسف ، واختفى القط في الشمس الغاربة التي كانت تغمر المدينة .

في هذا الوقت اشتعلت باركيه الشقة بالنار تحت ارجل القادمين . وهدت وسط النار وفي نفس المكان الذي تمزق فيه القط بجرحه الكلاب جنة الهارون السابق ميغل بدقنها العروضة الى الاعلى وعينيهما الزجاجيتين وهي تزداد كثافة . انما لم تعد هناك أي امكانية لسحبها . كان المتواجدون في غرفة الاستقبال يتراجعون الى غرفة المكتب فالمدخسل وهم يقفزون فوق الواح الباركيه المشتعلة ويخفون براحتهم على اكتافهم وسدودهم الملفوفة بالدخان ، بينما مرح الذين كانوا في غرفة الطعام والمخدع هاريين عبر المرح . اما الذين كانوا في المطبخ فقد اندفعوا الى المدخل . كانت غرفة الاستقبال قد امتلأت بالنار والدخان . لكن احدهم تمكن على الماشي من ادارة قرص الهاتف على رقم مركز الاطباء ومن اطلاق صرخة مختصرة في الساعة :

- سادوفايا ، ٣٠٢عكرو !

لم يعد هناك أي مجال للابطاء . فحصد امتد اللهب الى المدخل ، وجات التنفس صعباً .

ما ان تسلكت من النوافذ المحطمة في الشقة المسجورة اول لتيارات الدخان حتى ترددت في الغناء اصوات انسانية يائسة :

- نار ، نار ، نحترق !

واخذ الناس في مختلف شقق البناية يصرخون في الهوانف :

- سادوفايا ! سادوفايا ، ٣٠٢عكرو .

وفيما سمعت في سادوفايا اصوات اجراس تروخ اللهب تطلقها سيارات حسيب طويلة تنطلق بسرعة مسن كافة انحاء المدينة ، رأى الناس المضطربون جيئة وذهاباً في الغناء كيف

طارت مع الدخان من نافذة الطابق الخامس ثلاثة أطياف قائمة  
زجاجية كما بدأ ، وطيف واحد لامرأة متجردة من ثيابها .

## الفصل الثامن والعشرون

### مغامرات غوروفيف وبيغمون الأخيرة

هل وجدت هذه الأطياف فعلاً أم أنها كانت مجرد هبوات  
لسكان البناية المنحوسة في سادولفايا الذين صنعهم الخوف -  
ذلك ما لا نستطيع الجزم به بدقة . وإذا وجدت هذه الأطياف  
فأين التجهت من نورها - هذا أيضاً لا يستطيع أحد أن يعرفه ،  
كما لا نستطيع القول أين انترقت لكننا نعرف أنه بعد نحو ربع  
ساعة من اندلاع الحريق في سادولفايا ظهر مواطن طويل القامة  
في بزّة ذات مربعات عند أبواب تورغسين \* الزجاجية في سوق  
سولنسكي ومعه قط أسود ضخم .

فتح هذا المواطن الباب الخارجى للمحل وهو يتلوّى بخفة  
بين المارة فإذا ببواب صغير الحجم ناتئ العظام يبدو على وجهه  
أعراض العناء الشديد ينطسح عليه طريقه ويقول له بصوت  
خافت :

- ممنوع الدخول مع القطط .

- العفو . - أجاب الرجل الطويل بصوت مرتج ووطع يده  
العلاء على أذنه كمن به صمم . - تقول مع القطط ؟ وأيسن  
ترى القطط ؟

جمعت عينا البواب . وكان هناك بالفعل ما يدعو لذلك :  
إذ لم يعد يظهر أي قط عند قدمي مواطننا ، بل أطلّ من خلف  
كتفه بدلاً من ذلك رجل يدين ، يعتمر كبيرة مزقة ذو سحنة  
تشبه إلى حد ما سحنة القسطن فعلاً ، يسمر إلى المحل ويبيده  
وأبهر .

\* مناهض التجارة مع الأجانب ، أي شبكة المحلات التي كانت  
تتاجر بالبخاخ الشمعية في السوق بالعملة الصعبة . المترجم .



ولامر بما لم يجب هذا الزوج مسسن وواد المحل اليواب  
المبض للناس .

- عندنا بالعملة الاجنبية فقط . - فسال اليواب بصوت  
جسر وهو ينظر اليهما بحق من تحت حاجبيه الرماديين الأشعثين  
الذين بدا وكان العت يتاكلهما .

- ومن أين لك أن تعرف ، أيها العزيز ، أني لا أملكها ؟  
- قال الطويل بصوت مرتج وعينه تبرق من نظارته الأليسة  
المحطلة . - هل حكمت على من بزني ؟ أياك أن تفعل هذا بعد  
الآن أيها الحارس العالي الفسد تخطر . وقد يكون غطوك  
جسيماً . أعد قراءة قصة الخليفة المشهور هارون الرشيد على  
الأفل . لكن دعنا من هذه القصة إلى حين فانا أريد أن أقول لك  
الآن أني ساشكوك إلى المدير وساروي له عنك أشياء بحيث  
تضطر بعدها إلى مغادرة مكانك بين الأيواب الزجاجية البراقة .

- قد يكون وابوري مليئاً بالعملة الصعبة . - تدغسل  
اليدن الشبيهة بالقط في الحديث بحدثة وهو يحاول أن يجتاز  
باب المخزن . كان الجمهور خلفه يتدافع بالعرايق ويتعمر .  
وتنحى اليواب وهو ينظر إلى هذا الزوج بحقد وشك . وصار  
صاحبانا كوروفيف وبيغيموت داخل المخزن .

كان أوّل ما فعلناه أنهما تأملا ما حولهما ، ثم أعلن  
كوروفيف بصوت رنان سمع في كل أركان المخزن يقيناً :

- مخزن رائع ! مخزن جيد جداً . جداً .

رفع جمهور المشترين عيونهم عن المباسط والتفتوا . ولامر  
ما نطلقوا إلى المتكلم في انبهاة على الرغم من توقر كل الأسباب  
لديه لكيل المديح للمخزن .

كانت منات من قطع القماش الهندي ذي الألوان العزوكسة  
الزاهية تبدو في مربعات الرفوف . وتكدست وراها اقمشة من  
الطن الكلكولسي والشاش وأجواخ الفراخ . وعلى مرمى النظر  
أكوام كاملة من حلب الأهدية . كانت بضع مواطنات يجلسن على  
مقاعد واطنة . وقدمهن اليمنى في حذاء مهترى ، واليسرى في حذاء  
جديد لمتاح مفتوح يدسن به على السجادة بوجه مهموم . ومسن  
مكان ما وراء أحد الأركان كان يسمع لحناء وعزف ينطلقان من  
أجهزة الحاكي .

لكن كوروفيف وبيفيموت تجاوزا كل هذه الأشياء الرائعة ،  
ولوجنها مباشرة الى حيث اتصال قسم المواد الغذائية بقسم  
العلاجات . كان المكان هنا على قدر كبير من الاتساع ولم تكن  
العلاجات المرتديات متاديل أو قبعات صغيرة يتداعن عمل  
المبسط كما في قسم التطن الهندي .

كان شخص قصير القامة مربع الشكل تماما ، حليق القطن  
حتى درجة ازرقاق الجلد ، يضع نظارة قرنية وقبعة جديدة غير  
مكرمشة ذات شريطة ملساء ومغطا ليلكيا وفقازين اصهبين من  
جلد الجدي ، يقف قرب المبسط ويخسور بلهجة أمرة . وكان  
يألع في ثوبه الأبيض النظيف وقبعته الصغيرة الزرقاء يقوم على  
خضعة الزبون الليلكي . كسان ينزع بسكين حادة جداً تشبه الى  
حد كبير المسكين التي سرقها من اللاوي ، جلد سلمون وردية  
وسمة باكية يشبه جلد أفعى ، ذا لون ضارب الى الخضرة .  
وقال كوروفيف معترفا بصوت مهيب :

- وهذا القسم عظيم أيضاً . - ثم أشار الى الظهر الليلكي  
وقال في لغة كريمة : - وهذا الأجنبي لطيف .  
- لا ، يا فلانوت ، لا . - أجاب بيفيموت متفكراً . - أنت  
مظنر ، يا صديقي ، فلي وجه هذا الجشتمان الليلكي شيء ما  
ناقص في رأيي .

ارتعد الظهر الليلكي انما مصادفة على الأرجح ، إذ لم يكن  
يوسع الأجنبي فهم ما يقوله كوروفيف ورفيقه بالروسية .  
- جيداً ؟ - سأل الشاري الليلكي بلهجة صارمة وروسية  
مكثرة .

- عالمي . - أجاب البائع وهو يحفر بدلال تحت جلد  
السكة ينصل سكيته .

- جيد أحب ، السيء لا . - قال الأجنبي بصرامة .  
- طبعاً ! - ردّ البائع بحماسة .  
وهنا ابتعد صاحبان عن الأجنبي وسمكه الى طرف مبسط  
العمجات .

- الطقس حار اليوم . - خاطب كوروفيف بالغة شائبة  
عراء الوجنتين ، ولما لم يلق منها جواباً أوقف مستنصراً : -  
يكم الأتندي ؟

- ثلاثين كوبيكا للكيلو . - اجابت الباعة .

- الاسعار باهظة . - لاحظ كوروفيف منتهداً . - ايه .  
ايه . . . - ثم فكر قليلاً ودعا رفيقه قائلاً : - كل يا بيغيموت .  
وضع البدين وايرة تحت ابطة واعسك باليوسفية التي في  
اعلى الهرم والتمها على الثور بقشرتها ثم باشر بالثانية .  
ركب الباعة رعب فاقبل .

- لقد جنتم ا - صاحت الباعة وقد اختلى ثوردها . -  
هاتوا الشيك ا الشيك ا - وسقطت ملاقط السكاكر من يدعا .  
- ياروحي ، يا حلوة . - قال كوروفيف بصوت اجسر وهو  
يتطامن فوق المبسط ويغض الباعة . - ليست لدينا العملة  
الصعبة اليوم . . . ما في اليد حيلة ا الا اني اتسم لك اتنا في  
المرّة القادمة . ولن تتعدى يوم الاثنين . سندفع كل ما علينا  
عداً وثقلاً ا نحن لسنا بعيدين من هنا . نحن في سادونايا حيث  
الحريق .

وبعد ان التهم بيغيموت اليوسفية الثالثة دس قائمته في بناء  
معدن من الواح الشوكولاتة ، واتزح لوحاً من الأسفل انهار معه  
البناء كله بالطبع والتهم اللوح بفلاحة الذهبي .  
بدا كان البائعين الواقفين وراء مبسط الاسماك قد تحجروا  
وسكاكينهم في ايديهم . واستدار الاجنبي الليلكي الى اللصوص .  
وللعال تبين ان بيغيموت ليس على صواب : فلم يكن يتنص  
وجه الشخص الليلكي شىء . بل على العكس كان في وجهه ما هو  
زائد : وجهتان متهدلتان وعينان شاردتان .

وصاحت الباعة بصوت كثيب دوى في ارجاء المخزن كله  
وقد فطقت الصفرة وجهها كله :

- بالوستش ا بالوستش ا \*

واقبل الناس من قسم القطنيات على هذا الصباح . اما  
بيغيموت فقد ابتعد عن المعجنات المقرية وحرز قائمته في يرميل  
كتب عليه : «فسيخ ممتاز» وسحب زوجين من الرنكة والتمهما  
وبصق ذليهما .

- بالوستش ا - تكسرر الصراخ اليانس خلف مبسط

\* اختصار اسم بافل يوستش . المترجم .

المعجزة ، بينما أطلق بائع ذو لحية قصيرة مديبة من وراء  
ميسط الأسماك :

- ما الذي فعله أيها الوغد ؟

في هذا الوقت كان بافل يوسفش يهرع الى مكان الأحداث .  
كان رجلاً مهيباً في رداء أبيض نظيف كأنه جراح ، يلوح بمن  
جيبه فلم يصاب . وكان رجلاً محتكاً على ما يبدو . فما إن رأى  
ذئب الرنكة الثالثة في قم بيغيموت حتى قوّم الموقف في لحظة ،  
واندرك كل شيء اندراك اليقين . فلم يشأ الدخول في أي مهارات  
مع هذين الوغدين بل لوح بيده الى البعيد أمراً :

- اصفرا !

انطلق الأبواب من الأبواب الزجاجية الى ناصية سمولنسكي  
كالسهم ، وراح يفسر صغيراً منذراً بالتضخم . بينما أخذ  
الجمهور يطوق السائقين . إذآك تدخل كوروفيف .

- أيها المواطنون ، - صاح بصوت رفيع رنان ، - ما  
هذا الذي يجري ؟ آآ ؟ اسمعوا في أن أسألكم ! انسان مسكين ،  
- وهنا أطلق كوروفيف قدراً من الرعشة في صوته وأشار الى  
بيغيموت الذي استطاع على الفور وجهاً بكاء ، - انسان مسكين  
يعمل طول النهار في تصليح بوابير الكاز جاع . . . من أين له  
أن يحصل على عملة صعبة ؟

وصاح بافل يوسفش الهادي الرزين بطبعه يردّ بقسوة :

- دعك من هذا الهراء ! - ولوح بيده الى البعيد في نقاد  
سير هذه المرأة . واشتد التصغير عند الأبواب .

لكن كوروفيف تابسح كلامه غير عابسي' بمداخلة بافل  
يوسفش :

- من أين ؟ هذا هو السؤال الذي أطرحه عليكم جميعاً !  
انسان بالنس أنهك الجوع والعطش والحر ، ذاق يوسفية هذا  
المسكين ، ماذا فيها ؟ كل سعر هذه اليوسفية ثلاثة كوبيكات ،  
ومع هذا بدأوا يصفرون كأنهم البلايل في غابة الربيع ، ويقلقون  
راحة الشرطة ويصرفونها عن عملها . أما ذاك فيأمكنه أن يفعل ،  
آآ - وهنا أشار كوروفيف الى اليدين الليلكي فارتسمت على  
وجهه هذا أمارات القلق الشديد ، - من ثراء يكون ، آآ ومن  
أين أثر ؟ ولماذا ؟ العلتنا كنت نضعر بالملل بدونه ؟ العلتنا

دعواته ؟ طبعاً . - هنا سوى المراتل السابق فيه في استهزاء  
وجار بملء شديده . - انه كما ترون في بزة ليديكية فاخرة ،  
منتفخ من اكل السمون ومحموش كله بالعملة الصعبة . امسا  
اخونا . اخونا ؟ - واخذ بولول كانه اشبين في عرس قديم :  
- يا لغايي . يا لشقائي . يا لتعاستي !

كل هذه العادة الغبية . الفظة والظاوة سياسياً عمل  
الارجح . جعلت بافل يوسفش ينتفض من الغضب . لكنه كان  
واضحاً من اعين الجمهور المتدافع حولهم ان العادة . على ما في  
ذلك من فحابة . لقيت تعاطفاً في قلوب كثيرة ا . وعندما وضع  
بيغيوت كفه القدر الممزق على عينه وهتف بصوت مأساوي :  
- شكراً لك أيها الصديق الصدوق . لقد نصرت مظلوماً !  
- حدثت معجزة . فقد تحول عجوز هادي لانق المظهر تماماً .  
يلبس ملابس فقيرة لكنها نظيفة . كان يشتري ثلاث كعكات  
باللوز في قسم المعجنات الى شخص آخر فجأة . فقد اتقدت  
عيناه بنار القتال واحمرت وجنتاه وقلف بكيس الكعك عمل  
الأرض وصاح بصوت طفل ربيع :

- صحيح ! - ثم غطف الصينية والقر على الأرض ما عليها  
من بقايا الشوكولاتة المنسفة على شكل برج ايفل الذي حطمه  
بيغيوت ولوح بها ونزع بيسراه القبة عسن رأس الأجنبي .  
وهوى بيمناه بالجانب المفلطح من الصينية على رأس الأجنبي  
الأصلح . ودرى صوت كذاك الذي يسمع لدى القاء صفائح  
الحديد من على ظهر شاحنة على الأرض . هوى اليدين على ظهره  
وقد ابيض وجهه وسقط في برميل الفسيخ دانفاً الى الخارج  
نالمورة من مرق التخليل . وهنا حدثت المعجزة الثانية . إذ صاح  
الشخص الليديكي وهو يسقط في البرميل بلغة روسية خالصة لا  
تشوبها أي لكنة :

- يقتلونني ! الشرطة ! قطاع الطرق يقتلونني ! - كانا  
الصدمة هي التي جعلته يتقن بفتة لغة كان يجهلها حتى تلك  
اللحظة .

اذاك توقف صغير البواب . ولعبت بين جناهير المشترين  
المضطربة خودنا شرطيين واخذنا تقشريان . لكن بيغيوت  
الغدار صاب من وابورة البترين على ميسط المعجنات كما يصب

الماء من الطست على دكة في حمام ، واشتعل البنزين من تلقاء نفسه . شبّ الذهب الى أعلى وامتدّ على طول المبسط ملتصقاً بالمرابط الورقية الجميلة على السلال البلاستيكية ، واندمجت البائعات هازيات من وراء المبسط وهن يطلعن ولولة وزعيقاً . وما كدن يفادون المبسط حتى اندلعت النار في الستائر التيلية على النوائد واشتعل البنزين على الأرض . واطلسق الجهور صراخاً يائساً ، والدفع من قسم المعجنات متراجساً داعساً في طريقه بافل يوسفتش الذي لم تعد يسه اليهم حاجة ، بينما هرع الباعة من خلف مبسط الأسماك الواحد تلو الآخر ، وسكاكينهم المشحونة في أيديهم . باتجاه أبواب المخرج الخلفي . في حين اقتلع المواطن الليكي نفسه من البرميل وقد تيلك كله بحرق التخليل وانقلب على المبسط فوق سكة سلطون ولحق بهم . تلصف الزجاج في الأبواب البلورية الخارجية تحت ضغط الراكنين الى الفرار وتناثر ، أما التفلان ، كوروفيف والأكول بيغيوت ، فقد اختلوا . لكن أين ؟ - هذا ما تعذر فهمه . وفيما بعد قال شهود ميستان حضروا بداية الحريق في تورغسين في سمولنسكي ان الشقيين كليهما طارا واستترا تحت السقف وهناك انفجر كلاهما كالبونين من البونات الأطفال . لكن من المشكوك فيه طبعاً ان الأمر جرى على هذا النحو بالذات ، وما لا تعرفه لا تتطع فيه يراي .

أما تعرف أن بيغيوت وكوروفيف كانا بعد دقيقة بالضبط من حادثة سمولنسكي على رصيف البولفار ، وبالذات عند بيت عمّة كريبويدوف . توقف كوروفيف عند السياج وقال :

- عجباً ! هذا بيت الكتاب ، تعرف يا بيغيوت لقد سمعت الكثير من الكلمات الطيبة ومن الأطراء في حق هذا البيت . انتبه الى هذا البيت يا صديقي ! منّا يفرح القلب ان مجموعة كاملة من المواهب تحضن وتنضج تحت سقفه .

- كما الأنااس في المستشفيات الزجاجية . - قال بيغيوت ولفز فوق القاعدة الخرسانية للسياج كيما يمتع ناظره على نحو أفضل بالبيت العاجي اللون ذي الأعمدة .

- صحيح تماماً . - قال كوروفيف موافقاً على قول رفيقه الذي لا يفارقه لحظة . - وتغمر قلبك وهبةً لذيذة حين تفكر

في أن واحداً من أمثال صاحب «دون كيشوت» أو «فاوست» أو ،  
فلينأخذني الشيطان ، «التفوس الميتة» في طريقته إلى التصريح  
الآن تحت سقف هذا البيت ! ٢٢

- من المخيف التفكير في أمر كهذا ، - قال بيغيوت  
مشياً .

- نعم ، - تابع كوروفيف ، - أشياء مذهلة يمكن  
توقعها في الميائل الشتوية لهذا البيت الذي يضم تحت جناحه  
بضعة آلاف من الرجال المتحمسين الذين علقوا العزم على  
تكريس حياتهم بتكرار ذات الخدمة ميلبومينا وبوليفيمينا  
وناليا . هل تصور الضجة الكبرى حين سيقدّم أحدهم إلى  
جمهور القراء «مفتشاً عاماً» أو في أسوأ الأحوال شيئاً مثل  
«يلفيني أوتيفين» في بداية أبداعه !

- أتصور بوضوح ، - نسي بيغيوت على قول صاحبه مرة  
أخرى .

- نعم ، - قال كوروفيف وأردف رافعاً أصبعه في انشغال  
بال : - لكن ! لكن أقول وأكرر : لكن هذه ! لكن إذا لم تهاجم  
هذه النباتات الرقيقة المحضونة جرثومة ولم تنخرها في جذورها ،  
وإذا لم تتلعن ! وهذا ما يحدث للاناناس ! أوي ، أوي ،  
أوي ، وما أكثر ما يحدث هذا !

- بالمناسبة ، - قال بيغيوت مستفسراً وهو يحشر رأسه  
المدور داخل ثقب في السياج المشبك ، - ما الذي يفعلونه على  
الشرفة ؟

- يتغدّون ، - أجاب كوروفيف موضحاً ، - وأضيف إلى  
ذلك يا صديقي أنه يوجد هنا مطعم ليس سيئاً بالمرّة وليس  
بمعتقلاً . وأنا بالمناسبة ، كأي سائح قبيل استئناف رحلته ،  
أشعر برغبة في تناول بعض العزّة وكأس كبيرة باردة مسنّ  
البيرة .

- وأنا أيضاً ، - أجاب بيغيوت ، - ومضى النذلان من

---

\* أسماء ثلاث من ربات الشعر في الأساطير اليونانية وهن على  
التوالي : راعية من العاساة ، وراعية الأناعب ، وراعية من العلهاة .  
المترجم .

فورعنا على الطريق المفروش بالاسفلت تحت أشجار الزيزفون  
 الى شرفة المطعم الذي لم يحسن بعد بالصيانة القادة .  
 كانت مواطنة شاحبة اللون تنضح بالضجر ترتدي جوارب  
 بيضاء قصيرة وقبعة بيضاء صغيرة ماثبة تجلس على كرسي  
 مظلور عند مدخل الشرفة ، في الركن حيث فتحت في الحضان  
 التعريشة الخضراء فتحة للدخول ، وأمامها على طاولة بسيطة من  
 طاولات المطبخ دفتر سميك من نوع دفتر الحسابات ، كانت  
 المرأة تسجل فيه لأسباب مجهولة أسماء رواد المطعم . هذه  
 المواطنة بالذات هي التي أوكلت كوروفييف وبيغموت .  
 - أوراقتكما ؟ - قالت وهي تتطلع بدعشة الى نظارة  
 كوروفييف الأنفية وكذلك الى واپور بيغموت والى كوروس  
 المزيق .  
 - الف معلومة ، أية أوراق ؟ - سأل كوروفييف وهو يبدي  
 دهشته .  
 - هل اتما كاتهان ؟ - سألت المرأة بدورها .  
 - طبعاً ، - أجاب كوروفييف في وقار .  
 - أوراقتكما ؟ - كررت المواطنة .  
 وفتح كوروفييف فيه يقول لها برفقة : - يا حلوتي . . .  
 لكنها قاطعته قائلة :  
 - لست حلوتك . . .  
 - او . ما أشد أسفي . - قال كوروفييف بخيبة أمل  
 واردف : - لكن ما العمل ، ان كان لا يروقك أن تكوني حلوة ،  
 ولو ان هذا أمر في غاية اللطف ، فبوسعك الا تكوني كذلك .  
 لكن قوتي في اذن ، هل مسن الضروري حقاً ان تطلبي مسن  
 دوستويفسكي أوراقه الثبوتية لتتأكدي انه كاتب ؟ خلي اي خمس  
 صلحات من أي رواية من رواياته وستتأكدين دون أية ثبوتيات  
 انك أمام كاتب ، وأجزم انه لم يكن يحمل أية أوراق ثبوتية !  
 ما رأيك ؟ - قال كوروفييف متوجهاً الى بيغموت .  
 - أراهن ان الأمر كما قلت ، - أجاب بيغموت وهو يضع  
 الواپور الى جانب الدفتر على الطاولة ويمسح بيده العرق عن  
 جبينه الملوّث بالسخام .



- انت لست دوستوفسكي . - قالت العراة التي اربتها  
كوروفيف .

- كيف لك ان تعرفي ، كيف لك ان تعرفي . - اجاب  
كوروفيف .

- دوستوفسكي مات . - قالت المواطنة بلهجة لا تتم عن  
ثقة كبيرة .

- اخرج ا - صاح بيغموت بحماسة . - دوستوفسكي  
خالد .

- اوراقكما ايها المواطنان . - قالت المواطنة .  
- علوا . هذا مضحك في نهاية الامر . - قال كوروفيف

وهو لا يتوي الاستسلام . - ليس بشيئا له يعدد الكاتب . بل  
بما كتب ! وكيف لك ان تعرفي ما الافكار التي تجول في خاطري ؟  
او في هذا الراس ؟ - و اشار الى راس بيغموت الذي نزع عمل  
الغور كبيته كانما لتتمكن المواطنة من معاينته على نحو افضل .

- دعوه يرحل . - قالت المواطنة وقد بدأت اعصابها  
تنور .

تنحى كوروفيف وبيغموت مغليين الطريق امام كاتب في  
بدلة رمادية وقميص صيفي ابيض دون ربطة عنق ، تسترخي  
يافته العريضة على ياقة الجاكيته ، يتأبط بريدة . اوما الكاتب  
يراسه للمواطنة بودا ورسم عسل الدفتر المقدم له خطوطا  
ملتوية على العائشي وتابع طريقه الى الشرفة .

- واسفاء . - قال كوروفيف يحزن . - لن تكون من  
نصيبنا كأس البيرة المشبعة التي شدد ما حللنا بها نحن  
الجورالان المسكينان بل من نصيبه . وضعنا مؤسف وضعب ولا  
أدري ما العمل .

ما كان من بيغموت الا ان بسط يديه في حيرة مشوية  
بالعراة ووضع الكبية على راسه المدور المغطى بشعر كثيف  
يشبه الى حد كبير شعر القط . وفي هذه اللحظة ترددت فون  
راس المواطنة صوت خفيض لكنه أمر :

- وعليها يدخلان يا صوفيا بالملونا .  
بهت المواطنة ذات الدفتر ؛ فقد برز في خضرة التعريضة  
القرصان ذو الصدرية البيضاء واللحية التي تشبه الاسفين .

كان يرنو الى الصعلوكين الغريبين بود\* ، بل كان الى ذلك يوجه  
اليهما حركات من يدعوهما الى الجلوس . كانت سلطة ارتشيبالد  
ارتشيبالدوفتش شيئاً محسوساً بشكسل جدي في المطعم الذي  
يديره ، ولم يكن امام صوفيا بافلوفنا الا ان تسأل كوروفيف  
بالصياح :

- ما كنتك ؟

- بانايف\* . - اجاب هذا بأدب .

سجلت المواطنة هذه الكنية ، ورفعت الى بيغموت نظرة  
متسائلة .

- سكايتشفسكي\* . - از\* بيغموت وهو يشير لامر  
ما الى وايوره . وسجلت صوفيا بافلوفنا هذه الكنية ايضاً  
ودفعت بالدفتري الى الزائرين كي يوقعا فيه . كتب كوروفيف  
سكايتشفسكي مقابل كنية بانايف في حين كتب بيغموت بانايف  
مقابل كنية سكايتشفسكي . ولدهشة صوفيا بافلوفنا الكاملة  
قاد ارتشيبالد ارتشيبالدوفتش ضيفيه ، وهو يرسم ابتسامة  
خائفة ، الى افضل طاولة . تلك التي في آخر الطرف المقابل من  
الترفة حيث اشد الظلال كثافة وحيث كانت اشعة الشمس  
تنلأا جمل في احد شقوق التعميشة الخضراء . اما صوفيا بافلوفنا  
فقد ظلت فترة طويلة تدرس التوليعين الغريبين اللذين  
وضعما الزاران المفاجئان في الدفتري وهي ترمش بعينها مسن  
المنحة .

وادهش ارتشيبالد ارتشيبالدوفتش التمدل لا اقل\* مسا  
ادهش صوفيا بافلوفنا . فقد ازاح بنفسه الكرسي عن الطاولة  
داخياً كوروفيف للجلوس . ولفز أحدهما وهسي في اذن آخر ،  
فقالا بتدالين يسعيان بين أيدي الضيفين اللذين وضع أحدهما  
وايوره على الأرض الى جانب حذائه المحتر قليلاً . وعمل الفور  
أخترى من على الطاولة السماط القديم ببقعه الصفرة وخلق في  
الهواء مبخخساً بتشابسه سماط آخر أبيض . بينما كان

\* بانايف ( ١٨١٢ - ١٨٦٢ ) كاتب ومصحفي روسي .  
سكايتشفسكي ( ١٨٢٨ - ١٩١٠ ) ناليد وباحث ادب روسي .  
المترجم .

أرتشيبالد أرتشيبالدوفتشس يعيل على أذن كوروفيف ويهمس له بصوت خفيض لكنه جداً معتبر :

- ماذا أعرض عليكم ؟ عندي ظهور حفش ملددة متميزة . . . من مؤتمس المهندسين المعماريين حصلت عليها . . .

- اي . . . هات مزمة . . . اي . - غار كوروفيف يرضى وهو يستلقى على الكرسي .

- مفهوم . - أجاب أرتشيبالد أرتشيبالدوفتشس بلهجة ذات معنى وهو يلمط عينيه .

وإذ رأى التادلان كيف يعامل مدير المطعم الزائرين العربيين جداً تغلاً عن كل شكوكهما وانكبا على عملهما في جد . أحدهما قدم كبريتاً ليبيفيموت الذي أخرج من جيبه عقب سيجارة ودسه في فمه . بينما أقبل الآخر كالسهم وهو يطن ببلورياته الخطر ويضع مع طقم المائدة اقتداً وكؤوساً واكواباً رفيقة الحوافي ما أحل احتساء التارزان منها تحت الظللة . . . لا . بل نستيق الأحداث فنقول . . . ما كان أحل احتساء التارزان منها تحت ظلة شرفة غريوييدوف التي لا تنسى .

- استطيع ان أقدم لكم فتيلة من دجاج الأجراس . - هسس أرتشيبالد أرتشيبالدوفتشس بصوت موسيقي . وحبته الضيف ذو النظارة الأنلية المتصدعة تعبيراً كاملاً مقترحات فالد سفينة القرصان . ورنأ اليه في عطف من خلال زجاجها العديم النفع .

ولاحظ كاتب المقالات بيتراكوفسوخوفسكي الذي كان يتناول طعاماً على الطاولة المجاورة مع زوجته . والذي كان على وشك الانتهاء من قطعة اسكالوب من لحم الخنزير . بما يتصف به كل الكتاب من قوة ملاحظة . اهتمام أرتشيبالد أرتشيبالدوفتشس . وأخذ منه العجب كل ماخذ . أما زوجته . وهي سيده محترمة . فنقول انها ببساطة غارت على القرصان من كوروفيف حتى انها طرقت الطاولة بملعقتها . . . كأننا نقول : لماذا يؤخروننا هكذا . . . جان وقت تقديم البوظة ! فما الأمر ؟

إلا أن أرتشيبالد أرتشيبالدوفتشس وجه إليها ابتسامة فائنة وأرسل إليها نادلاً . لكنه لم يبرح مكانه بين ضيفيه العزيزين . آه . ذكيتاً كان أرتشيبالد أرتشيبالدوفتشس ! وشديده الملاحظة

كان . وربما لم يكن أقل ملاحظة من الكتاب أنفسهم . لقد عرف ارتشيبالد ارتشيبالدوفتش بقصة الحلقة في «فاريثيه» ، وعرف أشياء كثيرة مما جرى في هذين اليومين وسمع الكثير . لكنه ، بخلاف الآخرين ، لم يغلغل كلمة «ذو المربعات» ولا كلمة «القط» بل احتفظ بهما في ذهنه . لقد حزر ارتشيبالد ارتشيبالدوفتش على الفور من هذا الزائر . ربما انه حزر فلم يشأ الدخول معهما في مشاحنات بطبيعة الحال . اما صوفيا بافلوفنا هذه فغيبية ! كيف خطر لها ان تسد على هذين الاثنين طريقهما الى السرقة ! على أي حال اني لها ان تفهم !

كانت بيتراكوفنا ، وهي تفرز باستعلاء ملعقتها في البوظة القسدية التي أخذت تذيب ، تتطلع بعينين لاح فيهما المسخط الى الطاولة التي امام الرجلين اللذين يلبسان لباس الجهالين وهي تعمر شيئاً فشيئاً بالماكولات كأنها يسحر ساحر . كانت اوراق السلطة المفضولة حتى درجة اللعنان تتدلى من اناء فيه كافيير طازج . . . وما هي الا لحظة اخرى حتى ظهر دلو فضي متراق على طاولة اخرى مستقلة دفعت اليهما خصيصاً . . .

ولم يسمح ارتشيبالد ارتشيبالدوفتش بفجادة الزائرين الغاضبين الا بعد ان تأكد من ان كل شيء تم حسب الأصول ، والا بعد المغلاة المغطاة التي يطمخ شيء ما في داخلها فصل طائرة فوق أيدي التدل . لكنه لم يفادعهما مع هذا . الا بعد ان همس لهما :

- العفو ا دقيلة واحدة ا سأسرف على الفتائل بنفسي .  
ورهب عن الطاولة مسرعاً ، واختفى في المبنى الداخلي للمطعم . ولو استطاع مراقب تتبجح أعمال ارتشيبالد ارتشيبالدوفتش التالية لهدت له على شيء من الفوضى دون شك .

لسم يتوجه «الرئيس» الى المطبخ للاشراف على الفتائل بنفسه . بل الى مستودع المطعم . فلتعه بملتحاه الخاص والخلق على نفسه الباب وأخرج من صندوق جليد يحذر . كي لا يلوأت كفه . حلقتين كبيرتين ولقهما في ورقة جريدة وربطهما بعناية بخيط ووضعهما جانباً . ثم تأكد ان كان معطنه الخفيف ذو البطانة الحريرية ولبعته ما زال في الغرفة المجاورة للمستودع ،

ومن ثم قفط مضى الى المطبخ حيث كان الطهاخ منهمكاً في تجزيع  
الفتائل التي رعد بها القصران ضيقه .

وينبغي القول هنا انه لم يكن في تصرفات ارتشيبالد  
ارتشيبالدوقتئذ كلها شيء غريب أو مغلز ، ولم يكن ليحسبها  
غريبة أو مغلزة إلا مراتب سطحي . فتصرفات ارتشيبالد  
ارتشيبالد ارتشيبالدوقتئذ بالأحداث الأخيرة ، وخصوصاً  
احساسه الداخلي الفريد هما اللذان أوحيا الى مدير مطعم  
غريبوييدوف أن غداء زائريه . وإن كان قاعراً وسطيأ . إلا انه  
لم يستمر طويلاً . وهذا الاحساس الذي لم يخدع القصران  
السابق أبداً لم يخدعه هذه المرة أيضاً .

وفيما كان كوروفيف وببغيموت يفرعان الكاس الثانية من  
الفودكا الموسكولية الباردة الرائحة السكرية مرتين ظهر على  
الشرفة الصحفي في قسم الأخبار بوبا كندالويسكي المعروف في  
موسكو بأطلاعه المدهش على كل ما يجري وهو يتنصت عرقاً  
وتبدو على وجهه علامات الانارة وجلس الى بيتراكوف وزوجته .  
وضع بوبا حقيبته المتنقلة على الطاولة . ودس على الفور شفتيه  
في أذن بيتراكوف وأسر له بأمر في غاية الانفراد . ولم تتمالك  
مدام بيتراكوفا نفسها عن الفضول ، فقرأت هي الأخرى أذنها  
من شفتي بوبا المدهشتين المنفوختين . بينما كان هذا يلتفت  
حوله بين القبلة والقبلة وهو منهمك في همس لا يفتقر . وكان  
بالامكان سماع كلمات متفرقة من نوع :

- افسم لكما بشرقي ا في سادوقايسا . في سادوقايسا . -  
وهنا خفض بوبا صوته أكثر من ذي قبل . - الرصاص لا يوتر !  
الرصاص . . . الرصاص . . . بنزين . حريق . . . رصاص . . .  
- هؤلاء الكذابين الذين ينشرون هذه الاشاعات الفظيعة ،  
- صغرت في سخط مدام بيتراكوفا بصوتها الخفيض أعلى مما  
يرغب بوبا . - هؤلاء يجب كشف أمرهم ! لكن لا بأس ، هذا ما  
سيكون . لا بد من أن يلزمهم حدهم ! يالها من الكاذب  
ضارة !

- ايسة الكاذب هذه ، يا التونيدا بورفيريفنا ! - هتف  
بوبا مضموماً من عدم تصديق زوجة الكاتب له وهاد يصفر : -

اقول لكم الرصاص لا يؤثر . . . والآن هذا الحريق . . . وهم في الهواء . . . في الهواء . - كان يوبا ينز دون أن يساوره أي شك في أن اللذين يتحدث عنهما يجلسان الآن قريباً منه مستمتعين بصغيره . وعلى أي حال ، سرعان ما انتهت هذه المتعة . فبعد الدفع من الممر الداخلي للمطعم لثلاثة رجال في جزئات عالية شملت حضورهم بسيور ومسدساتهم في أيديهم وصاح الذي في مقدمتهم بصوت مجلجل ومخيف :

- لا تتحركوا ! - وللحال فتح ثلاثهم النار على الشرفة مصوبين رصاصهم الى راسي كوروليف وبيغيموت . وعلى الفور ذاب المستهدفان في الهواء . وانتفض من الواپور عمود من النار على المظلة فكان شديداً مظفوراَ ذا حواف سود ظهر في المظلة واخذ يزحف في كل الاتجاهات . وشجيت النار غير المظلة حتى بلغت سطح بيت فريبوييدوف واندمجت النار فجأة في أخابير الأوراق في نافذة غرفة هيئة التحرير الواقعة في الطابق الثاني تم الانتقال الى الستائر ، وهنا زغرقت النار كأنما شخص ما يزوجها . واندمجت أعمدة داخل بيت العمة .

وخلال ثوان كان يتدفع على الممرات المفروشة بالاسفلت المؤدية الى السياج الحديدي على اليولفسار حيث وصل مساء الأربعاء ايفان اول نذر المصيبة والتي لم يفهمه اذالك أحد . الكتاب الذين لم يعرفوا من لغاتهم والتدل وصوفيا بافلوفنا وروبا وبيتراكوف وزوجته .

وكان ارتشيبالد ارتشيبالدوفتشس الذي خرج من الوقت المناسب من المدخل الجانبي في مظله الخفيف ذي اليطانة الحريرية يقف وهو يتأبط جذعين من جذوع سلك الخشب . كان يقف هادئاً ثابت الجنان : لا يهرب ولا يسرع وكأنه قبطان من واجبه ان يكون آخر من يغادر سفينة لتلتهمها النار .

## الفصل التاسع والعشرون

### . . وحسم مصير المعلم ومرغريتا

عند غروب الشمس وعلى سطح حجري عال يشرف على المدينة في واحدة من أجمل بنايات موسكو التي شيدت منذ نحو

قرن ونصف تقريباً كان الثمان : فولند وأزازيلو . لم يكن فولند وأزازيلو يريا من تحت . من الشارع . لأن درابزينياً عليه فضليات جصية وزهور جيسية كانت تحجبهما عن العيون الطفيلية . لكن المدينة كانت ظاهرة لهما حتى تخومها تقريباً . كان فولند يجلس على كرسي مثلث لا مسند له مرتدياً جبة سوداء وشيشياً طويلاً وعريضاً مفروزاً بين بلاطتين مفلوكتين من بلاط السطح على شكل عمودي بحيث تشكلت ساعة شمسية . كان ظل الشيش يتطاول ببطء وتبات زاحقاً على الخطين الأسودين في قدمي الشيطان . وكان فولند لا يني يرنو الى كتلة مترامية الاطراف من القصور والبنائيات العملاقة والاكواخ الصغيرة التي قدر لها ان تكون مدعرة ، وهو منكش على مقعده وواضع احد رجليه تحته وذقنه المديب على قبضته . وكان ازازيلو الذي نزع ملبسه العصرية ، اي الجاكيت والقبعة الشمعية والحذاء اللامع وارثي السواد كفولند يقف دون حراك على مطربة من سيده . وكسيده لم يكن يرفع عينيه عن المدينة .

وقال فولند :

- يا لها من مدينة طريفة . اليس كذلك ؟

تحرك ازازيلو واجاب باحترام :

- روما تعجيني اكثر ياسيدي .

- نعم . انها مسألة ذوق . - اجاب فولند .

وبعد قليل ارتفع صوته ثانية :

- ما سبب هذا الدخان هناك . على البولفار ؟

- هنا بيت غريبويدوف يحترق .

- اغلب الظن ان هذا الثنائي الذي لا يفترق . كوروفيف

وبيفيموت . كان هناك .

- لا يوجد اي شك في هذا . ياسيدي .

وحين الصمت من جديد . وعاد اللذان على السطح ينظران

الى الشمس كيف تتوهج بأشعتها الباهرة المتكسرة في نوافذ

الطوابق العليا لهذه الكتل الضخمة المطلّة على الغرب . وكانت

عين فولند تتوقف كواحدة من تلك النوافذ . مع ان فولند كان

يولي الشمس الغاربة ظهراً .

لكن شيئاً ما جعل فولند يحول عينيه عن المدينة . ويركز

اعتماده على الـجـرج الدائري الذي كان على السطح خلف ظهره .  
فقد خرج من جدار الـجـرج رجل متجهـم ، أسود اللحية ، مزق  
الثياب ، ملوث بالطين يرتدي ثوباً يونانياً قديماً ويشتمل صندوقاً  
صغره بفضله .

- يا ا - هل فولند وهو يرسل الى الداخل نظرة سخرية .  
- آخر ما يمكن توقعه هو وجودك هنا ا في أي شأن شررت  
أيها الضيف الذي لم تدعه لكننا كنا ننتظره ؟

- انا أت اليك ياروح الشر وسيـد الأطياف . - اجاب  
الداخل وهو ينظر شزواً الى فولند .

- اذا كنت قادماً اليّ فلماذا لم تلتق التحية يا جامع العشر  
سابقاً ؟ - قال فولند بلهجة قاسية .

- لا أريد لك أن تكون في خير . - اجاب الداخل بوقاحة .

- انما ينبغي عليك الرضى بهذا والتسلـيـم به . - قال

فولند برد عليه وقد لوى شفتيه في ابتسامة ساخرة . - ماكنت

تظهر على السطح حتى طالعنا بقول سخيف . وساقول لك ما وجه

السخر فيه - انه في نبرات صوتك . نطقت كلماتك وكأنك لا

تعترف بالأطـيـاف وكذلك بالشر . الا لتكـرم وتـفـكر قليلاً في

الموضوع : ما شأن الخير الذي تتحدث عنه اذا لم يوجد الشر ،

وكيف كانت الأرض تبدو لو اختفت منها الأطياف ؟ الأطياف

تصدر كمسا هو معلوم عن الأشيـاء والناس . هاهو ذا طيف

شيشي . انما هناك اطياف للأشجار والكاننات العية . الا يكون

يؤكد أن تجرّد الكرة الأرضية مما عليها من شجر وكانن حتى

لمجرد وهم وكيف هو التمتع بمنظر العالم عارياً ؟ انت لحي .

- لا أنوي الدخول في نقاش معك . أيها السفسطاني

العتيق . - اجابه متى اللاوي .

- بل لا تستطيع مناقشتي للسبب الذي ذكرته لك : انت

لحي . - اجابه فولند وأردف يسأله : - أي . قل لي باختصار

دون أن ترهقني . لماذا حضرت ؟

- لقد بعثني اليك .

- وما الذي أهرج بأجله أيها العيد ؟

- لست عبداً . - اجاب متى اللاوي وهو يشتد غضباً . -

بل انا تلميذ .



- اننا نتكلم لغتين مختلفتين كعهدنا دائماً ، - ردّ فولند ،  
 - لكن الأسماء التي نتكلم فيها لا تتغير بسبب ذلك ، هكذا . . .  
 - لقد قرأ كتاب المعلم ، - قال متى اللاوي ، - وهو يطلب  
 اليك ان تأخذ المعلم معك وتمسحه الطمأنينة . فهل يصعب عليك  
 هذا ، ياروح الشر ؟  
 - لا يصعب شيء عليّ ، وانت تعرف هذا جيداً ، - قال  
 فولند وصمت قليلاً ثم أردف : - لكن لماذا لا نأخذانه اليكما ،  
 الى النور ؟  
 - انه لم يستحق النور ، بل الراحة ، - قال اللاوي بصوت  
 حزين .  
 - ابلغه اني فاعل ما طلب ، - اجاب فولند ثم أردف وقد  
 وعظت عينه : - اليك عني فوراً .  
 - ويطلب اليك ان تأخذوا معكم ايضاً تلك التي احببته  
 وتعذبت بسببه ، - قال اللاوي يناشد فولند بصوت رقت فيه  
 لأول مرّة نبرة توسل .  
 - كأننا بحاجة اليك لتدرك ذلك ، غيب عن وجهي .  
 واختفى متى اللاوي بعد هذا ، أما فولند فقد دهم اليه أزازيلو  
 وامره قائلاً :  
 - طر اليهما ورتب كل شيء .  
 غادر أزازيلو السطح وبقي فولند وحيداً . لكن وحدته لم  
 تدم طويلاً . فقد سمع على بلاط السطح وقع اقدام وأصوات  
 مشارة ، ووقف كوروفيف وبيغيموت بين يدي فولند . لكن  
 الوايبر لم يكن الآن مع اليمين ، بل كان هذا محملاً بانسياء  
 أخرى . وهكذا كان يتأبط لوحة صغيرة بمنظر طبيعي في اطار  
 ذهبي ويحمل على يده لباساً من البسة الطباخين نصف محترق ،  
 ويسك بيده الأخرى سمكة سلمون كاملة ، بجملتها وذنبها .  
 وكانت تليح من كوروفيف وبيغيموت والحة حريق ، وكانت  
 سحنة بيغيموت مغطاة بالسفام وكبيته نصف محترقة .  
 - سلام يا سيدنا ، - هتف التثالي الذي لا يتعب ولا يتكل ،  
 ولوّح بيغيموت بالسلمون .  
 - يا لعلاوتكما ! - قال فولند .

- تصور ياسيدي ، - هتف بيغيموت بحماسة وفرح ، -  
اعتبروني لهناًياً !
- اذا حكمتنا عليك من الأشياء التي تحملها فانت النهاب  
بعينه ، - قال فولند وهو يتطلع الى اللوحة .
- هل تصدق ياسيدي . . . - شرح بيغيموت بقول بصوت  
يفيض بالعودة لكن فولند قاطعه قائلاً باختصار :  
- لا ، لا اصدق .
- اتسم ياسيدي اني قمت بمحاولات بطولية لانتقال كل ما  
يمكن انتقاذه ، لكن هذا كل ما امكن فيه .
- الافضل ان تخبرني عن سبب احتراق فريبوييدوف .
- بسط كلاهما ، كوروفيف وبيغيموت ، يديهما في حيرة .  
وربما غيرتهما الى السماء ، في حين صاح بيغيموت :  
- لست انهم ما حدث ا كنا جالسين في دقة ويهدوء تام  
نعم . . .
- ولجأة تراخ ، - اكمل كوروفيف ، - صوت وخصاص ا  
طار صوابنا . فاندفعت أنا وبيغيموت واكسبين الى الجوفار فلذا  
بعضهم يلحق بنا ويتعقبنا ، فاندفعنا الى تيميريازيف \* ا  
وهنا تدخل بيغيموت وتابع قائلاً :
- لكن الشعور بالواجب تغلب على شوقنا المخزي فعندنا ا  
- آه ، عدتمسا ؟ - قال فولند ، - اذالك احترق البنشاء  
برمته .
- برمته ا - أكد كوروفيف في حزن ، - برمته تماماً  
ياسيدي كما تفضلت وعبرت بدقة . لم يبق منه الا جر .  
وتابع بيغيموت :
- واندفعت الى قاعة الاجتماعات - ذات الاعمدة تلك  
ياسيدي - حاسباً اني ساتمكن من انتشارال أشياء ثمينة . آه  
ياسيدي ، لو كانت لي زوجة لكادت تترمك عشرين مرّة ! لكن  
لحسن الحظ لست متزوجاً ياسيدي . والقول لك بصراحة : اني

\* المقصود هنا عمال تيميريازيف عالم الطبيعيات الروسي ،  
المترجم .

- سعيد لاني لم اتزوج . آه ياسيدي هل يمكن استبدال حياة  
العزوبة بنير ثقيل !
- بدا الهلر والكلام السخيف مرة اخرى ! - لاحظ فولند .
- سامح ومتابع . - اجاب القط . - اي نعم ، هاهي ذي  
اللوحة لم استطع اخراج غيرها من القاعة ، فقد صنعني اللهب  
في وجهي فعدوت الى المستودع وانقذت سمكة السلمون ، ثم  
الى المطبخ وانقذت الفوطه . واحسب ياسيدي اني فعلت كل  
ما كان بوسعني فعله . ولست ادري كيف الحسّر عبارة التشك  
والريبة العرتسة على وجهك .
- وما الذي فعلته كوروفيف حين كنت تقوم باعمال  
التهب ؟ - سأل فولند .
- كنت اساعد رجال الاطفاء ياسيدي . - اجاب كوروفيف  
وهو يشير الى سريره الممزق .
- آه . اذا كان الامر كذلك ، ينبغي بطبيعة الحال تشييد  
بناء جديد .
- سيضاد حتماً ، ياسيدي . - ردّ كوروفيف . - واجرؤ  
على تأكيد ذلك .
- حسناً ، بقي ان نتمنى ان يكون خيراً من سابقه . -  
لاحظ فولند .
- وهذا ما سيكون ، ياسيدي . - قال كوروفيف .  
واضاف القط :
- صدقتي ، انا نبي حقيقي .
- على اي حال . - قال كوروفيف بلهجة من تقدم  
تقريباً . - ها نحن اولاء قد حضرنا ، ونحن بانتظار تعليماتك .
- نهض فولند عن كرسيه واتجه الى المرايزين وظلّ فترة  
طويلة وحده يتطلع الى البعيد في صمت وقد اذار ظهره الى  
حائتيه . ثم انسحب من حافة السطح وتهالك على كرسيه مرة  
اخرى .
- لا تعليمات جديدة . لقد فعلنا ما بوسعنا ، ولم تعد  
بي حاجة الى خدماتنا . بوسعنا اخذ لسط من الراحة .  
العاصفة ، العاصفة الاخيرة قادمة للتو وستنجز كل ما يجب  
انجازهُ ، ثم نمتانف طريقنا .

- تمام ، ياسيدي ، - اجاب المهرجان واختليا في مكان ما خلف البرج المركزي الدائري القائم في وسط السطح .  
 واخذت العاصفة التي تكلم فولند عنها تتجمع في الافق .  
 ارتفعت سحابة سوداء في الغرب وقطعت الشمس من منتصفها ،  
 ثم حجبتها بالكامل . ضاعت البرودة على السطح ، وما هي الا  
 فترة حتى ادلهم الظلام .  
 سجت الظلمة القاعمة من الغرب المدينة الضخمة . اختفت  
 الجسور ، واختفت التصور . كل شيء اضمحل وكان لم يكن له  
 ابدأ من وجود . ومرق غير السماء غيظ ناري ، وهزت المدينة  
 طربة . وتكررت الضربة ثانية وبيدات العاصفة . ولم يعد فولند  
 يرى في ظلامها .

## الفصل الثلاثون

### آن الاوان ! آن الاوان !

قالت مرغريتا :

- هل تعرف ، فرات ليلة البارحة حين لغوت عن الظلام  
 الزاحف من البحر المتوسط . . . وهذه التماثيل . أم ، التماثيل  
 الذهبية . انها لسبب ما لا تدع لي دقيقة راحة . يبدو لي ان  
 المطر سيسقط قريباً . الا تشعر ان الجو اخذ يميل الى الرطوبة ؟  
 - هذا كله جيد ولطيف ، - قال المعلم وهو يدخن ويبدد  
 اعمدة الدخان بيده . - وهذه التماثيل ، لها الله ! الشيء  
 الوحيد الذي لا أستطيع فهمه على الاطلاق هو ما الذي  
 سيحل بنا !

كان هذا الحديث يدور عند مقبب الشمس ، اي بالضبط  
 حين ظهر متى الاوي لفولند على السطح . كانت نافذة القبو  
 الصغيرة مفتوحة ، ولو قدر لأحد ان يلقى نظرة منها لأخذته  
 الدعشة من مدى غرابة مظهر المتحدثين . كانت مرغريتا قد  
 التت برودة سوداء على جسدها العاري ، وكان المعلم في ثياب  
 المستشفى . ذلك انه لم يكن لدى مرغريتا ما لتلديه بناتاً ،

لأن كل المراضها وملابسها بقيت في الدار . وعلى الرغم من أن دارها لم تكن تبعد كثيراً . إلا أنه لم يكن أي مجال للكلام هنا بطبيعة الحال من إمكانية عودة مرغريتا إلى بيتها وأخذ ملابسها . أما المعلم الذي وجدت كل ملابسها في الخزانة وكانه لم يغادر بيته . فلم يرغب . بكل بساطة . في تبديل ملابسها . بل ما انك يعرض على مرغريتا تلك الفكرة التي أخذت عليه عقله عن قرب حدوث شيء ما في غاية السخف . والحق يقال أنه خلق ذلته لأول مرة منذ تلك الليلة الخريفية (في المستشفى كانوا يتصون له شعر لحيته بألة) .

وكانت الغرفة أيضاً ذات منظر غريب وكان من العسير جداً أن تلهم شيئاً في الفوضى الضاربة أطنابها فيها . كانت المخطوطات على السجادة كما كانت على الديوان . كما كان هناك كتيب ينيخ على الأريكة وقد علا سنامه . وعلى الطاولة المستديرة أهدى غداء . وبين ألوان العزّة المتعددة انتصبت عدة زجاجات . أما من أين حضرت كل هذه المأكولات وكل هذه المشروبات فلم يكونا كلاهما . مرغريتا أو المعلم . يعلمان من أمرها شيئاً . صحوا فوجدوا هذا كله على الطاولة .

شعر المعلم وصديقه . وقد استغرقا في توصيها حتى فروب شمس السبت . أنهما قد استعادا قوتها ونشاطها تماماً . شيء واحد فقط كان يذكرهما بمغامرات الباردة : ألم خفيف في الصدغ الأيسر أما من الناحية النفسية فقد طرات عليهما تغيرات كبيرة جداً . كان يوسع أي كان التاكيد منها فيما لو قدر له التفتت إلى حديثهما في شقة القبو . ولكن من أين لك أن تجد من ينصت . فمضة الغناء أنه كان خالياً على الدوام . وعند النافذة كانت أشجار الزيزفون والخلاف . التي تزداد خضرة مع كل يوم . تسكب والحنها الربيعية الفواحة فيحملها النسيم إلى القبو .

- يا للشيطان ! - هتف المعلم بغتة . - شيء ينجس . - وأطفا عقب سبكارته في المنفضة وعصر رأسه بين يديه . - لا . اسمعي . أنت انصانة ذكية ولم تجن يوماً . هل أنت واثقة جداً بأننا كنا الباردة عند الشيطان ؟

- بكل جدية . - أجابته مرغريتا .  
- طبعاً . طبعاً . - قال المعلم بسخرية . - صرنا إذن

مجنونين بدلاً من واحد الزوج والزوجة ! - ورفع يديه الى السماء وصاح : - لا ، الشيطان يعلم ما هذا ، الشيطان ، الشيطان ، الشيطان !

وبدلاً من ان تجيبه مرغريتا ، ارتقت على الديوان وراحت تهلهل وتلعثم رجلها الحافيتين ثم هتفت :

- آه ، شيء مضحك ! لو انك ترى ما تشبه ا

وبعد ان شبعت مرغريتا قهقهة فيما كان المعلم يشد بخجل سرواله الداخلي المعطر له في المستشفى ، عادت مرغريتا الى جدتها وأردفت تقول :

- الآن قلت الحقيقة دون قصد ، الشيطان يعلم هذا ، والشيطان ، صدقني ، سيرتب كل شيء ا - وهنأ برقت عينها فجأة ، وهبت واثقة وأخذت تتراقص وتصيح : - كم انا سعيدة ، كم انا سعيدة ، كم انا سعيدة بالصفة التي علقها مع ا ايه ، الشيطان ، الشيطان ! لا مفر لك من العيش مع ساحرة ، يا عزيزي . - ثم انقضت على المعلم وطولت عنقه وراحت تقيهقه في ضلعيه واثقه وخديه وخصلات شعرها الأسود غير المسوي تتوالى على المعلم ، وتورد خداه وجبينه تحت حرّ قبالتها .

- أصبحت بالفعل تشبهين الساحرة .

- هذا لا أنكره ، اني ساحرة وانى لجدّ واخية ا

- حسناً ، حسناً ، ساحرة ، كما ثنائيتين ، هذا شيء رائع ونعم ا لقد اختلطت من المستشفى اذن ؟ هذا أيضاً شيء لطيف جداً ، وأعدت ال هنا ، لتفرض هذا أيضاً . . . وتفرض أيضاً أنهم سيدعوننا وثنائنا ، لكن قولني لي بحق كل ما هو مقدس ، كيف ستعيش ومن أين ؟ اني ، اذ أقول هذا ، انما أفكر فيك ، صدقيني .

في هذه اللحظة بدا في النافذة خداه مديّب والقسم السفلي من بنطال مخطط ، ثم انثنى هذا البنطال عند الركبة وحجبت ضوء النهار مؤخره مكتنزاً .

- الريبزي ، هل انت في البيت ؟ - سال صوت ما في مكان

ما فوق البنطال وخلف النافذة .

- بدأت ، - قال المعلم .

- الربيزي ؟ - سألت مرغريتا وهي تدنو من النافذة ، -  
اعتقل الباردة . من يسأل عنه ؟ وما اسمك ؟  
وفي نفس اللحظة اختفت الركبتان والمؤخرة ، وسمع باب  
الحديفة يصطك ، وهاد كل شيء ، الى سابق عهده . ارتدت مرغريتا  
عن الديوان وراحت تنهقه بحيث طمرت الدموع من عينيها ،  
وعندما هدا زوجها كان وجهها قد تغير تغيراً شديداً فقالت بعداً  
وهي تنزل عن الديوان وتدنو من ركبتى المعلم زحفاً وتحدثني  
في عينيه وتربت على رأسه :

- كم تعذبت ، كم تعذبت ياعزيزي المسكين . ولا احد  
يعرف بعدائك سوى ا انظر في رأسك خيوط بيض ولحسون  
دايمة عند الشفتين . ياعزيزي ، يا حبيبي الوحيد لا تفكر في  
شيء . . . . كان من قدرك ان تفكر كثيراً ، والآن سافكر انا  
عنيك ا واؤكد لك . اؤكد لك ان كل شيء سيكون على خير ،  
خير ما يرام .

- وانا لست اخشى شيئاً ، يامارغو ، - اجابها المعلم  
فجأة ورفع رأسه فهذا لها مثلما كان حين كان يكتب عما لم  
يره ابدأ ، انا كان يعرف يقيناً بوجوده . - لست خالفاً لاني  
خبرت كل شيء . خوفوني اكثر مما يجب . ولم يعد هناك ما  
يخوفونني به ، لكنني اشفق عليك يامارغو ، هنا السر ، وهنا  
سبب الحاشي . فوي الى رشكك ، ما الداعي لان تعظمي حياتك  
مع انسان مريض وفقير ؟ هودي الى بيتك ا اني اشفق عليك ،  
ولهذا اقول لك ما اقول .

- آه منك ، آه منك ، - قالت مرغريتا في همس وهي تهز  
رأسها الأشعث الشعر . - آه منك ايها القليل الايمان واليانس .  
بسببك بقيت طول ليلة امس ارتجل عارية ، فقدت طبيعتي  
واستبدلتها باخرى جديدة ، بقيت عدة اشهر في زخانة مظلمة  
وانا لا افكر الا في شيء واحد - في العاصفة الرعدية فوق  
اورشليم ، دموع عيني جلت من فرط البكاء ، والآن ، وقد  
انهرت علينا السعادة ، تطردني ؟ حسناً ، سافادرك ، سافادرك ،  
لكن اعلم انك انسان قاس . لقد خرّ بورك من الداخل ا

تدفقت موجة من العنان السر الى قلب المعلم ، ولسبب ما  
اخذ يبكي وقد دفن وجهه في شعر مرغريتا ، قاخذت هذه همس

به ودعوتها تجري على خديها ، واصابعها تغتالج على صدغي المعلم :

- نعم ، الخيوط ، الخيوط . . . امام عيني\* رأسك يشتعل بالثيب ، آه وأسك ، رأسك الذي ذاق الكثير من العذاب . انظر الى عينيك ا انها كصحراء . . . وكذلك كثفالك المثلقتان . . . لقد شوّهوك ، شوّهوك ، - بات كلام مرغريتنا هنا مفككاً ، وكانت مرغريتنا تنتفض من شدة البكاء .

اذاك مسح المعلم عينية وانفض مرغريتنا عن الارض ونفض هو نفسه وقال بصوت حازم :

- كفى ! لقد اشجنتني . لن اسمح لنفسي ابداً ان يتورها الضعف ثانية . ولن اعود الى هذا الموضوع من جديد . كوني مطمئنة . اعرف اننا نحن الاثنين ضحيتا مرضنا النفسي الذي قد اكون انا الذي نقلت عدواه اليك . . . ولكن لا بأس . ستتحمله معاً .

قرّبت مرغريتنا شفيتها من اذن المعلم وهيمت :

- اقسم لك بحياتك ، اقسم لك بايمن المنجم الذي تبينت سره ، ان كل شيء سيكون على ما يرام .

- حسناً ، حسناً ، - ودّ المعلم ، ثم ابتسم واردف : - بالطبع عندما يُسلب الناس وينهبون تماماً ، كما هو حالنا ، فانهم يبحثون عن الخلاص لدى قوّة غيبية الا لا بأس ، انا مستعد لبحث عنه هناك .

- ارايت ، ارايت ، عدت كالسابق ، صرت تضحك ، - اجابت مرغريتنا ، - لياخذك الشيطان انت وكلماتك العلمية . غيبى او غير غيبى ليس الامر سواء ؟ لقد جئت ، وسحبت المعلم من يده الى الطاولة .

- لست واثقاً من ان هذا الطعام لن يغور في الارض الآن او لن يطير من النافذة ، - قال المعلم وقد عاوده هدوءه كاملاً .

- لن يطير ا  
وفي هذه اللحظة بالذات سمع في النافذة صوت اغن يقول :  
- السلام عليكم .



ارتعد المعلم ، أما مرغريتا التي اعتادت الأشياء الغريبة ،  
لقد هتفت :

- انه أزازيلو ! آه ، ما أحسن هذا وما الطهه ! -  
وهمست للمعلم : - أرايت ، أرايت ، انهم لا يشغلون عنا ! -  
واندفعت تفتح الباب .

- لو تدرت بشيء على الأقل ، - صاح المعلم في اثرها .  
- لا أهمية لذلك ، - جاء جوابها من المر .

وما هي لحظة حتى كان أزازيلو ينحني ويسلم على المعلم  
ويقدح عينه العواء ، بينما كانت مرغريتا تهتف :

- آه ، ما اسعدني ! لم اكن سعيدة في حياتي كلها كهذه  
اللحظة . اعذوني يا أزازيلو لاني عارية .

وجاءها أزازيلو الا تعلق مؤكدا انه لم ير نساء عاريات  
وحسب ، بل حتى نساء سلخ جلدن تماما ، وجلس الى الطاولة  
في الجبال بعد ان وضع في الركن الذي عند المدفأة صرة ملفوفة  
بديباج قائم اللون .

سكبت مرغريتا لأزازيلو كونيكا فشربه بالقبال . وكان  
المعلم في هذه الأثناء يلزم بين القينة والقينة وسع يده اليسرى  
تحت الطاولة دون أن يرفع عينيه عن أزازيلو . لكن هذه  
القرصات لم تنفعه في شيء ، فلم يذب أزازيلو في الهواء .  
والحق يقال انه لم تكن الى هذا اي ضرورة او حاجة ، إذ لم  
يكن في هذا الرجل القصير القامة المائل الى الصهبة اي شيء مخيف  
للمهم الا عينه ذات الغشاوة ، لكن هنا يحدث حتى دون اي  
وجود للمحر ، والا توبه غير المؤلف بعض الشيء الذي لا  
تدري اهو برودة أو جليباب ، لكن حتى هذا يتصادف كثيراً اذا  
تمعنا في الأمر جيداً . والكونياك كان يشربه ببطء ، ككل الناس  
الطيبين ، اقتناعاً كاملاً دون أن يمز . ومن هذا الكونياك تلمسه  
دارت رأس المعلم واخذ يفكر :

«لا ، مرغريتا على حق ! امامي الآن رسول الشيطان طبعاً !  
انا نفسي قبل فترة لا تتعدى ليلة ما قبل البارحة كنت أبرهن  
لايفان انه انما التقى لي بتريبرشبي الشيطان بالذات ، والآن لا  
ادري لماذا ذمعت من هذه الفكرة ، واخذت اثرت عن المتوسمين

المغناطيسيين وعن الهلوسات . ولكن أي متوسمين هؤلاء بحق الشيطان ؟ .

واخذ يعين النظر في أزازيلو فتأكد أن شيئاً ما مكرهاً عليه . أن فكرة ما تلوح في عينه . وأنه يتربص في الانضاء بها . ولم يات لمجرد الزيارة . بل حضر في مهمة ما - قال المعلم في سره .

ولم تغنه قوة ملاحظته . وقال أزازيلو بعد أن شرب الكاس الثالثة التي لم تؤثر فيه أي تأثير :

- ياله من فهو مريب . ليأخذني الشيطان ! انما هناك سؤال واحد يقض مضجعي . ما الذي يمكن أن يفعلسه المرء في هذا القبر ؟

- هذا ما كنت أقوله . - اجاب المعلم ضاحكاً .  
- لماذا تقلق راحتى يا أزازيلو - سألت مرغريتا . -  
بشكل من الاشكال ؟

- ماذا تقولين . ماذا تقولين . - هتف أزازيلو . - لم تضطر حتى بيالى فكرةزعاجك . وانا ايضاً أقول . بشكل من الاشكال . كنت انسى . سيدي يفرىكما السلام . كما أمرنى باهلاكمما دعوتك للقيام معه بنزهة صغيرة . هذا اذا كنتمما توافقان طبعاً . فما رأيكما ؟

لكرت مرغريتا المعلم برجلها تحت الطاولة .  
- بكل سرور . - اجاب المعلم وهو لا يزال يتفحص أزازيلو . بينما تابع هذا كلامه :

- ونأمل الا ترفض مرغريتا ليقولايها ايضاً دعوتنا ؟  
- لن أرفض بالطبع . - قالت مرغريتا وراحت وجلها تهرج على رجل المعلم مرة أخرى .

- شئ . مدغش ! - هتف أزازيلو . - هذا ما أحب !  
واحد . اثنين وكل شئ . جاهز ! لا كما حدث تلك المرة في حديقة الكسنروفسكي !

- آه . لا لتذكرني يا أزازيلو ! كنت غبية اذاك . وعلى أي حال لا يجوز أن تبالغ في لومي . فليس يلتقي الانسان كل يوم بروح شريرة !

- بالتأكيد . - قال أزازيلو متشياً ، - ولو حدث مثل هذا كل يوم لكان شيئاً لطيفاً .  
 - أنا نفسي تعجبني السرعة . - قالت مرغریتا في اندفاع ،  
 - تعجبني السرعة والعري . كما من الماورد - واح' آه ، ما  
 انهره في الرمي ، - صاحت مرغریتا مخاطبة المعلم ، - ورقة  
 السبعة تحت المخذة والنقطة التي تشاء . . . - كانت المرغريد  
 أخذت تدور في رأس مرغریتا مما جعل عينيها تتولدان .  
 - ونسيت أيضاً ، - صاح أزازيلو وهو يلطم جبينه ، -  
 لقد نال مني التعب تماماً . فسيدي بعث إليك بهدية . - هنا كان  
 أزازيلو يوجه كلامه الى المعلم بالذات ، - زجاجة نبيذ . وأرجو  
 ان تلاحظ انه نفس النبيذ الذي كان حاكم اليهودية يشربه .  
 نبيذ فاليرنو .

من نافل القول ان هذا الشيء النادر انار اهتمام كل من  
 مرغریتا والمعلم . وأخرج أزازيلو من قطعة الديباج التابوتي  
 دورقاً غطاء العفن تماماً . شموا النبيذ وسكوه في كؤوس  
 وأخذوا يرنون من خلاله الى الضوء يخفتي في النافذة قبيل  
 العاصفة . وراوا كيف كان كل شيء يتخضب بلون الدم .  
 - في صحة فولند ا - هتفت مرغریتا وهي ترفع كأسها .  
 أدنى ثلاثهم شفاههم من كؤوسهم وجرعوا جرعة كبيرة .  
 وللحال أخذ ضوء مسا قبل العاصفة ينطق ، في عيني المعلم  
 واحتبست انفاسه وأحس ان نهايته قد حان . ورأى أيضاً  
 مرغریتا التي علت وجهها صلرة الصوت تلقي رأسها على الطاولة  
 وهي تمد اليه يديها في وهن . وسقطت مرغریتا على الأرض .  
 - أيها القائل ، - صاح المعلم بما بقي فيه من قوة ،  
 وأراد استلال السكين من على الطاولة كي يظن بها أزازيلو ،  
 لكن يده سقطت عاجزة عن السماط واكتس كل ما يحيط بالمعلم  
 في اللبو باللون الأسود ثم اختفى تماماً . سقط المعلم على  
 ظهره . وشح وهو يسقط جلد رسته على ركن المكتب .

عندما سكن المسمومان ، بدأ أزازيلو عمله . وكان أول  
 ما فعله ان انطلق من النافذة ، وفي لحظات كان في الدار التي  
 كانت مرغریتا نيقولايفنا تقطنها . أراد أزازيلو الدقيق والمنظّم  
 دائماً التاكيد من ان كل شيء نفذ كما يجب ، وقد كان كل شيء

كما ينبغي . رأى أزازيلو امرأة متجهة الوجه تنتظر عودة زوجها  
تخرج من مخدعها . ثم يسحب لونها بغثة وتضع يدها على قلبها  
وتصبح بصوت عاجز :

- نانا انا شخص ما . . . الرى ١ - وسقطت على الأرض  
في غرفة الاستقبال دون أن تبلغ المكتب .

- كل شيء على ما يرام . - قال أزازيلو . وفي لحظة طار  
الى جانب العاشقين الصريحين . كانت مرغريتا منطرفة على الأرض  
ورجها مدفون في السجادة . قلبها أزازيلو بيديه الحديديتين  
كانها دمية وأدار اليه وجهها وحدق فيه . وعلى مرأى منه أخذ  
وجه الفتيلة المسمومة يتغير . كان بالامكان حتى في الظلام  
الهابط مع اقتراب العاصفة رؤية حوّلها السحري الموقت  
ولساوة ملامحها وعملها تغلغلي . واشرق وجه الميتة ورقاً أخيراً .  
ولم تعد تكشيرتها تكشيرة وحش ضار . بل تكشيرة تفيض  
بالأنونة والعذاب . اذالك ياعد أزازيلو أسنانها البيض المطيلة .  
وسكب في فيها بضع قطرات من نفس النبيذ الذي سمعها به .  
تهدت مرغريتا وشرعت تنهض دون مساعدة أزازيلو واستوت  
في مخدعها وسالت بصوت وهن :

- لماذا يا أزازيلو . لماذا ؟ ما الذي فعلته بي ؟

ورأت المعلم الرائد فارتعدت وهست :

- لم اكن أتوقع هذا . . . يا للقاتل !

- لا . قلت لك لا . - اجاب أزازيلو . - سينهض الآن .

آه لماذا أنت متوترة الأصباب هكذا !

وصدقته فوراً لشدة ما كان صوت الشيطان الأصهب مقنعاً .

وثبت مرغريتا قوية حية وساعدت في اسفاء الرائد الخمر . فتح

هذا عينيه . والتي نظرة متجهة وكرّر في حقد كلمته الأخيرة :

- القائل . . .

- آه ! الاهانة هي المكافاة المألوفة على العمل الجيد . -

اجاب أزازيلو . - احقاً انك أعشى ؟ أبصر اذن بسرعة .

وهنا هب المجلسم والفلسا . وتطلع حوله بعينين حيتين

مشرقتين وسأل :

- ما معنى هذا الشيء الجديد ؟

- معناه ان حان الأوان . أخذت العاصفة ترمعد . ألا تسمع ؟

الغلام يطبق والخيول تلمص الأرض بحوافرها ، والحديقة الصغيرة تهتز . ودج القبو ، ودّعه بسرعة .

- آه ، فهيت . - قال المعلم وهو يتلفت حوله . - لقد قتلنا . نحن الآن أموات . آه ، ما أذكي ما فعلت وكم جاء في وقته ! الآن فهيت كل شيء .

- آه ، عفوك . - أجابسه أزازيلو . - أنت الذي تقول هذا ؟ صديقتك تدعوك المعلم . وانت تفكر . فكيف يمكن أن تكون ميتاً ؟ أيجب هنا كي تعتبر نفسك انساناً حياً أن تجلس في هذا القبو وتليس قميص وسروال الرضي ؟ هذا مضحك ! - فهيت كل ما قلت . - صاح المعلم . - لا تكلم ! أنت محق ألف مرة .

وأخذت مرغريتا تردّد :

- فولند العظيم ! فولند العظيم ! لقد تفتق ذهنه عن الخطل مما تفتق عنه ذهني . انما الرواية ، الرواية . - راحت تصرخ للمعلم . - خذ الرواية معك أني طرت . - لا داعي لذلك . - أجابها المعلم . - فانا احفظها عن ظهر قلب .

- لكن ان تنسى كلمة . . . كلمة واحدة منها ؟ - سألت مرغريتا وهي تلتصق بصدر عشيقها وتمسح الدم عن صدقه . - لا عليك . فمئة الآن لن أنسى أي شيء أبداً . - أجاب المعلم .

- النار اذن ! - صاح أزازيلو - النار ، منها بدأ كل شيء ، وبها تنهي كل شيء .

- النار ! - صرخت مرغريتا بصوت رهيب . اصططكت الناقله وقذفت الريح الستائر جالبا . ودوت في السماء نصفة رعد ممرحة قصيرة . دس أزازيلو يده ذات المخالب في الوعد وسحب جرة مدخنة وأضرم بها النار في السباط على الطاولة . ثم أضرم النار في رزمة صحف قديمة على الديوان ثم السطوط لستارة الناقله . أما المعلم ، الذي أخذته نفوس الانطلاق المتقبل على ظهور الخيل ، فقد قلب بكتاب من الرف على الطاولة وتنف اوراقه وألقى بها في السباط المحترق . وزغرذت النار في الكتاب .

- احترقني ، احترقني ايها الحياة الصابغة !

- احترق ايها العذاب ! - صاحت مرغريتا .

اخذت الغرفة تترنج بين الاعمدة الارجوانية ، وهرج ثلاثة  
بركضون مع الدخان من خلال الابواب ويصعدون المرح الحجري  
حتى صاروا في الغناء . وكان اول ما راوه طبائخة صاحب البيت  
تضي على الأرض وقد تناثرت حولها رؤوس البطاطس وبيض  
حزيمات من البصل . كانت حالة الطباخة مبهومة . قلب العنبر  
كانت ثلاثة احصنة دهم تمحسم وتنتفض وتفتجر الأرض تحت  
اقدامها . وكانت مرغريتا اول من اعطى حصاناً فثبها ازايلو  
ثم المعلم . اطلقت الطباخة انبثاً وارادت رفع يدها لرسم اشارة  
الصليب . لكن ازايلو صاح من فوق السرج متوعداً :

- اقطع يدك ! - وصغر قضيت الجياد وانفرت في سحابة  
سوداء واطنة محطة الصان الزيزفون . وللحال اندفع من نافذة  
القبو دخان ، وتناهى من اسفل صراخ ضعيف ، بانس للطباخة :

- حريق ! -

كانت الجياد تحرق الآن فوق سطوح موسكو .

- اريد الغاء نظرة وداع على موسكو ، - صاح المعلم مخاطباً  
ازايلو الذي كان يعدو في المقدمة . واكل الرعد بقية جملة  
المعلم . اوما ازايلو براسه واطلق جواده خبياً . كانت تندفع  
بالجاء الطائرين سحابة لما تنتجر بالمطر .

كانوا يحلقون فوق بولفار بدأت تتساقط عليه اول قطرات  
المطر فرأوا اشكال الناس الصغيرة تتراكم هنا وهناك محتبة  
من المطر . وحلقوا فوق دخان هو كل ما تضي من فريوييدوف .  
وحلقوا فوق المدينة التي لمرها الظلام . كانت البروق تلمع  
فوقهم . ثم اعقب البيوت بساط كبير من الخضرة . لذلك انهر  
المطر وحول الطائرين الى ثلاث قفازات فضحة في الماء .

كانت مرغريتا قد خبرت الاحساس بالتحليق اما المعلم  
فلا . ولهذا اخذته الدهشة من سرعة بلوغهم الهدف . بلوغهم من  
اراد ان يودعه ، لانه لم يكن عنده من يودعه سواء . وتعرف  
من لوره في زهد المطر على بناء مستشفي سترافنسكي وعمل النهر  
وعمل الحرش الثامن على الضفة الاخرى الذي درسه جيداً . وببطوا  
فوق مرج في دغل غير بعيد من المستشفي .

- سانتظر كما هنا ، - صاح أزازيلو وهو يحقد يديه على شكل بوق ، تجلوه البروق تارة ويغيب في الغشاوة الرمادية تارة أخرى . - ودعاها ، انما بسرعة !

وثب المعلم ومرغريتتا عن سرجهي جوارديهما وانطلقا يلوحان تارة ويختفيان تارة ، كأنهما شبحان هائبان ، غير حديقة المستسلفي . وما هي الا لحظة أخرى حتى كان المعلم يزيح يده معتادة شيك الشرفة في الفرقة رقم ١١٧ ، تبعته مرغريتتا ومضيا كلاهما الى ايفان دون أن يراهما أو ينتبه اليهما أحد في زمزمة الرعد وعوانه . وتوقف المعلم عند السرير .

كان ايفان متبهداً دون حراك كعهده آنذاك ، حين راقب العاصفة في بيت استجمامه لأول مرة . لكنه لم يكن يبكي كما في تلك المرة . ولما حدق ملياً في الطيف الأسود المتسلل اليه من الشرفة ، نهض قليلاً ومد يديه وقال بفرح :

- آ ، هذا انت . انتظرتك بفسارغ صبر . وهالدا انت يا جاري .

وأجابه المعلم :

- انا هنا ا لكني لا استطيع ان اكون جارك بعد الآن مع الأسف . سأطير بعيداً عنك والى الأبد . ولم آت اليك الا لأقول لك وداعاً .

- كنت اعرف هذا . لقد حسنته . - اجاب ايفان بصوت خافت وسال : - هل التفت به ؟

- نعم ، - قال المعلم . - وقد آتيت اودعك لأنك كنت الانسان الوحيد الذي كلمته في الفترة الأخيرة .

أشرق وجه ايفان وقال :

- حسن أنك آتيت الى هنا . ساني يوعدي . لن اكتب شعراً بعد اليوم ، شيء آخر يشغلني الآن . - وهنا ابتسم ايفان ورتا بعينيه المجنونتين الى مكان ما بمعاذاة المعلم . - أريد كتابة شيء آخر . لقد فهمت أشياء كثيرة خلال اقامتي هنا .

اضطرب المعلم لهذه الكلمات فقال وهو يجلس على حافة السرير الى جانب ايفان :

- هذا جيد ، هذا جيد . ستكتب تمةً عنه !

توقفت حينما ايلان .

- ان تفعل ذلك بنفسك ؟ - وهنا اطرق ايلان واردف  
في شرود : - آه . . . ما لي أسالك ، - وتحول بصره الى  
الأرض في نظرة شزر وحدق في دعر .

- نعم ، - قال المعلم لهذا صوته لايلان غريباً ومكتوماً ،  
- لن اكتب عنه بعد الآن ، فانا مشغول بأشياء أخرى .  
ولطخ جلدية العاصلة صفيح بعيد .

- أسمع ؟ - سأل المعلم .

- انه صوت العاصلة . . .

- لا ، انهم يدعونني ، آن الأوان ، - قال المعلم موضعاً  
وتنهض عن السرير .

- تهمل ا كلمة أخيرة ، - قال ايلان برفجوه ، - هل  
وجدتها ؟ هل ظلت على اخلاصها ؟

- هاهي ذي ، - اجاب المعلمم وأشار الى الجدار .  
وانسلخت مرغريتا الغارقة في السواد عن الجدار الأبيض ودنت  
من السرير واخذت تنظر الى الشاب الراقده في سريره والعزن  
يشيع في عينيها .

- مسكين ، مسكين ، - همست مرغريتا في صوت غير  
مسموع وانحنت فوق السرير .

- ما اجملها ، - تمشم ايلان دون حسد ، انما يحزن  
ويشفي ، من الانبهار الهادي ، - انتهى كل شيء ، على خير عندك ،  
اما انا فلا ، - وفكر " قليلاً " ثم أردف في شرود : - ومن يدري ،  
لعله كان خيراً لي . . .

- خير ، خير ، - همست مرغريتا والزدادت انحناء فوق  
الراقده على السرير ، - ساقبسل جبينك ، وسيكون كل شيء  
عندك على خير . . . صدقتي ، لقد رأيت كل شيء ، وعرفت  
كل شيء .

طوق الشاب الراقده عنقها بيديه وقبلته .

- الوداع ، أيها التلميذ ، - قال المعلم بصوت لا يكاد  
يسمع واخذ يذوب في الهواء ، ثم اختفى واختلط معه مرغريتا  
وانغلق شباك الشرفة .



المت بايظان حالة من الاضطراب . جلس على سريرته وتلفت حوله في جزع . بل اطلق انيناً واخذ يكلم نفسه ثم نهض . كانت العاصفة تزداد سخياً . وهي . فيما يبدو . التي بنت في نفسه القلق . والذي زاد من اضطرابه ايضاً انه التقط بسعته الذي الف الهدوء المتواصل وقع خطوات مططربة واصواتا مكتومة خلف الباب . فتأدى . وقد انتابه ثوتر ورجفة :

- براسكوفيا فيودوروفنا !

كانت براسكوفيا فيودوروفنا تلج الغرفة وهي تتطلع الى ايظان في تساؤل وقلق .

- ماذا ؟ ماذا ؟ العاصفة تتبرك ؟ بسيطة . بسيطة . . . .  
سنساعدك . سادس الدكتور فوراً .

- لا . يا براسكوفيا فيودوروفنا . لا داعي لاستدعاء الدكتور . - قال ايظان في جزع وهو لا يتطلع الى براسكوفيا فيودوروفنا . بل يحدث في الجدار . - لم يحدث لي شيء غير عادي . الآن اخذت انهمس . لا تخافي . - ثم طلب اليها بود قائلاً : - الأفضل ان تقولي لي ما الذي حدث الآن هناك . في الغرفة ١١٨ ؟

- في ال ١١٨ ؟ - كسرت براسكوفيا فيودوروفنا السؤال وزاغت عينها . - لم يحدث هناك شيء . - لكن ايظان لاحظ على الفور رنة الزيف في صوتها . وقال :

- اي . يا براسكوفيا فيودوروفنا ! انست انسانة جد مستقيمة . . . . تحسبن اني سأخذ في الهياج ا لا . يا براسكوفيا فيودوروفنا . لن يحدث هذا . الأفضل ان تقولي لي بصراحة . فانا أشعر بكل شيء . يحدث خلف الجدار .

- مات جارك الآن . - همست براسكوفيا فيودوروفنا وقد عجزت عن مقابلة استقامتها وطبيعتها . وألقت نظرة مذعورة على ايظان وقد تسربلت كلها بنور البرق . لكن شيئاً ما مقلقاً لسم يحدث لايظان . اذ اكتفى هذا برفع اصبعه في حركة ذات معنى وقال :

- هذا ما توقعته ! والأؤكد لسك يا براسكوفيا فيودوروفنا انه توفي الآن في المدينة انسان آخر . واني لاخبرك هذا الانسان . - وهنا ابتسم ايظان ابتسامة غامضة . - انه امرأة .

## الفصل الحادي والثلاثون

### على تلال فورويوف

تلاشت العاصفة وكانها لم تكن ، وامتد فوق موسكو مسن  
اقصاها الى اقصاها قوس قزح متعدد الألوان على شكل قنطرة .  
واخذ يشرب من نهر الموسكوبا . وترات في الاعالي فوق التلة  
ثلاثة اشياح سود بيسن دهلين . كان فولند وكوروفيسف  
ويغيموت يمشون جياداً ذهباً مسرجة وهم يرون الى المدينة  
المتدة وراء النهر يشمسها المنكسرة المتلألئة في آلاف التواليد  
الموجبة الى الغرب ، الى أبراج دير ديليتسي الكعكية الشكل .  
وصرّ الهواء ، وحط أزازيلو مع المعلم ومرغريتا اللذين  
كانا يطيران عند ذيل بردته الأسود على الأرض ، قرب مجموعة  
المنظرين .

ونكلم فولند بعد فترة من الصمت ، قال :

- كان لا بدّ من ازعاجكما ، يا مرغريتا نيقولايلنا ويسا  
ايها المعلم ، لكنكما لن تنقيا علي ، فلست اظن انكما ستقديمان  
علي ما فعلت . والان هيّا بنا ، - لئال فولند موجهاً كلامه الى  
المعلم وحده ، - ودّع المدينة . ان الأوان ، - وأشار بيده  
المدفونة في قفاز أسود ذي طرف مشع الى حيث كانت الشمس  
التي لا تعدّ ولا تحصى تصهر الزجاج وراء النهر ، وحيث كان  
الضباب والدخان والبخار المتصاعد من المدينة المعهّمة طوال  
النهار تتيخ على هذه الشمس .

لفز المعلم عن السرج مبتعداً عن الجالسين وعصدا الى جرف  
التلة والبردة السوداء تنسحب على الأرض وراءه . واخذ يرنو الى  
المدينة . تسلسل الى قلبه في اللحظات الأولى حزن وجيع ، اعقبه  
بسرعة كبيرة قلق لدهة كاضطراب شعري متنقل .

- الى الأبد ! يجب ان اعقل هذا ! - همسن المعلم ولحس  
شفتيه الجائنين المتشققتين . واخذ يتصت ويتبين ما يجري في  
نفسه بدقة . تحول قلله الى شعور عميق ، صميم بالظيم ،  
كما بدا له . لكن هذا الشعور لم يكن راسخاً ، الا اختفى وحلّت  
محلّه ، لسبب ما ، لامبالاة زهو التي هي الاحساس المسبوق  
بالطمأنينة الدائمة .

كانت كوكبة الفرسان تنتظر المعلم في صمت . رأت مجموعة  
الفرسان كيف كان طيف المعلم الأسود الطويل على حافة الجرف  
يؤشر ، فتارة يرفع رأسه كأنها يحاول الفناء نظرة يحتضن بها  
المدينة كلها حتى توغرها ، وتارة ينكس رأسه كأنه يتلصص  
العشب الذابل الذي داسته الأقدام .

قطع بيغموت الذي أخذ الضجر منه كل ما أخذ الصمست  
وقال :

- اسمح لي ياسيدي أن أصغر قبل العدو مودعاً .  
- من الممكن أن تخيف السيدة ، - أجابه فولند ، - ثم لا  
تس أن كل أعمالك الكبيحة اليوم انتهت .

- آه ، لا ، لا ياسيدي ، - ردت مرفريتا التي كانت  
تجلس في السرج كالفارسة وهي تضع يدها على خصرتها وتدل  
ذيل ثوبها حتى الأرض ، - اسمح له أن يصفر ، فقد تملكته  
الحنن قبل الانطلاق في هذا السفر البعيد . اليس صحيحاً  
ياسيدي أن هذا الحزن طبيعي تماماً ، حتى ولو كان الإنسان  
يعرف أن السعادة تنتظره في نهاية هذا الطريق ؟ فليضحكتنا والآ  
أخاف أن ينتهي الأمر بالدموع فيفسد كل شيء ، قبل الرحيل !

أوما فولند لبيغموت ، فذب فيه نشاط وحيوية كبيران ،  
وقفز عن السرج على الأرض ووضع أصابعه في فمه ، وتفصع  
وجنتيه وحسرت . ترددت رنين شديد في أذني مرفريتا وشب جوارها  
على قائمته ، وتساقطت الأصصان اليابسة من الأشجار ، وأجفل  
سرب كامل من الغربان والعصافير وامتد عمود مسن الغيار إلى  
النهر ، وشوهدت بطح كبيبات تنطير مسن على رؤوس ركاب  
مركب نهري يمرّ بمرسى . ارتعد المعلم من صوت الصفير لكنه  
لم يلتفت ، بل أخذ يؤشر باضطراب أكبر وانعماً يده إلى السماء ،  
كأنه يتوعد المدينة . وتطلع بيغموت إلى من حوله في خيلاء .

- هذا صفير ، لا أمارى في ذلك ، - لاحظ كوروفيف في  
تساميح ، - إنه صفير فعلاً ، لكن إذا أردنا الحقيقة دون  
لحيز ، فهو صفير متوسط جداً !

- لكنني لست مرتكلاً ، - أجاب بيغموت بوقار وهو  
يتأفف ثم لمز مرفريتا بفتنة .

- آه ، دعوني احاول بعضاً مما حفظت ذاكرتي ، - قال  
كورونيف وفرك يديه وتلخ على اصابه .  
- لكن ايتاك ، ايتاك ، - علا صوت فولند الصاروم من فوق

جواده ، - ايتاك والالاعيب المطرقة ا

- صدقتي ياسيدي ، - رد كورونيف ووضع يده على  
قلبه ، - لجراد المزاج ، لجراد المزاج فقط . . .

وهنا لمطر واستطال كأنه من مطاط ، وصنع من اصابع  
يده اليمنى شكلاً معقداً وفتل كأنه لولب ثم الحل بفتة وصفير ،  
لم تسمع مرغريتا هذا الصفير ، بل رآته لحظة انقضت  
هي وحصانها الجامح نحو عشرات الامتار جانباً ، وانقلعت  
ستديانة من جذورها ، وتصعدت الأرض حتىسى النهر حولها ،  
ولزت طبقة هائلة من الضفة مع العرس والطعم في النهر ، فار  
الماء في النهر واصطخب ، واتقلب المركب النهري كله بركابه  
الذين لم يلحق بهم سوء الى الضفة المقابلة الخضراء الواطنة ،  
وانقلب عند قوائم جواد مرغريتا المحمم زالغ سرعه صفير  
فاثرت ، واجتل هذا الصفير المعلم فأمسك رأسه بيديه وهرع  
عائداً الى مراقبيه الذين كانوا بانتظاره .

قال فولند يخاطب المعلم من فوق جواده :

- هل صوت كل حسابالك اذن ؟ هل انتهى الوداع ؟

- نعم ، انتهى ، - اجاب المعلم وحدق في وجه فولند  
بصرامة وجراءة وقد عاد اليه هدوءه .

اذاك دوى فوق التلال صوت فولند الخفيف كأنه صوت

البوق :

- أن الالوان ا ا

ودوى معه صفير بيغبيوت وقبعتته .

اندفعت الجياد وارلفح الفرسان في الاهالي وانطلقوا خيبا ،  
وشمرت مرغريتا ان حصانها الجامح بعض الشكبة ويشدها ،  
فيما رفعت الريح برودة فولاند وتشرتها فوق رؤوس الفرسان ثم  
اخذت تعجب السماء عند الغسق ، وحين انزاح الحجاب الاسود  
جانباً للحظة التفتت مرغريتسا وهي تواصل سيرها ، ورات ان  
البروج المتعددة الالوان والطائرة المحلقة فوقها قد اختفت ، كما

اختلفت منذ فترة بعيدة المدينة نفسها التي غارت في الأرض ولم  
يبق منها الا الضباب .

## الفصل الثاني والثلاثون الفران والماوى الأبدى

ابتها الآلهة . ابتها الآلهة ! ما أشد كآبة الأرض عند  
المساء ! وما أحفل الضباب فوق المستنقعات بالأسرار ! الذي  
تأه في هذا الضباب . والذي تألم كثيراً قبل الموت . والذي طار  
فوق هذه الأرض حاملاً على كتفيه عبثاً يفوق طاقته - ذاك يعرف  
هذا . كما يعرفه المتعصب . فترأى يفارق دون أسف ضباب  
الأرض ومستنقعاتها وانهرها . ويسلم نفسه بقلب راض الى يدي  
الموت مدركاً انه وحده الذي يريه .

وحتى الجياد النعم السبحرية تعبت فراحت تحبل فرسانها  
بطء . واخذ الليل الذي لا مفر منه يلحق بها ومسكن حثسى  
بيغموت الذي لا يكل ولا يمل وقد أحس به خلفه . فراح يطير  
صامتاً وزيناً وقد تشبث بمخالبه في السرج ونثر ذليه . واخذ  
الليل يغطي الغابات والمروج بثلاثة سوداء ويشعل في المدى  
البعيد تحتهم أنواراً حزينة غريبة لم يعد فيها ما يغري او ينفج  
مرغريتا او المعلم . واخذ الليل يسبق كوكبة الفرسان وينزوع  
فوقها . وينثر في السماء المكتئبة تارة هنا وطوراً هناك قطعاً  
نجمية بيضاً .

كان الليل يزداد كثافة . وكان يطير الى جانب المنطلقين .  
ويمسكهم من بردهم . وينزفها عن أكتافهم ويلفح خداعهم .  
وكلفتها كانت مرغريتا . التي تلفح الريح الباردة وجهها . تلتفح  
عينها كانت ترى هيئة المندفعين معها الى هدفهم تغير . وعندما  
أخذ البدر الأرجواني يخرج الى لقاءهم من طرف الغاية . اختلفت كل  
ألوان الخداع . وسقطت الملابس السحرية المهلهلة في المستنقع  
وغرقت في الضباب .

من المشكوك فيه انه كان يوسع أحد التعرف الى

كوردوييفد فالحوت الذي ادعى انه يعمل مترجماً لدى المستشار  
الفاطس الذي لا يحتاج الى اي ترجمة في شخص ذاك الذي كان  
يطير الآن الى جانب فولند مباشرة وعن يمين صديقه المعلم . الا  
كان يعدو الآن مكان ذاك الذي غادر لثال فوروييوف تحت اسم  
كوردوييفد فالحوت ، وفي ملابس سيرك مزقسة فارس ذو لون  
بنفسجي غامق ووجه مطرف في توجهه لا يعرف الا بتسامه ابداً  
وهو يصلصل بسلسلة الزمام الذهبية . كان مستنداً ذلته الى  
صدره . لا ينظر الى القمر ولا يكثر بالارض تحته . بل كان  
يفكر في شيء ما يخصه وحده . وهو طائر الى جانب فولند .

وعلى صغير الريح سألت مرغريتا فولند بصوت خفيض :  
- لماذا تغيرت كل هذا التغيير ؟

- هذا الفارس مزح ذات مرة مزحة غير موفقة . - اجاب  
فولند وهو يدير الى مرغريتا وجهه الذي اشتعلت فيه عينه بنور  
خالت . - الكلام ذو المعنيين . المبهم الذي كتبه وهو يتكلم  
على النور والظلام لم يكن جيداً تماماً . واضطر فارستا . بعد  
هذا . الى الاسترسال في المزاح اكسر ما حسب . لكنها اليوم  
ليلة تصفني فيها الحسابات . ولقد سددت فيها الفارس حسابته  
والغاء ا

وقطع الليل ذنب بيقيموت المتفوش ونزع شعره ونثره  
تلقاً تلقاً فوق المستنقعات . فاستحال ذاك الذي كان قطعاً يسري  
عن امير الظلام شامياً تعبقاً . ووصيفاً جنياً والفضل مهرجاً ووجد  
على وجه الارض . كان القط السابق قد استكان . واخذ يطير  
دون اي صوت وقد عرض وجهه الغني للضوء المنهر مسن  
الهر .

والى جانب الجميع كان ارازيلو يطير وقد لسع فولاذ درعه  
وخوذته وكان القمر قد غير وجهه ايضاً . فلقد اختفى نابه القبيح  
غير المعقول دون اثر . وبدا حوالة مزيفاً . بانت عيتاه  
مشابهتين تماماً فارغتين وسوداوين . ووجهه ابيض وبارداً .  
كان ارازيلو يطير الآن بهيئته العبقلية بوصفها جنياً صحراء  
قراء . جنى قائل .

لم يكن يوسع مرغريتا ان ترى نفسها . لكنها رأت جيداً  
كيف تغير المعلم . كان شعره قد ابيض في ضوء القمر وانعدت

صغيرة من الخلف . وكانت الصغيرة تتطاير في الهواء . وحسن  
كانت الريح تزيح البردة عن وجه المعلم . كانت مرغريتا ترى  
نجيمات المهازين على جزمته العالية يخبر نورها حيناً ويلمع تارة  
أخرى . وعلى غرار الجنى الشاب كسان المعلم يطير دون أن  
يحول نظره عن القمر بل كان يبتسم له كأنه شخص اليق جداً  
ومحبوب . ويفضهم محدثاً نفسه . بلعل العادة التي اكتسبها في  
الغرفة رقم ١١٨ . بأشياء لم يكن من الممكن تبينها .

وأخيراً كان فولند يطير هو الآخر في هيئته الحقيقية . وكان  
يصعب على مرغريتا القول على وجه اليقين مما صنع زمام جواده .  
وترى لها أن الزمام ربما كسان سلاسل قمرية صغيرة . وأن  
الجواد نفسه ليس إلا قطعة من الظلام . وأن عروق هذا الجواد  
سحابة سوداء ومهازي الفارس بقع نجمية بيضاء .

وهكذا طاروا في صمت طويلًا إلى أن بدأت الأرض تتغير  
تحتهم . انحرفت الغابات الحزينة في ظلام الأرض وجذبت ورائها  
نصال الأنهر الكامدة . وظهرت في الأسفل جلايد صخرية . ثم  
أخذت تلمع . بينما اسودت بينها هوى لا ينفذ إليها ضوء  
القمر .

سط فولند بجواده على قمة صخرية مستوية كئيبة . وعلى  
الفرسان خلفه وهم يسمعون إلى جيادهم تسحق الصوان والمجارة  
بتعالها . كان القمر يضر المكان بنور أخضر ساطع . وسرعان  
ما تبينت مرغريتا في هذا الخلاء أريكة يستوي فيها طيف بشري  
أبيض . ولعل الجالس كان أصم أو مستغرفاً أشد الاستغراق  
في التفكير . إذ لم يسمع الأرض الصخرية تهتز تحت ثقل  
الجواد . ودلا الفرسان منه دون أن يزجروه .

ومد القمر لمرغريتا يد العون . إذ كان يشير المكان أفضل  
مما يمكن أن يفعله أفضل مصباح كهربائي . فترات أن الجالس  
الذي بدت عيناه عياريين يترك يديه فركات قصيرة . وأنسه  
يحقق بهاتين العينين تحيسر المبصرتين في فرس البدر . ورات  
مرغريتا الآن كلياً ضحكاً مرهف الأذنين اسود الشعر يتمدد إلى  
جانب الأريكة الحجرية الثقيلة التي تتلألا فيها حرارات من ضوء  
القمر . وأنه كصاحبه يتطلع إلى البدر في قلق .

وعند قضي الجالس تناثرت شقف دوق مكسورة . وامتدت  
بركة حراء ضاربة الى السواد لا تجف .  
واقف الفرسان جياذهم .

واخيراً تكلم فولند وهو يستدير الى المعلم :

- لقد قرأوا روايتك . ولم يقولوا فيها الا شيئاً واحداً  
وهو انها لم تنته مع الأسف . وهكذا . فبودي أن أرىك  
بطلك . انه يجلس منذ نحو ألفي عام في هذا المكان ويفظ في  
النوم . لكن حين يطلع البدر ، تراه يعالي الأرق كما ترى . وهو  
لا يعذبه وحده ، بل يعذب حارسه الأمين أيضاً - الكلب . واذا  
كان صحيحاً أن الجبن هو أكبر تليفة . فالكلب كما أرى . لا  
ذنب له . فالشمس الوحيد الذي كان الكلب الشجاع يخافه هو  
العواصف الرعدية . لكن ما العمل . فكل من يحب أن يشارك من  
يجب مصيره !

- ماذا يقول ؟ - سألت مرغريتا . واختلج وجهها الذي  
كان يشيع فيه هدوء تام تحت سحابة من الشفقة .  
وعلا صوت فولند :

- انه يردّد الشيء نفسه . يقول انه لا يشعر براحة مع  
طلوع البدر أيضاً وأنه ذو منصب رديء . هكذا يقول دائماً حين  
لا يكون نالماً . وحين ينام لا يرى الا شيئاً واحداً - طريق  
الشمس . ويريد أن يسير فيه ويتحدث الى المعتقل الغا نوصري  
لأنه . كما يؤكد . لم يقل كل ما كان يريد قوله آنذاك . منذ  
زمن طويل . في الرابع عشر من نيسان . لكن لأمر ما . وواسطاً .  
لا هو يفلح في الخروج الى هذه الطريق ولا أحد يأتي اليه . فبلا  
يبقى له الا يتحدث الى نفسه . وبالمناسبة . لا بد من بعض  
التنوير . ولهذا تراه يضيف الى حديثه عن البدر بعض الأحيان  
أن أبيض شيء الى نفسه في هذا العالم هو خلودته وشهرته  
المنقطعة النظير . ويؤكد استعداداه لاستبدال مصيره بصغير  
المتسكع الصعلوك متى اللاوي .

- اثنا عشر ألف بدر مقابل بدر واحد اذالك . اليس هذا  
أكثر مما يجب ؟ - سألت مرغريتا .

- أو تتكرر قصة فريدا ؟ - قال فولند . - لكن لا تشغل



بالمك يامر فرينا . فكل شيء سيكون في محله . وهل هذا يلوم العالم .

- اطلق سراحه . - صرخت فرينا بصوت حاد بفتة كما صرخت اذالك حين كانت جنينة . فانطلق لصراحتها حجر في الجبال وراح يتدحرج الى الهاوية صامتا الجبال بدويه . لم يكن يوسع فرينا القول ان كان هذا دوي سقوط ام دوي ضحكة شيطانية . ومهما يكن من امر . كان فولند يضحك وهو يتطلع الى فرينا ويقول :

- لا داعي للصراخ في الجبال . فهو . على أي حال . قد اعتاد الانهيارات . ولن يقلق هذا راحته . ولا داعي لشغافتك يامر فرينا لان ذلك السني يصبو الى التحدث اليه قد سبق واستشجع له . - وهنا استدار فولند الى المعلم من جديد وقال له : - حسنا . والآن تستطيع ان تنهي روايتك بجملة واحدة ا وكان المعلم كان ينتظر هذا وهو والف دون حراك ينظر الى الحاكم الجالس . فعمله يديه على شكل يوق وصرخ حتى اخذ صدى صراخه يفلز على الجبال المظفرة الجرد :

- انت حر ! حر ! انه في انتظارك .

حوالت الجبال صوت المعلم الى رعد . وهذا الرعد هدتها . سقطت الجدران الصخرية اللعينة . ولم تبق الا الرقعة الصغيرة التي عليها الاريكة الحجرية . واشتعلت بالاشواء فوق الهاوية السوداء . التي غارت فيها الجدران . مدينة مترامية الأطراف تهيم عليها تماثيل متلآلة في المدينة التي زادت خطرتها كثافة وبهاء على مدى هذه الالاف من الدور . وامتد الى هذه المدينة راسا طريق القمر التي طال انتظار الحاكم له . وكان الكلب المرهف الاذنين اول من اندفع يمدو فيه . نهض الشخص ذو البردة البيضاء ذات البطانة التي بلون الدم عن الاريكة . وصرخ بصوت مبهوح . منتطح . ولم يكن بالمستطاع تبيين ما اذا كان صراخه بكاء او ضحكا وما الذي قاله في صراخه . جلي ما أمكن رؤيته انه اندفع ايضا يمدو في طريق القمر مقتفيا اثر حارسه الأمين .

- وانا ايضا الى هناك . في اثره ؟ - سال المعلم في

الانشغال بال وقد أمسك بالزمام .

- لا ، اجابه فولند ، - علام اقتفاء اثر ما انتهى ؟  
- هل ان هناك اذن ؟ - سال المعلم واستدار وأشار الى  
الورا ، الى حيث نهضت في المؤخرة المدينة ، المهجوراً منذ  
وقت قريب ، بأبراج دبرها الكعكية الشكل وشمسها العتسرة  
شقايا في الزجاج .

- ايضاً لا ، ايها المعلم الرومنطقي ! - اجابه فولند وقد  
غلق صوته وراح ينساب فسوق الصخور ، - ذاك الذي كان  
البطل الذي اختلقته والذي اطلقت بنفسك سراحه قبل قليل ،  
يتحرك الى رؤيته ، قرأ روايتك ، - وهنا التفت فولند الى  
مرمرينا وخاطبها قائلاً : - لا يمكن للمرء الا ان يصدق ، يسأ  
مرمرينا نيقولايفنا ، انك حاولت ان تخلقني للمعلم افضل  
مستحيل ممكن ، لكن لعل ما اعرضه عليكما ، وما استشفيع  
لكما ، لكما بالذات يشوع فيه ، يكون افضل ، دعوهما وشأنهما ،  
- قال فولند وهو يميل على سرج المعلم من على سرجه ويشير  
باتجاه الحاكم المفلج في السير ، - تعالساوا لا تعيقهما ، فقد  
يتفان على شيء ما في نهاية الأمر ، - وهنا لوح فولند بيده  
باتجاه اورشليم فانطلقت .

- وهناك ايضاً ، - قال فولند وأشار الى المؤخرة ، -  
ماذا يوسعك ان تعلق في التيسو ؟ - وهنا انطلقت الشمس  
العتسرة في الزجاج ، لماذا ؟ - وأردف فولند يقول بصوت  
مقتنع ورفيق : - ايها المعلم الغارق في الرومنطيقية الا تريد  
حقاً ان تنزه مع صديقك في النهار تحت اشجار الكرز التسي  
بدات تزهر ، وتستمع في المساء الى موسيقى شوريت ؟ الا  
لستحل حقاً الكتابة بريشة على انوار الشوع ؟ او لا تريد حقاً  
ان تجلس كفارست فوق انبيق على أمل ان تتمكن من تكوين  
انسان جديد ؟ الى هناك ، الى هناك ، هناك ينتظركما بيت وخادم  
عجوز ، الشوع اشعلت وعمًا قليل مستنطق ، لانكسما  
ستستقبلان النجر فوراً ، في هذا الطريق ، ايها المعلم ، في هذا  
الطريق ، الوداع ان لي ان انصرف .

- الوداع ا - رد عليه المعلم ومرمرينا بصرخة واحدة ،  
الذاك اندفع فولند الأسود الى الهاوية ، وهو لا يتبين أي طريق  
امامه ، وعوات اثره حاشيته في جلبسة ودوي ، ولغارت الصخور

والساحة الصغيرة وطريق السر وأورشليم من حولها ، كما  
قارت الجياد الدهم . وراى المعلم ومرغريتا الفجر الموعود ،  
يزرع للحال بعد بدر منتصف الليل . سار المعلم مع صديقته في  
سنا اشعة الصبّاح الأولى عبر جسر صخري صغير مطلى  
بالعُلب . قطع العاشقان المخلصان الجسر وخطاه وراهما ثم  
مضيا في طريق رملي .

- انصت الى السكون ، - قالت مرغريتا للمعلم ، وكان  
الرملي يخشخش تحت قدميها العاقبتين ، - انصت واستمع بما  
لم تسمع في الحياة - الهدوء ، النظر ، هنا هو ذا بيتك الأبدى  
الذي كوفت به . والى لارى نافذته التي كتواقد بيوت الهندية  
وداليتها العريضة حتى السطح . هاهو ذا بيتك . هاهو ذا بيتك  
الأبدى . اعرف انه سيأتي اليك في المساء من تحبهم ، ومن تهتم  
بهم ومن لا يعكر عليك سلوك . سيعزفون لك ، وسيغنون لك ،  
وسترى كم هو ساطع الضوء في الغرفة حين تشعل الشموع .  
وستغفو بعد أن تشعر طافتك المتسخة التي لا تفارقك . ستنام  
والبسمة على شفثيك . وسيشد النوم من عزيمتك . فتأخذ في  
التفكير بحكمة . ولن يعود بمقدورك أن تطردني ، لاني انا التي  
سأحرس نومك .

هكذا كانت مرغريتا تتكلم وهي ماضية مع المعلم الى بيتها  
الأبدى . وهذا للمعلم أن كلماتها كانت تناسب كما كانت  
الساقية التي خلّتها وراهما تهمس وتهمس ، وأخذت ذاكرة  
المعلم ، ذاكرته المضطربة المتلومة ، تغفو شيئا فشيئا . احدهم  
أطلق سراح المعلم كما أطلق هو نفسه (المعلم) سراح البطل  
الذي خلقه . قبل قليل . وهذا البطل غار في الهاوية . غاب دون  
رجعة ابن الملك المنجم ، حاكم اليهودية الخامس الظالم الفارس  
بيلاطس البنطي الذي عُثر له ليلة الأحد .

## خاتمة

ومع هذا ، فما الذي حدث في موسكو بعد أن قادو فولتسه العاصمة عند غروب شمس السبت مختلياً مع حاشيته من تلال غورويروف ؟

لا حاجة الى القول انه سرت في العاصمة كلها لفترة طويلة هجمات ولغز مزعج باشاعات من الغرب ما يمكن ، وان هذه الاشاعات امتدت بسرعة فائقة الى الريف ، دانيه وقاصيه ، لكن مجرد تكرار هذه الاشاعات ينير في النفس القرف .

وقد سمع كاتب هذه السطور الصادقة شخصياً وهو يتوجه بالنظر الى فيودوسيا قصة عن خروج القس شخص من المسرح في موسكو هراة بالمعنى الحرقي للكلمة ، وعن تفركهم الى بيوتهم بسيارات الأجرة وهم في هذا المظهر .

كانت قصة «قوة شريفة . . .» تسمع في الطواير الواقعة امام دكاكين اللبن وفي الحافلات الكهربائية والملازم والشقق والمطابخ والقطارات ، قطارات الضواحي والمسافات البعيدة ، وفي المحطات كبيرها وصغيرها وفي المصايف ، وعلى البلاجات .

ومن الطبيعي ان اكثر الناس تطوراً وثقافة لم يشاركوا اي مشاركة في هذه الحكايات عن القوة الشريفة التي زلزلت موسكو ، بل انهم كانوا يسخرون من روايتها ويحاولون ودعهم الى جادة العزل . لكن الوائسح يظل رغم كل شيء واقعاً كما يقال ، وانكاره دون تقديم اي تفسير امر غير جائز على الاطلاق . لقد كان احدهم في العاصمة ، واللحم المتبقى مسسّن غريبيدوف وأشياء اخرى كثيرة ابلغ تأكيد .

وأخذ الناس المنفقون والواعون بوجهة نظر التحقيق : لقد عملت في العاصمة عصاية من المتوحشين المغناطيسيين والمنجيين الذين يملكون ناصية فنهم ببراعة فائقة .

والخلفت ، بطبيعة الحال ، الإجراءات القوية والشديدة للقبض على العصايسة في موسكو كما في خارجها ، لكن هذه الإجراءات لم تزد الى أي نتيجة للأسف الشديد . فقد اختلف ذلك الذي كان يدعو نفسه فولند مع كل اعوانه ، ولم يعد الى موسكو بعد هذا ، ولم يظهر في أي مكان آخر ، ولم يأت بما يوحي بوجوده ، فكان من الطبيعي تماماً ان تظهر فرضية تقول يهروبه خارج البلاد ، لكن حتى هناك لم يظهر ما يشير الى وجوده .

استمر التحقيق في قضية فولند طويلاً ، فالتظية ، على أي وجه قلبتها ، مريضة ا فهناك قتل ، ناهيك عن أربعة بيوت معروقة ومئات من الذين انتهوا الى الجنون ، مما عن ان اثنين من القتل يمكن القول بيقيناً انهما من ضحاياهما : برليسوز وذلك الموظف السوي الحظ في مكتب تعريف الأجانب بمعالم موسكو ، البارون السابق ميغل . نعم ، هذان قتلاً ، لا شك في ذلك . وقد وجدت عظام البارون المتشيطة في الشقة رقم ٥٠ في شارع ساندوفايا بعد اخفاء الحريق . نعم ، كانت هناك ضحايا ، وهذه الضحايا تستدعي التحقيق .

انما كانت هناك ضحايا أخرى ، ولكن بعد ان غادر فولند العاصمة ، وكانت القطط السود ، هل ما في هذا من دواعسي الأسى ، الضحايا هذه المرة .

فقد قتل بالرمصاص أو اييد بطريقة أو بأخرى نحو مائة من هذه الحيوانات المسالمة المخلصة للانسان والنافعة له في أماكن مختلفة من البلاد واحضر نحو خمسمائة عشر قطاً ، وأحياناً في هيئة مشوهة تماماً ، الى أقسام الشرطة في مدن مختلفة . وعلى سبيل المثال احضر احد المواطنين في ارمافير الى قسم الشرطة واحداً من هذه الحيوانات البريئة وقد اوتق فانتميه الأماميتين .

لربص مواطننا لهذا القط لحظة كان هذا بمنظره المتلصص (ماذا باليد اذا كان للقط هذا المنظر ؟ هذا ليس سببه ان القطط سيئة ، بل انها تخاف ان تلحسق بها الكائنات الأقوى منها ، الكلاب أو الناس ، ضرراً أو اهانة . وهذه وذلك ليسا

بالأمر المسير ، لكن لا فخر في هذا ، أؤكد لكم ، نعم لا فخر على الإطلاق) ، إذن لحظة كان القط ينظره المتخصص يتحسّر للاطلاق نحو راعي الحمام .

ارتدى المواطن على القط وأخذ يفطم بسخرية ووعيد وهو ينزع ربطة عنقه ليبيده :

- ها ، ها ! شرقت الينا في أرمافير الآن إذن ، أيها السيد المنوم ؟ لكننا هنا لا نخاف منك ! أي لا نتظاهر باليكم ، نحن نعرف من تكون !

واقتاد المواطن القط الى الشرطة . كان يجوز الحيوان المسكين من قائلتيه الأماميتين المربوطتين بربطة عنق خضراء ، وهو يعمل فيه رفسات خفيفة كي يجعل القط يمشي على قائلتيه الخلفيتين .

- أي انت ، - كان المواطن يصرخ مواكباً بصغير الأطفال حوله ، - أي انت ، دعك ممن التباهه ! لن يجديك هذا نقماً ! تفضل امشي كما يمشي الناس !

كان القط الأسود يدير فيما حوله عينيّن تاطقتين بالعذاب ، إذ لم يكن يوسعه ، وهو المحروم من نعمة النطق ، الدفاع عن نفسه بكلمة . وإذا كان الحيوان المسكين مديناً لأحد بخلاصه فللشرطة أولاً ولصاحبه وهي أرملة عجوز محترمة ثانياً . فما إن أحضر القط الى قسم الشرطة حتى أيقنوا هناك أن وانحة سبيرتو قوية جداً تلوح من المواطن . مما أذى بهم الى الشك في شهادته والطمع فيها فوراً . في هذه الأثناء كانت العجوز التي عرفت من جيرانها بأمر قطها تتدلع راقصة الى القسم وتصل في الوقت المناسب . وصفت العجوز قطها بأفضل الأوصاف وأوضحت أنها تعرفه من خمس سنوات ، حين كان لا يزال قطاً صغيراً ، وأنها واثقة منه وتوقها من نفسها ، وبيّنت أنه لسم يات في حياته عملاً سيئاً وأنه لم يسافر الى موسكو أبداً ، فهو لم يغادر أرمافير منذ أن ولد فيها وترعرع وتعلّم اصطيفاد القطران .

حكّ رباط القط وأعيده الى صاحبه . ولكن بعد أن ذاق مرارة الألم ، وعرف عملياً ما معنى الخطأ والافتراء . وبالاضافة الى القلط لعق الأذى ببعض الناس . فقد جرت

عدّة اعتقالات . ومن بين الذين اعتقلوا لفترة قصيرة : في لينينغراد المواطنان فولمان وفولبير . وفي ساراتوف وكيسف وخاركوف ثلاثة يحملون كنية فولودين . وفي قازان فولوخ . وفي بينزا ولأسباب مجهولة تماماً المرشح في العلوم الكيميائية فينتشينكوش . . . إلا أن هذا كان هائل القامة اسود الشعر وذا بشرة سمراء غامقة .

وبالإضافة الى هذا وقع في ايدي الشرطة وفي أماكن مختلفة تسعة بكنية كوروفين واربعة بكنية كوروفكين . واننان بكنية كارافايف .

وفي محطة بيلغورود أخرج أحد المواطنين مكبلاً من قطار سيفاستوبول . وكان هذا المواطن قد خطر له أن يسلسي الركاب ببعض ألعاب السحرة بالورق .

وفي ياروسلاف . وفي فترة الغداء تماماً . ظهر في أحد المطاعم مواطن يحمل واپور كاز كان قد أخذ للتو من محل التصليح . فما إن رآه اليوابان حتى تركا مكاتيهما في المشجب . وأطلقا ساتيهما للريح . وانطلق وراحهما كل رواد المطعم وعماله هاربين . وخلال ذلك اختفى عند عاملة الصندوق كسل الايراد على نحو مفرغ .

وحدثت أشياء أخرى كثيرة يتعذر تذكرها كلها . نعم ، كانت هناك بلبلة عظيمة في العقول والأفكار والخواطر . وعلينا هنا أن نعود مرّة ثانية وثالثة فنقول كلمة حق في التحقيق . فقد اتخذ كل ما يجب اتخاذه ليس للقبض على المجرمين وحسب . بل لتفسير وجلاء كل ما اترفوه . وقد تم تفسير كل شيء . ولا مجال أمامنا إلا الاعتراف بأن هذه التفسيرات معقولة ولا يمكن دحضها .

فقد أثبت ممثلو التحقيق والأطباء النفسيون الخبيرون أن أعضاء هذه العصبة المجرمة . أو ربّما أحد أعضائها (والاشتباه انصبّ هنا على كوروفيف في الدرجة الأولى) كانوا متوسمين مغناطيسيين ذوي قدرّة غير معهودة . بإمكانهم اظهار أنفسهم حيث لا يوجدون أصلاً وفي مواقع وهمية . متحوّلة . وبالإضافة الى ذلك كان بإمكانهم الايحاء بيسر الى الأشخاص الذين يحتكون بهم أن بعض الأشياء أو الأشخاص توجد في مكان ليست موجودة

فيه او لم توجد فيه بالفعل ، وبالعكس كانوا يعدون من مجال الرؤية الاشياء او الأشخاص الموجودين في مجال الرؤية هذا فعلاً .

في ضوء هذه التفسيرات بات كل شيء مفهومًا على وجهه اليقين . بما في ذلك حتى مناعة القطّ ضد الرصاص حين اطلقت عليه النار في الشقة رقم ٥٠ لدى محاولة اعتقاله ، هذه المناعة التي اتارت العقول والخواطر اكثر من غيرها والتي بدت عصية على التفسير .

لم يوجد أي قط على التريا بطبيعة الحال ، ولم يفكر احد بتبادل اطلاق النار معه ، بل كانوا يطلقون النار في الفراغ ، في حين كان بإمكان كوروفيف ، الذي اوعهم ان القط يتفعل اشياء واشياء على التريا ، ان يوجد بكل سهولة خلف مطلق النار وهو يستهزئ ويسخر ويستمتع بقدرته الهائلة ، السا المستخمة استخداماً اجرامياً ، على الايجاء ، وهو نفسه بطبيعة الحال الذي سبّ المتزّين في الشقة واضرم فيها النار .

وستيوبو ليخوديف لم يطر بطبيعة الحال الى أي يالطا (حتى كوروفيف لا يستطيع لعب مثل هذا الملعب) ، ولم يرسل أي برقيات من هناك . فهو بعد ان اخس عليه في شقة زوجة الصانع مذعوراً من لعبة كوروفيف الذي اراد قطعاً بسكك فطراً مخللاً بالشوكة ، ظلّ فيها الى ان اليسه كوروفيف على سبيل السخرية طاقية لبّاد وارسله الى مطار موسكو بعد ان اوحى مسبقاً لمحقق المباحث الجنائية ، الذين كانوا في انتظاره ، ان ستيوبو سينزل من الطائرة القادمة من سيلاستوبول .

والحق يقال ان مباحث يالطا الجنائية اكدت انها استقبلت ستيوبو حافي القدمين وارسلت برقيات الى موسكو بشأن ستيوبو ، لكنه لم يعثر ييسن اوراق التضايا عملي أي نسخة من هذه البرقيات ، ممّا جعلهم على الانتهاء الى نتيجة مؤسفة ، لكنها لا تدعس . وهي ان عصاية المتزّمين المغناطيسيين تملك قدرة التنويم على مسافات بعيدة جداً ، وليس تنويم المراد متفرقين وحسب بل مجموعات كاملة من الناس . وفي هذه الحالة يوسع المجرمين اتصال اكثر الناس توازناً واشدهم بنية نفسية الى عائلة الجنون .



فهل بقي . بعد هذا . ذاع لقول شيء في الأعياب تالفة  
كدمتة الورق في جيب شخص غريب في ضاللة المسرح والنياب  
التسائية المختلفة أو القبة التي تنمو . وأشياء أخرى من هذا  
القبيل ! مثل هذه الأعياب يمكن لأي منوّم مغناطيسي منهن  
ذي قدرة متوسطة القيام بها فوق أي مسرح . بما في ذلك  
الملعوب البسيط عن الرأس المقطوع لعريف الحفلة . والقطر  
الناطق هو أيضاً لغو خالص . فلتقديم قطر كهذا أمام الناس  
يكفي الامام بالأسس الأولى لفن التكلم من البطن . ومن الصعب  
أن تجد أحداً يشك في أن مهاراة كوروفيف تتعدى هذه الأسس  
كثيراً .

نعم . القضية هنا ليست قضية دميات الورق والرسائل  
المزيفة في حقيبة نيكاتور ايفانوفتش . فهذه كلها أمور تافهة .  
القضية هي أنه . هو كوروفيف . الذي ساق برابوز إلى موت  
أكيد تحت عجلات الترام . وهو الذي دفع بالشاعر المسكين  
ايفان بيزدومني إلى الجنون . وهو الذي جعله يعلم ويرى في  
أحلامه الربيعة أورشليم القديمة والجبل الأحمر المكتوي بأشعة  
الشمس وعليه المصلوبون الثلاثة . أنه هو وعصابته الذين  
حملوا مرغريتا ليقولايينا وخادمتها ناتاشا على الاعتفاء من  
موسكو . وبالمناسبة . عمل رجال التحقيق باهتمام زائد على  
حلّ هذا اللغز . إذ كان المطلوب جلاء ما إذا كانت عصاية القتلة  
وحضرمي الثيران هي التي اختطفت هاتين المرأتين أم أنهما  
هربتا مع هذه العصاية المجرمة برضاها . وقررت لجنة التحقيق  
بعد الرجوع إلى شهادة ليقولاي ايفانوفتش غير المعقولة  
والمشالطة . وبعد الأخذ بعين الاعتبار رسالة مرغريتا  
نيقولايينا الغربية والجنونية التي تركتها لزوجها والتي تغيره  
فيها أنها ذاهبة لتصبح جنية . وبعد الأخذ بعين الاعتبار ترك  
ناتاشا ملابسها في مكانها . قررت اللجنة بعد هذه الاعتبارات  
كلها أن سيدة البيت وخادمتها نوتا أولاً كما نوتا كثيرين  
غيرها . واختطفتا بعد ذلك . وراودت المحققين فكرة . ولعلها  
كانت صائبة تماماً . وهي أن المجرمين قتلوا بجمال  
المرأتين .

أما الذي بقي مطلقاً على التحقيق تماماً فهو الدافع الذي

حمل العصابة على خلف العريض النفسي الذي يسمى نفسه المعلم من مستشفى الأمراض النفسية . هذا الأمر لم يفلح التحقيق في جلته ، كما لم يفلح في الوصول إلى اسم المريض المخطوف . وهكذا اختفى المعلم إلى الأبد تحت هذا الاسم الذي لا يعني شيئاً : «الرقم ١١٨ من الجناح الأول» .

وهكذا انجلى كل شيء تقريباً ، وانتهى التحقيق كما ينتهي كل شيء عموماً .

قضت أعوام ، وأخذ المواطنون يشعرون فولند وكوروفيف والآخرين . وحدثت تغيرات كثيرة في حياة أولئك الذين عانوا من فولند وأحواله . ومهما يكن من ثلثة هذه التغيرات وعدم أهميتها إلا أن الإشارة إليها أمر واجب .

جورج بينغالسكي مثلاً رقد ثلاثة أشهر في المستشفى ثم خرج منه معافى ، لكنه اضطر لترك العمل في «فاربيتسه» في عزّ الموسم حين كان الجمهور يتدافع تدافعاً للحصول على بطاقات ، فذكرى السحر الشيطاني وفضحه لا زالت حية . فترك بينغالسكي فاربيتسه لأنه أدرك أن الظهور مساء كل يوم أمام ألفي شخص لا بدأً أن يتعرفوا عليه حتماً ، والتعرض دائماً لأستغلتهم الساحرة عن حالته أن كانت أفضل برأس أم بدون رأس أمر موجه أكثر مما ينبغي .

وبالإضافة إلى ذلك فقد عرف الحل قديراً كبيراً من مرحة وهو شرط ضروري ولازم جداً في مهنته . وبقيت لديه عادة كريهة ومضنية هي الوقوع في حالة من التلق عند اكتمال البحر ربيع كل عام . والأمسك برفيته بنفسه والتلفتت حوله في دهر ، والانخراط في اليكاه . كانت هذه التوبات لمرّ . ومع هذا كان يتعذّر عليه مع وجودها ممارسة عمله السابق ، فتقاعد وأخذ يعيش من مدخراته التي يفترض فيها ، في حسابه المتواضع ، أن تكفيه خمسة عشر عاماً .

ترك العمل إذن ولم يعد يلتقي بفارينوخسا الذي اكتسب شهرة ومعية واسعة ، حتى بين المديرين الإداريين للمسارح ، أعظمه وأدبه الخارقين . فطالبو البطاقات المجانية عن سبيل المثال لم يكونوا يدعونه إلا «أبانا المحسن» . وفي أي وقت كان يرث فيه الهاتف في «فاربيتسه» ، كان يسمع في السماعة صوت رخيخ

انما حزين برد" دائماً : «نعم» ، وكان نفس الصوت سرعان ما  
يرد" على من يطلب اليه استعداء فارينوخا الى الهاتف بقوله :  
«أنا في الخدمة» . ولكن بالمقابل كسم «ألى ايفان سافيليفتشى  
من اديه الجيم" هذا :

أما ستيوبا ليخوديفف فلم يعد أمامه مجال للتحدث بالهاتف  
في «فاريتيه» . إذ نقل نور خروجه من المستشفى الذي أخصى  
فيه ثمانية أيام الى دوستوف حيث عين مدير مخزن كبير للسواد  
الغذائية . وهناك اشاعات تقول انه كتب" عن تناول «اليودتلين»  
ولم يعد يشرب الا الفودكا المتقوعة في برامج عنب الثعلب مما  
اكسبه صحة وبدانة . ويقال انه أخصى صوتاً ، متجنباً  
للنساء .

ولم يعد طرد ستيبان بوشدانوفتشى من «فاريتيه» على  
ريمسكى بالفرحة التي كان يعلم بها بقوة طوال سنوات . فبعد  
المستشفى وكيسلوتودسك قدم المدير العالى الذى دبت  
الشيخوخة في اوصاله وأخذ رأسه يهتز" استقالته من «فاريتيه» .  
والطريف ان زوجة ريمسكى هي التي حملت كتاب استقالته الى  
«فاريتيه» . إذ ان غريغوري داليلوفتشى لم يجد في نفسه القوة  
على الذهاب حتى في وضع النهار الى النهاية التي رأى فيها زجاج  
النافذة المتصدع المخور بضوء القمر واليد الطويلة المتسللة  
الى المزلاج السفلى .

التحق المدير العالى بمرح العرائس في زاموسكفاريتشسكى  
بعد اعتزاله العمل في «فاريتيه» . وفي هذا المسرح لسم يعد  
ريمسكى مضطراً للتصادم مع أركادي أبولونوفتشى سيمبلياروف  
الموخر بشأن السمعات . فقد نقل هذا على الفور الى بريانسك  
وعين مديراً لنقطة تحضير الطور . والآن يأكل الموسكوفيون  
الطور المسلحة والطور البيض المخلطة ولا يملكون من اطرائها  
والاعراب من سرورهم البالغ بنقل سيمبلياروف . القصة قديمة  
انما يمكننا القول ان شؤون السمعات لم تستقسم بين يدي  
أركادي أبولونوفتشى على الرغم من كل محاولاته تحصيلها . فقد  
طلت على ما كانت عليه .

ومن الأشخاص الذين قطعوا صلتهم بالمسرح . اضافة الى  
أركادي أبولونوفتشى . ينبغي أن نذكر اسم نيكاتور ايفانوفتشى

بوسوي . مع ان هذا لم يكن يربطه بالمرح الا حيه للبطاقات  
 المجانية . لم يعد نيكاتور ايتانوفتش يتردد على أي مسرح سواء  
 بغير المجان أو بالمجان وحسب بل صارت علامته تتغير عند  
 أي حديث عن المسرح . وكزه نيكاتور ايتانوفتش بالاضافة الى  
 المسرح . وبتدرجته ليست اقل بل اكبر . الشاعر بوشكين  
 والفنان الموهوب سافا يوتايوفتش كوراليسوف . وبلغ من كرهه  
 هذا الاخير انه حين رأى في العام الماضي في الصحيفة اعلاناً  
 مجتلاً بالسواد ينمى الفنان الذي قضى في أوج عطائه بتوبة  
 فلبية ، احمر وجهه حتى كاد يلعق بسافا يوتايوفتش وجار :  
 «عنا ما يستحقه !» . زد على ذلك ان نيكاتور ايتانوفتش الذي  
 ايلق موت الفنان المشهور في نفسه الكثير والكثير من الذكريات  
 الالية . جلس ذلك المساء وحده برفقة اليدر الذي كان يتبر  
 سادوقايا يشرب . وشرب حتى لعتقه السكر . ومع كل كأس  
 كانت تتناول امامه سلسلة ملعونة من أوجه بيضه ، وكان في  
 هذه السلسلة دونتشيل سيرامي فيراردوفتش والحسناء اللعوب  
 ايما فيركولانوف . وذاك الاصب صاحب اوزات الصارعة .  
 وكانا فكين تيقلواي الصريح .

وهؤلاء ماذا حدث لهم ياترى ؟ العلو . لم يحدث لهم شيء .  
 على الاطلاق . ولا يمكن ان يحدث لهم شيء . لانه لم يكن لهم  
 وجود في الحقيقة . كما لم يكن وجود للفنان اللطيف عريف  
 الحفلات ولا للمسرح نفسه ولا للعزيزيون البغيلة عمه  
 بوروخوفينكوف التي تركت العملة الاجنبية تتعلم في القبور .  
 ناهيك عن الابواق الذهبية والطهارة الوقحين . هذا كله رآه  
 نيكاتور ايتانوفتش في الحلم بتأثير كوروفيفف الرجيم . الشخص  
 الوحيد الحي الذي طار الى نيكاتور ايتانوفتش في الحلم كان  
 الفنان سافا يوتايوفتش بالذات . ولم يلتحم على نيكاتور  
 ايتانوفتش حلمه الا لانه انفرز في ذاكرته بفضل برامجه  
 المتعددة بالراديو . هذا وجد فعلاً . اما الآخرون فلم يوجدوا  
 اطلاقاً .

ولعل الوبيزي موغاريتش لم يكن له وجود هو الآخر ؟  
 آره . لا ! هذا لم يكن موجوداً وحسب ، بل لا زال حياً حتى

الآن . وفي المنصب الذي تغلى عنه ريمسكي بالذات ، أي في منصب المدير العالي الفاريتيه .

ايان الوييزي ، بعد أن صبحا بعد نحو أربع وعشرين ساعة من زيارته للولند . ووجد نفسه في القطار في مكان مما قرب فيانكا . انه نسي ارتداء سرواله حين غادر موسكو لسبب ما في حالة من الاختيال . لكنه لم يدرك بالمقابل السبب الذي دعاه لسرقه دفتر المشتركين العائد لصاحب البيت والذي كان عديم الفائدة له . دفع الوييزي مبلغاً ضخماً من المال الى عطيل القطار . واخذ منه بنتالاً حقيقاً وملوثاً وعاد أدراجه من فيانكا . لكنه لم يجد بيت صاحب الدار مع الأسف . فقد التهمت النيران البيت القديم بكامله . لكن الوييزي كان على قدر عظيم من روح المبادرة لما هما الا اسبوعان حتى كان يظن غرفة راحة في زقاق بروسوف . وما هي الا بضعة أشهر حتى كان يجلس في مكتب ريمسكي . وكما عانى ريمسكي من ستيبان ، عانى فارينوخا الآن من الوييزي . والآن لا يعلم ايان سافيليفتش الا بطرده بعيداً عن «فاريتيه» ، لانه ، كما يهمس فارينوخا أحياناً في مجالسه الخاصة ، «لم يصادف في حياته تدلاً كالوييزي هذا . وانه يتوقع من الوييزي هذا فعل أي شيء» .

لكن لعلّ المدير الاداري كان صاحب هوى . اذا لم تسجل على الوييزي أية أمور خاصة ، بل لم تسجل عليه أية أمور اللهم الا تعيينه شخصاً اخر مكان مدير اليوفيه سوكوف . اما اندري فوكيتش سوكوف هذا فقد توفي من سرطان الكبد في مستشفى تابع لجامعة موسكو بعد نحو تسعة أشهر من ظهور لولند في موسكو . . .

نعم ، مرت عدة سنوات ، وخبث الأحداث الموصوفة في هذا الكتاب بأمانة وصدق ، وانطباعات في الذاكرة ، اما ليس عند الجميع . لا . ليس عند الجميع .

ففي كل عام ، ما ان يجلّ بدر العيد الربيعي حتى يظهر تحت أشجار الزيزفون في بتريشيني برودي شخص في الثلاثين من عمره أو يزيد قليلاً - شخص ضارب الى الصهبة ذو عينين خضراوين وملابس متواضعة . انه الاستاذ في معهد التاريخ والفلسفة البروفيسور ايان نيقولايفتش بونيريف .

ما ان يبلغ اشجار الزيزفون حتى يجلس تحتها ، ودائماً على نفس المقعد الذي جلس عليه في ذلك المساء الذي رأى فيه بربوز ، الذي نسيه الجميع من فترة بعيدة ، لآخر مرة في حياته البدر المتساقط قطعاً .

كان البدر ، الأبيض اللون في أول المساء ، الذهبي اللون في آخره ، الذي تراه على صحته ما يشبه تينيناً داكناً ، يسبح فوق الشاعر السابق ايفان نيقولايفتش ويقف في الوقت نفسه في مكانه نفسه في حياته لا يبرحه .

ايفان نيقولايفتش على علم بكل ما جرى ، انه يعرف كل شيء ، ويفهم كل شيء . . . يعرف انه كان في شبابه ضحية متوهمين مغناطيسيين مجرمين ، وقد عولج وشفي . لكنه يعرف أيضاً انه لا يستطيع السيطرة على شيء ، ما وهذا الشيء هو البدر عند اكتماله في الربيع . فما ان يبدأ القمر يقرب من اكتماله ، وما ان يأخذ الكوكب الذي نعد في وقت ما فوق الشجعتين بخمس شمعات ينمو ويطلع ذهباً ، يهدو ايفان نيقولايفتش قلقاً ، متوتراً ، يفقد شهيته وروحيته في النوم ، ويأخذ في انتظار اكتمال البدر . وما ان يكتمل حتى لا يعود في وسع شيء في الوجود امساكه في بيته . فيخرج مع المساء ويتوجه الى بريريشي برودي .

وهنا يأخذ ايفان نيقولايفتش ، وهو جالس في مقعده ، يحدث نفسه بصوت عال ويدخن ويزر عينيته باتجاه البدر تارة ، وباتجاه الباب الدوار الذي لا زال يذكره جيداً تارة اخرى . ويمضي ايفان نيقولايفتش ساعة او ساعتين على هذا النحو . ثم يخلص نفسه من مكانه ويمضي دائماً في نفس الخط عبر سبيريدونوفكا الى ازالة ارباب بعينين فارغتين غير مبصرتين .

ويجاز محل بيع الكاز ثم ينعطف حيث يتدل صباح الغاز القديم المائل ، وينسل خلية الى السور المشبك الذي يرى خلفه حديقة كثيفة لكنها لم تكن بعد بزهر الربيع ، وفي الحديقة يرى داراً قوطية يلوها البدر من جانبيها الذي يبرز منه المنور بناذته الثلاثية الدوف ، بينما يفرق جانبيها الآخر في الظلام . لا يعرف البروفيسور ما الذي يشعده الى السور ومن الذي

يقطن هذه الدار ، لكنه يعرف أن لا يدري من مغالبة نفسه عند  
اكتمال البدر . ويعرف ، الى ذلك ، أنه سيرى في الحديقة خلف  
السور الشيء نفسه .

سيرى كهلاً وقوراً ملتجئاً يضع نظارة آتلية ، ذا ملامح  
تشبه ملامح الخنوص شيئاً طفيفاً جالساً على مقعد . وايغان  
نيقولايفتش ينجا دائماً ساكن الدار هذا في نفس الوضع العالم ،  
وهو يستمر نظره على القمر . ويعرف ايغان نيقولايفتش ان  
الجالس سيحوك عينيه ، بعد أن تتمليا من منظر القمر ، الى  
نوافذ النور لا محالة ، وسيصرخا عليها كأنه يتوقع ان تفتح  
على مصارعها ويظهر على حافة النافذة شيء ما خارق .

ويعرف ايغان نيقولايفتش ما الذي سيحدث بعد هذا عن ظهر  
قلب . وهنا لا يد من الامعان في الاختفاء ، خلف السور اذ ان  
الجالس سيأخذ في هز رأسه في قلق واضطراب ومحاولة التقاط  
شيء ما في الهواء بعينه الزائفتين ، ورسيم ابتسامة مبهورة  
بالتاكيد ، ثم سيضرب كفاً بكف فجأة في شيء من الكتابة اللذيذة  
وسيفطم ببساطة وبصوت عال قليلاً :

- فينوس ! فينوس ! . . آه ، يالي من غبي ! . .

ويأخذ ايغان نيقولايفتش يهمس وهو يختبره وراء السور  
دون أن يحوك عينيه الملتهبتين من الغريب الغاضب :

- ايها الآلهة ، ايها الآلهة ! حاكم ضحية أخرى من ضحايا  
البدر . . . نعم ، ضحية أخرى مثلي .

وسيتابع الجالس كلامه :

- يالي من غبي ! لماذا ، لماذا لم أطر معها ؟ لماذا خلت ،  
أنا الحمار العتيق ! حصلت على ورقة ! تعكك الآن أيها المتفكك  
العتيق ! !

ويستمر الأمر على هذا المنوال الى أن تصطلق النافذة في  
الجانب المظلم من الدار ويظهر فيها شيء ما ضارب الى البياض  
ويتردد صوت نسائي مزعج !

- أين أنت يا نيقولاي ايغانوفتش ؟ ما معنى نزواتك هذه ؟  
أريد الاصابة باللازيا ؟ تعال اشرب الشاي !

وهنا سيصحو الجالس طبعاً وسيجيب بصوت كاذب :

- أردت لتشقق بعض الهواء ، ياروحي ! الهواء هنا رابع !

وسينتهي من مقعده وسيلتوح بقبضته خلسة باتجاه النافذة المنغلقة في الأسفل متوجهاً ويضئ جازاً قدميه الى بيته .  
- يكذب ، انه يكذب ! ايها الالهة ما اكذبه ا - يغمض ايدان نيولولايفتش وهو يتبعد عن السور ، - ليس الهواء هو الذي يشده الى الحديقة ، بل انه يرى شيئاً ما على البدر في ليلة اكتماله الربيعية ، وفي جو الحديقة ، في العلو . انا مستعد لان ادفع غالياً ثمن النفاذ الى سرء ومعرفة اية فينوس تلك التي ضيعتها ويطوح الآن بيديه عينا في الهواء للامساك بها !  
ويعود البروفيسور الى بيته وقد بلغ به المرض اشدده .  
تنتظر زوجته بانها لا تلاحظ حالته وتستعنه للايواء الى فراشه .  
اما هي فلا تآوي الى فراشها بل تجلس الى مصباح وكتابها في يدعا . وتأخذ لتأمله بعينين تفيضان بالمرارة . انها تعرف ان ايدان نيولولايفتش سيصبح عند الفجر مطلقاً سرعة الية ، وسيأخذ في البكاء والتقلب على جنبه . ولهذا ترى على السماط امامها تحت المصباح محقنة جاهزة وامبولة مملوءة بسائل بلون الشاي الكثيف .

وتسهر العراة المسكينة الرتيطة بالصاب بهذا المرض الخطير انها حرة الآن وبرسها الاستسلام للنوم دون خوف .  
فايدان نيولولايفتش سينام الآن حتى الصباح بوجه تعلوه السعادة وسيرى في نومه احلاماً لا تعرف كنهها . لكنها احلام سامية وسعيدة .

والذي يوظف العالم ويوصله الى اطلاق الصراخ اليانسي في ليلة اكتمال البدر شيء واحد لا يتغير . فهو يرى سفاهاً غير طبيعي لا انف له يطمئن برمحه ، وهو ينطق ويطلق صوتاً مدويًا ، هيستاس المخلق الى خشية والفاقد الصواب في قلبه . ولكن لم يكن السلاح مرعباً قدر ما كانت الاضائة غير الطبيعية في الحلم الناتجة عن غيبة ثغلي وثلور والهوي من الارض كما يحدث اوقات الكوارث العالمية فقط .

بعد الايرة يتبدل كل شيء امام النائم . يستد من السرير الى النافذة طريق قسري عريض ، وينتصب في هذا الطريق شخص في يردة بيضاء ذات بطانة بلون الدم ويأخذ في المضى الى القمر . ويضئ الى جنبه شاب ذو توب معزق ووجه مشوه . . .



السائران يتحدثان بحماسة ، يتناقشان ويريدان الاتفاق على شيء .

ما . . . ويقول ذلك الذي يرتدي البردة وهو يحول الى رفيق دربه وجهاً متفطرساً :

- ايها الالهة . ايها الالهة . ياها من ميتة سمجة ! لكن قل لي من فضلك . - وهنسا يتحول وجهه من المفترسة الى الضراعة . - لكنه لم يكن شيء من هذا ، اليس كذلك ؟ قل لي ، اتوسل اليك . لم يكن شيء من هذا . اليس كذلك ؟

- طبعاً . لسم يكن شيء من هذا . - يجيبه رفيق دربه بصوت مبجوح . - ان هذه الا تهيزات .

- وتستطيع ان تلتصم لي على هذا ؟ - يرجو لايس البردة في استعطف .

- اقسام لك . - يجيبه رفيق دربه . ولا امر ما تلتصم عيناه .

- لست في حاجة الى اكثر من هذا ! - يصرخ لايس البردة بصوت متقطع وبغضب الخطر صعدوا الى القمر جاذباً رفيقه ، يتبعهما كلب هائل مرهف الأذنين هادئ ومهيب .

اذك ياخذ درب القمر في الثوران والغليان ويتدفق منه نهر قمرى يفيض على جانبيه . القمر يصب ويقلب . القمر يرفص ويتشاقق . اذك تتشكل في التيار امرأة خارقة الجبال تمسك بيد شخص نامي اللحية يتلفت حوله مذعوراً وتقرؤه الى ايفان . يتعرف عليه ايفان على الفور انه الرقم ١١٨ . زائر الليل . ويسد ايفان نيلولايفتش اليه في الحلم يديه . ويسأله في حماسة :

- بهذا انتهى الامر ؟

- نعم . بهذا انتهى الامر يا تلميذي . - يجيب الرقم ١١٨ .

اما المرأة فتدنو من ايفان وتقول له :

- طبعاً . بهذا . كل شيء انتهى . وكل شيء ينتهي . . .

سأقبلك في جيبك وسيكون كل شيء عندك كما يجب ان يكون . وتحنن المرأة فوق ايفان وتكلم جبينه . وينهد ايفان اليها ويحدق في عينيها . لكنها تتراجع وتغادره مع رفيق دربها باتجاه القمر .

اذك ياخذ القمر في الهيجان : يصب تيارات الضوء على  
 ايفان مباشرة ويرش الضوء في كل الاتجاهات ، ويبدأ في الغرفة  
 فيضان قهري . يهتز الضوء ويعلو شيئاً فشيئاً ويفترق السرير .  
 اذك فقط يفلو ايفان ليقولاً يفتش بوجه ظهره السعادة .  
 ويصحو في الصباح صموتا ، انما في كامل هدوئه وعافيته .  
 ذاكرته المشلومة تهدأ وتستكين ، وحتى اكتمال الهدى التالي لن  
 يزجج البروفيسور احد ، لا قاتل هيستاس الأجدح ، ولا حاكم  
 اليهودية الخامس الظالم الفارس بيلاطس البنطي .

١٩٢٩-١٩٤٠

١٩٢٩	١٩٢٩
١٩٣٠	١٩٣٠
١٩٣١	١٩٣١
١٩٣٢	١٩٣٢
١٩٣٣	١٩٣٣
١٩٣٤	١٩٣٤
١٩٣٥	١٩٣٥
١٩٣٦	١٩٣٦
١٩٣٧	١٩٣٧
١٩٣٨	١٩٣٨
١٩٣٩	١٩٣٩
١٩٤٠	١٩٤٠
١٩٤١	١٩٤١
١٩٤٢	١٩٤٢
١٩٤٣	١٩٤٣
١٩٤٤	١٩٤٤
١٩٤٥	١٩٤٥
١٩٤٦	١٩٤٦
١٩٤٧	١٩٤٧
١٩٤٨	١٩٤٨
١٩٤٩	١٩٤٩
١٩٥٠	١٩٥٠



٢٦٦	. . . . .	الفصل التاسع عشر . مرشريتنا .
٢٨١	. . . . .	الفصل العشرون . دعان أزابيلو .
٢٨٧	. . . . .	الفصل الحادي والعشرون . الطيران .
٣٠٢	. . . . .	الفصل الثاني والعشرون . على ضوء التسوع .
		الفصل الثالث والعشرون . حطبة رقص كبرى عند
٣١٧	. . . . .	السيطان .
٣٣٥	. . . . .	الفصل الرابع والعشرون . انتشار العلم .
		الفصل الخامس والعشرون . كيف حاول الحاكم انقلابا
٣٦٢	. . . . .	يهودا الذي من قبرياقا .
٣٧٤	. . . . .	الفصل السادس والعشرون . الدفن .
٣٩٩	. . . . .	الفصل السابع والعشرون . نهاية التسعة رقم ٥٠ .
		الفصل الثامن والعشرون . مقامرات كوروفيف
٤١٧	. . . . .	وبيفيموت الأخيصة .
		الفصل التاسع والعشرون . . . . . وحسن نصير العلم
٤٣١	. . . . .	ومرشريتنا .
٤٣٧	. . . . .	الفصل الثلاثون . أن الأوان ا أن الأوان ا .
٤٥١	. . . . .	الفصل الحادي والثلاثون . على تلال نوروبيوف .
٤٥٤	. . . . .	الفصل الثاني والثلاثون . الغفران والمأوى الأبدي .
٤٦١	. . . . .	خاتمة .

- السيدات لا شأن لهن بهذا الموضوع . سيان بالنسبة  
لهن . - اجاب القرصان وهو يخرق البواب بعينيه . - اما  
بالنسبة للشرطة فليس الامر واحداً ! الواحد منا لا يمكنه ان  
يسير في شوارع موسكو بملابسه الداخلية الا في حالة واحدة -  
اذا كان يرافقة الشرطة . والا الى مكان واحد - الى قسم الشرطة !  
وانت . اذا كنت بواباً حقاً . عليك ان تعرف ان واجبك حين  
تشاهد شخصاً كهذا ان تاخذ في الصير فوراً . دون ان تضع  
ثانية واحدة . هل تصعني ؟

سمع البواب الذي كاد يلفد صوابه دويماً بصوت اوان تشكر  
وصيحات نساء تتناهى اليه من الشرفة .  
- ما الذي تريدني ان افعله بك جزاء فعلتك هذه ؟ - ساءه  
القرصان .

اما البواب فاتخذ جلد وجهه لون مصاب بالتيقوس وماتت  
الحياة في عينيه . وتهايا له ان الشعر الأسود . المفروق الآن .  
لنظي بحريز احمر لامع . وان واقية الصدر والفراخ اختفيا وان  
مقبض مسدس ظهر خلف النطاق . وتصور البواب نفسه مشوقاً  
على الصاري الامامي . رأى يأم عينيه لسانه المتدلي من فمه  
ورأسه الناقد الحياة الهادي على كتفه . بسمل سمع طبطبة الموج  
يضرب جوانب السفينة . وتقصفت ركبتا البواب . وهنا اشفق  
القرصان عليه واطفا نار عينيه الحارقة .

- اسمع يا نيتولاي ! انها آخر مرة ا نحن لسنا بحاجة الى  
برابين امناك في المطعم . الأفضل ان تعمل حارس كنيسة . -  
قال القبطان ثم امره قائلاً بدقة ووضوح وسرعة : - استدع  
بنتيلي من البوفيه وشرطياً ليسجل البيروثوكول . ثم الى مصححة  
الامراض العقلية بالسيارة - واردف : - اصفر !

وبعد ربع ساعة رأى الناس ليس في المطعم وحده . بل على  
البولفار وفي نوافذ البيوت المطلة على حديقة المطعم . وقد استبد  
بهم الذهول الشديد . وأوا بنتيلي والبواب والشرطي والتاغل  
والشاعر ووخين يخرجون من باب غريبويدوف وهم يحملون شياً  
مطبوقة في قسط كالدمية . كانت عينا الشاب مغرورقتين بالدموع .  
وكان يهتق جاهداً أن يلق بصالة على دوخين بالذات . ويصرخ  
وهو يهض بدمعه :

- الولد !

أدار سائق الشاحنة المحرك بوجه ينضح بالشر . وإلى جانبه كان حوثي يسوط جواده بعنان ليكني على كفله ويصرخ :  
- على عربة سريعة ! نقلت إلى مستشفى المجانين . . .  
وكان الجمهور المحتشد يهدر حولهم وهو يناقش هذا الحدث القريد : وتقول باختصار : شكل هذا الحدث فضيحة شنيعة .  
ثانئة . فكرة . منسلة لم تنته فصولها إلا حين ابتعدت الشاحنة عن بوابة غريبيدوف حاملة على متنها ايفان نيقولايفتش المسكين والشرطي وبنتيلي وروخين .

## الفصل السادس

### فصام ، كما قيل

كان الوقت منتصف الثانية بعد منتصف الليل حين دخل قاعة الاستقبال في مستشفى الأمراض العقلية المشهور الذي أنجز بناؤه من وقت قريب على ضفة النهر في ضواحي موسكو رجل ذو لحية مديبة ونوب أبيض . وكان هناك ثلاثة مرضيين لا يرفعون عيونهم عن ايفان نيقولايفتش الجالس على الديوان ، والشاعر روخين الذي كان في حالة اضطراب شديد ، بينما كانت المناشف التي شد بها وثاق ايفان نيقولايفتش متكومة على الديوان نفسه ، ويد ايفان نيقولايفتش ورجلاه طليقة .

حين رأى روخين الداخل شحب لونه وسعل وقال بوجل :  
- مرحباً دكتور .

اتحنى الدكتور برد التحية لروخين ، لكنه لم يكن ، وهو ينحني ، ينظر إليه ، بل إلى ايفان نيقولايفتش .

كان هذا يجلس على الديوان جامداً مقلب الحاجبين وقد ارتسخت على وجهه إمارات الغضب بل أنه لم يحرك ساكناً لدى دخول الطبيب .

- هاكم ، يادكتور ، الشاعر المعروف ايفان بيزدومشي . . .  
كيف أقول لك . . . نغض أن يكون أصيب بالهلوسان